مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء الرابع

٧ - ١٠ هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

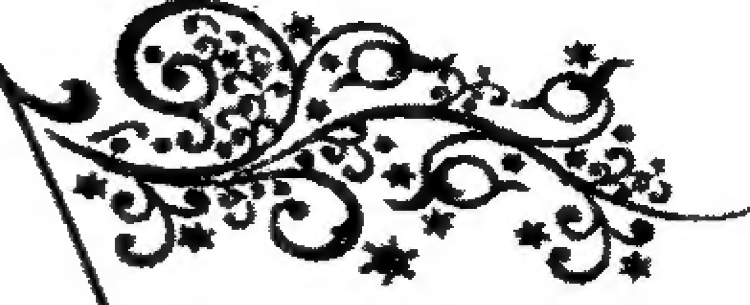
محمد بركات   عمار ريحاوي

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

٤



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah m.

Publishers

الإدارة العامة

Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي وصلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

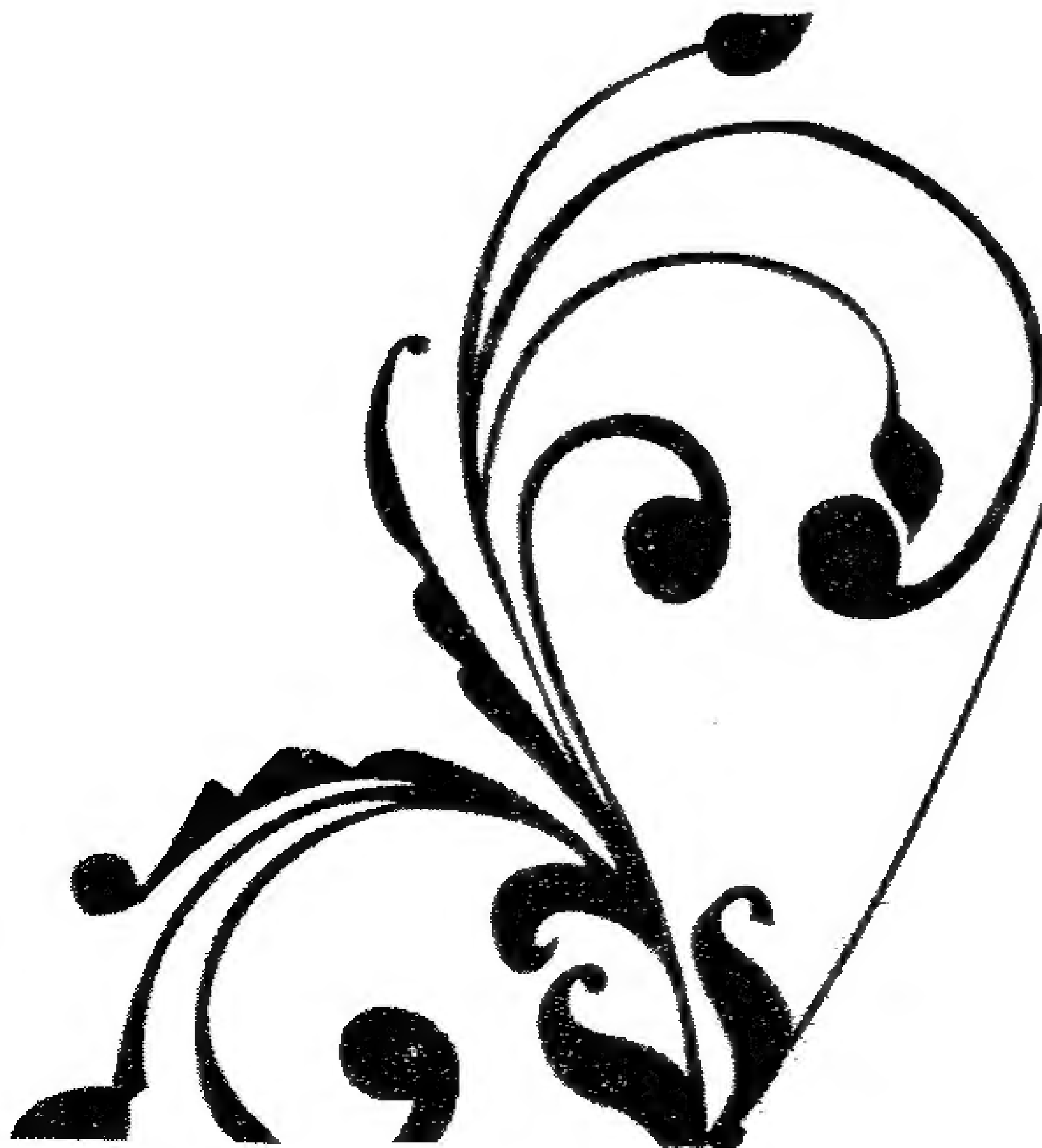
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112- 319039- 818615

P.O. BOX:117460



السنة السابعة من الهجرة

فيها كانت غزاةُ خيبر[1] .

قال الطبري: لما رجع النبي ﷺ من الحديبية أقام بالمدينةِ بقيَّةَ ذي الحجّة، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم. وقال ابن إسحاق: كانت في صفر[2]. وقال الواقدي: في جُمادى الأولى. واستخلف على المدينةِ سِباعَ بنَ عُرْفُطة[3] ، ودفع لواءه إلى عليِّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . وقيل: إلى الحُبابِ بن المنذر[4] .

وقال موسى بن عقبة: خرج رسول الله ﷺ في رايتين، ولم تكنِ الراياتُ قبل خيبر وإنَّما كانتِ الألوية. وكان شعارُهم «يا منصورُ، أَمِتْ». وساروا إلى خيبر، وهي على ثمانيةِ بُرُدٍ من المدينةِ. وأخرج معه أُمَّ سَلَمة، ومضى بالجيشِ حتى نزل قريباً من خيبر، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسولَ الله، اِنزلْ بين حصونهم لِنَقْطَعَ عنهم الأَخْبارَ والمادةَ، فنزل وادي الرَّجيع، بين خَيبر وغَطَفان، فحالَ بينهم، لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسولِ الله ﷺ[5]. فلما سمعت غَطَفانُ بنزولهم هناك جمعوا جمعاً عظيماً لِيُساعِدوا اليهودَ، ثم خافوا على أهلهم وأموالهم فتخلَّوْا عنهم[6]. ونازل رسول الله ﷺ حصونَهم، وكانت كثيرة، منها: القَموصُ، حصنُ كِنانةَ بن أبي الحُقَيْقِ، ونَطاةُ والصَّعْب والكَتيبةُ والوَطيحُ وناعِم والسَّلالم، وهو أحصنُها، وقيل: نطاةُ. ولم يعلموا بنزولهِ ﷺ، حتى بَغَتهم، وكانوا قد خرجوا أَوَّلَ النهار على عادتهم معهم المَساحي

---

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٣٢٨ ، و«المغازي» ٢/ ٦٣٣ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٠٠ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٢٠، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٩ ، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ١٩٤ ، و«المنتظم» ٣/ ٢٩٣ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٨١ .

(٢) في «السيرة» ٢/ ٣٢٨: المسير إلى خيبر كان في المحرم، وفي موضع آخر ٢/ ٣٤١: وكان فتح خيبر في صفر. والقول بخروج النبي ﷺ إلى خيبر في صفر هو للواقدي في «المغازي» ٢/ ٦٣٤ .

(٣) في «السيرة» ٢/ ٣٢٨ : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي .

(٤) بل دفع للحباب بن المنذر الراية، وراية إلى سعد بن عبادة، انظر «الطبقات» ٢/ ١٠١ .

(٥) انظر «المغازي» ٢/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤ .

(٦) انظر «السيرة» ٢/ ٣٣٠ .

والفؤوسُ للعمل، فلم يشعروا برسولِ الله ﷺ إلا وقد نزلَ بساحتهم فقالوا: محمدُ والخميسُ، فولَّوْا هاربين إلى حصونهم، ورسول الله ﷺ يقول: «اللهُ أكبر خَرِبَتْ خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساءَ صباحُ المنذَرين»[1]. قال الواقدي: فقاتلهم رسولُ الله ﷺ قتالاً شديداً، وقُتِلَ من أصحابه جماعة[2].

وأَوَّلُ حصنٍ افتتحه حصنُ ناعم، وعنده قُتِل محمود بن مَسْلَمة، ألقت عليه امرأةٌ رحًى فقتلته، ثم فتح حِصْناً حِصْناً، فلما رأوا ذلك التجؤوا إلى نطاةَ والوَطيح والسَّلالم[3].

حديث مَرْحَب:

واختلفوا في قاتله، فروى الإمام أحمد رحمه الله يرفعه إلى بُرَيْدَة قال: حاصرنا خيبر، وأخذ أبو بكرٍ اللواءَ فلم يُفْتح له، ثم أخذه عُمَرُ فَلم يُفْتَحْ له، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي دافعٌ اللِّواءَ غَداً إلى رَجُلٍ يُحِبُّه اللهُ ورَسولُه [ويُحبُّ اللهَ ورَسُولَه] لا يَرجعُ حتى يُفْتَح له، أو على يَديه». قال: فَبِتْنا طيِّبةً نفوسُنا أن الفتح غَداً، فلما صلى الفَجر قام فدعا باللِّواء، والناسُ على مصافِّهم، ودعا علياً، فقال له: «اذهبْ فانزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام» فأخذ اللواء فبرز إليه مرحب وهو يقول: [من الرجز]

قد عَلِمَتْ خيبرُ أني مَرْحَبُ ... شاكي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجرَّبُ
أَطْعَنُ أحياناً وحيناً أَضْرِبُ ... إذا الليوثُ أقبلت تلهَّبُ

ثم قال: هل من مبارز؟ فقال علي:

أنا الذي سمَّتْني أمي حَيْدَرَهْ ... كليثِ غاباتٍ كريه المنظَرَهْ
عَبْلُ الذراعين شديدُ القَسْورهْ ... أَضْرِبُ بالسيفِ رقابَ الكَفَرَهْ

ثم ضرب رأس مَرْحَبٍ بالسيف فقتله، وجاء برأسه إلى رسول الله ﷺ فَسُرَّ به ودعا له[4].

وحكى الطبري عن بُرَيْدَةَ قال: كان رسولُ الله ﷺ ربما أخذتْه الشَّقيقةُ فلم يخرجْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٩٨)، ومسلم (١٨٠١)(١٢٠). وانظر «السيرة» ٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٢) انظر «الطبقات» ٢/ ١٠١.

(٣) انظر «المغازي» ٢/ ٦٤٥.

(٤) الحديث بهذا السياق ليس عند أحمد، وحديث بريدة عند أحمد (٢٢٩٩٣) إلى قوله: فدعا علياً، وفيه أنه كان =

إلى الناس، فأخذ أبو بكرٍ الراية فقاتل ورجع، ثم أخذ عمرُ فقاتل ورجع، ثم أخذها عليٌّ عليه السلام، فبرز مَرْحَب وعليه مِغْفَرٌ مُعَصْفَرٌ يمانٍ، وعلى رأسه حَجَرٌ قد ثقبه مثلَ البيضة، فضربه عليٌّ فَقَدَّ البيضةَ ورأسَه حتى وقع في أضراسه، وفتح الله الحصن(١).

وقال موسى بن عقبة وابن إسحاق: لما برز مَرْحَبٌ قال رسول الله ﷺ: مَنْ لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا يا رسولَ الله، فبرز إليه فضرب محمداً بالسيف فاتقاه بِدَرَقَتِهِ فنشب فيها، وضربه محمد بالسيف فقتله. فخرج أخوه ياسر فقال:

قد علمت خيبرُ أني ياسرُ
شاكِ السلاحِ بطلٌ مُغاوِرُ
إذا الليوثُ أقبلت تبادرُ
وأحجمت عن صولتي المغاوِرُ
أن حماي فيه موت حاضر

فبرز إليه الزبيرُ بن العوام فقالت صفيةُ: أَيقتلُ ابني يا رسول الله؟ فقال: بل ابنك يقتله، فضربَهُ الزبير فقتله(٢).

وقال أبو رافع مولى رسولِ الله ﷺ: خرجنا مع علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الحصن لما بعثه رسولُ الله ﷺ برايتِه، فخرجوا إلينا فقاتَلونا، فطَرَح علي تُرسَه من يده وتناول باباً كان عند الحصن، فَتَرَّس به، فلم يزلْ في يده حتى فتح الله على يده، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتني في سبعةِ نفرٍ نجتهد أن نَقْلِبَ ذلك البابَ فلم نقدر عليه(٣).

وقال ابن إسحاق: حاصرهم رسول الله ﷺ وفتح حصونهم إلا الوطيحَ والسلالمَ، فتحصن من بقي منهم فيهما، [حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن

= أرمد فتفل النبي ﷺ في عينيه، وفي (٢٣٠٣١) القصة مطولة، فيها ارتجاز مرحب دون ارتجاز علي رضي الله عنه، وأما قوله ﷺ: «اذهب فانزل بساحتهم» فأخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل ابن سعد، وأخرجه أحمد قريباً من هذا السياق مطولاً (١٦٥٣٨) من حديث سلمة بن الأكوع.

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ١٢ ـ ١٣.

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ١٠ ـ ١١، و«دلائل النبوة» ٤/ ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٣٣٥، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٨٥٨).

دماءهم، ففعل، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ] يسألونه مثل ذلك. وكان الذي مشى بينهم مُحَيِّصةُ بن مسعود أخو بني حارثة، فلم يزل أهلُ خَيبر على ذلك حتى سألوا رسولَ الله ﷺ أن يعاملهم بالأموال على النِّصْفِ، فعاملهم على أنه متى شاء أن يُخرجَهمُ أخرجهم، وصالحه أهل فَدَك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئاً للمسلمين، وفَدَكٌ خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يُوجِفُوا عليها بخيلٍ ولا رِكابٍ[١].

وقال ابن عمر: أتى رسولُ الله ﷺ أهلَ خيبر عند الفجر، فقاتلهم حتى ألجأهم إلى قَصْرِهم، وغلبهم على الأَرْضِ والنخيل، وصالحهم على أن يحقُنَ دماءَهم ولهم ما حملَتْ رِكابُهم، وللنبي ﷺ الصفراءُ والبيضاءُ والحَلْقَةُ والسِّلاحُ، وشرطوا أن لا يكتموه شيئاً وأن يُخْرِجَهم، وإن كتموا شيئاً فلا ذِمَّة لهم ولا عهد، فلما وجد المال الذي غَيَّبوه في مَسْكِ الجمل سبى نِساءهم وغلب على الأرض والنخيل ودفعها إليهم على الشطر، وكان ابن رواحة يخرُصُها عليهم ويضمنهم الشطر[٢].

وكان جبَّار بن صخر الأنصاري يخرصُها أيضاً[٣].

وعن ابن عباسٍ : أن رسول الله ﷺ دفع خيبر أرضَها ونخلها مقاسمةً على النِّصْفِ[٤].

حديث الغنائم:

قال علماءُ السِّيَرِ: وأمر رسولُ اللهِ ﷺ بالغنائمِ، فجُمعت، واستعمل عليها فَرْوَةَ بنَ عمرو البَياضي، وكان المسلمونَ ألفاً، والخيلُ مئتي فرسٍ، وكان مع رسولِ الله ﷺ نساءٌ مسلماتٌ، فرضَخَ لَهُنَّ من الفَيْءِ، ولم يَضْرِبْ لهنَّ بِسَهْمٍ، وكانت المقاسمةُ على خمسةِ أسهُمٍ: سهمٌ لله والرسول، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، والمساكين،

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٣٣٧ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٤ ـ ١٥ ، وما بين معقوفين زيادة منهما.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٢/ ١٠٤ ، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٥١٩٩)، والمَسْك: الجلد.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٣٣ .

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٢٥٥). وبهذا الخبر يتم الجزء الثاني من النسخة الخزائنية.

وابن السبيل، وطعمةٌ لأزواج رسول الله ﷺ، وقُسِّمت خيبر على أهل الحديبية من شهد منهم ومن غاب، ولم يغب عنها إلا اليسير، ولم يحضُرْها جابرُ بنُ عبدِ الله، فأعطاه رسولُ الله ﷺ منها كَمَنْ حَضرها[١].

قال ابن سعد: ولما قسم رسول الله ﷺ خيبر، جعل نِصْفَ سهمه لنوائبهِ ونَوازِله، فلما صارت الأموال بيده لم يكنْ للمسلمينَ مَنْ يعملُها، فدفعها إلى اليهودِ، يعملونَها على نِصْفِ ما يخرجُ منها، فلم يزالوا كذلك إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلاهم إلى الشام، وقسم الأموال بين المسلمين[٢]. لِما نذكر.

حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها:

كانت قد رأت في منامِها وهي عروسٌ بكِنانةَ بن أبي الحُقَيْقِ أن قمراً وقع في حِجْرِها، فقصَّت رؤياها على كِنانة، فلطمها، فاخضَرَّت عينها، قال: وما ذاك إلّا لأنك تَتمنَّيْنَ مَلِكَ الحجازِ محمَّداً.

فلما فُتِحت خَيْبَرُ أُتيَ رسولُ الله ﷺ بكنانة وكان عنده كَنْزُ بني النضير، فسأله عنه فأنكر، فقال رجلٌ من اليهود: رأيت كِنانةَ يُطيفُ كلَّ غداة بهذه الخَرِبَةِ، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيتَ إن وَجدناهُ عندكَ، قَتَلنَاكَ؟» قال: نعم، فأمر رسولُ الله ﷺ بتلك الخَرِبةِ فحُفرت، فأخرج منها بعض الكنز، فسأله عن الباقي فأنكر، فدفعه إلى الزبير وقال: «عذِّبه حتى يُقِرَّ بالباقي» وكان الزبير يقدح بزَنْدٍ في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه إلى محمد بن مَسْلَمةَ، فقتله بأخيه محمود بن مَسْلمة.

ولما وصلت صفية إلى رسول الله ﷺ سألها عن عينها فأخبرته فَعَجِبَ[٣].

وفي حديث أنسٍ الذي رواه: أنَّ رسول الله ﷺ غزا خيبر، قال: فصلَّيْنا عندها صلاةَ الغَداةِ بغَلَسٍ، فركبَ رسولُ الله ﷺ وأبو طلحة وأنا رديفُ أبي طَلحةَ، فأجرى رسول الله ﷺ في زقاق خيبر، وإنَّ رُكْبتي لتَمسُّ فَخِذَ نبي الله، وانحسر الإزار عن فخذِ

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٣٤٩، ورضخ: أعطى وقسم.

(٢) انظر «الطبقات» ٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٣٣٦، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٤.

نبي الله فإني لأرى بياضَ فَخِذه، فلما دخل القرية قال: «اللهُ أكبَرُ خَرِبَت خَيبرُ؛ إنا إذا نَزَلنا بقوم فَساء صباحُ المنذَرين» قالها ثلاثاً، وقد خرج القوم إلى أعمالهم فقالوا: محمدٌ والخَميسُ، فأصبناها عَنوةً، فجُمع السَّبْيُ، فجاء دِحْيَةُ فقال: يا رسول الله، أعطني جاريةً من السَّبيِ، فقال: «اذهَبْ فَخُذ جارِيَةً» فأخذ صفيَّةَ بنت حيي، وذُكِرَ أن رجلاً[1] قال: يا رسول الله، أعطيت دِحْيَةَ صفية بنت حيي سيدة بني قريظة والنضير! ما تصلح إلا لك، فقال رسول الله ﷺ: «ادعوه». فجاء بها، فلما نظر إليها رسولُ الله ﷺ قال: «خُذ جارِيَةً مِنَ السَّبيِ غيرَها». قال: ثم إن نبي الله أعتقها وتزوجها. فقال ثابت لأنس: يا أبا حمزة، ما أَصْدَقها؟ قال: نَفْسَها، أعتقها وتزوجها، حتى إذا كُنّا بالطريق جَهَّزَتْها أمُّ سُلَيمٍ، فأهدَتْها له من الليل، فأصبح رسول الله ﷺ عروساً، فقال: «مَن كانَ عندَهُ شَيءٌ فَلْيجِئْ بِهِ» وبسط نِطْعاً، فجعل الرجل يجيء بالبُرِّ والرجلُ يجيء بالسمن، قال: وأحسبه ذكر السَّوِيقَ، قال: فحاسوا حَيْساً، وكانت وليمة رسول الله ﷺ[2].

وعن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: «الْتَمِسُوا لي غُلاماً مِن غِلمانِكُم يَخْدُمُني» فخرج أبو طلحة يُرْدِفُني وراءه، فكنت أخدم رسولَ الله ﷺ، فكنت أسمعُه يكثرُ أن يقولَ: «اللّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن الهمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَل، والبخلِ والجُبنِ، وضَلَعِ الدَّيْن وغَلبةِ الرجال» فلم أزل أَخْدُمُه حتى أقبلنا من خيبر، وأقبل بصفية بنت حُيَيّ قد حازها، فكنتُ أراه يُحَوِّي لها بعباءةٍ أو بكساءٍ، ثم يُرْدِفُها خلفه، حتى إذا كنا بالصَّهْباء صَنَع حَيْساً في نِطْعٍ، ثم أرسلني فدعوت رِجالاً فأكلوا، فكان ذلك بناءَه بها، ثم أقبل حتى بدا له أُحُدٌ، فقال: «هَذا أُحُدٌ، هذا جَبَلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه» فلما أشرف على المدينة قال: «اللّهمَّ إنِّي أُحَرِّمُ ما بينَ لابَتَيْها، كما حرَّمَ إبراهيمُ عليه السلام مكَّةَ، اللّهمَّ بارِكْ لهُم في صَاعِهم ومُدِّهم». أخرجاه في «الصحيحين»[3].

وقال موسى بن عقبة: أعطى رسول الله ﷺ دِحْيَةَ مكان صفية ابنتي الربيع بن أبي الحُقَيْق.

---

(١) في (أ) و(خ): دحية، والمثبت من صحيح البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٤٢٧) (٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٢٥)، ومسلم (١٣٦٥).

وعن ابن عباسٍ قال: لما أراد رسولُ الله ﷺ أن يخرجَ من خيبر قال الناس: الآنَ نَعلمُ أَسُرِّيَّةٌ صَفِيَّةُ أم امرأةٌ؟ فإن كانت امرأة [فإنه سيحجبها، وإلا فهي سرية، فلما خرج أمر بستر فسُتر دونها، فعرف الناس أنها امرأة]، ولما أراد أن يركب أدنى فَخِذَهُ منها لتركب عليها، فأبت إجلالاً لرسولِ الله ﷺ ووضعت ركبتها على فَخِذِه فحملها، فلما كان الليلُ ودخل الفُسطاطَ وهي معه جاء أبو أيوبِ الأنصاريُّ فوضع رأسه على باب الفُسْطاط، فلما أصبح رسول الله ﷺ سمع حركته فقال: من هذا؟ قال: أنا خالد، قال: ما شأنك؟ قال: يا رسول الله جاريةٌ شابةٌ حديثةُ عَهْدٍ بعُرْسٍ وقد صَنَعْتَ بأهلها وزوجِها ما صنعت، فإن تَحرَّكَتْ، كنتُ قريباً منك، فقال: «يَرْحَمُكَ الله يا أبا أيوب»[١].

وقال ابن إسحاق: أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بصفيةَ وامرأةٍ أخرى معها، فَمَرَّ بهما بلالٌ على قتلى يهود، فلما رأتهم المرأة التي مع صفية صاحت وصكَّت وَجْهَها وحَثَتْ على رأسها الترابَ، فلما رآها رسولُ الله ﷺ قال: «أَغْرِبُوا عنِّي هذه الشَّيطانَة» وأمر بصفِيَّةَ فَحِيزَتْ خلفه، وألقى عليها بردائه، فعرف الناسُ أنه اختارها لنفسه، وقال لبلال: «أَنُزِعَتْ منكَ الرَّحمةُ حيثُ تمرُّ على قتلى رجالهما»[٢]

[ذكر من استشهد بخيبر]

ثَقْف، وقيل: ثقاف بن عمرو بن سُمَيْط، أخو مالك ومِدْلاج، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، من حلفاء بني عبد شمس، شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية، وقتله أُسير اليهودي في يوم خيبر[٣].

الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد، وأمه أمامة بنت الصامت بن خالد، والحارث من الطبقة الثانية من الأنصار، وهو الذي بعثه[٤] رسول الله ﷺ من الطريق

(١) «الطبقات الكبرى» ٢/ ١٠٩ ـ ١١٠ وما بين معكوفين منه .

(٢) «السيرة» ٢/ ٣٣٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٩١ .

(٤) في طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٧ :ردّه، وهو الصواب .

لَمَّا توجَّهَ إلى بدر إلى بني عمرو بن عوف لشيءٍ بلغه عنهم، وضرب له بأَجْرِه وسَهْمِه، وشهد أحداً والخندق والحديبية، فلما حاصر رسول الله ﷺ خيبر رماه رجل من حصنٍ بحَجَرٍ فدمغَه، وهو أخو ثعلبة بن حاطب لأبيه وأمه، وفي ثعلبة نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥] وسنذكره إن شاء الله.

ربيعةُ بن أكثم بن سخبرة بن عمرو، أبو يزيد الأسدي من المهاجرين الأولين، شهد بدراً وأحداً وهو ابن ثلاثين سنة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ورماه الحارث اليهودي أبو زينب من النَّطاةِ بحجر فقتله في حصار خيبر، وهو ابن سبع وثلاثين سنة.

رفاعة بن عبد المنذر بن رفاعة بن زَنْبَر، أبو رافع أخو أَبي لبابة الأنصاري، شهد رفاعة بدراً، وله رؤيةٌ وروايةٌ[١].

عامر بن الأكْوَعِ سنان بن عبد الله بن قُشير من بني أفصى، من الطبقة الثانية من المهاجرين، أسلم الأكوع قديماً هو وابناه عامرٌ وعمرو، وصحبوا رسولَ الله ﷺ، وعامرٌ عمُّ سَلَمة بن الأكوع، فسلمة بن عمرو بن سنان، وسنان هو الأكوع[٢].

قال سلمة: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فَسِرْنا فقال رجل من القوم لعامر: ألا تُسْمِعُنا من هُنَيَّاتِكَ، وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم ويقول:

تـالله لـولا اللهُ مـا اهـتـدينـا
ولا تـصـدَّقْـنـا ولا صَـلَّـيـنـا
ونحن عن فضلِكَ ما استغنَينا
فـثـبِّـتِ الأقـدامَ إن لاقَـيْـنـا
وأنْـزِلَـنْ سـكـيـنـةً عـلـيـنـا
فـاغـفـر فـداءً لـك مـا اقـتـنَـيْـنـا

(١) الترجمان في طبقات ابن سعد ٣/ ٨٩، ٤٢٢.
(٢) انظر «السيرة» ٢/ ٣٢٨.

إنــا إذا صــيــح بــنــا أتــيْــنــا
وبــالــصــيــاح عَــوَّلــوا عــلــيــنــا

فقال رسول الله ﷺ : «مَن هذا؟» قالوا: عامر، قال: «يَرحَمُه اللهُ»، فقال رجل من القوم: وَجَبَتْ يا نبيَّ الله، لولا مَتَّعْتَنا به.

وقيل: إن القائل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

وخرج مَلِكُهم مَرْحَب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبرُ أني مَرْحَبُ ......الأبيات المتقدمة.

وقال:

قــد عــلــمــت خــيــبــر أنــي عــامــر   شــاك الــســلاح بــطــل مُــغــاوِرُ

ثم التقيا، فاختَلَفا ضَرْبتين، فوقع سيفُ مَرْحَب في تُرس عامرٍ، وذهب عامر يَسْفُلُ له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نَفْسُهُ. قال سلمة: فخرجت فإذا بِنَفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ يقول: بطلَ عملُ عامرٍ، قَتَلَ نَفْسَه، قال: فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله بطَلَ عملُ عامر، قال: «مَن قالَ ذلكَ»؟ قال: قلتُ: نَفَرٌ من أصحابك، قال: «كَذَب مَن قالَ ذلكَ، بل له أَجْرُه مَرَّتَين»[١].

وفي رواية عن سلمة قال: أتينا خيبر فحاصرناهم وأصابتنا مَخْمَصَةٌ شديدة، ثم إن الله فتحها، فلما أمسى الناس اليومَ الذي فتحت فيه خيبر، وأوقدوا نيراناً كثيرة، فقال رسول الله ﷺ : «ما هذه النِّيرانُ؟ على أيِّ شيءٍ يُوقِدُونَ»؟ قالوا: على لحوم الحُمُرِ الإنسِيَّة. فقال رسول الله ﷺ : «أهريقُوها واكسِرُوا القُدُورَ» فقال رجل: يا رسول الله أو نَغْسِلُها؟ فقال: «أَو ذلك» فلمَّا تصافَّ القوم كان سيف عامرٍ فيه قِصَرٌ، فتناولَ به يهودياً ليضربه فرجع ذُبابُ سيفه فأصاب ركبته فمات منها، فلما قَفَلوا قال سلمةُ: رآني رسول الله ﷺ شاحباً شاكياً، قال سلمة: فأخذ بيدي أو هوَ آخِذٌ بيدي، فقلت: فدًى لك أبي وأمي، زعموا أنَّ عامراً حَبِطَ عمله، فقال: «من قاله»؟ قلت: فلانٌ وفلانٌ وأُسَيْدُ بنُ الحُضَيْر، فقال: «كَذَبَ مَن قاله، إنَّ له لأَجْرَينِ» وجمع بين أصابعه أو أُصْبَعَيْه

(١) «الطبقات الكبرى» ٢/ ١٠٥ ، و ٥/ ٢٠٨ ، وانظر «السيرة» ٢/ ٣٢٨ .

«إنه لَجاهِدٌ مُجاهِدٌ، قلَّ عَرَبيٌّ مشى بها مثلَهُ»[(١)] .

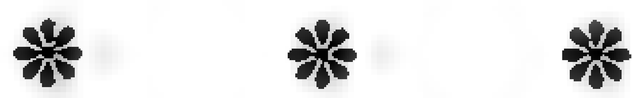
وفي رواية: إن أصحاب رسول الله ﷺ شكُّوا فيه وقالوا: رجل مات بسلاحه، وقال سلمةُ: يا رسول الله إن قوماً ليهابون الصلاة عليه، فقال: «كذبوا» [(٢)] وذَكَرَهُ. متفق عليه.

ومعنى يهابون الصلاة عليه: أي الدعاء له، ومعنى يسفُل: أي يَخْطُرُ يده إلى أسفل.

وروى ابن سعد: أن النبي ﷺ قال: إن عامراً يعوم في الجنة عوم الدُّعْمُوصِ[(٣)]. وهو دُويبةٌ تغوص في الماء.

محمودُ بنُ مَسْلَمةَ بن سلمة بن خالد، حليف بني عبد الأشهل، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمه خُليدَةُ بنت أبي عُبَيْدٍ، شهد أُحُداً والخندقَ والحديبية، ألقت عليه امرأة[(٤)] بخيبر رحًى فَسَمَتِ البَيْضَةَ على رأسه فمات، فَقُبِرَ هو وعامر بن الأكوع في قبرٍ واحدٍ لأنهما قُتِلا في يوم واحد، وقبرهما في غارٍ بالرَّجيع، وله رؤية ورِوايةٌ. وفي ذلك اليوم قُتِلَ مَرحَب.

النعمانُ بنُ ثابت بن النعمانِ بن أُمية بن البُرَك وهو امرؤ القيس، وكُنْيةُ النعمان: أبو ضَيَّاح ـ بضاد معجمة [وياءٍ] مشدَّدة وحاء مهملة ـ شهد بدراً وأحداً والخندقَ والحديبيةَ وخيبرَ وقُتِلَ بها شهيداً، ضَربه رجلٌ منهم بسهم فأطَنَّ قِحْفَ رأسه، وليس له عَقِبٌ.



قال الواقدي: قُتِلَ من المسلمين في غزاة خَيبر ستةَ عَشَرَ رجلاً، ذكرنا أعيانهم، ومن اليهود سبعون رجلاً[(٥)] . منهم الحارث ـ أبو زينب التي سَمَّت رسولَ الله ﷺ ـ ومرحبٌ وياسرٌ وأُسَيْرٌ وكِنانةُ بن أبي الحُقَيْقِ، وغيرُهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤٨)، ومسلم (١٨٠٢) .

(٢) هي رواية لمسلم (١٨٠٢) (١٢٤) .

(٣) «الطبقات» ٥/ ٢٠٩ .

(٤) في «الطبقات» ٤/ ٢٤٧ : أن مرحب اليهودي هو الذي ألقى عليه الحجر .

(٥) «المغازي» ٢/ ٧٠٠ وعنده: خمسة عشر من المسلمين، وثلاثة وتسعون رجلاً من اليهود .

وعن أبي هريرة قال: شهدنا معَ رسولِ الله ﷺ خيبرَ، فقال لِرجلٍ ممن يدَّعي الإسلام: «هَذا مِن أَهلِ النَّارِ» فلما حضَر القتالُ قاتل الرجل قِتالاً شديداً، فأصابه جِراحةٌ، فأُخْبِرَ رسولُ الله ﷺ بقتاله، فلما كان في الليل لم يَصْبِرْ على ألم الجِراح فقتل نفسه، فأُخْبِرَ النبيُّ ﷺ فقال: «اللهُ أكبَرُ، أَشهَدُ أَنِّي عبدُ اللهِ ورَسولُه» ثُمَّ أَمرَ بلالاً فنادى في الناس: «إنه لا يَدْخُلُ الجنةَ إلا نفسٌ مُؤمنةٌ أو مُسلِمةٌ، وإنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هذا الدينَ بالرجلِ الفَاجِرِ». أخْرَجاه في «الصحيحين»[١].

ولما فرغ رسولُ الله ﷺ من خيبر أهدت له زينبُ بنت الحارث اليهودية ـ ابنة أخي مَرْحَب، امرأةُ سَلَّام بن مِشْكَم ـ شاةً مَصْلِيَّةً، وكانت قد سألت: أَيُّ الأعضاءِ أحبُّ إليه؟ فقيل لها: الذراعُ، فأكثرت فيه السُّمَّ، وجاءت بالشاة إلى رسول الله ﷺ فتناول من الذراع مُضْغَةً فلم يُسِغْها، فلفظَها، وكان عنده بِشْرُ بن البراء بن مَعْرور فأخَذَ [كما أخذ] رسولُ الله ﷺ فأساغها، ثم قال النبي ﷺ: «إنَّ هَذا الذِّراعَ لَيُخْبِرُني أنَّه مَسمُومٌ» فدعا بها فسألها فاعترفت، فقال: «ما حَمَلَكِ على هَذا»؟ فقالت: بلغتَ مِنْ قومي ما قد بلغتَ، فقلتُ: إن كان نبيًّا، فَسَيُخْبَرُ، وإن كان مَلِكاً، استرحنا منه[٢].

قال البخاري: فَعفا عنها ولم يقتلها[٣].

وقال الواقدي: الثابتُ عنْدنا أنه قتلها[٤].

وقال الهيثم: لما مات بِشْر بن البراء دفعها إلى أوليائه، فقتلوها به.

وفيها: حرَّمَ رسول الله ﷺ لُحومَ الحُمُرِ الإنْسِيَّة، وقد كانت مباحةً قبل ذلك.

قال أبو ثعلبة: غزوتُ مع النبي ﷺ خيبر، فأصبنا بها حُمُراً من الحُمُرِ الإنسية فذبحناها، وأُخْبِر رسول الله ﷺ فأمر عبد الرحمن بن عوف فنادى في الناس: «إنَّ

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١).

(٢) «السيرة» ٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

(٣) لم نقف عليه عند البخاري.

(٤) انظر «المغازي» ٢/ ٦٧٧ ـ ٦٧٨.

لُحومَ الحُمُر الإِنسِيَّةِ لا تَحلُّ لِمَن يَشهَدُ أَنِّي رَسولُ اللهِ»[(١)].

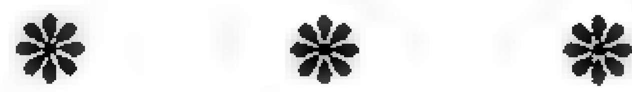
وقد روى هذه السُّنَّة جماعة من الصحابة منهم: علي بن أبي طالب[(٢)] وجابر بن عبد الله[(٣)]، والبراء بن عازب[(٤)].

وكذا يَحْرُمُ أكلُ البغال عند عامة الفُقهاءِ والعلماء، وعند مالك رحمة الله عليه لا يَحْرُم شيء من ذلك لقوله عليه السلام لغالب بن أبجر وكان له حُمُر: كُلْ من سَمينِ مالِكَ[(٥)]. إِلَّا أنه مَنْسُوخٌ بحديث خيبر.

وقال جابر: حرَّم رسولُ الله ﷺ لحومَ البغال، وكلَّ ذي ناب من السباع، وذي مِخْلَبٍ من الطير[(٦)].

[وفيها:] نهى رسول الله ﷺ أن يسقي الرجل ماءَه زَرْعَ غَيره.

قال رويفع بن ثابت البَلَوِيُّ: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «مَن كانَ يُؤمنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، فلا يَسقِي ماءَهُ زَرعَ غيرِه، مَن كانَ يُؤمِن باللهِ واليَومِ الآخِرِ، فلا يَقَع على امرأةٍ مِنَ السَّبيِ حتى يَسْتَبرِئها»[(٧)].



وفيها: قدم جعفرُ بن أبي طالب على رسول الله ﷺ وهو بخيبر، فقام إليه رسول الله ﷺ فاعتنقه وقَبَّلَهُ وقال: «ما أَدرِي بأَيِّهما أُسَرُّ: بقُدومِ جَعفر أو بفتح خيبر»[(٨)] وسأل رسولُ الله ﷺ المسلمينَ أن يُسْهموا له ولأصحابه، ففعلوا.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمة الله عليهما: حدثني أبي، عن علي بن المَديني

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٥١١٥)، ومسلم (١٤٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢١٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٢٦)، ومسلم (١٩٣٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤٨٢٦)، وابن أبي عاصم (١١٦٢).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٤٦٣).

(٧) أخرجه أبو داود (٢١٥٨)، وأحمد في «مسنده» (١٦٩٩٧).

(٨) أخرجه الحاكم ٣/ ٢٣٠، وانظر «السيرة» ٢/ ٣٥٩.

قال: كنتُ جالساً في مجلس مالك بن أنس، فاستأذن عليه سفيان بن عُيينة، فأذِنَ له فدخل فسلَّم، وقال: السلام خاصٌّ وعام، السلام عليك أبا عبد الله، فقال مالك: وعليك السلام أبا محمد ورحمةُ الله وبركاته، وقام إليه فصافحه، وقال: لولا أنَّ المعانقة بِدْعَةٌ لعانَقْتُكَ، فقال سُفْيان: قد عانق من هو خير مني مَنْ هو خيرٌ منك، قال مالك: رسولَ الله ﷺ وجعفراً؟ قال: نعم، قال مالك: ذاك خاصٌّ وليس بعامٍّ، فقال سفيان: ما عَمَّ جعفراً يعمنا وما خصَّه يَخُصُّنا. ثم قال سُفْيان: يا أبا عبد الله أتأذن لي أن أُحَدِّثَ في مجلسك؟ قال: نعم، حدثنا عبد الله بن طاووس عن أبيه عن ابن عباس: أن جعفر بن أبي طالب لما قدم من أرض الحبشة تَلَقَّاه رسول الله ﷺ واعتنقه وقال: جعفرٌ أَشْبَهُهُم بي خَلْقاً وخلُقاً[1].



وفيها: قَدِمَ أبو هريرة على رسول الله ﷺ بخيبر.

قال الواقدي: قدم الطُّفَيْلُ بن عَمْرو الدَّوْسيُّ وقومُه المدينةَ بعدما أسلموا، في سبعين راكباً، وفيهم أبو هريرة، ورسولُ الله ﷺ بخيبر، فخرجوا إليه، فلقوه هناك، فأسهم لهم، وقَدِموا معه المدينة فقال الطفيل: يا رسول الله لا تُفَرِّقْ بيني وبين أصحابي، فأَنْزَلَهُم حَرَّةَ الدجاج، وقال أبو هريرة: لما أقبلتُ أُريدُ الإسلام كان معي غلام ضلَّ عني وأقبل غلامي بعد ذلك وأنا جالس عند رسولِ الله ﷺ فقال: يا أبا هريرة هذا غلامك قد أتاك، فقلت: يا رسول الله إني أشهدك أنه حر.

وفي رواية: لما قدمتُ على رسول الله ﷺ قلت وأنا في الطريق: [من الطويل]

يا ليلةً من طولِها وعنائها ... على أنها من دارةِ الكفر نَجَّتِ

فقدمتُ على النبي ﷺ فبايعتُه، فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام فقال: هذا غلامك، فقلت: هو حر لوجه الله[2].

وفي أفراد البخاري، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: أتَيْنا رسولَ الله ﷺ وهو بخيبر بعدما

(١) أخرج القصة ابن عساكر في «تاريخه» ٥٨/ ٣٦٥.

(٢) انظر «الطبقات» ١/ ٣٠٤، و ٥/ ٢٣١.

افتتحها، فقلت: يا رسول الله أَسْهِم لي، فقال بعض بني سعيد بن العاص: لا تُسْهِمْ له، قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله هذا قاتِلُ ابنِ قَوْقَل، فقال ابن سعيد بن العاص: واعجباً لِوَبْرٍ تدلَّى علينا من قُدوم ضَأنٍ، ينعى عَليَّ قَتْلَ رجلٍ مسلم أكرمه الله بيَدَيَّ ولم يُهنّي بيده، أو على يده. قال عنبسةُ بن سعيدٍ راوي الحديث: فلا أدري أسهم له أم لا[(١)]؟

وأخرج البخاري بمعناه فقال: إن رسول الله ﷺ بعث أبان بن سعيد بن العاص على سَرِيَّةٍ من المدينةِ قِبَلَ نجدٍ، فَقدِم أبان وأَصحابه على رسول الله ﷺ بخيبر بعدما افتتحها. قال أبو هريرة: فقلتُ: يا رسولَ الله، لا تَقْسِمْ لهم. فقال أبان: وأنت بهذا يا وَبْرُ انْحَدَر من رأس ضال. فقال رسول الله ﷺ: «يا أَبانُ، اجْلِسْ». فلم يقسِم لهم[(٢)].

الوبْر بإسكان الباء: دويبة تشبه السِّنَّوْر[(٣)]. والقَدوم: بالتخفيف ما تقدَّم من الشاة. ورواه البخاري: ضال، وهو جبل. وغيره يقول: ضأن. والتدلّي: النزول. وابن قَوْقل: رجلٌ من الأنصارِ. وابنُ سعيد هو أَبان. وإنما قال ذلك احتقاراً لأَبي هريرة.

وقيل: إنه لم يُسْهم له. وسنذكرُ أَخبار أَبي هريرة إن شاء الله تعالى في سنة ثمانٍ وخمسين.

وفيها: كانت غزاةُ وادي القُرى[(٤)].

قال أبو هريرة: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ إلى خيبر فلم يغنم ذهباً ولا فِضَّةً، وغَنِمنا المتاعَ والطعام والثيابَ، ثم انطلقنا إلى وادي القُرى مع رسولِ الله ﷺ. ومع رسولِ الله عبدٌ ـ أهداه له رجل جاءه من جُذام يُدعى رفاعة بن زيد من بني ضُبَيب ـ يُقال له: مِدعَم. فلما نزلنا الوادي قام العبد يحلُّ رحله، فجاءه سهم عائر فقتله، فقلت: هنيئاً له الجنة، فقال رسولُ الله ﷺ: «كلَّا والذي نَفسُ محمدٍ بيده، إن شَمْلَتَهُ الآن لتَحترقُ عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٧).

(٢) البخاري (٤٢٣٨).

(٣) في النسخ: «الأمر» والمثبت من «فتح الباري» ٧/ ٤٩٢.

(٤) انظر «السيرة» ٢/ ٣٣٨، و«المغازي» ٢/ ٧٠٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٦، و«المنتظم» ٣/ ٢٩٧، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢١٨.

في النَّار، أو تحترقُ عليه ناراً» وكان قد غَلَّها من فَيْءِ المسلمين يَوْمَ خَيبر، فسمع ذلك رجلٌ من الصحابة فقال: يا رسول الله أصبت شِراكين لنَعْلٍ لي، فقال: «هذا لَكَ شِراكانِ مِن نارٍ»(١).

واختلفُوا في غزاة وادي القرى: هل هي داخلة في غزاة خيبر أو منفردة عنها؟

وفيها: كانت ليلة التَّعريسِ.

قال الترمذي: حدَّثنا محمود بن غَيلان، حدَّثنا النَّضْر، عن صالح بن أبي الأَخضر، عن الزُّهري، عن ابن المُسَيِّب، عن أبي هريرة قال: لما قفلَ رسولُ الله ﷺ من خيبرَ أسرى ليلةً، حتى إذا أدركه الكَرى أَناخَ فعرَّسَ، فقال النبيﷺ: «هَل مِن رَجلٍ يَحفَظُ علينا الطَّريق لعلَّنا نَنامُ»؟ فقال بلال: أنا يا رسولَ الله، فنزل ونزل الناس، فنام وناموا، وقام بلالٌ يُصلي، فصلى ما شاء الله، ثم استند إلى بعيرِه واستقبل الفجر بطَرْفِه فغلبته عينُه فنام، فلم يُوْقِظْني إلَّا حر الشمس، فكان أَوَّلَ من هَبَّ من نومِه النبيُّ ﷺ فقال: «ما صنَعْتَ يا بِلالُ»؟ فقال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفوسكم، فقال: «صدقْتَ» ثم سار غير كثير، ثم أناخ فتوضَّأَ وصلى ركعتين ثم صلى الفَجْرَ(٢).

ولمسلم: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجلٍ رَأسَ راحلته، فإنَّ هَذا مَنزِلٌ حَضَرنا فيه الشَّيطانُ» قال: ففَعلنا، فدعا بالماء فتوضأ ثم صلى ركعتين قبل صلاة الغَداة، ثم أقيمت الصلاة فصلى الغَداة(٣).



وفيها: نزلت آية التيمم، وقيل: في غزاة ذات الرقاع، وقيل: في غزاة المريسيع.

قال البخاري: حدَّثنا عبد الله بن يوسف، أَنبأنا مالكٌ، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعضِ أسفارِه، حتى إذا كنا بالبَيْداءِ ـ أو بذات الجيش ـ انقطع عِقْدٌ لي، فأقام رسولُ الله ﷺ على

(١) أخرجه البخاري (٦٧٠٧)، ومسلم (١١٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٦٨٠) (٣١٠).

التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء، أو وَلَيْسَ معهم ماء، فأتى الناسُ أبا بكرٍ فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشةُ؛ أقامتْ بالناس على غير ماء، فجاء أبو بكر فأغلظ لها، قالت: ورسولُ الله ﷺ نائمٌ، رأسُه على فَخِذي، وقال ما شاء، وجعل يَطْعُنُ بيده في خاصرتها، قالت: ولا يمنعني من التحرك إلا مكانُ رسولِ الله ﷺ، فنام حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آيةَ التيمم، فقال أُسَيْدُ بنُ حُضَيْر وهو أحد النقباء: ما هي بأول بركتِكُم يا آل أبي بكر، ما نزل بكِ أمرٌ تكرهينَه إلا جعل الله للمسلمين منه فرجاً ولكِ منه مخرجاً. قالت: فَبَعَثْنا البعيرَ الذي كان تحتي أو كنت عليه فإذا العقد تحته[١].

وفيها: كانت قصة الحجَّاج بن عِلاط بن خالد بن ثُوَيْرَةَ السُّلَمي[٢]، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، شهد فتح خيبر.

قال أرباب السير: كانت تحته أمُّ شَيْبَةَ أختُ بني عبد الدار، وكان كثير المال، فلما رجع رسولُ الله ﷺ قال له: يا رسول الله إن لي أموالاً بالحجاز وبمكة، وذهبي عند أُمِّ شيبة، وإن عَلِمَتْ بإسلامي هي ومَنْ عنده مالي ذهب، فَأْذَنْ لي في الذهاب قبل أن يفشو الخبر، فأذن له وقال: قل ما شئت.

قال الحجاج: فخرجت وأسرعت المسير، فلما كنت بالثنية البيضاء رأيت رجالاً يتجسَّسون أخبار رسول الله ﷺ من قريش وقد علموا أنه صار إلى خيبر وهي قريةُ الحجاز، ريفاً ومَنَعَةً ورجالاً وعُدَّةً وسِلاحاً، فلما رَأَوْني قالوا: الحجاجُ؟! ولم يكونوا علموا بإسلامي، فقالوا: أخبرنا عن القاطعِ، فقلت: عندي من الخبر ما يسرُّكم، فالتبطوا بجانِبَيْ ناقتي يقولون: إيه يا حجَّاجُ، فقلت: هُزِمَ هَزيمةً لم يُهْزَمْ مثلَها قطُّ وأُسِر وقُتِلَ أصحابُهُ قتلاً ذريعاً، وأرادت اليهودُ قتله فقال رؤساؤهم: دَعُوه حتى نَبعثَ به إلى مكَّةَ فيقتلونه بين أظهرهم بِمنْ كان أصاب من رجالهم، ففرِحوا وانطلقوا إلى أهلها فبشَّروهم، فقلتُ: أَعينوني على جمع مالي من غُرَمائي حتى أَقْدُمَ على خيبر فأَشتري من الذين أصابوا من أموال محمدٍ ﷺ وأصحابِهِ قبل أن يسبقَني التُّجَار، فجمعوا مالي في أسرع وقت، وجئت إلى صاحبتي فأخذتُ ما كان عندها وقلت لها

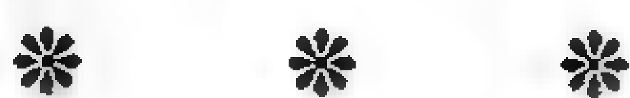
---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤).

(٢) انظر «السيرة» ٢/ ٣٤٥، و«الطبقات» ٥/ ١٥٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٧.

مثلَ ما قلت لهم، ولما شاع الخبر بمكة التقاني العباس فقال: ويحك يا حجاج، ما الذي جئت به؟ فقلت: اذهب إلى مكان كذا، فأخذتُ جميعَ مالي وخرجت، فقلت له: أبشر فَتَح الله على ابن أخيك خيبرَ وتركتُه عروساً على بنت ملك خيبر، وقد أسلمتُ وجئتُ أَخَذْتُ مالي خوفاً من أن أُغْلَبَ عليه، فاكتُمْ عني ثلاثاً. فلما كان بعد ثلاث لبس العباس حُلَّةً وتخلَّقَ ثم خرج يطوف بالبيتِ، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التَّجَلُّدُ في المصيبةِ، فقال: ويلكم فتح الله خيبرَ على رسول الله ﷺ وأعرسَ بابنة ملكهم، وأحرز رسولُه أموالَهم ونخيلَهم وقسَّمها بين المسلمين، فقالوا: من جاء بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به لقد دخل عليكم مسلماً وأخذ أمواله وانطلق ولحق رسولَ الله ﷺ ليكون معه، فقالوا: قُتِلْتَ عدوَّ الله، أما واللهِ لو عَلِمْنا لكان لنا وله شأن من الشأن. فلم يلبثوا أن جاء الخبر بذلك، فأعتق العباس في ذلك اليوم عبداً له يقال له: أبو زبيبة.

وقال موسى بن عقبة: لما سمع العباس بِما أَخْبَرَ بِهِ الحجاجُ أولاً أراد أن يقوم فلم يقدر على القيام.



قال الواقدي: وفيها رد رسول الله ﷺ ابنته زينب عليها السلام على أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه(١).

وفيها: قدمت أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ بنت أبي سفيان من الحبشة على رسولِ الله ﷺ وهو بالمدينة، وكان قد كتب إلى النجاشي فزوَّجه إيَّاها، وكانت قد هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصَّر ومات هناك.

وعن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: رأيت في المنام كأنَّ عبيدَ الله بنَ جَحْشٍ زوجي بأسوأ حال، وأشوهِ صورة، ففزعتُ وقلتُ: تَغيَّرتْ واللهِ حالُه. فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة إني نظرت في هذا الدين فلم أر ديناً خيراً من دين النصرانية، وكنتُ قد دِنْتُ بها، ثم دخلتُ في دينِ محمد، ثم رجعت

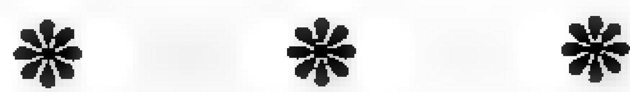
(١) «تاريخ الطبري» ٣/ ٢١ .

إلى النصرانية، قالت: فقلت له: والله ما خِيْرَ لك، وأخْبرتُه بما رأيت له فلم يحفَلْ بي، وأكبَّ على الخمر يشربُه حتى مات، فرأيت في المنام كأن آتياً يقول: يا أمَّ المؤمنين، ففزعْتُ، وأوَّلْتُها أن رسولَ الله ﷺ يتزوجني، قالت: فما هو إلا أن انقضت عِدَّتي، فما شعرتُ إلَّا بجارية النجاشي يقال لها: أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودُهْنِهِ تستأذن عَلَيَّ، فأذِنْتُ لها فدخلتْ، وقالتْ: الملك يُسَلِّمُ عَلَيْكِ ويقول: إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزَوِّجه إيَّاكِ، فقلت: بشَّرك اللهُ بالخير، فقالت: وَكِّلي من يُزَوِّجُك، فأرسلتُ إلى خالدِ ابنِ سعيد بن العاص فوكَّلْتُه، وأعطيت أبرهةَ سِوارَيْنِ من فِضَّةٍ وخَدَمَتَيْنِ كانتا في رِجْلي وخواتيم فضة كانت في أصابعي سروراً بما بشَّرتني به، فلما كان العَشِيُّ أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين فحضروا وخطب النجاشي خطبة بليغة؛ حَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال: أما بعدُ فإن رسولَ الله ﷺ كتب إلي أن أُزَوِّجَه أم حبيبة، فأجبته إلى ما دعاني إليه وأصْدَقْتُها من مالي أربع مئة دينار وصبَّها بين يدي القوم، فحمد الله خالد بن سعيد وصلى على رسوله وقال: قد أجبت رسولَ الله ﷺ إلى ما سأل، فبارك الله لرسوله. ثم حضَر الطعامُ فأكلوا وانصرفوا.

وفي روايةٍ: أنَّ أم حبيبة دفعت إلى أبرهة خمسين ديناراً فلم تقبلها وردت عليها جميع ما أعطتها وقالت: إن الملك أمرني أن لا أَرْزَأَكِ شيئاً، وإني قد أَسْلَمْتُ وبايعتُ رسولَ الله ﷺ ـ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثنَ إليك بكلِّ ما عندهُنَّ من العِطْر ـ ثم جاءتني بعودٍ وعَنْبرٍ ومسكٍ وحُلِيٍّ كثيرةٍ ـ فقَدِمْتُ بذلك على رسول الله ﷺ ـ وأخبريه أَني قد بايعته وهذه حاجتي إليك، قالت: فلما قدمت عليه أخبرته فقال: وعليها السلام، ولما بلغ أبا سفيان قال: ذاك الفحل الذي لا يُقدَعُ أَنْفُه[1].

وفي تزويج أم حبيبة نزل قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[2] [الممتحنة: ٧].

قال الواقدي: وبعث النجاشي أم حبيبة ﵂ مع شُرَحْبيل بن حَسَنَة.



(١) «الطبقات» ١٠/ ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) «الطبقات» ١٠/ ٩٧.

وفيها: قدم حاطب بن أبي بلتعة[١] من عند المُقَوْقِس صاحب الإسكندرية على رسول الله ﷺ بهديَّةٍ، وهي أربعُ جوارٍ منهن مارية وهي أم إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله ﷺ، وسيرين، وبغلتُه الدُّلْدُل، وحماره اليعفور، وألْفُ دينار من ذهب وعشرين ثوباً، وخَصِيٌّ يقال له: مأبور، شَيْخٌ كبير كان أخاً لمارية، أقام على دينه حتى قدم المدينة.

وكان حاطب قد دعا مارية وسيرين إلى الإسلام فأسلما قبل وصولهما إلى المدينة، فأنزلهما رسولُ الله ﷺ على أم سُلَيْم بنت مِلْحان، وكانت أُمُّ إبراهيم وضيئةً بيضاءَ جميلةً جَعْدَةً من كورةِ أَنْصِنا، فَوطِئها رسولُ الله ﷺ بملك اليمين، ثم حولها إلى مالِهِ بالعالية، كان قد أخذه من بني النضير وكان يأتيها فيه، وكانت في مَشْرَبةٍ تعرف بمشربةِ أم إبراهيم ـ والمشربة: المَنْظَرةُ ـ وكان الخصيُّ يختلف إليها، فكثَّر الناس فيه وقَالوا: عِلْجٌ يَدْخُلُ على عِلْجَةٍ، فبلغ رسولَ الله ﷺ فدعا علياً رضوان الله عليه وقال: انطلق، فإن وجدته عندها فاقتله، فقال: يا رسول الله إذا بعثتني أكون كالسِّكَّةِ المُحْماةِ أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فقال: فأقبلتُ متوشِّحاً بالسيف وإذا به عندها فاخترطت السيف فأقبلت نحوه، فلما رآني صَعِد نخلةً هناك وألقى نفسه على قفاه وشغر برجليه فإذا هو أَجَبُّ مَمْسوحٌ، ليس له قليل ولا كثير، فأغمدتُ السيف وأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت»[٢].

قال الواقدي: إنما أمر بقتْله لأنه كان كافراً لم يسلم.

وقال المنافقون: إنه فحل فأكذب الله المنافقين.

وأما سيرين فوهبها رسول الله ﷺ لحسانَ بنِ ثابتٍ فأولدها عبد الرحمن.

وأما بغلته الدُّلدُل فبقيت إلى أيام معاوية.

وأما حماره اليعفور فَنَفَقَ في حِجَّة الوداع عند منصرفه منها.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٣/ ٢١، وانظر «الطبقات» ١٠/ ٢٠١.

(٢) انظر «تاريخ ابن عساكر» ٣/ ٢٣٦، و«البداية والنهاية» ٥/ ٣٠٤.

ولما قرأ رسولُ الله ﷺ كتاب المقوقس قال: «ضَنَّ بمُلكِهِ».

وفيها: قدم أبو موسى الأشعري(١) على رسول الله ﷺ المدينةَ في خمسين رجلاً ومعه إِخْوتُه وكانوا قد ركبوا من اليمن في سفينة وأرسوا بجُدَّة، فلقوه وقد قَفَل من خيبر.

قال أنس: قال رسول الله ﷺ: «يَقدُمُ عليكم غَداً قَومٌ هم أَرَقُّ قُلوباً للإسلامِ منكُم». قدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلمّا دَنَوْا من المدينة جعلوا يرتجزون؛ يقولون:

غَـــداً نَـــلْـــقَـــى الأَحِـــبَّـــه

مُـــحَـــمَّـــداً وحِـــزبَـــه

فلما قدموا تصافَحوا، فكانوا أوَّلَ من أحدث المصافحة. أخرجه الإمام أحمد(٢) رحمة الله عليه.

وفيها: كانت سرية عمر بن الخطاب ﷺ إلى هَوازن(٣) في شعبان إلى مكان يقال له: تُرَبَةُ، على أربعِ ليالٍ من مكة، وقيل: على أربعة أميال، في ثلاثين راكباً فانهزموا وعاد إلى المدينة.

وفيها: كانت سرية أبي بكر رضوان الله عليه إلى نجد(٤)، قال سلمة بن الأكوع: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى فَزارة وكنت معه، فلما دَنَوْنا من الماءِ عرَّسَ وشنَّ الغارةَ وقت الصبح، فقتلتُ سبعةً من الكفار، ورأيت عُنُقاً من الناس فيهم الذراري فخشيتُ أن يسبقوني إلى الجبل فأدركتهم ورميت بِسَهْمٍ بينهم وبين الجبل، فلما رأَوْه قاموا ـ

(١) «الطبقات» ١/ ٣٠٠، و«المنتظم» ٣/ ٣٠٤.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٥٨٢).

(٣) «المغازي» ٢/ ٧٢٢، و«الطبقات»٢/ ١١٠، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٢، و«المنتظم» ٣/ ٣٠١، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٢١.

(٤) «المغازي» ٢/ ٧٢٢، و«الطبقات» ٢/ ١١١، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٢، و«المنتظم» ٣/ ٣٠١، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٢٠.

أي: وقفوا ـ وإذا أنا بامرأة من فَزارة عليها قَشْعٌ من أَدَم معها ابنةٌ لها من أجمل العرب، فجئت بها إلى أبي بكر فنفَّلني ابنتها، فلم أكشف لها ثوباً [حتى قدمت المدينة، ثم باتت عندي فلم أكشف لها ثوباً حتى لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال: «يا سَلَمَةُ، هَب لي المَرأَةَ» فقلت: يا نبي الله، والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، فسكت حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق ولم أكشف لها ثوباً، فقال: «يا سَلَمةُ، هَبْ لي المَرأة، لله أبوك» فقلت: هي لك يا رسول الله قال:] فبعث بها إلى مكة ففدى بها أسرى المسلمين.

وفيها: كانت سرية بشير بن سعد إلى بني مرة[1]، في شعبان بناحيةِ فَدَك في ثلاثين راكباً، وقيل: في ثلاثين راجلاً، فساق أموالهم ونَعَمهم فأدركوه فقتلوا أصحابه وجُرِحَ في كعبه فَارتُثَّ بين القتلى فَعاد إلى المدينة.

وفيها: كانت سرية علي عليه السلام[2] إلى بني سعد في شعبان، فَهزمهم وساق أموالهم إلى المدينة.

وفيها: كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى المَيْفَعةِ[3]، وراءَ بطن نخلةَ في رمضان إلى بني عدي وبني غزال، في مئةٍ وثلاثين رجلاً فاستاقوا النَّعَمَ والشاءَ.

وقال ابن إسحاق: إنما كانت إلى يُمْنٍ وجُبَارٍ.

وفيها: كانت سرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى الحُرقات من جُهَيْنَةَ[4].

قال أسامة: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرْقةِ أو الحُرْقات من جُهَيْنَةَ، فصبَّحناهم فقاتلناهم، قال: وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا وإذا أدبروا كان

---

(١) «المغازي» ٢/ ٧٢٣، و«الطبقات» ٢/ ١١٢، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٢، و«المنتظم» ٣/ ٣٠٢، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٢١.

(٢) هي سرية علي بن أبي طالب إلى فدك، تقدم ذكرها عند المصنف في السنة السادسة.

(٣) «السيرة» ٢/ ٦٢٢، «المغازي» ٢/ ٧٢٦، و«الطبقات» ٢/ ١١٢، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٢، و«المنتظم» ٣/ ٣٠٣.

(٤) أدرجها أصحاب السير مع سرية غالب كما في «السيرة» ٢/ ٦٢٣، و«الطبقات» ٢/ ١١٢، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٢، و«المنتظم» ٣/ ٣٠٣.

حاميهم، قال: فَغَشيتُه أنا ورجل من الأنصار، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكفَّ عنه الأنصاري وقتلته أنا، وبلغ رسولَ الله ﷺ فقال: «يا أُسامةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعدَما قال لا إِلَه إلا اللهُ»؟ فقلت: يا رسول الله، إنما كان متعوِّذاً من القتل، قال: فكرّرها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ.

وفي رواية عن أسامة: أنه قال: لما قَتَلْتُه عرض في نفسي منه شيء، فَذُكِرَ لرسولِ الله ﷺ فقال: «مَنْ لَكَ بلا إِله إلَّا الله يَومَ القِيامة»؟ قال: قلت: يا رسول الله قالها مخافةَ القتل، فقال: «أَلَا شَقَقتَ عَن قَلبِه حتَّى تَعلَمَ مِن أَجلِ ذلك أَم لا؟ مَن لَك بلا إله إلَّا اللهُ يَومَ القيامة» فما زال يقول ذلك حتى وددت أني لم أسلم يومئذ. أخرجاه في «الصحيحين»[1].

ولمسلم: كيف تَصْنَعُ بلا إله إلا الله، قال: وأسامة يقول: يا رسول الله استغفرْ لي، ورسول الله ﷺ لا يزيده على ذلك[2].

وفيها: كانت سرية بَشيرِ بن سَعْدٍ إلى الجِنابِ[3] مِن خيبر ووادي القرى، في ثلاث مئة رجل، وكان قد جمع عُيَيْنَةُ بنُ حصن في ذلك المكان جمعاً كثيراً، فقدم حُسَيْل بن نُوَيْرَةَ الأَشجَعي فأخبر رسولَ الله ﷺ بذلك وأَنَّ عُيَيْنَةَ قاصدُهُ، فأرسل إليه بشيرَ بنَ سَعْدٍ فانهزم عيينة، فساق بشير النَّعمَ والشاءَ إلى المدينة وقتل عبداً لعيينة.

وفيها: كانت عمرة القضاء[4] في ذي القعدة، خرج رسول الله ﷺ من المدينة لهلال ذي القعدة ـ وهو المسير الذي صده المشركون فيه ـ في ألفين، وقادَ مئة فرس، معه السلاح، وساق ستين بَدَنَةً، وجعل عليها ناجية بن جُنْدب الأَسلمي، واستخلف على المدينة أبا رُهْم الغفاري، فلما سمعت به قريش صعدوا إلى الجبال ودخلوا في الشعاب.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (٢١٨٠٢).

(٢) مسلم (٩٧).

(٣) «المغازي» ٢/ ٧٢٧، و«الطبقات» ٢/ ١١٣، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٣، و«المنتظم» ٣/ ٣٠٣.

(٤) «السيرة» ٢/ ٣٧٠، و«المغازي» ٢/ ٧٣١، و«الطبقات» ٢/ ١١٣، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٣، و«دلائل النبوة» ٤/ ٣١٣، و«المنتظم» ٣/ ٣٠٤، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٢٦.

وقال أنس: لما أراد رسول الله ﷺ أن يدخل مكة استأذن أَهْلَها فأذنوا له، فدخلها من الثَّنِيَّةِ التي تُطْلِعُ على الحَجون، وبين يديه عبد الله بن رواحة آخِذٌ بزمام ناقته يرتجز ويقول: [من الرجز]

خَلُّوا بني الكفارِ عن سبيلهِ
خَلُّوا فكلُّ الخَيْرِ مع رسولهِ
يا ربِّ إني مؤمن بقيلهِ
أَعْرِفُ حقَّ الله في قَبولهِ
نحن ضربناكُم على تَأْويلهِ
كما ضربناكُم على تنزيلهِ
ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مَقيلهِ
ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليلهِ

فقال له عمر بن الخطاب: يا ابن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله تقول الشعر؟ فقال رسول الله ﷺ: «خَلِّ عنه يا عمرُ، فلَهِيَ أَسْرَعُ فيهم مِن نَضْحِ النَّبلِ»(١).

وقال ابن عباس: اصطف من بقي من الكفار بمكة عند دار الندوة لينظروا إلى رسولِ الله ﷺ وأصحابِه، فلما دخل المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده الأيمن منه ثم قال: «رَحِمَ اللهُ امرءًا أَراهُم مِن نَفسِهِ قُوَّةً» ثم استلم الركن اليَماني، وخرج يُهَرْوِلُ وأصحابه معه يفعلون ذلك، فهرول ثلاثة أشواط ومشى باقيها، وإنما فعل ذلك لأن المشركين قالوا: قد وَهَنَتْهم حُمّى يثرب، فرمل في الطواف وسعى بين الصفا والمروة فصار ذلك سُنَّةً، ثم فعله في حجة الوداع(٢).

وعن ابن عباس قال: قدم رسولُ الله ﷺ وقد وَهَنَتْهُم حُمَّى يثرب فقال المشركون: إِنَّه يَقْدُمُ اليوم قومٌ قد وَهَنَتْهُم الحمّى ولقوا منها شرّاً، فأَطْلَعَ الله نبيَّهُ على ما قالوا،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٤٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٨٨)، وانظر «السيرة» ٢/ ٣٧١ .
(٢) «السيرة» ٢/ ٣٧١ .

فأمرهم أن يَرمُلوا ثلاثةَ أشواط وأن يمشوا بين الرُّكْنين، فلما رَمَلوا قال المشركون: أهؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى وهنتهم، هؤلاءِ أجلدُ منا[١].

وقال ابن الكلبي: خرج رسولُ الله ﷺ من المدينة ومعه الخيل، واستعمل على الخيل محمد بن مسلمة وعلى السلاح بشير بن سعد، وبلغ قريشاً فخافوا منه، فبعثوا إليه مِكْرزَ بن حفص فلقيه بمَرِّ الظهران، فقال: يا محمد ما عُرِفْتَ صغيراً وكبيراً إلا بالوفاء، فما هذا السلاح؟ فقال: ما أَدْخُلُ عليكم به وإنما يكون قريباً مني، فرجع فأخبرهم فاطمأنوا[٢].

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا حُجَيْنُ، حدَّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراءِ بن عازبٍ قال: اعتمرَ رسولُ الله ﷺ في ذي القَعْدَة فأبى أهل مكة أن يَدَعُوْهُ يدخل مكة، حتى قاضاهم أن يعود في العام المقبل ويقيمَ بها ثلاثة أيام، وذكر حديث الكتاب وأنْ لا يدخل مكة من السلاح إلا السيف في القِرابِ ولا يخرج من أهلها أحد إلا من أراد أن يتبعه، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً وقالوا: قل لصاحبك يخرج عنا، فقد مضى الأجل، فخرج رسول الله ﷺ[٣].

وللبخاري ومسلم زيادة: فتبعهتم ابنةُ حمزةَ تُنادي: يا عمِّ، يا عمِّ، فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة: دونَكِ ابنةَ عمك فاحتمليها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أحق بها هي ابنة عمي، وقال جعفر: بنت عمي وخالتُها تحتي، وقال زيد: بنت أخي، فقضى بها رسولُ الله ﷺ لخالتها، وقال: «الخالَةُ بمنْزِلَةِ الأُمِّ» وقال لعلي: «أنتَ منِّي وأَنا منكَ» وقال لجعفر: «أَشبَهتَ خَلْقِي وَخُلُقِي» وقال لزيد: «أَنتَ أَخُونا ومَولانا»[٤].

واختلف العلماء في اسم بنت حمزة: فقيل: أمامة، وقيل: عنزه، وقيل: فاطمة، وخالتُها أسماء بنت عميس.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٠٢)، ومسلم (١٢٦٦)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (٢٦٣٩).

(٢) انظر «المغازي» ٢/ ٧٣٤.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٦٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٩)، ولم نقف عليه عند مسلم، وانظر «الجمع بين الصحيحين» (٨٥٨).

وقال الواقدي: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فجاءه حويطب بن عبد العزى في نفر من قريش فقالوا: قد انقضى الأجل فاخرج عنا. وكان قد تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، زَوَّجَها به العباس وهي خالة عبد الله بن عبد العزى[١].

وقال البلاذُري: [وكانت ميمونة قبل رسول الله ﷺ عند] أبي سَبرة بن أبي رُهْمٍ وتوفي، فأرسل رسول الله ﷺ أبا رافعٍ مولاه ومعه أوس بن خَوْليّ الأنصاري إلى العباس فزوَّجه إياها بمكة، فلما قال له المشركون: اخرج عنا قال: ما ضَرَّكم لو تركتموني فأعرستُ عندكم وصنعتُ لكم طعاماً فحضرتموه، فقالوا: لا حاجة لنا في طعامك، ووكَّلوا به جماعةً منهم حُوَيْطب[٢].

قال ابن إسحاقَ: فقال لهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه: البلدُ بلدُ رسول الله ﷺ وبلد آبائه، فقال له رسول الله ﷺ: مهلاً يا سعيدُ، أو: مَهْ، وخَلَّف رسولُ الله أبا رافع عند ميمونة، فخرج بها على قلوصٍ، فجعل أهل مكة يُنَفِّرونه ويقولون: لا باركَ اللهُ لك[٣].

ولما خرج رسولُ الله ﷺ من مكة نادى مناديه: لا يبقى بها أحد من المسلمين. قال هشام: والصَّحيحُ: أن العباسَ زوَّجه بها بموضع يقال له: سَرِف وبنى بها فيه لَمَّا حلَّ من عمرته عند عودته إلى المدينة. وتوفيت بهذا المنزل في سنة إحدى وستين، وسنذكرها هناك إن شاء الله تعالى.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: حدَّثنا عفان بن مسلم، حدَّثنا وهيب، عن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ تزوَّجَ مَيمونةَ وهو مُحرمٌ. متفق عليه[٤].

وعن ابن عباس أيضاً: أن رسول الله ﷺ تَزوَّج ميمونةَ وهما مُحرمانِ[٥].

---

(١) «المغازي» ٢/ ٧٣٩.

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥، وما بين معقوفين زيادة منه.

(٣) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ٥٣٥.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٧٣)، والبخاري (١٨٣٧)، ومسلم (١٤١٠).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٠٠).

وفيها: كانت سرية ابن أبي العَوْجاءِ إلى بني سُلَيْم في ذي الحجة[١]: لما رَجع رسول الله ﷺ من عُمرَةِ القضاء، فنزل ابن أبي العوجاء بساحة بني سُلَيم في خمسين رجلاً فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا فيه واستمدوا الأَمداد من كل ناحية، فقاتلَ هو وأصحابه قتالاً شديداً حتى قتل منهم عامتهم، وأَرْتُثَّ ابن أبي العوجاء في القتلى فتحامل حتى قدم المدينة.

فصل وفيها توفي

بِشْرُ بن البراء[٢]

ابن معرور بن صخر بن خَنْساء الأنصاري، وأمه خُليدةُ بنت قيس أشجعية، وأبوه البراء شهد العقبة ومات بالمدينة في صفر قبل قدومِ رسول الله ﷺ إليها مهاجراً بِشَهْرٍ، وبِشْرٌ من الطبقة الأولى، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وأكل مع رسولِ الله ﷺ من الشاةِ المسمومةِ.

واختلفوا في وفاته: فقيل: إنه لَمَّا أكل من الشاةِ ماتَ مكانه، وقيل: بعد شهر، وقيل: أقام شهوراً إلى آخر السنة.

قال موسى بن عقبة: لما قال رسولُ الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أنه مسموم» قال بشر: والذي أكرمك لقَدْ وَجَدْتُ ذلك في أكلي الذي أكلت، وذكره، وفيه: فلم يَقُمْ بِشْر من مكانه حتى عادَ لَوْنُه مثل الطَّيلَسان وماطَلَهُ وَجَعُه حتى كان لا يتحوَّلُ إلا ما حُوِّلَ، واحتجم يومئذ رسول الله ﷺ على الكاهل، حجمه أبو هلال مولى بني بياضه بالقَرْنِ والشفرة، وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتى كان مرضه الذي توفي فيه فقال: «ما زَالَت أُكلةُ خَيبرَ تُعاودُني، وهذا أَوانُ قَطْعِ أَبْهَري»[٣]

(١) «المغازي» ٢/ ٧٤١، و«الطبقات» ٢/ ١١٥، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٦، و«دلائل النبوة للبيهقي» ٤/ ٣٤١، و«المنتظم» ٣/ ٣٠٦، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٣٥.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٢٨، و«المنتظم» ٣/ ٣٠٦، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٦٩، و«الإصابة» ١/ ١٥٠.

(٣) وأخرجه البخاري (٤٤٢٨) من حديث عائشة.

فكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة[١].

والأَبْهَرُ: عِرقٌ في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

ولما مرض رسولُ الله ﷺ مَرَضَ موتهِ دخلت عليه أم بشر تعودُهُ فقال لها ذلك[٢].

وكان لبشر ابنة يقال لها: سُلافة، وأمها حُمَيْمَةُ بنتُ صَيْفي من بني سَلِمة، تزوجها [أبو] قتادة بن ربعي بن بَلْدَمة من بني سَلِمَةَ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن[٣].

وأُمُّ بِشْرٍ خُليدةُ بنت قَيس بن ثابت بن خالد بن أشجع، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وروت عنه.

عن محمود بن لبيد، عن أم بِشْر أنها قالت: يا رسول الله، تَتَعارفُ الموتى؟ فقال: «تَرِبَت يَداكِ، النَّفسُ الطَّيِّبَةُ طَيرٌ في الجنَّة، فإنْ كانَ الطَّيرُ يَتعارَفُونَ في رُؤوسِ الشَّجرِ، فإنَّهم يَتعارَفُون»[٤].

وعن عائشة ﵂ قالت: دخلت أم بشر على رسول الله ﷺ في مَرَضِه الذي مات فيه وهو محموم فَمَسَّتْهُ، وقالت: ما وجدتُ مِثْلَ وَعْكٍ عَلَيْكَ على أَحَدٍ، فقال: «كما يُضاعَفُ لنا الأَجرُ، كَذلِكَ يُضاعَفُ عَلينا البَلَاءُ» وقال: «ما يَقولُ النَّاسُ»؟ قالت: زعموا أن بك ذات الجَنْبِ، فقال: «ما كانَ اللهُ لِيُسَلِّطَها عليَّ، وإنَّما هي هَمزَةٌ من الشَّيْطان، ولكنَّه من الأُكْلَة التي أَكَلتُ أنا وابنكِ يَومَ خيبرَ، ما زَالَ يُصِيبني منها عِدادٌ، حتى كان هذا أَوانُ انقطاع أَبْهَري»[٥].

ثُويبةُ مولاة أبي لهب[٦]

وهي التي أرضعت رسول الله ﷺ بلبن ابنها مسروحٍ، وكان رسول الله ﷺ يَصِلُها

---

(١) أخرج الخبر عن موسى بن عقبة البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٩٣٣) .

(٣) الصواب أنها ابنة البراء، فهي أخت بشر، انظر «الطبقات» ١٠/ ٣٧٣ .

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ٢٩٦ .

(٥) أخرجه ابن سعد ١٠/ ٢٩٧ .

(٦) «المنتظم» ٣/ ٣٠٧ ، و«الإصابة» ٤/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

ويحسنُ إليها، واختلفوا في إسلامها، وذكرها أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله من جملة النساء اللاتي لهن صُحْبَة ورُؤيَةٌ[١].

حليمة بنت أَبي ذُؤيب[٢] السعدية

التي أرضعت رسول الله ﷺ، أسلمت هي وزوجُها ودخلت على رسولِ الله ﷺ فاحترمها وثنى لها وسادة وبسط لها رداءه وقال: «أُمِّي أُمِّي»[٣]. حدثت عن رسول الله ﷺ.

سعدُ بنُ خَوْلَةَ[٤] بن سعيد

حليف بني عامر بن لؤي، وهو من أهل اليمن، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وهو من المهاجرين الأولين، شهد بدراً وأُحُداً والخندقَ والحديبية.

قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: كنت معَ رسولِ الله ﷺ في حجة الوداع فمرضتُ مرضاً أشْفَيتُ منه على الموت، فعادَني رسولُ الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن لي مالاً كثيراً وليس يَرِثُني إلا ابنةٌ لي، أَفَأُوْصي بِثُلثَيْ مالي؟ قال: «لا»، قلت: فبالشطر؟ قال: «لا»، قلت: فثلث مالي؟ قال: «الثُّلثُ، والثُّلثُ كَثيرٌ، إنَّكَ يا سَعْدُ، أن تَدَعَ وَرَثَتَكَ أغنِياءَ خَيرٌ لكَ مِن أَن تَدَعَهُم عَالةً يَتكَفَّفُون النَّاسَ، إنَّك يا سَعدُ، لَنْ تُنْفِقَ نَفَقةً تبتَغِي بها وَجهَ اللهِ إلَّا أُجِرْتَ عليها، حتى اللُّقمةَ تجعَلُها في فِي امرَأتِكَ» قال: قلت: يا رسول الله، أُخَلَّفُ بعد أصحابي؟قال: «إنَّكَ لنْ تُخَلَّفَ فتَعملَ عَمَلاً تَبتَغي بِهِ وَجْهَ الله إلَّا ازْدَدْتَ بهِ دَرَجةً ورِفْعَةً، ولَعلَّك أن تُخلَّفَ حتى يَنفَعَ الله بكَ أَقواماً ويَضُرَّ بكَ أَقواماً آخرين، اللَّهمَّ أمضِ لأَصحابي هِجْرَتَهم ولا تَردَّهُم على أعقابِهِم، لكنِ البائِسُ سَعْدُ بن خَوْلَة» يرثي له النبي ﷺ وكان مات بمكة. أخرجاه في «الصحيحين»[٥].

ومعناه: أن رسول الله ﷺ كان يكرهُ لمن هاجر إلى المدينة أن يُقيمَ بعد نُسُكِه بمكَّة.

---

(١) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٢٣٧.

(٢) «الإصابة» ٤/ ٢٧٤.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٩٣.

(٤) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٣٧٨.

(٥) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

وقيل: إن سعد بن خولة إنما دخل مكة لحاجةٍ ويعود فأدركه الموت، وله رؤية وصحبة.

وقيل: هو مولى أبي رُهْم. وقيل: مولى حاطب بن أبي بلتعة.

وقيل: إن امرأته ولدت بعد وفاته بأربعين يوماً فمرَّ بها أبو السنابل[1] فقال: أراكِ تتهيّأين للأزواج، لا، إلَّا بعد أربعة أشهر وعشرٍ، فأخبرتْ رسولَ الله ﷺ فقال: «انكَحِي مَن شِئْتِ»[2].

الوليد بن الوليد بن المغيرة[3]

أبو الوليد، من الطبقة الثانية من المهاجرين، كان أبوه من المستهزئين برسولِ الله ﷺ وأمه أميمة بنت الوليد من بَجيلة، خرج مع الكفار يوم بدر وهو على دينهم، فأسره عبد الله بن جحش بن رِئاب، وقيل: سَليطُ بن قيس من الأنصار، فقدم في فدائه أخواه خالد وهشام، وأبى رسولُ الله ﷺ أن يدفعه إلا بشِكَّةِ[4] أبيه، وكانت درعاً فَضفاضةً وسَيْفاً وبَيْضةً، فأبى ذلك خالدٌ وأطاع هشام أخوه لأبيه وأُمه فَفَدَوْهُ بأربعةِ آلاف درهمٍ، وقوَّمُوا الشِّكَّةَ بألف درهم منها، وقيل: بمئة دينار ودفعوها إلى رسول الله ﷺ، فلما خرجا إلى ذي الحُلَيْفةِ أفلت منهما إلى المدينة فعادا إليه، وقالا: هلّا كان ذلك قبل أن تَخْرُجَ من أيدينا مأْثَرَةُ أَبينا يعني الشِّكَّةَ؟ فقال: ما كنت لأُسلم حتى أَفْتَدِيَ، لئلا تقول قريش: إنما أسلم فراراً من الفِداء، فرجعا به إلى مكة وحبساه فكان رسول الله ﷺ يقنُتُ ويقول في قنوته: «اللَّهمَّ أنجِ الوَليدَ بن الوَليدِ، وسَلَمةَ بنَ هِشامٍ، وعيَّاشَ بنَ أبي رَبيعةَ» الحديث، وهو في «الصحيح»[5]، ثم إنه أفلت من مكة إلى الساحل فأقام مع أبي بصير يقطع الطريق على قريش، فلما مات أبو بصير قَدِمَ المدينةَ فأقام بها حتى توفي فبكته أم سَلَمة رضي الله عنها وقالت: [من مجزوء الكامل]

---

(١) في النسخ: «أبو السائل» والمثبت من «الطبقات» ١٠/ ٢٧٢ .

(٢) أخرجه البخاري (٥٣١٨).

(٣) «الطبقات» ٤/ ١٢٣ ، و«المنتظم» ٣/ ٣٠٩ ، و«الإصابة» ٣/ ٦٣٩ .

(٤) الشِّكة: ما يلبس من السلاح.

(٥) البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

يـا عـيـنُ بَـكِّـي لـلـولـيـد بـن الـولـيـد بـن الـمـغـيـرهْ
كـان الـولـيـد بـن الـولـيـد أبـو الـولـيـد فـتـى الـعـشـيـرهْ

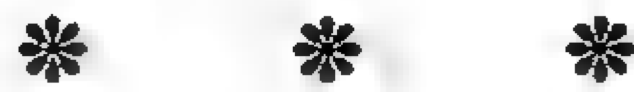
فسمعها رسول الله ﷺ فقال: «لا تَقُولي كَذا، وقُولي ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[ق: ١٩]»[١].

وكان قد وُلِدَ للوليدِ ولد فسمّاه الوليد، وكُنِّيَ به، فغير رسول الله ﷺ اسمَه وسماه عبدَ الله[٢].

ولعبد الله بن الوليد ابن اسمه سلمة، ولسلمة ابن اسمه أيوب ورث دار خالد بن الوليد بالقَعدد.

وقيل: إن الوليد أفلت من الوثاق بمكة فقدم المدينة، فسأله رسول الله ﷺ عن عيّاشٍ وسَلَمة، فقال: تركتهما في ضيق وشدة وهما في وَثاقٍ: رِجْلُ أَحَدِهما مع رِجْلِ صاحبه، فقال رسول الله ﷺ: «انطلق حتى تنزل على القَيْنِ فإنه قد أسلم واحْتَلْ في إخراجهما»، فانطلقَ فأخْرجهما، فقدموا المدينة، وتبعهم خالد ونفَرٌ من قريش إلى عُسفان ثم رجعوا عنهم[٣].

وأخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند» له حديثاً، فقال: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حِبان، عن الوليد بن الوليد بن المُغِيرة المخزومي أنه قال: يا رسولَ الله، إني أجد وَحْشَةً، فقال: «إذا أَخَذْتَ مَضجِعَكَ فَقُل: أَعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّةِ من غَضَبِهِ وشَرِّ عِبادِه، ومِن هَمَزاتِ الشَّياطِينِ وأَن يَحضُرونِ، فإنَّه لا يَضُرُّكَ وبالحَرَى أَن لا يَقْرَبكَ»[٤].



---

(١) «الطبقات» ٤/ ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٢) «الطبقات» ٤/ ١٢٥ .

(٣) «الطبقات» ٤/ ١٢٤.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٥٧٣).

السنة الثامنة من الهجرة

فيها: قَدِمَ عمرو بن العاص وخالدُ بن الوليد وعثمانُ بن طلحة العَبدري على رسولِ الله ﷺ في صَفَر إلى المدينةِ مسلمين[١].

قال عمرو: كنت للإسلام مجانِباً مباعداً معانِداً، حضرتُ بدراً مع الكفار فنجوتُ، وحضرت أحداً والخندق فنجوتُ، فقلت في نفسي: كم أُوْضِعُ! فوالله لَيَظْهَرَنَّ محمدٌ على قريش، فلحقت بمالي بالوَهْطِ[٢]، فلما حَضَرَتِ الحديبيةُ وانصرف رسولُ الله ﷺ إلى المدينة بالصلح، قلت: والله لَيَدْخُلَنَّ محمدٌ مكَّةَ من قابل، ولئن دخلها فليست لنا بمنزل، وكنت أقول: لو أسلمتْ قريشٌ ما أَسْلَمْتُ، فقدمتُ مكَّة فجمعت رجالاً من قريش كانوا يرون برَأْيي ويسمعون مني ويُقَدِّموني فيما نابَهم فقلت لهم: إني لأرى محمداً يعلو الأمور عُلُوًّا مُنْكراً، وإنِّي قد رأيت رَأْياً فما تَرَوْن فيه؟ قالوا: وما ذاك؟ قلت: نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمدٌ على قومِنا، كنا تحت يد النجاشي أحبَّ إلينا من أن نكون تحت يدِ محمدٍ، وإن ظهر قومُنا، لا يأتينا منهم إلا خير، فقالوا: هذا الرأي. فجمعنا أَدَماً كثيراً هَدِيَّةً وكان يحب الأَدَمَ، فقدمنا عليه فوالله إنّنا لعنْدَهُ إذ قدم عليه عمرو بن أمية الضَّمْري وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه في شأن جعفر وأصحابه وتزويجِ أُمِّ حبيبة، فدخل عليه ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابي: لو سألت النجاشيَّ فأعطاني عمراً فضربت عنقه فترى قريش أنني قد قتلتُ رسولَ محمدٍ، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي هل معك هدية؟ قلت: نعم، الأَدَمُ الكثير فقدَّمْتُه إليه، فأعجبه وفرَّق منه شيئاً في بطارقته وأمر بحفظ الباقي، فلما رأيت طيبَ نَفْسِه قلت له: أَيُّها الملكُ، رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجلٍ هو عَدُوُّنا قتل أشرافَنا ووتَرَنا، فادفعه إلي لأقتله. فغضب غضباً شديداً ورفع يده فضرب بها أنفي، فظننت أنه قد كُسِرَ، فلو انشقت الأرضُ لدَخَلْتُ فيها فرقاً

---

(١) «السيرة» ٢/ ٢٧٦، و«المغازي» ٢/ ٧٤١، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٩، و«المنتظم» ٣/ ٣١٤، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٣٦.

(٢) في النسخ: بالرهط، والوهط: قرية بالطائف كانت لعمرو بن العاص. معجم البلدان ٤/ ٩٤٣.

منه، وسال الدم على ثيابي ووجهي من أنفي، وأصابني من الذل ما لا أقدر أن أصفه، وقال: ويحكَ أعطيك [رسولَ] رسولِ الله ﷺ منْ يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى فتقتله. فقلت: أيها الملك أكذلك هو؟ قال: إيْ والله، وَيْحَكَ يا عَمْرو أطِعني واتَّبعه، فإنَّه والله على الحق وسيظهر على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون. فقلت: أيها الملك لو ظننتُ أنك تكره ذلك ما سألتك، فاستحيا مني، فقلت: أتُبايعني على الإسلام وقد غيَّر الله ما في نفسي، فبسط يده فبايعتُه، فدعا بطَسْتٍ فغسل الدم عني وكساني غير ثيابي، فخرجت إلى أصحابي وكتمتُ إسلامي وأتيت إلى موضع السفنِ فوجدت سفينةً قد شُحِنَت فركبتُ فيها حتى إذا انتهوا إلى الشُّعَيْبةِ[1] خَرجتُ منها ومعي نفقة، فَابْتَعْتُ بعيراً وخرجتُ أريدُ المدينةَ، حتى إذا كنت بالهَدَّةِ إذا برجلين فتأملتهما فإذا خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة فقلت: أين تريدان؟ فقال خالد: نُريد محمداً فقد دخل الناس في الإسلام فلو أقمنا لأُخِذْنا برِقابنا كما تُؤخذ الضبع برقبتها في مغَارها، فقلت: والله وأنا أريد محمداً، فسرنا نحو المدينة وإذا بصائح يصيح: يا رباح، فتفاءلنا به، فلما رآنا قال: قد أعطت مكة المقادةَ بعد هذين، فظننتُ أنه يعني خالداً وإيّايَ، ثم ولى مدبراً إلى المسجد يُبَشِّرُ رسولَ الله ﷺ بقدومنا وقد أَذَّنَ العصرُ فأَنَخْنا ولبسنا صالح ثيابنا ودخلنا المسجد، فلما رآنا رسولُ الله ﷺ تهلَّلَ وجهُه والمسلمون حوله قد سُرُّوا بقدومنا، فتقدم خالد وعُثمانُ فأسلما، ثم تقدمت إليه، فوالله ما هو إلا أن جلستُ بين يديه فلم أستطع أن أرفع طَرْفي إليه حياءً منه، فقلت: أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولم يحضرْني ما تأَخَّر، فقال: «إنَّ الإسلامَ يَجُبُّ ما قَبلَهُ، والهِجْرَةَ تَجُبُّ ما قَبْلَها»[2].

وفي رواية: فقلت: على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، قال: «نعم».

وأما خالدُ بن الوليد ﷺ فقال: لما أراد الله بي من الخير ما أراد قذف في قلبي الإسلامَ وحَضَرَني رُشْدي، وقلت: كنت في هذه المواضعِ كُلِّها على محمد، وليس موطنٌ أحضره إلَّا وأَنْصَرِفُ وأنا أرى في نفسي أنني مُوْضِعٌ في غيرِ شيء، وأَنَّ محمداً

(١) هو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وكان مرفأ مكة ومرسى سفنها.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٧٧٧)، وانظر «السيرة» ٢/ ٧٦ـ ٢٧٨، و«المغازي» ٢/ ٧٤١ـ ٧٤٥.

سيظهر، ودافَعَتْه قريشٌ يوم الحديبية بالرَّاحِ فقلت: أين المذهبُ؟ أَخْرج إلى هرقل فأدخل في النصرانية وأترك ديني وأقيم مع عجمٍ رومٍ أصير تبعاً لهم وذلك عيب علي؟ودخل رسول الله ﷺ مكة عامَ عمرة القضاء فتغيَّبْتُ فكتبَ إليّ أخي: لم أر أعجبَ من ذهابِ رأيك عن الإسلام وعَقْلُكَ عَقْلُكَ، ومِثْلُ الإسلام يجهله أحد؟! وقد سأل رسول الله ﷺ عنك فقلت: يأتي الله به فقال: «ما مثلُ خالدٍ مَن يَجْهَلُ الإسلامَ» فاستَدْرِكْ يا أخي ما فاتك.

فلما جاءني كتابه نشطتُ للخروج وسرَّتني مقالةُ رسول الله ﷺ فأجمعتُ الخروجَ إلى المدينة وطلبت مَنْ أُصاحبُ، فلقيت عثمان بن طلحة فأخبرته بما أريد، فأسرع الإجابة وخرجنا جميعاً فأدلجنا سَحَراً فلما كنا بالهَدَّةِ إذا بعمرو بن العاص فقال: مرحباً بالقوم، فقلنا: وبك، فقال: إلى أين؟ قلنا: نريد رسول الله، فقال: وأنا أيضاً أريد ذلك، فقدمنا المدينة في أول يومٍ من صفرٍ سنة ثمان فسلمت على رسول الله ﷺ بالنُّبوة، فرد بوجه طَلْقٍ فقلت: يا رسول الله، اغفر لي كلَّ ما صنعتُ، فقال: «الإسلامُ يَجُبُّ ما قَبْلَه». وتقدم عمرو وعُثمان فأسلما، قال خالد: فوالله ما كان رسول الله ﷺ يوم أسلمتُ يَعْدِلُ بي أحداً من أصحابه[1].

وروى الواقدي[2] عنه قال: أوقع الله الإسلام في قلبي فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل المشركين فلقيته بعسفان فقمت بإزائه فصلى بأصحابه الظهر، فَيَمَّمْتُ أن أُغيرَ عليه، ثم لم يصحَّ عزمي وكانت خيرةً، فأطلعه الله على ما في نفسي، فصلى بأصحابه صلاة الخوف، وقت العصر فوقع ذلك مني موقعاً، وقلت: الرجلُ ممنوعٌ منا ومن غيرنا، ثم افترقنا فلما صالحته قريشٌ يومَ الحديبيةِ قلت في نفسي: أين أذهب؟ أذهب إلى النجاشي وهو قد اتبع محمداً، وأصحابُه آمنون عنده؟ أفأخرج إلى هرقل فأتنصر وأقيم عنده؟ أو أقيمُ بمكة في داري؟ فبينا أنا في ذلك إذ قدم علينا رسولُ الله ﷺ في عُمْرَةِ القضاء فتغيَّبْتُ ولم أشهد دُخُولَه، وكان أخي الوليد بن الوليد معه فأرسل إلي أخي... وذكر بمعنى ما تقدم، فأجمعت الخروجَ إلى رسول الله ﷺ

(١) «الطبقات الكبرى» ٥/ ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) في المغازي ٢/ ٧٤٦ ـ ٧٤٩.

فلقيت صفوان بن أمية، فقلت: يا أبا وهب ما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن أَكَلَةُ رَأْسٍ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قَدِمْنا عليه واتبعناه فإن شرفَه شرفُنا. فقال: لو لم يَبْق من قريشٍ غيري ما تبعتُه أبداً. فافترقنا وقلت: رجلٌ موتورٌ يطلب وِتْرَه، قُتِلَ أبوه وأخوه ببدر وعمُّه بأُحد، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثلَ ما قلت لصَفْوانَ فردَّ علي كما ذكر صفوان، فقلت: فاطْوِ ما قلتُ لك، فلقيت عُثمانَ بنَ طَلْحَةَ فقلت له: إنما نحن بمنزلةِ ثَعْلَبٍ في جُحْرٍ لو صُبَّ عليه ماءٌ لخَرجَ، فقال: صدقت. واتَّعَدْنا بَطْنَ يَأْجَج فوافَينا، وأدْلَجْنا، فلقينا عمرو بن العاص بالهَدَّةِ فرافقنا إلى المدينة، فلقيني أخي فقال: أَسْرِعْ، فإن رسول الله ﷺ في انتظاركم، فدخلنا عليه فأسلمنا.

وقال خليفة بن خياط: كان إسلام خالد بين الحديبية وخيبر[١]. وإسلام عمرو بن العاص سنة ست[٢]. وهو وهم، والأصح أن إسلامهما كان في هذه السنة في صفر.

وفيها: كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوِّح بالكُدَيْد[٣]، في ربيع الأول، وكان في بِضْعةَ عَشَرَ رجلاً، فأخذوا الحارث بن مالك بن البَرْصاء فقال لهم: خرجت لأُسلم فقال له غالب: إن كنت خرجتَ لهذا فما يضرُّك رباطُ يوم وليلة، فربطه وسلَّمه إلى رُوَيْجلٍ وقال له: إن نازعك وثاقه فاحتزَّ رأسَه، فلما قدم المدينة أسلم واستاق غالبٌ أموالَهم ونَعمَهم.

وفيها: كانت سرية غالب[٤] أيضاً إلى [مُصابِ] أصحابِ بشير بن سعد، فساق نعمهم وعاد إلى المدينة في ربيع الأول.

وفيها: كانت سرية كعب بن عمير الغِفاري[٥] إلى ذات أطلاح بناحية الشام بعد

(١) «تاريخ خليفة» ص٨٦ .

(٢) «تاريخ خليفة» ص٧٩ .

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٦٠٩ و«المغازي» ٢/ ٧٥٠ ، و«الطبقات» ٢/ ١١٦ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٧ ، و«المنتظم» ٣/ ٣١٤ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٢٢ .

(٤) انظر «الطبقات» ٢/ ١١٧ ، و«المنتظم» ٣/ ٣١٥ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٢١ . وما بين معقوفين زيادة من المصادر.

(٥) انظر «المغازي» ٢/ ٧٥٢ ، و«الطبقات» ٢/ ١١٩ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٩ ، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٣٥٧ ، و«المنتظم» ٣/ ٣١٦ ، وجاء عند الطبري: عمرو بن كعب بدل كعب بن عمير، وانظر «الإصابة» ٣/ ١١ ـ ١٢ .

وادي القرى، وهو مكان كثير الطَّلْح، في خمسة عشر رجلاً، وكانت قضاعةُ بذاتِ أطْلاح في خلق كثير، فقاتلوهم فأصابوا أصحاب كعب وعاد كعب إلى المدينة جريحاً.

وقيل: كان أمير هذه السرية عمرو بن كعب الغِفاري.

وفيها: كانت سرية سعد بن زيد بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل[١]، في رمضان إلى مناةَ بالمُشَلَّلِ فهدمها.

وفيها: كانت غزاة مؤتة[٢] في جمادى الأولى.

وسببها أن النبي ﷺ بعث رسولاً اسمه الحارث بن عُمَيْرٍ الأَزْدي، وقيل: ابن عمرو الأزدي إلى صاحب بُصرى بكتابٍ، فلما نزل أرْضَ مؤتة وهي أدنى أرض البلقاء إلى الحجازِ عَرَض له شُرَحْبيل بنُ عَمْرو الغساني فقتله، ولم يُقْتَلْ للنبي ﷺ رسولٌ سِواه، وبلغ رسولَ الله ﷺ فنَدَبَ المسلمين للمسير إلى الشام فخرجوا فعسكروا بالجُرْف في ثلاثة آلاف فارس، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، قال: «فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة» وعقد لزيدٍ لواءً أبيضَ ودفعه إليه، وخرج رسولُ الله ﷺ يُشَيِّعُهم وقال لهم: ائتوا مقتل الحارث بن عُمَيْر فادعوا من هُناكَ إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلَّا قاتِلوهم واستعينوا بالله عليهم، ولم يزل معهم إلى ثَنِيَّةِ الوَداع. وودَّعَ الناسُ بعضُهم بعضاً فبكى عبد الله بن رواحة فقال الناس: ما يبكيك؟ فقال: أما والله ما أبكي على الدنيا ولا صَبابةً بها، ولكني سمعت النبي ﷺ يقول قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقد أخبرني أني وارد ولم يخبرني أني صادر، فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردَّكم إلينا سالمين، فقال: [من البسيط]

لكنني أسألُ الرحمنَ مغفِرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا
أو طعنةً بيَدَي حَرّان مُجْهِزَةً ... بحربةٍ تُنفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا

(١) انظر «الطبقات» ٢/ ١٣٦، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٦٦، و«المنتظم» ٣/ ٣٣٠.
(٢) انظر «السيرة» ٢/ ٣٧٣، و«المغازي» ٢/ ٧٥٥، و«الطبقات» ٢/ ١١٩، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٦، و«المنتظم» ٣/ ٣١٨، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٤١.

ثم مَضَوْا حتى نزلوا أرض الشام فبلغهم أن هِرَقْلَ قد نزل أرض البلقاءِ في مئة ألف من الروم وانضمت إليه المُسْتَعْرِبةُ من لَخْمٍ وجُذام وبَلْقَيْن وغيرِهم في مئة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتبُ إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعددِ عدونا، قال ابن رواحة: يا قوم والله إن الذي تكرهون لَلَّذي خرجتم له تطلبون الشهادةَ، إنا لا نقاتل الناس بِعُدَّةٍ ولا قُوَّةٍ ولا كَثْرةٍ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانْطَلِقُوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إمّا ظهورٌ وإمّا شهادةٌ، فقال الناس: صدق والله ابنُ رواحة، وساروا حتى نزلوا أرض مَعان، فبلغهم أن هِرَقْلَ قد نزل البلقاء في الروم والقبائل المستعربة، وكان على ميمنة العرب شُرَحْبيلُ بنُ عمرو الغساني وعلى الميسرة مالك بن زافلة والروم في القلب، وساروا حتى بلغوا مَشارف قرية عند مؤتة، وانحاز المسلمون إلى مؤتة وجعلوا على الميمنة قطبَةَ بن قَتادة العُذْرِي وعلى الميسرة عُبادة بن مالك الأنصاري وزيد وجعفر وابن رواحة في القلب.

وفي معان يقول عبد الله بن رواحة: [من الوافر]

أقمنا ليلتَيْنِ على مَعانٍ ... وأعقب بعْدَ فَترتهم جُمُومُ
فَرُحْنا بالجيادِ مسوَّماتٍ ... تنفَّسُ في مناخِرِها السَّمومُ
إلى مأب نسيرُ مَسيرَ عَجْلٍ ... ولو كانت بها عَرَبٌ ورُومُ
فرام الله أعينهم فجاءت ... عوابس والغبار لها يَريمُ
بذي لَجَبٍ كأن البِيْضَ فيه ... إذا جُليت تُماثِلُها النجومُ

وكان زيد بن أرقم مقيماً في حجر ابن رواحة، قال زيد: فكنت معه في هذه الغزاة فبينا هو يسير إذ تَمثَّلَ: [من الوافر]

إذا أدنيتني وحملتِ رَحْلي ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساءِ
فشأنُك فانعمي وخلاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرجعْ إلى أهلي ورائي
وعادَ المسلمونَ وغادَرُوني ... بأرض الشَّام مُشتهي الثَّواءِ[1]
هنالِكَ لا أُبالي هَجْرَ خِلٍّ ... من الخِلّان مُنْقطعِ الإخاءِ

(١) في النسختين (خ) و (أ): مسهر البرا؟ والمثبت من السيرة ٢/ ٣٧٦، والطبري ٣/ ٣٨.

قال زيد: فبكيت وارتفع صوتي فقال: يا لكع أتأنف لي بالشهادة؟! وترجع إلى المدينة على ناقتي، وكان كما قال، ثم التقى الفريقان فتقدم زيد بن حارثة فقاتل في نحر العدو قتالاً شديداً لم يُرَ مثله، فمالوا عليه فاقتَسَمتْهُ الرماح فشاط عليها ـ أي هلك ـ فنادى الناس أين جعفرُ؟ فقال: ها أنا ذا وأخذ الراية وتقدم فقاتل قتالاً عظيماً، فلما أَلحَمَهُ القتالُ اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، وهو أول من عَقَر فرساً في الإسلام، ثم ارتجز: [من الرجز]

يـا حـبـذا الـجـنـةُ واقـترابُـهـا

طـيِّـبـةً وبـارداً شـرابـهـا

والـرومُ رومٌ قـد دنـا عـذابـهـا

عَـلَـيَّ إن لاقـيـتـهـا ضِـرابُـهـا

ولما أخذ جعفرٌ الرايةَ جاءه الشيطان فمنّاهُ الحياةَ وكرَّه إليه الموتَ فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلبي؟ ثم قاتل حتى قتل، فنادى الناس عبدَ الله بنَ رواحة في جانب العسكر ومعه ضِلَعُ جمل يَنْهَشُه ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاثة أيام فرمى بالضِّلَعِ ثم قال: وأنتِ مع الدنيا، ثم تقدم فقاتل فأصيبت أُصبعه فجعل يقول: [من الرجز]

هـل أنـت إلَّا أُصـبـعٌ دَمـيـتِ

وفـي سـبـيـل الله مـا لَـقِـيـتِ

يـا نـفـس إلَّا تُـقـتَـلـي تـمـوتـي

إن تـفـعـلـي فِـعْـلَـهـمـا هُـديـتِ

هـذا حـيـاضُ الـمـوتِ قـد صَـلـيـتِ

ومـا تَـمـنـيـتِ فـقـد لـقـيـتِ

وإن تـأخـرتِ فـقـد شَـقـيـتِ

ثم قال: يا نفس إلى أي شيء تتوقين؟ إلى فلانةٍ فهي طالق ثلاثاً، وإلى فلان وإلى فلان ـ غِلْمان له ـ هم أحرار، وإلى معجفٍ ـ حائطٍ ـ فهو لله ولرسوله ثم قال:

يـا نـفـسُ مـالـك تـكـرهـيـنَ الـجـنَّـهْ
أُقـــســـم بـــالله لـــتـــنـــزِلـــنَّـــهْ
طـــائِـــعـــةً أو لـــتُـــكْـــرَهِـــنَّـــهْ
فَـطـالـمـا قـد كـنـت مـطـمـئـنَّـهْ
هـل أنـت إلا نـطـفـةٌ فـي شَـنَّـهْ
قـد أجْـلـبَ الـنـاس وشـدوا الـرَّنَّـهْ

ولما قُتِلَ عبد الله بن رواحة صاح ثابتُ بنُ أَقْرم: يا قوم اتفقوا على واحد منكم فقالوا: أنت، فقال: ما أنا بفاعل، فاصطلحوا على خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء.

وقال الهيثم: دفع عبد الله بن رواحة الراية إلى ثابت فدفعها ثابت إلى خالد وقال: أنت أعرفُ مني بالقتال، فقال خالد: لا بل أنت أحق، يعني أن ثابتاً كان قد شهد بدراً، فقال ثابت: خذها أيها الرجل فوالله ما أخذتُها إلا لك فأخذها وواقع القوم فانحازوا.

وأخرج البخاري عن خالد أنه قال: لقد انقطعت في يدي يوم مُؤتة تسعةُ أسياف فما بقي في يدي إلَّا صفيحةٌ يَمانيَةٌ[(١)] .

وقال الواقدي: انهزم المسلمون يوم مؤتة أقبح هزيمة، فلما أخذ خالد الراية انهزم الروم أقبح هزيمة.

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي، حدَّثنا الأسود بن شيبان [عن خالد بن سُمَير]، قال: قدم علينا عبد الله بن رَباح فاجتمعَ عليه الناس، فقال: حدَّثنا أبو قَتادة فارسُ رسول الله ﷺ قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ جَيْشَ الأمراء وقال: «عَليكُم زيدُ بنُ حارِثَة، فإنْ أُصيبَ زيدٌ فجعفرٌ، فإنْ أُصيبَ جعفرٌ فعبدُ الله بن

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٥).

رَواحَةَ» فوثب جعفر فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما كنت لأرهب أن يستعمل علي زيد، فقال: «امْضُوا، فإنَّكَ لا تَدرِي أيُّ ذلكَ خيرٌ» فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن ينادى: الصلاةُ جامعة، فاجتمع الناس فقال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبِرُكُم عن جَيشِكُم هذا الغازي؟ إِنَّهُم انْطَلَقُوا حتى لَقُوا العَدُوَّ، فأُصيبَ زيدٌ شَهيداً فاستَغْفِرُوا له» فاستغفر له الناس، ثم قال: «فأخَذَ اللِّواءَ جعفرٌ، فشدَّ على القَوْمِ حتى قُتِلَ شَهيداً، فاستَغفِرُوا له، ثم أَخَذ اللِّواءَ عبدُ الله بنُ رَواحَةَ فأَثْبتَ قَدَميهِ حتى قُتلَ شَهيداً، فاستَغفِرُوا له، ثم أَخَذَ اللِّواءَ خالدُ بنُ الوليدِ» ولم يَكُن مِنَ الأُمَراءِ هو أمَّر نَفسَهُ، ورفع رسول الله ﷺ أصبعه وقال: «اللَّهمَّ هُو سَيفٌ مِن سُيوفِكَ فانْصُرْهُ» فسُمي خالدٌ يومئذٍ سَيف اللهِ، ثم قال رسول الله ﷺ «انْفِرُوا فأمِدُّوا إِخوانَكُم ولا يتخلَّفَنَّ أَحَدٌ منكُم» فَنَفَر النَّاسُ في حرٍّ شديد مشاة وركباناً[١].

وعن أبي هريرة قال: رُفِعَت الأرضُ لرسولِ الله ﷺ فرأى مصارع القوم فَنَعاهم واحداً واحداً، فلما أخذ خالدٌ اللواءَ قال رسول الله ﷺ: «الآنَ حَمِيَ الوَطيسُ»[٢].

وقال ابن إسحاق: قدم جيشُ مؤتةَ إلى المدينة لم يُفْقَد من أعيانهم إلّا الأمراءُ الثلاثةُ ونفرٌ يسير، وخرج الناسُ ورسولُ الله ﷺ معهم، فجعلوا يحثون في وجوههم الترابَ ويقولون: يا فُرّارُ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ: «لَيسُوا بفُرَّارٍ، ولكنَّهم الكُرَّارُ إنْ شاءَ الله تعالى» وكان قد حمل عبد الله بن جعفر بين يديه[٣].

ذكر من استشهد يوم مؤتة

جابر بن عمرو بن زيد، أبو كلاب[٤] النجّاري، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمه شيبة بنت عاصم نجارية.

قال ابن عبد البَرِّ: شهد جابر بدراً وأحداً والخندق والعقبة، وجعله رسولُ الله ﷺ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٥٥١).

(٢) انظر «الطبقات» ٢/ ١٢٠، و«دلائل النبوة» ٤/ ٣٦٩.

(٣) «السيرة» ٢/ ٣٨٢.

(٤) هكذا جاء في النسخ، والصواب: وأبوكلاب بن عمرو. فهما أخوان، انظر طبقات ابن سعد ٤/ ٣٣٩ - ٣٤٠.

يوم بدر على الساقة[١].

قال ابن سعد: كان له ثلاثة إخوة صحبوا رسول الله ﷺ منهم: الحارث استشهد يوم اليمامة وقيسٌ قُتِلَ يومَ مُؤتَةَ[٢].

جعفر بن أبي طالب، أبو عبد الله ﷺ، كان أَسَنَّ من علي كرَّم الله وجهه بعشرِ سنين، أسلم قديماً قبل دخولِ رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، وكان يسمى: ذا الهِجْرتَيْن، ويكنى أبا المساكين لأنه كان يتلطَّفُ بهم، وكان من المهاجرين الأولين، والمقدَّمَ بالحبشة على أصحابِ رسول الله ﷺ والمترجِمَ عنهم عند النجاشي، واختط له رسولُ الله ﷺ داراً بالمدينة إلى جانب مسجده، وآخى بينه وبين معاذ بن جبل، وأنكر الواقدي ذلك، لأن المؤاخاة كانت قبل بدر، ثم انقطعت بآيةِ الميراث وجعفر يومئذ بالحبشة[٣].

ذِكْرُ مَقْتَلِه:

قال ابن عمر ﵄: أَمَّر رسولُ الله ﷺ في غزوة مؤتة زيدَ بنَ حارِثةَ، ثم جعفراً، ثم ابنَ رواحة وكنت معهم في تلك الغزاة، فالتمسنا جعفراً فوجدناه في القتلى ووجدنا فيما أقبلَ من جسده بضعاً وسبعين ما بين طعنةٍ رمح وضربةٍ سيف ورمية سهم، ليس في دبره منها شَيْءٌ. أخرجه البخاري[٤].

وقال الواقدي: ضربه رومي فقطعه نصفين، فوقعَ أحد نصفيه في كَرْمٍ، فوجدوا في نصفه ثلاثين جراحة[٥].

وقال البخاري: كان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر يقول: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[٦]. لأن النبي ﷺ أخبر بذلك.

وقال ابن [سعد] رَفَعَهُ إلى أبي عامر قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت أصحاب مؤتة

(١) في الاستيعاب (٢٠٩٩)، وطبقات ابن سعد ٣/ ٤٧٩ أن الذي شهد العقبة وبدراً وجعله رسول الله ﷺ على الساقة هو قيس.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٧٩، ولم يذكر أن موت قيس كان في مؤتة.

(٣) انظر «الطبقات» ٤/ ٣٢.

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٦١).

(٥) «الطبقات» ٤/ ٣٥.

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٠٩).

في الجنة على سرر متقابلين، ورأيت جعفراً مَلَكاً ذا جناحين مضرَّجاً بالدماء مصبوغَ القَوادِمِ »[١].

وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: مرَّ بي البارحةَ جعفرٌ في نفر من الملائكة له جناحان مُخضَّبَ القوادم بالدم، يريدون أرض بيشة[٢].

قال الشعبي: بيشة من أطيبِ أراضي اليمن وأحسنِها، قريبةٌ من قبر هود عليه السلام، يجتمع إليها الشهداء والصائمون.

قال الجوهري: بيشة ـ بكسر الباء ـ اسم موضع، قال الشاعر[٣]:

سقى جَدَثاً أعراضُ غَمْرةَ دُوْنَه وبيشةَ وَسْميُّ الربيع ووابِلُه

وقال عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: جاء رسولُ الله ﷺ إلى بيت جعفر فوجدهم يبكون عليه فقال: «لا تَبْكُوا على أَخِي، فإنَّه يَطِيرُ في الجنَّة» فحَلَق رُؤُوسَهُم، وقال: «أَمَّا مُحمدٌ: فَشبيهٌ بعَمِّنا أبي طَالِبٍ، وأمَّا عبدُ الله: فَشبيهٌ بخَلْقِي وخُلُقِي» ثم صنع لهم طعاماً وجعلهم معه في أهله، وقال: «أنا وَلِيُّهُم في الدُّنيا والآخِرةِ»[٤].

وقال الواقدي: دعا رسول الله ﷺ بأولاد جعفر وهم ثلاثةٌ: عبدُ الله ومحمدٌ وعونٌ، وأمهم أسماء بنتُ عُمَيْس فشمَّهم ودمعت عيناه وقال لأمهم: «استَوصي بهم خيراً» ولم تكن علمت، فقالت: وما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أصيبَ جَعفرٌ وأَصحابُه في هذا اليَومِ» فأخذت تصيح فقال: «لا تَفعَلي فإنَّه يَطيرُ في الجنَّة بجَناحَينِ» ثم دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي تبكي وتقول: واعمَّاه، فبكى وقال: «يا بنيةُ، على مثلِ جعفرٍ فلتَبكِ البَواكي»[٥].

---

(١) «الطبقات» ٢/ ١٢٠ ـ ١٢١ ضمن حديث طويل.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٦ دون ذكر بيشة، من حديث عبد الله بن المختار.

(٣) هو الشمردل بن شريك اليربوعي، والبيت في «الصحاح» (بيش)، وفي «الوافي بالوفيات» ١٦/ ١٠٦.

(٤) الطبقات ٤/ ٣٤.

(٥) «المغازي» ٢/ ٧٦٦.

وأخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند» عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما بمعناه، وذكر له في أوله: بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم زيد بن حارثة، ثم جعفراً، ثم ابن رواحة، وذكر فيه: ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليهم، وذكر أن رسول الله ﷺ صعِدَ المنبر وأخبر بمصارع القوم، ثم أمهل ثلاثاً، ثم أتى آل جعفر فقال: «لا تَبْكُوا على أَخِي بعدَ اليوم، ادْعُوا لي بَني أَخِي» فجيء بنا كأننا أَفراخٌ فدعا بالحلَّاقِ فحلَقَ رؤوسنا ثم قال: «أَمَّا محمدٌ فَشبيهٌ بعمِّنا أبي طالبٍ، وأمَّا عبدُ اللهِ فَشَبيهٌ بخَلْقي وخُلُقي» ثم أخذ بيدي فأشالها وقال: «اللهمَّ اخْلُفْ جَعفَراً في أَهلِه، وبارِك لِعَبدِ اللهِ في صَفَقةِ يمنيه ـ قالها ثلاثاً ـ» فجاءت أُمُّنا فذكَرَتْ يُتْمنا فقال: «العيلةَ تخافين [عليهم] وأنا وليُّهمُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ»(١).

وفي «المسند» أيضاً عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله ﷺ قال: «اصْنَعُوا لآلِ جَعفرٍ طَعَاماً، فَقد جاءَهُم ما يَشغَلُهُم، أو أَمرٌ يَشْغَلُهُم»(٢).

وقال هشام: حضرت أَسْماءُ عند رسول الله ﷺ فقال: «وعَليكُمُ السَّلامُ» فقالت له: يا رسول الله، على من تَرُدُّ السلامَ؟ فقال: «هذا جَعفرٌ في كَبْكَبةٍ مِنَ الملائِكَةِ يُسَلِّمونَ عليَّ، وقد عوَّضه الله بجَناحَينِ» وفي رواية: «أَخَذَ اللِّواء بيدِه اليُمنى فقُطِعَتْ، ثم باليسرى فقطعت، فَعُوِّض بالجناحين فلذلك سُمِّي الطَّيار بجَناحَيهِ حيث شاء»(٣).

وقال سعيد بن المسيب في مراسيله عن النبي ﷺ أنه قال: «مُثِّلوا لي في الجنةِ في خيمةٍ مِن دُرَّةٍ، كلُّ واحدٍ على سرير من ذَهَب، ورأيتُ في عنقِ زيدٍ وابنِ رَواحةَ صُدوداً، وأمَّا عُنُق جَعفَرٍ فَمُستَقيمٌ ليس فيه صُدودٌ، قال: فقيلَ لي: إنَّهما لما غَشِيَهما الموتُ كأنَّهما صَدَّا بوَجهَيهِما، أما جَعْفَرُ فإنَّه لم يَفْعَلْ»(٤). والصدود: الإعراض.

وحكى شيخنا موفق الدين رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وجدنا ما بين صَدْرِ

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٥٠).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٥١).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٩٣٦)، والحاكم ٣/ ٢٣٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٥٦٢).

جَعْفَر ومنكبيه وما أقبل منه تسعينَ جراحة ما بين ضربة وطعنة ورمية[١].

قال الشيخ موفق الدين أيضاً: ولما جاء رسولَ الله ﷺ نَعْيُ جعفر وأصحابِه بكى وقال: «أَخَوَايَ ومُؤْنِسَايَ ومُحَدِّثَايَ» يعني جعفراً وزيداً[٢].

وكان سِنُّه يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة، لأنه كان أسن من علي عليه السلام بعشر سنين، وقيل: كان له خمس وعشرون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، وقيل: إحدى وأربعون سنة، والأول أقرب للصواب.

ذكر أولاده:

وهم: محمد، وعبد الله، وعون.

فأما محمد فكان صغيراً على عهد رسول الله ﷺ، وكنيته أبو القاسم، تزوج أم كلثوم بنت عمه علي بعد موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

واختلفوا في وفاته:

فذكر الأموي في «مغازيه» أنه كان مع محمد بن أبي بكر حين بعثه علي رضي الله عنه والياً على مصر، فلما قتل محمد بن أبي بكر هرب محمد بن جعفر إلى فلسطين، فاستجار بأخواله من خثعم فأجاروه، فطلبه معاوية منهم وقال للذي هو عنده: ادفعه إلينا، فقال: والله لا أدفعه إليك أبداً، فقال: إنك لأَوْرَه، أي أحمق، فقال له الرجل: إني والله لأَوْرَه حين أقاتِلُ عن ابن عمك وأُقَدِّمُ ابن أختي حتى تَقْتُلَهُ، فأعرضَ عنه، فلم يزل عنده حتى مات[٣].

وقال الهيثم: استشهد بِتُسْتَر.

وذكر أبو الفرج الأنصاري: أنه قتل يوم صفين، برز له عبيد الله بن عمر بن الخطاب فاعتنقا ووقعا عن فرسيهما ميتين. وليس هذا القول بشيء.

---

(١) التبيين ١١٤، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٦٤).

(٢) التبيين ١١٥، وانظر «الاستيعاب» ١/٥٤٨ بهامش الإصابة.

(٣) التبيين ١١٩-١٢٠.

وكان لمحمد ولد اسمه: القاسم، تزوج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، وأُمهما زينبُ بنت علي عليه السلام، وأم زينب فاطمة عليها السلام، فولدت له طلحة وفاطمة، فتزوج فاطمة بنت القاسم حمزة بن عبد الله بن الزبير.

وأما عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما فسنذكره إن شاء الله تعالى في سنة ثمانين.

وأما عون بن جعفر فكان غلاماً على عهدِ رسول الله ﷺ.

وقال الهيثم: ادعى رجل اسمه المساور أنه ابن عون فأَقَرَّ به عبدُ الله بن جعفر وأعطاه عشرة آلاف درهم وزوجه ابنةً له كانت عمياء، فلما مات عبد الله نفاه أولاده، وليس لعون عَقِبٌ(١).

أسند جعفر رضي الله عنه الحديث عن رسول الله ﷺ وروى عنه ابنه عبد الله، وأبو موسى الأشعري، وابن عمر، وعمرو بن العاص، وابن مسعود، وعائشة، وأم سلمة وغيرُهم رضي الله عنهم.



خُنَيف بن رِئاب [بن الحارث] بن أمية من بني عمرو بن عوف، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أحداً والمشاهدَ كُلَّها معَ رسولِ الله ﷺ، واَستُشْهِدَ يومَ مؤتة، وكان له ولد يقال له: رِئاب، شهد الحديبية وبايع تحتَ الشجرةِ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وقُتِل يوم اليمامة شهيداً(٢).

زيد بن حارثة بن شَراحيل بن عبد العزى بن امرئ القَيْس بن عامر، أبو أسامة الكَلْبي، مولى رسولِ الله ﷺ ويقال له: زيد بن محمد، وزيد الحِبِّ، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأمه سُعْدى بنت ثعلبة بن عبد عامر من طيئ، زارت قومها ومعها زيد وهو غلامٌ يَفَعةٌ فأغارت عليهم خيل لبني القَيْن بن قُضاعة فاحتملوا زيداً فوافوا به سوقَ عكاظ فباعوه، فاشتراه حَكيم بن حِزام بن خويلد لعمته خديجةَ بنت خويلد رضوان الله عليها بأربع مئة درهم، وقيل: ست مئة، فلما تزوج رسول الله ﷺ خديجة رضوان الله عليها وهبته له فتبناه.

(١) المعارف ٢٠٦، والتبيين ١٢٠.

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٣٧٢ (مخطوط)، ومابين معكوفين منه.

ويقال: إن رسول الله ﷺ اشتراه لما خرج إلى الشام في تجارة لخديجة، وهو وهم.

وقال ابن عبد البرِّ: تبناه رسول الله ﷺ قبل النبوة بثمانِ سنين[١]، وكان رسول الله ﷺ أكبر منه بعشر سنين.

ولما اشتد حزن أبيه عليه حين فقده أقام مدة يَنْشُده ويبكي وقال الشعر، فمن قوله[٢]: [من الطويل]

بَكيتُ على زيدٍ ولم أَدرِ ما فَعَل ... أَحَيٌّ فَيُرجى أم أتى دونَه الأَجَلْ

فَوَاللهِ ما أدرِي وإن كنْتُ سائِلاً ... أَغالَكَ سهلُ الأَرْضِ أم غَالك الجبلْ

أَلا لَيتَ شِعري هل لك الدَّهْرَ رجعةٌ ... فَحَسبي من الدُّنيا رجوعُكَ لي بَجَلْ

تُذكِّرُنيهِ الشمسُ عند طُلوعِها ... وتَعْرِض ذِكراه إذا قارَبَ الطَّفَلْ

وإن هبَّتِ الأرواحُ هيَّجْنَ ذِكْرَهُ ... فيا طولَ ما حزني عليه ويا وَجَلْ

سأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ في الأرض جاهِداً ... ولا أَسْأَمُ التَّطوافَ أو تسأمَ الإبِلْ

حياتيَ أو تأتي عليّ مَنِيَّتي ... وكلُّ امرئ فانٍ وإن غَرَّهُ الأَمَلْ

وأُوصي به كعباً وعَمْراً كِلَيْهِما ... وأُوصي يزيداً ثم من بعدهِ جَبَلْ

أراد كعب بن شراحيل أخا حارثة، وأما عمرو فهو ابن عم حارثة وهو عمرو بن الحارث بن عبد العزى، وكنيته أبو بشر، وهو جد محمد بن السائب الكلبي، وأما يزيد فهو أخو زيد بن حارثة لأمه وأبيه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل، وأما جبل: أراد جبلة، وهو أخو زيد لأمه وأبيه.

وذكر بعض النساب، أن حارثة تزوج امرأة من طيئ وقيل: من بني نَبْهان، فأولدها جبلة وأسماء وأسامة وزيداً ثم توفيت أمهم وبقوا عند جدهم لأمهم، وأراد حارثة حَمْلَهم إلى أهله فأبى جدهم وقال: عندي أرفق لهم، ثم تراضوا على أن يَحملَ جبلةَ وأسماء وأسامة ويبقى زيد عنده، فجاءت خيل من تِهامةَ من فَزارة فأغارت على طيئ فسبت زيداً فوافت به سوق عكاظ، فرآه رسول الله ﷺ قبل أن يبعث، فقال لخديجة: «رأيت في السوق غلاماً من صفته كذا وكذا» يصف عقله وأدبه، فأمرت خديجة ورقة

(١) في «الاستيعاب» بهامش «الإصابة» ١/ ٥٤٥: فتبناه رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين.

(٢) الأبيات في «الطبقات» ٣/ ٣٩.

ابن نوفل فاشتراه من مالها، فوهبته لرسول الله ﷺ فتبنّاه إلى أن جاء رجل من كَلْب فنظر إلى زيد فعرفه فقال: أنت زيد بن حارثة؟ فقال: بل أنا زيد بن محمد، فقال: إن أباك وعمومتَك وإخوتَك قد أتعبوا الأبدان وأنفقوا الأموال بسببك(١).

وقيل: حجَّ قومٌ من كلب فرأَوْه بمكة فعرفهم وعرفوه، فقال: هل فيكم من يبلغُ أهلي هذه الأبيات: [من الطويل]

أَلِكْني إلى قومي وإن كنت نائياً ... بأني قطينُ البيتِ عند المَشاعرِ
فكُفُّوا عن الوَجْدِ الذي قد شَجاكمُ ... ولا تُعْمِلوا في الأرض نَصَّ الأباعرِ
فإني بحمد الله في خَيْرِ أُسْرَةٍ ... كرامِ مَعَدٍّ كابراً بَعْدَ كابرِ

فقالوا: نعم، وانطلقوا فأَخْبَروا أهلَه، فخرج أبوه حارثة وكعب ابنا شراحيل فقَدِما مكَّةَ، فسألا عن رسولِ الله ﷺ، فقيل: هو في المسجد، فدخلا فإذا هو في الحِجْرِ قاعدٌ فسلما عليه وقالا: يا ابنَ عبدِ المطلب، يا ابن سيِّدِ قومه أنتم أهلُ الله وجيرانُه وسكانُ حَرَمِه تفكُّون العاني وتطعمون الجائع وتكسونَ العاري وتحملون المنقطع، فقال: «ما الذي بكما»؟ قالا: جئناك في فداء زيدٍ ابننا فامنن علينا أو أَحسن في فدائه إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «فهلَّا غيرَ ذلك»؟ قالا: وما هو؟ قال: خيراهُ، فإنِ اختارَكُما، فهوَ لكُما بغيرِ فِداءٍ، وإنِ اختارَني، فما أنا بالذي أَخْتارُ على مَنْ يَختارُني أحداً» فقالا: أحسنت والله لقد زِدْتَ على النَّصَفِ، فدعاه رسولُ الله ﷺ وقال: «يا زَيْدُ، أتَعْرِفُ هذين»؟ قال: نعم، هما أبي وعمي، فقال: «أنا مَنْ قد عَلِمْتَ ورأيت صُحبَتي، فاخْتَرني أو اخْتَرْهُما» فقال: ما أنا بالذي أختارُ عليك أحداً، أنت مني بمنزلة الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيدُ، أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأَهْلِكَ؟ قال: نعم، إني قد رأيت من هذا الرجل أشياءَ ما أنا بمفارقه ولا أختار عليه أحداً أبداً. فلما قال ذلك قام رسولُ الله ﷺ في الحِجْرِ وفيه أعيانُ قريش فقال: «يا مَن حَضَرَ مِنَ المَلأ، اشهَدُوا أَنَّ زَيداً ابني، أَرِثُه ويَرِثُني» فلما سمع ذلك أبوه وعمه طابت نفوسُهما وانصرفا شاكِرَيْن، فدعي من ذلك اليوم زيد بن محمد زماناً حتى جاء الإسلام(٢).

---

(١) انظر «تاريخ ابن عساكر» ١٠/ ١٣٧ .
(٢) «الطبقات» ٣/ ٣٩ ـ ٤١ .

وزوجه رسولُ الله ﷺ زينب بنت جحش وطلَّقها وتزوجها رسولُ الله ﷺ فقال المنافقون: تزوجَ محمد زوجة ابنه فنزل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] فدعي يومئذ زيد بن حارثة. ونُسب كل من تبنَّاه إلى أبيه(١).

وقال أسامة بن زيد: كان بين رسولِ الله ﷺ وبين زيدٍ عشرُ سنين، رسولُ الله ﷺ أكبر منه، وكان رجلاً قصيراً آدم شديد الأُدْمَةِ في أنفه فَطَس(٢).

قال المصنف رحمه الله: قوله: «كان آدم شديد الأُدْمَةِ» وَهْمٌ ولين، ففي حديث محرز المدلجي لما رأى أقدام زيد وأسامة، قال الدارقطني: وكان زيد أبيضَ أحمرَ أشقرَ، وأسامة أسود(٣).

وكُنْيَتُهُ أبو أسامة، وهو أول من أسلم من الموالي، شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة لما خرج إلى المرَيْسيع، وأمَّره رسول الله ﷺ في سبع أو تسع سرايا وكان من الرماة المذكورين.

وقالت عائشة رضوان الله عليها: لو عاش زيد لاستخلفه رسول الله ﷺ على الأمة(٤).

وقال ابن عباس: لم يسم أحد من الصحابة باسمه في القرآن إلّا زيد ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمه حمزة فأوصى حمزة رضي الله عنه إليه.

وقال أسامة بن زيد رضي الله عنه: اجتمع جعفر وعلي وزيد بن حارثة فقال جعفر: أنا أَحَبُّكُم إلى رسولِ الله ﷺ، وقال عليٌّ كذلك، وقال زيد كذلك، فقالوا: انطلقوا بنا إلى رسولِ الله ﷺ نسأَلْهُ، فقال أسامة: فجاؤوا فاستأذنوا عليه فقال: «اخْرُج فانظُرْ مَنْ

---

(١) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤١، وفيه: ودُعي الأدعياء إلى آبائهم.

(٢) «الطبقات» ٣/ ٤٢.

(٣) «سنن الدارقطني» (١٣٠).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٤١٠).

هَؤُلاءِ»؟ فخرجت فقلت: هذا جعفر وعلي وزيد ولم أقل: أبي، فقال: «إِئْذَن لَهُم» فدخلوا فقالوا: يا رسولَ الله، من أَحبُّ الناس إليكَ؟ قال: «فاطمة»، قالوا: نسألُك عن الرجالِ؟ فقال: «أَمَّا أنتَ يا جعفرُ، فأشبَهَ خُلُقُكَ خُلُقي، وأَنتَ مني وشَجَرتي، وأمَّا أَنت يا عليُّ، فَخَتَني وأبو ولديَّ، وأَنا منكَ وأَنتَ منِّي، وأَمَّا أنتَ يا زيدُ، فَمولايَ ومنِّي وأَحبُّ القوم إليَّ» أخرجه الإمام أحمد رحمة الله عليه في مسند أُسامةَ ﵁[١].

وقالت عائشة رضوان الله عليها: ما رأيت رسولَ الله ﷺ عُرْياناً قط إلَّا مرَّةً واحدةً؛ جاء زيدُ بنُ حارِثَة من غَزاةٍ فاستفتح فسمع رسول الله ﷺ صوتَه فقام عُرْياناً يجر ثوبَه فاعتنقه وقَبَّله[٢].

وعن الهيثم وابن عبد البَرِّ عن أسامة بن زيد ﵄ قال: حدثني أبي قال: اكتريتُ دابَّةً من الطائف إلى مكة فمال بي الكاري إلى خَرِبة فقال: انزل فنزلت فإذا هي مملوءة قتلى، فأراد أن يقتلني فقلت: دعني أُصَلِّي ركعتين فقال: صَلِّ فقد صلى هؤلاء قبلك فما نفعهم صلاتُهم، قال: فصلَّيْتُ ركعتين وأتاني ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، فسمع صوتاً يقول: لا تَقْتُله، فخرج يطلب الصوتَ وهابه وعاد ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين فسمع صوتاً يقول: لا تقتله، فخرج يطلب الصوت وعاد ثالثاً، فبينا أنا كذلك إذا بفارس قد أقبل وبيده حربة فيها شعلة نار فطعنه بالحربة فقتله، فقلت: من أنت؟ فقال: ملك لما دعوت في المرة الأولى، كنت في السماء السابعة، فلما دعوت الثانية كنت في السماء الرابعة، فلما دعوت الثالثة كنت في السماء الدنيا، فقيل لي: أدركه، فأتيتك[٣].

وقال أبو قتادة فارسُ رسول الله ﷺ: لما أصيب زيد بن حارثة أتى رسول الله ﷺ أهله فَجَهَشَتْ إليه ابنة زيد، فبكى حتى انتحب فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «شَوقُ الحَبيبِ إلى حَبيبِهِ»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٧٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٧٣٢).

(٣) «الاستيعاب» (بهامش الإصابة) ١/ ٥٤٨ _ ٥٤٩.

(٤) «الطبقات» ٣/ ٤٤.

وقال علي عليه السلام: قال رسولُ الله ﷺ: «رأيتُ جعفراً يَطِيرُ في الجنَّةِ تَدمى قادِمَتَاه، ورَأيتُ زَيدَ بنَ حارِثَةَ دُونَ جَعفَر، فقلتُ: ما أَظُنُّ زَيداً دونَ جَعفر، فقال لي جِبريلُ: لَيسَ زيدٌ بدُونِ جعفَرٍ، وإنَّما فضَّلْنا جَعفَراً لقَرابَتِهِ مِنكَ»(١).

استشهد زيدٌ وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقيل: ابن ثلاث وخَمْسين سنة.

ذكر أولاده

كان رسولُ الله ﷺ قد زَوَّجَ مولاتَه وحاضِنَتَهُ زيدَ بن حارثة فولدت له أسامة وكان زيد يكنى به، وكانت تزوجت في الجاهلية قَبْلَ زيدٍ عبيدَ بنَ عمر(٢) بن بلال الخزرجي، فولدت له أيمن فكنيت به، استشهد أيمن يوم خيبر.

وقال محمد بن السائب: قدِمَتْ أم كلثوم بنت عقبة ـ وأمها أروى بنت كُرَيْز وأم أروى أمُّ حكيمٍ البيضاءُ بنت عبد المطلب ـ مهاجرةً إلى المدينة، فخطبها جماعة منهم: زيد بن حارثة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، فاستشارت أخاها لأمها عثمانَ رضوان الله عليه فقال: استشيري رسول الله ﷺ فاستشارته فأشار عليها بزيد، فتزوجته فولدت له زيد بن زيد، مات وهو صغير، ورُقيَّةَ ماتت في حِجْر عُثمان رضي الله عنه، وطلَّقَ زيد أُمَّ كُلثوم فتزوَّجها عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه ثم عمرو بن العاص، ولما طلَّق زيدٌ أم كلثوم تزوج دُرَّة بنتَ أبي لهب، ثم طلَّقها وتزوج هند بنت العوام(٣).

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله في «المسند» لزيد حديثاً واحداً عن أسامة بن زيد، عن أبيه زيد بن حارثة عن النبي ﷺ: «أنَّ جبريلَ أتاه في أَوَّلِ ما أُوحِيَ إليهِ فَعَلَّمهُ الوُضُوءَ والصَّلاةَ، فلمَّا فَرَغَ مِنَ الوُضُوءِ أَخَذَ غَرْفَةً مِنَ الماءِ فَنَضَح بها فَرْجَه»(٤).



---

(١) «الطبقات» ٤/ ٣٥.

(٢) في «الطبقات» ١٠/ ٢١٢: عبيد بن زيد.

(٣) «الطبقات» ٣/ ٤٣.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٤٨٠).

سراقة بن عمرو بن عطية، وأمه عُتَيْلَة[١] بنت قيس نجارية، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، أبلى يوم مؤتة بلاء حسناً وليس له عَقِب.

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه كبشة بنت واقد، وكنيته أبو رواحة، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو عمرو، وهو أحد النقباء الاثني عشر، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأُحُداً والخندق والحديبية وعُمْرةَ القضاء وخيبر، واستخلفه رسولُ الله ﷺ على المدينة في غزاة بدر الموعد، وبعثه بشيراً إلى أهل العالية بغزاة بدر، وأرسله إلى أُسير بن رِزام اليهودي فقتله بخيبر، وظلَّ يَخْرُصُ كلَّ عامٍ نخل خَيْبَرَ إلى أن استُشْهِدَ.

وقال موسى بن عقبة: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر يَخْرُصُ نَخْلهم ويقاسِمُهم، جعلوا يُهدون له من الطَّعامِ وجمعوا من حُلِيِّ نسائهم وقالوا: هذا لك وخفِّفْ عنا وتهاونْ في القَسم. فقال: يا معاشر يهود، والله إنكم لَمِنْ أبغض خلق اللهِ إليَّ، وإنما بعثني رسولُ الله ﷺ عَدْلاً بينه وبينكم، فلا إِرْبَ لي في دنياكم ولن أحيفَ عليكم، وإنما عرضتم علي السُّحْتَ وأنا لا آكله، فلما أقام الخَرْصَ خيَّرَهم فقال: إن شئتم ضمنت لكم نصيبكم وإن شئتم ضمنتم لنا وقمتم عليه، فاختاروا أن يَضْمَنوا ويُقيموا عليه. وقالوا: يا ابن رواحة هذا الذي تعملون، به تقومُ السماء والأرض، وإنما يقومان بالحق.

وقال أبو الدرداء: لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الشديد الحر، [حتى] إنَّ الرجلَ ليضَعُ يَدَهُ على رأسه من شدة الحر وما في القوم صائمٌ إلا رسولُ الله ﷺ وعبدُ الله بن رواحة[٢].

وقال النعمان بن بشير: أغمي على خالي عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكي وتقول: واجَبَلاه وارُكْناه، وتُعَدِّد عليه، فلما أفاق قال: ما قلتِ شيئاً إلا وقيل لي: أنت كذلك؟[٣].

---

(١) في النسخ: عقيلة، و المثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٤٨٠ .

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢) (١٠٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٦٧) .

ومدح عبدُ الله بن رواحة رسولَ الله ﷺ كثيراً، وكان شاعراً فصيحاً، واستنشده رسول الله ﷺ فأنشد: [من البسيط]

يا هاشم الخَيْرِ إن الله فضلكم ... على البرية فضلاً ماله غِيَرُ
إني تَفَرَّسْتُ فيك الخيرَ أعرِفُه ... والله يعلم أنْ ما خانني البصرُ
أنتَ النبيُّ ومن يُحْرَمْ شفاعته ... يَومَ الحسابِ فقد أَوْدى به القدرُ
فَثبَّتَ الله ما آتاكَ من حَسَنٍ ... تَثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِرُوا

فقال رسول الله ﷺ: «وأنتَ يا عبدَ اللهِ فَثبَّتَكَ اللهُ أحسَنَ الثَّباتِ»[1].

وقال قيس بن أبي حازم: قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن رواحة: «انزل، فَحرِّك بنا الرِّكابَ» فقال: يا رسول الله قد تركتُ قولي، فقال له عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: اسمع وأَطِع، فنزل وجعل يقول:

يا رب لولا أنت ما اهتدينا ...... الأبيات

فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ ارْحَمهُ» فقال عمر: وجبت[2].

ومعنى قوله: «تركت قولي» لما نزل قوله تعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال ابن رواحة: هل ترى أنا منهم وترك الشعر، فنزل قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] الآية[3].

وقد رثاه ورثى أصحابه ﷺ حسان بن ثابت فقال: [من الطويل]

تأوَّبَني ليلٌ بِيَثْرِبَ أعْسَرُ ... وهمٌّ إذا ما نَوَّمَ القومُ مُسْهِرُ
لذكرى حبيب هيجت ليَ عَبْرةً ... سَفوحاً وأسباب البكاءِ التذكُّرُ
بلى إن فِقْدانَ الحبيبِ بَليَّةٌ ... وكَمْ من كريمٍ يُبْتلى ثم يَصْبِرُ
رأيتُ خِيار المؤمنين تتابعوا ... بمُؤتَةَ منهم ذو الجناحَينِ جَعفرُ
وزيدٌ وعبدُ الله ابنُ رواحة ... تداعوا وأسباب المنيَّةِ تخطرُ

(١) انظر «الطبقات» ٣/ ٤٨٩، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٦، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٣٤.
(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٨٨.
(٣) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٨٩.

غَداةَ [مضوا] بالمؤمنين يقودُهم ... إلى الموت مَيمونُ النقيبةِ أَزْهَرُ
أَغَرُّ كضَوْءِ البدر من آل هاشمٍ ... أَبيٌّ شريف القدر يَقْظانُ أَحْورُ[1]

وليس لابن رواحة عَقِبٌ، وقد روى الحديث فأخرج له البخاري حديثاً موقوفاً[2].

وعن عبد الله بن رواحة أنه قدم من سفرٍ ليلاً فتعجل إلى امرأته، فإذا في بيته مصباح، وإذا مع امرأته صبي، فأخذ السيف فقالت امرأته: إليك عني فهذه فلانةُ تُمشطني، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فنهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً[3].

وعن عكرمة مولى ابن عباس: أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعاً إلى جنب امرأته، فقام وخرج إلى الحُجْرة فواقع جارية له، وانتبهت امرأتُه فلم تره، فخرجت فإذا هو على بطن الجارية، فرجعت وأخذت شَفْرَةً وخرجت فلقيها فقال: مهيم؟ فقالت: أما إني لو وجدتُكَ حيث كُنْتَ لَوَجَأْتُك بها فقال: وأين كنتُ؟ فقالت: على بطن الجارية فقال: ما كنت، قالت: بلى، قال: فإن رسول الله ﷺ نهى أن يقرأ القرآن وهو جُنبٌ، فقالت: فاقرأ فقال: [من الطويل]

أتانا رسول الله يتلو كتابه ... كما لاح مشهور من الصبح طالع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أنَّ ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجعُ

فقالت المرأة: آمنت بالله ورسوله وكذبت بصري، قال: فغدوت إلى النبي ﷺ وأخبرته فضحك حتى بدت نواجذه[4].

قال الإمام أحمد رضوان الله عليه: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الحجاج، عن الحكم، عن مِقْسَم، عن ابن عباس قال: بعث رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ رواحة في سَرِيَّةٍ فوافق ذلك يومَ الجمعة فقدَّمَ أصحابه وقال: أَتَخَلَّفُ فأصلي مع رسول الله ﷺ الجُمُعَة ثم ألحقهم،

---

(١) الأبيات في السيرة ٢/ ٣٨٤ وما بين معكوفين منها .

(٢) هو حديث الإغماء المتقدم عند المصنف، وانظر «الجمع بين الصحيحين» (٣٠٢٠)، وجاء في النسخ بعد قوله: موقوفاً: «رفعه»، ولم يتضح لنا المراد منه، فأثبتناه هكذا .

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٧٣٦) .

(٤) أخرجه الدارقطني في «السنن» ١/ ١٢٠، وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ١٣٨.

فلما صلى رآه رسول الله ﷺ فقال له: «لو أَنْفَقْتَ ما في الأَرضِ ما أَدرَكْتَهُم»[(١)].

عبد الله بن الربيع بن قيس بن عامر الخزرجي، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه فاطمة بنت عمرو نجارية، شهد العقبة وبدراً واستشهد بمؤتة.

عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، من الطبقة الأولى من المهاجرين وأمه صفية بنت المغيرة مخزومية، وكان اسمه الحكم فسماه رسول الله ﷺ عبد الله.

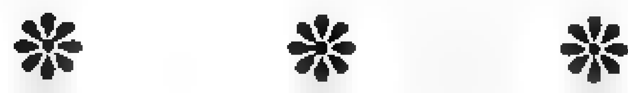
عَبَّاد بن قيس بن عَبَسة، وقيل: عُبادة بن قيس بن أمية، من الطبقة الأولى من الخزرج شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

عبيد بن المُعلَّى بن لَوْذان الزُّرَقي، وأمه إِدامُ بنتُ عَوْفٍ نجارية، وهو من الطبقة الثانية من الأنصار.

قيس بن عمرو بن زيد[(٢)] بن مَبْذول، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمه شَيْبَةُ بنتُ عاصم، شهِد المشاهد كُلَّها مع رسول الله ﷺ وقُتِلَ معه يوم مؤتة أخوه لأبيه وأُمِّه: جابرٌ.

مسعود بن سُوَيد بن حارثة، من بني عدي بن كعب، من الطبقة الأولى من المهاجرين.

وهب بن سعد بن أبي سَرْح بن الحارث بن حبيب بن جَذيمة بن مالك بن حِسْلٍ بن عامر بن لؤي، وأمه مُهانَةُ بنت جابر من الأشْعريين، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً في قول أكثرهم، وشهد أحداً والخندق والحديبية وخيبر، ولما هاجر إلى المدينة نزل على كلثوم، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سويد، فقتلا جميعاً يوم مؤتة شهيدين، ووهبٌ ابنُ أربعين سنةً[(٣)].



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٦٦).

(٢) وهو قيس بن أبي صعصعة.

(٣) انظر التراجم السالفة في طبقات ابن سعد (على الترتيب) ٣/ ٤٩٩، ٥/ ١٢، ٣/ ٤٩٤، ٤/ ٤٠٤، ٣/ ٤٧٩، ٤/ ١٣١، ٣/ ٣٧٧.

وفيها: كانت سرية عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسِل[١]، وهي وراء ذات القُرى، وبينها وبين المدينة عشر ليالٍ في جمادى الأولى، وقيل: كانت قبل غزاة مؤتة.

قال أبو محمد ابن حزم: بلغ رسولَ الله ﷺ أن جَمْعاً من قُضاعةَ قد جمعوا للغارة على المدينة، فعقد لعمرٍو لواءً أبيضَ ورايةً سوداءَ، وبعث معه ثلاث مئة من المهاجرين والأنصار، فبلغه أن القوم في جمع عظيم، فبعث رافع بن مَكِيْثٍ الجُهَني إلى رسول الله ﷺ يستمدُّه، فأمدَّه بأبي عبيدةَ بن الجراح رضي الله عنه في مئتين من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم، وإنما أَمَّرَ عمرو بنَ العاص وقدَّمه على من ذُكِرَ لأن جَدَّته أمَّ العاص بن وائل من قُضاعة، وقيل: من بَليٍّ، وأمَّره لهذا المعنى، وأوصى رسولُ الله ﷺ أبا عبيدة رضي الله عنه أن لايخالف عمراً فأدركه بأَرْضِ جُذام بذات السلاسل، وجاء وقت الصلاة فتقدم أبو عبيدة، فقال عمرو: أنا الأمير وأنت جِئْتَ مَدَداً، فقال: يا عمرو، إن رسول الله ﷺ أوصاني وقال «لا تختلفا»، فإن عصيتني أطعتك، دونَك فصلِّ بالناس، فصلى، وساروا نحو القوم فهربوا، فغنم المسلمون أموالهم وبعثوا بها إلى المدينة، وكتب عمرو إلى رسول الله ﷺ كتاباً يخبره بهزيمةِ العدو وَوَطْءِ بلادِهم، وأَنْفَذَهُ مع عوف بن مالك الأشجعي[٢].

وقال عمرو: لما بعثني رسولُ الله ﷺ عامَ ذاتِ السلاسل، فاحتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ شديدةِ البَرْد فأشفقت إنِ اغتسلتُ أن أَهْلِكَ، فتيمَّمْتُ ثم صلَّيْتُ بأصحابي صلاةَ الصُّبحِ، فلما قدِمنا على رسول الله ﷺ ذكرتُ له ذلك فقال: «يا عمرو صلَّيْتَ بأصحابكَ وأنت جُنُبٌ؟» فقلت: نعم يا رسول الله إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إنِ اغتسلتُ أن أهلِك، وذكرت قولَ الله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فتيممت ثم صليت، فضحك ولم يقل شيئاً[٣].

قال ابن إسحاق: ومنع عمرو أصحابه أن يُوْقِدوا في تلك الليلة ناراً وكانت ليلة

---

(١) «السيرة» ٢/ ٦٢٣، و«المغازي» ٢/ ٧٦٩، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٢١، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٣٩٧، و«المنتظم» ٣/ ٣٢١، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٧٣.

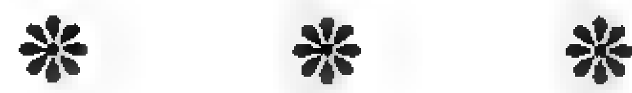
(٢) انظر «الطبقات» ٢/ ١٢٢.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٨١٢).

باردةً، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فسأله فقال: كان في أصحابي قِلَّةٌ وفي العدوِّ كَثْرَةٌ فخشيت فقال: «أصبتَ»(١).

وفيها: كانت سرية الخَبَطِ(٢)، وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، بعثه رسول الله ﷺ في ثلاث مئة من المهاجرين والأنصار قِبَلَ جُهينةَ، فأصابهم جَهْدٌ عظيم، فأكلوا الخَبَط حتى صارت أشداقهم كأشداق الإبل.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا حسن بن موسى، حدَّثنا زهير، حدَّثنا أبو الزبير(٣)، عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمّر علينا أبا عبيدة نتلقّى عيرَ قريش وزوَّدَنا جِراباً من تمر، لم يَجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يُعْطينا تمرةً تمرةً، قال: فكيف كنتم تَصْنَعونَ بها؟ فقال: كنا نَمُصُّها ثم نشرب عليها الماء فتَكْفِينا إلى الليل قال: وكنا نَضْرِبُ بعصِيِّنا الخَبَطَ ثم نبلُّه بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا إلى ساحل البحر فرُفِعَ لنا على ساحل البحر مثل الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هو دابة تدعى العَنْبَر قال أبو عبيدة: مَيْتَةٌ، ثم قال: لا، بل نحنُ رسلُ رسولِ الله ﷺ وفي سبيله وقد اضطررنا فكُلوا، فأقَمنا عليه شهراً ونحن ثلاث مئةٍ حتى سَمِنّا، ولقد رأيتُنا نَغْتَرِفُ من وَقْبِ عينيه بالقِلال الدُّهْنَ، ونقطِّع منه الفِدَرِ كقَدْرِ الثور، قال: ولقد أخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأَقعدهم في وَقْب عينه وأخذ ضِلَعاً من أضلاعه فأقامها ثم رَحَل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال: «هوَ رِزْقٌ أَخرَجهُ الله لَكُم، فَهَل مَعَكُم مِن لَحمِهِ شَيءٌ فَتُطعِمُونا؟» فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله. أخرجه مسلم(٤).



---

(١) وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٤٠).

(٢) «السيرة» ٢/ ٦٣٢، و«المغازي» ٢/ ٧٧٤، و«الطبقات» ٢/ ١٢٢، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٤٠٦، و«المنتظم» ٣/ ٣٢٢، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٧٦.

(٣) في النسخ «أبو الوليد» والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٣٣٨)، ومسلم (١٩٣٥)، وأخرجه البخاري (٤٣٦٠) من طريق وهب بن كيسان عن جابر. قوله: «وقب»: هو النقرة التي تكون فيها الحدقة. و«الفدر»: جمع فَدْرة، وهي القطعة من اللحم و«وشائق» أن يؤخذ اللحم فيغلى قليلاً ولا ينضج، ويحمل في الأسفار.

وفيها: كانت سَرِيَّةُ أبي قَتادَةَ الأنصاري إلى خَضِرةَ[١]، وهي أرض مُحارب بنجد، في شعبان، بعثه رسولُ الله ﷺ في ستة عشر رجلاً، فشنُّوا الغارة على غَطَفان، وقتلوا أَشْرافهم، وساقوا مئتي بعير وألفي شاة وأربعَ نِسْوَة.

وقيل: كان أميرُ هذه السَّرِيَّةِ عبدَ الله بنَ أبي حَدْرَد الأسلمي، وهو وَهْم؛ لأن سرية ابن أبي حَدْرَد إلى قيس بن رفاعة الجشمي في شعبان.

هذا ذكرُ سرية عبد الله بن أبي حَدْرَد:

قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا يعقوب، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن عبد الواحد[٢] بن أبي عون، عن جدته، عن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي أنه ذكر أنه تزوج امرأة، فأتى رسول الله ﷺ يستعينه في صَداقِها، فقال: «كَم أَصْدَقتَها؟» قال: مئتي درهم، قال: «لو كُنتُم تَغرِفُونَ الدَّراهِمَ من وَادِيكُم هذا ما زِدْتم، ما عِندي ما أُعطيكَ» قال: فمكثتُ، فدعاني رسول الله ﷺ فبعثني في سريَّة نحو نجد وقال: «لَعَلَّك أَنْ تُصيبَ شيئاً فأُنَفِّلَكَهُ».

قال: فخرجنا حتى جئنا الحاضِرَ مُمْسينَ، فلما ذهبت فَحمةُ العِشاء، بَعَثَنا أميرُنا رَجُلَيْن رَجُلَيْنِ فأَحطنَا بالعسكر، وقال: إذا كَبَّرْتُ وحَمَلْتُ فكبِّروا واحمِلُوا، قال: وسمعت رجلا منهم يصيح: يا خَضِرةُ، فتفاءلتُ بأَنا سنُصيبُ منهم خَضِرة، فلما أَغْنَمنا كبَّر أميرُنا وحمل، فكبَّرنا وحملنا، وكلُّ اثنين مِنَّا في ناحيةٍ، قال: فمر بي رجل في يده سيف فاتَّبعته، فقال لي صاحبي: إن أميرنا عهد إلينا أن لا نُمْعِنَ في الطَّلبِ، فقلت: والله لأَتْبَعَنَّهُ، فتبعته ورميته بسهم على جُرَيْداءِ مَتْنِه فوقع، وقال: أُدْنُ يا مُسلمُ إلى الجنة، فلم أَدْنُ إليه ورميته بسَهْم آخرَ فأثختتُه فرماني بالسيف فأخطأني، وأخذت السيف فقتلته به واحتززتُ به رأسه، وشددنا عليهم فأخذنا نَعماً كثيراً وغَنِمْنا وانصرفنا، فأصبحت فإذا بعيري مقطورٌ ببعيرٍ عليه امرأةٌ شابَّةٌ جميلةٌ، فجعلَتْ تلتفتُ إلى خلفها وتكثرُ الالتفات، فقلتُ لها: إلى أينَ تلتفتينَ؟ فقالت: إلى رجل لو كان حيًّا لخالَطَكُم، قال: وظننت أنه صاحبي، فقلت: والله قد قَتَلْتُه وهذا سيفه، وهو معلَّق في قَتَبِ البعير

(١) «المغازي» ٢/ ٧٧٧، و«الطبقات» ٢/ ١٢٣، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٤، و«المنتظم» ٣/ ٣٢٣.

(٢) في النسخ: «عبد الله» والمثبت من أحمد.

الذي أنا عليه، وغِمْدُ السيف الذي ليس فيه شيء معلَّقٌ بقَتَبِ بعيرها، فلما قلت لها ذلك قالت: دونَكَ هذا الغمد فشِمْهُ فيه إن كنت صادقاً، فأخذته فشِمْتُه فطبَّقته، فلما رأت ذلك بكت، وقدمنا على رسولِ الله ﷺ فأعطاني من ذلك النَّعم الذي قَدِمْنا به(١).

وقال الواقدي: كان عبد الله بن أبي حدرد قد تزوج امرأة، فاستعان برسولِ الله ﷺ في مهرها، فقال: «كَم مَهْرُها»؟ قال: أصدَقْتُها مئتي درهم، فقال: «سُبحان اللهِ، لو كُنتُم تأخُذُونَ الدَّراهِمَ مِن بَطنِ وادٍ ما زِدْتُم على هذا، ما عِندِي ما أُعطِيكَ» فأقمتُ أياماً وأقبل قيس بن رِفاعةَ الجُشَمي في جيشٍ كثيفٍ فنزل الغابةَ يريد أن يجمع الناسَ على حَرْبِ رسولِ الله ﷺ، فدعاني رسولُ الله ﷺ ورجلين من المسلمين وقال: «اخرُجُوا إلى هذا الرجُلِ، وأتُوني بخَبرِه» وأعطانا شارِفاً عجفاءَ فحملنا عليها أحدَنا فما قامت حتى دعمها الرجالُ من خلفها وقال: «تبلَّغُوا علَيها واعتَقِبُوها»، قال: فخرجنا إلى الحاضِرِ عشيّةً مع غُروبِ الشمس، وكمنْتُ في ناحية وكمن صاحباي في ناحية، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبَّرتُ فكبِّروا وشُدُّوا معي على القوم، ثم كبَّرتُ وكبَّرا وشددنا عليهم، وكان لهم راعٍ فأبطأ عليهم، وكان قيسُ بن رِفاعةَ قد خَرجَ في طلبه بنفسه، قال عبد الله: ومرّ بي فرميتُه بسَهْم فوقع في فؤاده فمات وسيفه في عنقه، فوثبت إليه فقطعت رأسه، ثم شددنا على القوم فصاحوا: النَّجاءَ النَّجاءَ، واستَقْنا إبلاً كثيرة وغَنِمنا وجئنا بها إلى رسول الله ﷺ، فوضَعْتُ رأس قيس بين يديه فدعا لي وأعانني بثلاثة عشر بعيراً، فسقت مهر امرأتي من بعضها(٢).

وفيها: كانت سرية أبي قتادة الأنصاري إلى بَطْنِ إِضَم(٣)، جبل بينه وبين المدينة ثلاثةُ بُرُدٍ، وكان في السَّرية مُحَلِّمُ بنُ جَثَّامة اللَّيثي وعبدُ الله بن أبي حَدْرَد المذكورُ آنِفاً.

قال عبد الله: فلقينا عامِرَ بنَ الأَضْبط الأشْجعي على قَعودٍ، فسلَّم بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه مُحَلِّم بنُ جَثّامةَ فقتله لشيء كان في نفسه وأخذ بعيره وسَلَبه،

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٨٨٢).

(٢) «المغازي» ٢/ ٧٧٧ ـ ٧٨٠.

(٣) «الطبقات» ٢/ ١٢٣، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٥، و«المنتظم» ٣/ ٣٢٣، وفي «السيرة» ٢/ ٦٢٦ غزوة ابن أبي حدرد.

فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر، فأنكر علينا رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ [النساء: ٩٤] الآية(١).

قال المصنف رحمه الله: وهذا أحد الأقوال في سبب نزول هذه الآية.

والثاني: أن المقداد خرج في سرية إلى قوم، فوجدهم قد تفرقوا وبقي منهم رجلٌ كثيرُ المالِ، فقصده المقداد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله، فنزلت هذه الآية(٢).

والثالث: أن رجلاً من بني سُلَيم مرَّ على نفر من المسلمين ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا: ما سلَّم إلا مُتعَوِّذاً، فقتلوه وأخذوا غنمه(٣).

والرابع: أنها نزلت في سرية كان فيها أسامة بن زيد رضي الله عنهما أغار على قوم فهربوا وبقي منهم رجل قد أسلم يقال له: مِرْداس، فسلَّم عليهم، فقتله أسامة(٤).

وقيل: إنما كان أميرُ السرية غالبَ بنَ فَضالةَ وأسامة معه.

وقال الواقدي: إنما بعث رسول الله ﷺ هذه السرية في رمضان، وكانوا ثمانيةً، ثم خرجوا إلى غزاة الفتح فبلغهم خروجه فوافَوْه بالسُّقْيا(٥).

وفيها: عُمِلَ المنبرُ، وقيل: في سنة سبع، قيل: عمله غلام للعباس يقال له: كِلاب، وقيل: صُباح، وقيل: غلام لامرأة من الأنصار يقال له: مِينا.

وقال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع في المسجد، فشق عليه القيام فقال له تميم الداري: يا رسول الله، ألا أصنع لك منبراً كما يصنعون بالشام؟ فشاور رسول الله ﷺ أصحابه فقالوا: لا بأس به، فقال العباس بن عبد المطلب: يارسول الله،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٨٨١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٧٩) من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث سرية فيها المقداد بن الأسود... وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص١٦٥ من حديث سعيد بن جبير قال: خرج المقداد بن الأسود في سرية ....

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٢٣) من حديث ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٥/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٥) انظر «الطبقات» ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤.

إن لي غلاماً يقال له: كلاب، أَعمَلُ الناس لهذا، فقال له ﷺ: «مُرهُ فَلْيَعْمَلْه»، فأرسله إلى أَثْلِ الغَابة فقطع أَثْلةً، وعمل فيها دَرَجَتَيْنِ ثُمَّ جاء به فوضعه موضعه اليوم، فجاء رسولُ الله ﷺ فقام معه وقال: «مِنبَري هذا على تُرْعَةٍ من الجنة، وقَوائمهُ رَواتِب في الجنَّةِ» ثم سنَّ الأيمان على الحقوق عند منبره وقال: «مَن حَلَفَ عند مِنبَري كاذِباً فَلْيَتبوَّأ مَقْعَده مِنَ النَّارِ»[1].

وعن جابرِ بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ ما بينَ مِنْبَري إلى حُجرَتي رَوضةٌ مِن رِياضِ الجنَّةِ، وإنَّ مِنْبَري على تُرْعَةٍ من تُرَعِ الجنَّةِ»[2].

وقال جابرٌ: كان رسولُ الله ﷺ يخطُبُ إلى جذع نخلة، فقالت امرأة من الأنصار كان لها غلام نجار: يا رسول الله إن لي غلاماً نجاراً، أفلا آمره يتخذ لك منبراً تخطب عليه؟ قال: «بلى»، قال: فاتخذ له منبراً، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر، فإنَّ الجذع الذي كان يقوم عليه كان يئنُّ كما يئنُّ الصبي، فقال النبي ﷺ: «إن هذا بكى لِما فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ». انفرد بإخراجه البخاري[3].

وعن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ إذا خَطَب يستند إلى جِذع نخلة من سَواري المسجد، فلما صُنِعَ له منبره واستوى عليه اضطَربت تلك الساريةُ كحنين الناقة، حتى سمعها أهل المسجد، حتى نَزل إليها فاعتنقها فسكتت. أخرجه الإمام أحمد في «المسند»[4].

ولم يزل المنبر على حاله حتى حج معاويةُ بَعْدَما بُويعَ، فزاد فيه ستَّ درجات، فشق ذلك على الصحابة ﷺ وقالوا: غيَّر آثارَ رسول الله ﷺ وابتدع في الإسلام، فقال لهم سعيد بن المسيب: يا قوم لا تعجبوا من هذا واعجبوا من مروان بن الحكم كيف يقوم مقامَ رسول الله ﷺ يميت السُّنَنَ ويحيي البدع.

وكان عزمُ مُعاويةَ إذا عاد من الحج نَقْلَ المِنبرِ إلى الشام، فلما قفل من الحج أمر

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢١٥ .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٥١٨٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨٤)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (١٤٢٠٦) .

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤١٤٢) .

بنقله فأظلمت الدنيا وزُلزلت وجاءت الصواعقُ من كل مكان، فتركه وبقي على تلك الحال مدة أيام بني مروان، فلما ولي السفاح ردَّهُ إلى ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ وبقيت آثاره.



وفيها: كانت غزاةُ الفتحِ في رمضان[١]، أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد مؤتة جمادى الآخرة ورجب وشعبان.

قال الواقدي: كانت خزاعة في الجاهلية قد أصابوا رجلاً من بكر وأخذوا ماله، فمر رجل من خزاعة على بني الدِّيل بعد ذلك فقتلوه، ووقعت الحرب بينهم[٢].

قال ابن إسحاق: كان الذي أهاج الحرب بين خزاعةَ وبكرٍ، أن رجلاً من بني الحضرمي يقال له: مالك بن عَبَّاد خرج[٣] تاجراً، فلما توسَّط أرض خُزاعةَ عَدَوْا عليه فقَتَلُوه، وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجلٍ من خزاعة فقتلوه، واستمرتِ الحربُ، فمرَّ بنو الأسود بن رِزْن ـ وهم ذُؤَيب وكُلْثوم وسَلْمى ـ فقتلوهم عند أنْصاب الحرم بعرفة، وكان بنو الأسود يُدَوْن في الجاهلية بدِيَتَيْن لفَضْلِهم في بني بكر. فبينا بنو بكرٍ وخزاعة على ذلك جاء الإسلام فحجز بينهم، فلما كان صلحُ الحديبيةِ دخلت خزاعةُ في عهد رسول الله ﷺ، وبكرٌ في قريش، على ما تقدم.

قال الواقدي: وكانت خزاعة حُلَفاءَ لعبد المطلب، فجاءت رسولَ الله ﷺ يوم الحديبية بكتاب الصلح فقرأه أبيّ بن كعب عليه وفيه:

باسمك اللَّهم، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذْ قَدِمَ عليه سَرَواتُهم وأهل الرأي منهم، غائبُهم مُقِرٌّ بما قضى عليه شاهدهم، إن بيننا وبينهم عهودَ الله وعقودَه، ما لا يُنسى أبداً، ما أشرفَ ثَبير وثبت حِراء، وما بَلَّ بحرٌ صُوفة، لا يزداد

---

(١) «السيرة» ٢/ ٣٨٩، و«المغازي» ٢/ ٧٨٠، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٢٤، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٤٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٣، و«المنتظم» ٣/ ٣٢٤، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٧٨.

(٢) «المغازي» ٢/ ٧٨١.

(٣) في «النسخ» مالك بن عباد بن خلف، وما أثبتناه من «السيرة» ٢/ ٣٨٩، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٤٣.

فيما بيننا وبينكم إلّا تَجَدُّداً أَبَدَ الدهر سَرْمداً.

فقال رسول الله ﷺ: «ما أَعرَفَني بحقِّكُم وأَنتم على ما أَسْلَفتُم عليه مِنَ الحِلْفِ، وكلُّ حِلفٍ كانَ في الجاهِليَّةِ لا يَزيْدُه الإسلامُ إلَّا تأكِيداً»[1].

ولمسلم: عن جابر بمعناه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «لا حِلْفَ في الإسْلامِ، وأَيُّما حِلْفٍ في الجاهِليَّةِ لم يَزِدهُ الإسلامُ إلَّا شِدَّةً، ولا حِلْفَ في الإسلام»[2].

قال الواقدي: وكان آخرَ ما كان بين خزاعة وكنانة وبكر أن أنس بن رهم الدِّيلي هجا رسولَ الله ﷺ فسمعه غلامٌ من خزاعةَ فضربه فشجه، فثار الشرُّ مع ما كان بينهم من العداوة، فلما دخل شعبان هذه السنة كلَّمت بكرٌ أشرافَ قريش في النُّصرة على خزاعة، فأعانهم على ذلك صفوان بن أمية ومِكْرَزُ بن حفص وحُوَيْطبُ بن عبد العزى وعِكرمةُ بن أبي جهل ولم يشاوروا أبا سفيان بن حرب، وقيل: إنهم شاوروه فأبى عليهم، ثم اتَّعدوا الوتيرَ: ماءٌ قريب من مكة، وخرج رؤساء قريش بمن معهم إلى بكر، ورأس بكر نوفل بن معاوية الدِّيلي، فبيَّتُوا خزاعةَ ليلاً وهُمْ غارُّون، فلم يزالوا يقاتِلونهم حتى انتهَوْا إلى الحرم ودخلوا دارَ زَيْدِ بن وَرْقاء، وعاد رؤساء قريش في عمايةِ الصُّبْحِ إلى منازلهم وهم يظنون أنهم لم يُعْرَفوا وأنَّ هذا لا يبلغ رسولَ الله ﷺ. وقَتَلوا من خُزاعة عشرين، فلما أصبحوا ندمت قريشٌ وعرفوا أنه سببٌ لنقض العهد بينهم وبين رسولِ الله ﷺ[3].

وجاء الحارثُ بن هشام وعبدُ الله بن أبي ربيعة إلى أبي سفيان بن حربٍ وأخبراه بما فعل القومُ، فقال: هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه وإنه لشرٌّ، والله ليغزونا محمد، ولقد حدثتني هند بنت عتبة أنها رأت رؤيا كرهتها، رأت دماً أقبل من الحَجون يسيلُ حتى وقف بالخَنْدَمةِ، فكره القومُ ذلك، فقال له الحارث: ما لها سِواك؛ أُخرجْ إلى محمد فكلِّمه في تجديد العهد وزيادة المدة.

(١) «المغازي» ٢/ ٧٨١ ـ ٧٨٢ .

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧٦١)، ومسلم (٢٥٣٠) من حديث جبير بن مطعم، وليس من حديث جابر .

(٣) «المغازي» ٢/ ٧٨٣ ـ ٧٨٤ .

وقيل: إن أبا سفيان قال ذلك ابتداء، فخرج أبو سفيان ومولى له على راحلتين وهو يرى أنه أول من يخرج إلى رسول الله ﷺ فأسرع السير[(١)].

وقال رسولُ الله ﷺ لعائشة رضوان الله عليها صبيحة كانت الوَقْعة بالوَتير: «يا عائِشَةُ، قد حَدَثَ في خُزاعةَ أمرٌ»، فقالت: أفَترى قُريشاً تجترئ على نقض العهد بينك وبينهم وقد أفناهم السيف؟ فقال رسول الله ﷺ: «يَنقُضونَ العَهدَ لأَمرٍ يُريدُهُ اللهُ تعالى بِهِم». قالت عائشة: لخير أو لشر؟ قال: «لخيرٍ»[(٢)].

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة يستنصرون رسولَ الله ﷺ ويخبرونه بالذي أصابهم من قريش، فقدموا المدينة ورسولُ الله ﷺ في المسجد ورأسُ خزاعة عمرو بن سالم، فاستأذن رسولَ الله ﷺ في الإنشاد فأذن له فقال: [من الرجز]

لا هُــمَّ إنــي نــاشــدٌ مــحــمــدَا
حِــلْــفَ أَبــيــنــا وأَبــيــكَ الأَتْــلَــدا
قــد كُــنْــتُــمُ وُلْــداً وكُــنّــا والــدا
ثُــمَّــتَ أسـلـمـنـا ولـم نَـنْـزعْ يـدا
إن قــريــشــاً أَخْــلَــفــوكَ الــمَــوعِــدا
ونَــقَــضُــوا مِــيــثــاقَــكَ الــمــؤكَّــدا
فــانــصــر هَــداكَ الله نَــصــراً أيِّــدا
وادعُ عــبــادَ الله يــأتــوا مــددا
فــيــهــم رســول الله قــد تَــجــرَّدا
فــي فــيــلــقٍ كــالــبــحــر يــجــري مُــزْبِــدا
هــم بــيَّــتــونــا بــالــوَتــيــر هُــجَّــدا

(١) «المغازي» ٢/ ٧٨٥ـ ٧٨٦.
(٢) «المغازي» ٢/ ٧٨٨.

فـقـتَّـلـونـا رُكَّـعـا وسُـجَّـدا

وزَعـمـوا أنْ لـسـتَ تـدعـو أَحَـدا

وهُـم أَذَلُّ وأَقـلُّ عَـدَدا

فقام رسول الله ﷺ وهو يجر طرف ثوبه ويقول: «لا نُصرتُ إنْ لم أَنصُر بني كَعبٍ بما أَنصُرُ منه نَفسِي»[١] . وقال: «وكأَنَّكُم بأبي سُفيانَ بن حرب وقَد جاءَ يقولُ: جدِّدِ العَهدَ وزِدْ في المدَّةِ وهو راجع بسَخَطِه».

وكان القوم لما خرجوا من المدينة تفرقوا، وسلك بديل بن أصرم الطريق في نَفَرٍ يسير، فلقيهم أبو سفيان فقال: أين كنتم؟ قال بديل: كنا في الساحل نصلح بين الناس في قتيل، قال: فهل أتيت محمداً بيثرب؟ قال: لا نعلم أنه قد كان بالمدينة. فلما ارتحل بديلُ قام أبو سفيان إلى مباركهم ففتَّ أبعار إبلهم، فوجد فيها النوى فتيقن ذلك، فقدم المدينة فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إني كنتُ غائباً عن صلح الحديبية فجدِّدِ الهدنةَ وزِدْ في المدَّةِ، فقال له رسول الله ﷺ : «ولِهذا قَدِمتَ»؟ قال: نعم، قال: «فَهَل حَدَثَ منكُم حَدَثٌ»؟ قال: معاذ الله، فقال رسول الله ﷺ: «فَنَحنُ على مُدَّتِنا وصُلْحِنا يَومَ الحُديبيةِ».

فقام من عنده فدخل على ابنته أُم حبيبة رضي الله عنها فلما ذهب ليجلس على فراشِ رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال: أرغبتِ بهذا الفراش عني، أو بي عنه؟ فقالت: بل هو فراشُ رسولِ الله ﷺ وأنت امرؤٌ مشركٌ نَجِسٌ، فقال: يا بنية، لقد أصابك بعدي شر، فقالت: هداني الله للإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يُبْصِر، واعجباً مِنْكَ يا أَبَتِ، وأنت سيد قريش وكبيرها. فقال: أَفَأَتْرُكُ ما كان يعبد آبائي وأتبع دين محمد، ثم قام من عندها، فلقي أبا بكر رضي الله عنه فقال له: يا ابن أبي قحافة كلِّمْ محمداً، أو تُجيرُ أنتَ بين الناس، فقال أبو بكر رضي الله عنه : جواري في جِوارِ رسول الله ﷺ .

ثم لقي عمرَ رضوانُ الله عليه فكلَّمه بمثل ما كلَّم به أبا بكر، فقال عمر: أنا أكلِّمُ رسول الله ﷺ! والله لو وجدت الذَّرَّ يُقاتلكُم لأعْنتُها عليكم، فقال أبو سفيان: جُزِيتَ من فتى رحمٍ شراً.

(١) «المغازي» ٢/ ٧٩٠ ـ ٧٩١ .

ثم دخل على عثمان رضوان الله عليه فقال: ليس في القوم أحد أقربُ بي وأمسُّ رحماً منك، فقال: جواري في جِوار رسول الله ﷺ[١].

فدخل على فاطمة ﵂ وعندها علي رضوان الله عليه والحسن والحسين رضوان الله عليهما يَدِبّانِ بين يديهما فقال لها: يا بنت محمد، أَجيري بين الناس، فقالت: أنا امرأة، فقال: قد أجارت أختك أبا العاص بن الربيع وأجاز ذلك محمدٌ، فقالت: هذا إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال: مُري أحدَ ابنيك هذين أن يجير بين الناس، فقالت: هما صَبِيَّان وليس مثلُهما يُجير، فقال لعلي رضوان الله عليه: يا أبا الحسن، أجر بين الناس أو كَلِّم محمداً، فقال: ويحك يا أبا سفيان ليس أحد منا يستطيع أن يكلِّمَ رسولَ الله ﷺ فيما يكره، فقال: أشِرْ عليَّ. قال: ما أجد لك شيئاً مثل أن تقوم فتجير بين الناس، فإنك سَيِّدُ بني كنانة، قال: فهل ينفعني؟ قال: لا أظن ذلك ولكن لا أجد لك غيره[٢].

فقام وصاح: ألا إني قد أجرتُ بين الناس، فقال له رسول الله ﷺ : «أَنتَ تَقولُ هذا يا صخرُ» ثم ركب راحلته وسار نحو مكة وكانت غَيْبَتُه قد طالت واتهمته قريش وقالوا: قد صبأ واتبع محمداً وكتم إسلامه، فدخل على امرأته هِنْد ليلاً، فقالت: قد طالت غيبتك حتى اتَّهَمَكَ قومُك، فإن كنت مع طول غيبتك جئتهم بنُجحٍ فأنت الرجل، ثم دنا منها وجلس مَجلِسَ الرجلِ من امرأته فجعلت تقول: ما الخبر؟ قال: لم أجد إلا ما قالَ عليٌّ، فضربت برجلِها في صدره وقالت: قم قُبِّحْتَ من رسولِ قومٍ، فلما أصبح حلق رأسه عند إساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤسهما إبراءً لما اتهمته به قريش، ثم سأله أعيان قريش عما جرى فأخبرهم، قالوا: فأجاز محمد قولك؟ قال: لا، قالوا: والله ما زاد عليّ على أن لَعِبَ بك[٣].

وقال رسولُ الله ﷺ لعائشة رضوان الله عليها: «جَهِّزينا ولا يَشعُر أَحدٌ»، فكتمت ذلك[٤].

---

(١) «المغازي» ٢/ ٧٩١ ـ ٧٩٣ .

(٢) «المغازي» ٢/ ٧٩٣ ـ ٧٩٤ .

(٣) «المغازي» ٢/ ٧٩٤ ـ ٧٩٥ .

(٤) «المغازي» ٢/ ٧٩٦ .

ولما أَجْمَعَ رسولُ الله ﷺ على المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وأعيان قريش يخبرهم الخبر، ودفع الكتاب إلى سارة مولاة المطلب ـ وقيل: اسمها كَنود من مُزينةَ ـ وجعل لها جُعْلاً على أن تبلغ الكتاب إلى قريش، فجعلته في رأسِها وفتلت عليه قُرونَها وخرجت به، فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء، فقال لعلي والزبير رضي الله عنهما: «أَدركا المَرأَةَ فإنَّ معها كتابَ حاطبٍ إلى الكفار بما أَزْمَعْنا عليه»، فخرجا فأدركاها بذي الحليفة، فاستنزلاها وفتَّشا رحلها وفتشاها فلم يجدا شيئاً، فقال علي رضوان الله عليه: والله لتخرجن الكتاب أو لأكْشِفَنَّكِ، فلما رأت الجدَّ حلَّت قُرونَها وأخرجته، فرجعا به إلى رسول الله ﷺ فدعا حاطباً وقال: «ما دَعاكَ إلى هذا»؟ فقال: يا رسول الله، والله إني مؤمن بالله ورسوله ما غيَّرْتُ ولا بدَّلْتُ، ولكن ليس لي في مكة عشيرةٌ وأهل، وولدي بين ظهرانيهم فصانَعْتُهم عليهم. فقال عمر رضوان الله عليه: دعني أضرب عنقه فقد نافق. فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدرِيكَ يا عمرُ، لَعلَّ اللهَ اطلَعَ على أهلِ بدرٍ، فَقالَ: اعمَلُوا ما شِئتُم فقد غَفَرتُ لَكُم». وأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] الآية(١).

وقد أخرجا القصة في «الصحيحين» أن عبد الله بن أبي رافع سمع عليًّا يقول: بعثني رسول الله ﷺ والزبيرَ والمقدادَ فقال: «انطَلِقُوا حتى تأتوا رَوْضَةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظَعينَةً معها كتابٌ، فخُذُوه منها». فانطلقنا إليها تَعادَى بنا خَيْلُنا حتى أتينا الرَّوضة، فإذا نحن بالظَّعينةِ، فقلنا: أخرجي الكتابَ، فقالت: ما معي كتاب، فقلت: لَتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لتُلْقِينَّ الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عِقاصِها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «يا حاطِبُ، ما هذا»؟ فقال: لا تَعْجَلْ عليَّ يا رسول الله، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يَحمون أهاليهم بمكة، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً ـ أوفيهم يداً ـ يحمدون بها قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا

(١) «السيرة» ٢/٣٩٨، و«المغازي» ٢/٧٩٧ ـ ٧٩٨.

رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ : «قد صَدَقَكُم». فقال عمر: دعني أضرب رَقَبَةَ هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ : «إنَّه قد شَهِدَ بدراً، وما يُدرِيكَ لَعلَّ الله اطَّلَعَ على أَهلِ بَدرٍ، فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فَقَد غَفَرتُ لَكُم». متفق عليه(١).

و«روضة خاخ»: مكان قريب من المدينة.

و«العِقاص»: الخَيْط الذي يعقص به الشعرُ الملصق القريب.

قال البلاذري: ومضت سارة من فورها إلى مكة وكانت مُغَنِّيَةً، فأقبلت تهجو رسول الله ﷺ وتتغنى بذلك، فأمر يوم الفتح بقتلها(٢).

وقال الثعلبي: هي سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسَنَتَين فقال لها: «أمسلمة جئت؟» قالت: لا، قال: «أفمهاجرة؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» فقالت: أنتم الأهل والعشيرة والموالي، وقد ذهب مواليَّ واحتجت حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتحملوني وتكسوني، فقال لها رسول الله ﷺ: «[أينَ] أنتِ مِن شَبابِ أَهلِ مكَّةَ»؟ وكانت مغنية نائحة، فقالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر. فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فكسوها وحملوها، فأتاها حاطب حليف بني أسد بني عبد العزى فكتب معها إلى أهل مكة كتاباً وأعطاها عشرة دنانير.

وقال مقاتل: أعطاها عشرة دنانير وكساها بُرْداً، وكتب معها إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ [يريدكم] فخُذوا حِذْركم. وخرجت تريد مكة، ونزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل علياً وعماراً وعمر والزبيرَ وطلحةَ والمقدادَ وأبا مَرْثَدٍ الغنويَّ وكانوا فرساناً وقال: «انطَلِقُوا إلى رَوضَةِ خاخ فإنَّ بها ظَعِينَةً مَعَها كِتابٌ من حاطِبٍ إلى المُشرِكينَ، فَخُذُوهُ منها وخَلُّوا سَبيلَها، وإنْ لم تَدفَعْه إليكُم فاضرِبُوا عُنُقَها». فلما وصلوا إليها سألوها فأنكرت، ففتشوها فلم يجدوا معها شيئاً فهموا بالرجوع، فقال علي: والله ما كَذَبَنا ولا كُذبنا وسلَّ سيفَه، وقال: أخرجي الكتاب و إلا ضربت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٤٢٤، وليس فيه: فأمر بقتلها.

عنقك، فلما رأت الجدَّ أخرجتهُ من ذوائبها قد خبأته في شعرها، فخلوا سبيلها، فرجعوا بالكتاب وذكر بمعنى ما تقدم(١).

ذِكْرُ مسير رسول الله ﷺ إلى مكة:

كتب إلى القبائل فقدم عليه إلى المدينة أَسلمُ وغِفارُ ومُزينةُ وجُهينةُ وأشجعُ، وبعث إلى بني سُليم فوافوه بقُدَيْدٍ، فأما جميع العرب فخرجوا معه من المدينة في عشرة آلاف.

قال علماء السير: وخرج يوم الأربعاء بعد العصر لعشر مضين من رمضان وهو صائم، واستخلف على المدينة أبا رُهْم كلثومَ بن حُصَين الغِفاري، وعلى الصلاة ابنَ أم مكتوم، وسار في المهاجرين والأنصار، ووافته القبائل على المياه.

قال الواقدي: لقيه العباس بن مرداس بقُدَيد في ألف من بني سليم وأنس بن عباس(٢)، وكان أنس وفد على رسول الله ﷺ المدينة في بني سُلَيْم وفيهم قيس بن نُشْبَة، فسمع كلامَ رسول الله ﷺ ورجع إلى بني سليم وقال: والله لقد سمعت تراجم الروم، وهَمْهَمةَ فارس، وكَهانة الكُهَّانِ، وقصائد العرب، فما يُشبه كلام محمد شيئاً من ذلك، فأسلموا ترشدوا، فأسلموا وكان لهم صنم وله سادن يقال له: غاوي بن عبد العزى، فدخل يوماً على الصنم فرأى ثعلبين يبولان عليه فقال:

أَربٌّ يبول الثعلبانِ برأسه ... لقد ذَلَّ من بالت عليه الثعالب

ثم شد على الصنم فكسره وجاء رسول الله ﷺ مسلماً فقال له: «ما اسمك»؟ فقال: غاوي بن عبد العزى، فقال: «أنتَ راشدُ بنُ عبدِ رَبِّه» وحَسُنَ إسلامه، وأقطعه رسولُ الله ﷺ رُهاطاً وفيها عين يقال لها: عين الرسول، وعقد له لواءً على قومه وقال: «خَيْرُ سليمٍ راشِد» وكان يَقْدُمُ سُلَيْماً أنسُ بن عباس يوم الفتح(٣).

ولما نزل رسولُ الله ﷺ قُدَيْداً وافته القبائِلُ من الأعراب الذين حول المدينة: أسْلَم

---

(١) انظر تفسير الثعلبي ٩/ ٢٩١، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

(٢) في «الطبقات»: أنس بن عياض بن رعل. وفي«الإصابة»١/ ٧٠: أنس بن عباس بن رعل، نقلاً عن «الطبقات».

(٣) انظر «الطبقات» ١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦، ورواية البيت في كتب اللغة: «يبول الثُّعْلُبانُ»، والثُّعلُبان: ذكر الثعالب. أدب الكاتب ١/ ٢٢، وفقه اللغة ١/ ١٢٧٨ .

وغِفار ومزينةُ وجهينةُ وأشجع ونحوهم، فعقَد لهم الراياتِ وفرَّقها فيهم، ولحقه عُيَينةُ ابنُ حِصن بالعرج والأقرع بن حابس بالسُّقْيا(١).

قال البلاذري: ولقيه العباس بن عبد المطلب بذي الحليفة قد أظهر إسلامه، فأمره أن يبعث بثقله إلى المدينة ويعودَ ليشهدَ فتح مكة وقال له: «يا عَمِّ، هِجرتُكَ آخِرُ هِجرَةٍ، كما أَنَّ نُبُوَّتي آخِرُ نبوَّةٍ»(٢).

وعمّى الله الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعِلٌ.

وقال الواقدي: نَزلَ رسولُ الله ﷺ بالعرج، ولا يعلم الناس أين يقصد إلى قريش أو إلى هوازن أو إلى ثقيف، فقال كعب بن مالك: أنا أعلم لكم علمه، فجاء فجثا بين يديه وقال: [من الوافر]

قضينا من تِهامةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وخيبرَ ثُمَّ أَجمَمْنا السُّيوفا
نُسائِلُها ولو نَطَقت لقالَتْ ... قَواطِعُهنَّ دَوساً أو ثَقيفا
ولستُ لمالك إن لم تَرَوْها ... بساحة دارهم مِنّا ألوفا
ونَنتَزِعُ الخيام ببطنِ وَجٍّ ... ونَتركُ دارَهم منهم خُلُوفا

فتبسم رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً، فلما نزل مَرَّ الظهران تيقنوا أنه قاصدٌ مكَّةَ(٣).

وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح في رمضان، فصام حتى بلغ الكَدِيدَ ثم أفطر(٤).

قال الزهري: وكان الفِطْر آخر الأمرين من رسول الله ﷺ وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ بالآخِر فالآخِر. أخرجه مسلم(٥).

وقال ابن عباس: خرج رسول الله ﷺ إلى مكة فصام حتى بلغ عُسْفان، ثم دعا بماءٍ

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ٥١ ـ ٥٢.
(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٤٢٥.
(٣) «المغازي» ٢/ ٨٠٢.
(٤) أخرجه البخاري (١٩٤٤)، ومسلم (١١١٣).
(٥) مسلم ٢/ ٧٨٥.

فرفعه على يده ليريه الناس فأفطر حتى قدم مكة، وذلك في رمضان، وكان ابن عباس يقول: قد صام رسول الله ﷺ وأفطر، فمن شاء صام ومن شاء أفطر(١).

وأخرجه الحميدي وفيه: خرج رسولُ الله ﷺ من المدينة في عشرة آلاف وذلك على رأس ثماني سنين ونصف من هجرته أو من مقدمه المدينة، فسار بمن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكَديد، وهو ما بين عُسْفانَ وقُدَيْد أفطر وأفطروا، فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر فصبَّح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة مضت من رمضان(٢).

ولمسلم: عن جابر قال: لما بلغ رسول الله ﷺ كُراعَ الغَميم وصام الناس، قيل له: قد شق على الناس، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه، فأفطر بعضهم وصام البعض، وبلغ رسول الله ﷺ فقال: «أُولئكَ العُصاةُ»(٣).

قال الواقدي: ولما كانتِ الليلةُ التي نزل بها رسول الله ﷺ مَرَّ الظهران خرج أبو سفيان بن حرب وحكيمُ بن حزام وبُدَيْلُ بن ورقاء الخزاعي ـ وكان نازلاً بمكة ـ يتجسَّسون الأخبار، فقال العباس رضي الله عنه: واسوءَ صباحاه، والله لئن بَغَت ابن أخي قريشاً في دارها ودخل مكة عَنْوَةً إنه لَهلاكُ [قريشٍ] آخرَ الدهر، قال: فجلست على بغلةِ رسول الله ﷺ البيضاء وقلت: أَخْرُجُ إلى الأَراك لعلي أرى حطَّاباً أو صاحبَ لبن يدخل مكة فيخبرهم بمكانِ رسول الله ﷺ فيأتونه فيأخذون منه أماناً.

قال العباس: فوالله إني لأطوف في الأَراك إذ سمعت صوتَ أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وأبو سفيان يقول: والله ما رأيت نيراناً مثل هذه، فقال بُدَيْلٌ: هذه نيرانُ خُزاعةَ، وكانوا قد أوقدوا في تلك الليلة عشرة آلاف نار، فقال أبو سفيان: خزاعة أقلُّ من ذلك وأذلُّ، قال العباس: فناديته: أبا سفيان، فَعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، فقال: لبيك، فداك أبي وأمي ما وراءك؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ قد دَلَفَ إليكم في عشرةِ آلافٍ من المسلمين ولا قِبَلَ لكم به، وقلت: اركب على

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٨)، ومسلم بعد (١١١٣).

(٢) «الجمع بين الصحيحين» (٩٧٨)، وأخرجه البخاري (٤٢٧٥) و (٤٢٧٦).

(٣) مسلم (١١١٤).

عَجُزِ هذه البغلة فأستأمنُ لك رسول الله ﷺ فوالله لئن ظَفِرَ بك لَيَضْرِبَنَّ عُنقَكَ، قال: فَرَدِفَني فخرجت أَركضُ البَغْلَةَ، فكلّما مررت بنارٍ قالوا: هذا عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررتُ بنارِ عمر بن الخطاب ﷺ فلما رأى أبا سفيان عرفه فقال: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدوَّ الله بغير عقد ولا عهد، ثم اشتد نَحو رسولِ الله ﷺ وركَضْتُ البغلةَ حتى اقتحمت باب القبة فسبقته، ثم جاء فقال: يا رسولَ الله، هذا عدوُّ الله ابنُ حرب قد أمكن الله منه فدعني أَضْرب عنقه، قال: فقلت: فإني قد أجرته فلا سبيل عليه، فأكثر عمر القول، فقلت: يا ابن الخطاب والله ما تَفْعَلُ هذا إلا لأنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان رجلاً من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، فقال: مهلاً ياعباس، فوالله إن إسلامَك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إلي من إسلام الخطّابِ لو أسلم، لأن إسلامَك سرَّ رسولَ الله ﷺ [فقال رسول الله ﷺ] «قد أجرنا من أجرتَ وأمنّا من أمنتَ فاذهب به حيثُ شئت، حتى تغْدوَ به عليَّ الغَداة»، قال: فذهبتُ به إلى منزلي ثم عدتُ به على رسول الله ﷺ فقال له: «ويحَكَ يا أبا سُفيانَ، ألم يأْنِ لكَ أن تَعلَمَ أنِّي رسولُ الله» فقال: بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك،أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس: ويحك أسلم وإلا قتلك، فأَسْلَمَ(١).

وروي أنه قال له رسول الله ﷺ : «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟» فقال: بلى بأبي أنت وأمي، قد كان يقع في نفسي أن لو كان مع الله إله لأغنى عنا شيئاً. ثم أسلم.

ثم قال رسول الله ﷺ: يا عم، اذهب به فاحبسه عند خَطْم الجبل بمضيق الوادي حتى يمرَّ عليه جندُ الله، قال العباس: فقلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ يُحِبُّ الفَخْرَ فاجعل له شيئاً يكون له فخراً له في قومه، فقال: « مَن دَخلَ دارَ أَبي سُفيانَ فهو آمِنٌ، ومَن أَغلَقَ بابَه فهو آَمِنٌ». ومضيت به إلى خَطْم الجبل وجعلتِ القبائلُ تمر به فيقول: من هؤلاء؟ فأقول سُلَيم، فيقول: مالي ولسُلَيْم، ويمر بجُهَيْنَةَ فيقول: من هذه؟ فأقول جهينة، فيقول: مالي ولجهينة، كذلك حتى أقبل موكبُ رسولِ الله ﷺ والكتيبةُ الخضراءُ وفيها رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار في الحديد لايُرى منهم إلا الحَدَقُ

---

(١) «المغازي» ٢/٨١٦ـ٨١٨ .

فقال: من هؤلاء؟ قلت: كتيبة رسول الله ﷺ فقال: لقد أوتي ابن أخيك ملكاً عظيماً، فقلت: ويحك إنما هو النبوة، فقال: نعم، فقلت: اِلحقْ بقومك فحذِّرهم، فذهب سريعاً حتى دخل المسجد فصرخ بأعلى صوته: يا معاشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به، قالوا: وما ترى؟ قال: من دخل داري فهو آمن، قالوا: ويحك فما تُغني عنا دارك؟ قال: من دخل المسجد أو أغلق بابه فهو آمن، ثم جاء ليدخل داره فقالت له هند: وراءك قبحك الله، فإنك شرُّ وافدٍ[١].

فإن قيل: فلم خص رسول الله ﷺ دار أبي سفيان؟ قلنا: لوجهين:

أحدهما: لما ذكر العباس.

والثاني: لأن النبي ﷺ كان إذا أوذي بمكة ونالت قريش منه دخل دار أبي سفيان فأَمِنَ[٢]. قال الزهري: فأراد رسول الله ﷺ مكافأته على ذلك وحَقْنَ دمِه، لأن قلوب أصحابه رضي الله عنهم كانت حَرَّى عليه.

وحكى الطبري في إسلام أبي سفيان وجهاً آخر:

عن ابن عباس قال: لقي أبو سفيان بن حرب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة رسول الله ﷺ بنيق العُقاب بين مكة والمدينة، فحجبهما، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، ابنُ عمك وصِهْرُكَ، تشير إلى أبي سفيان وأخيها عبد الله، فقال: «لا حاجة لي بهما بعدما قالا وفعلا» فخرج الخبر إليهما، وكان مع أبي سفيان ولدٌ له صغير فقال: والله لتأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموت جُوعاً وعطشاً، فأذن لهما بعدما رقَّ لهما، فلما دخلا عليه أسلما، وقال أبو سفيان أبياتاً في مدح رسول الله ﷺ منها:

وهادٍ هداني غير نفسي ونالني ... مع الله من طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ

فضرب رسول الله ﷺ بيده في صدر أبي سفيان وقال: «أنت فعلت هذا»[٣].

---

(١) «المغازي» ٢/ ٨٢٢ ـ ٨٢٣.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٦/ ٩ ـ ١٠ من حديث ثابت البناني مرسلاً.

(٣) «تاريخ الطبري» ٣/ ٥٠ ـ ٥١، وانظر «السير» ٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٨٧، وهذه القصة وردت في جميع المصادر عن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، لا ابن حرب كما عند المصنف.

قال المصنف رحمه الله: وهذه رواية شاذة.

وقد أخرج الحميدي من أفراد البخاري حديثاً: عن [هشام بن] عروة بن الزبير، عن أبيه قال: لما سار رسولُ الله ﷺ إلى مكَّةَ عامَ الفتح وبلغ ذلك قريشاً، خرج أبو سفيان وحكيمُ بن حزام وبُدَيْلُ بن ورقاء يتحسسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مَرَّ الظهران، فإذا هم بنيرانٍ كأنها نيرانُ عَرَفَةَ، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ لكأنَّها نيرانُ عرفة، فقال بديلُ بن وَرْقاء: هذه نيران بني عمرو بن عوف، يعني الأنصار، فقال أبو سفيان: هم أقلُّ من هذا، فرآهم ناس من حرسِ رسولِ الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتَوْا بهم رسولَ الله ﷺ فأسلم أبو سفيان، فلما سارَ رسولُ الله ﷺ قال للعباس: «احتَبِسْ أَبا سُفيانَ عندَ خَطْم الجبَلِ حتى يَنظُرَ إلى المُسلِمِينَ» فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمرُّ عليه كتيبةً كتيبةً، فمرت كتيبة فقال للعباس: من هذه؟ قال: غِفار، فقال: مالي ولغِفار، ثم مرت جُهينة وبنو سليم وسعد بن هُذَيْم وهو يقول كذلك، حتى أقبلت كتيبةٌ لم يَرَ مثلَها قال: من هذه؟ قال: الأنْصار عليهم سعد بن عبادة بيده الرايةُ، فلما رأى سعدٌ أبا سفيان قال له: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستَحلُّ الكعبة - والملحمة: الحربُ - فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذِّمار - بذال معجمة - يوم يحمي الإنسان أهله، كأنه تمنى ذلك، ثم جاءت كتيبة وهي أجلُّ الكتائب فيهم رسولُ الله ﷺ والمهاجرون ورايته بيد الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال له: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ما قال؟ قال: كذا وكذا، قال: «كَذَبَ سَعدٌ، ولكِنْ هَذا يومٌ يُعظِّمُ اللهُ فيه الكَعْبةَ».

وأمر رسول الله ﷺ أن تُركَزَ رايتُه بالحَجون، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل مكة من أعلاها من كَداء، ودخل رسول الله ﷺ من كُدًى، فَقُتِلَ من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان: حُبَيشُ بنُ الأشعر وكُرْزُ بنُ جابر الفِهْري. انفرد بإخراجه البخاري(١).

وقال نافع بن جبير: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام لما رَكَزَ رايته بالحَجون: يا أبا عبد الله أههنا أَمَرَكَ رسول الله ﷺ أن تركُزَ الرايةَ؟ قال: نعم(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨٠)، والحميدي في «الجمع بين الصحيحين» ٣/ ٣٢٥ - ٣٢٦.
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٦).

وفي رواية الواقدي: أَنَّ سعداً نادى أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذلَّ الله قريشاً، فقال رسول الله ﷺ: «اليومَ يومُ الرَّحمة، اليوم أَعزَّ اللهُ قُريشاً »[١].

و«كَدَاءُ»: بالمد وفتح الكاف: موضع بأعلى مكة. و«كُدَى» بضم الكاف والقَصر: موضع بأرضٍ أسفَلَ مكة. قال ابن إسحاق: قال رسولُ الله ﷺ للزبير رضي الله عنه: أقم هنا عند الحَجون بالراية ولا تبرحْ مكانك حتى آتيك، وكان في طريق خالد بنو بكر بن عبد مناف والأحابيش، كانت قريش قد استنفرتهم فمنعوا خالداً من الدُّخُول فقاتَلهم فانهزموا، وكان رسولُ الله ﷺ قد أوصى خالداً والزبير رضوان الله عليهما وقال لهما: «لا تقاتلا إلَّا من قاتلكما».

وقال الواقدي: أمر رسولُ الله ﷺ الزبيرَ أن يدخل من كَداء وسعد بن عبادة من كُدى، ولما عزم سعدٌ على الدخول سمعه رجل من المهاجرين يقول: اليوم يوم الملحمة وتُسْتَحلُّ الحرمة، فقال: يا رسول الله لا نأمن أن يكون لسعد في قريشٍ اليومَ صَوْلَةٌ؛ إنه يقولُ كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «أَدْرِكْه فخذِ الرَّاية منه وادخُلْ بها ولا تُقاتِلْ أَحداً إلَّا أَن يُقاتلَكَ»، ولما قال سعد ما قال شق ذلك على قريش، فعارضت امرأة رسول الله ﷺ وقالت[٢]: [من الخفيف]

يـا نَـبيَّ الـهـدى إلـيـك لـجـا حـيْـ ... ـيُ قُـريـشٍ ولاتَ حـيـنَ لَـجـاءِ
حـيـن ضـاقَـتْ عـلـيـهـمُ سـعـةُ الأَر ... ضِ وعـادَاهـم إلـه الـسـمـاءِ
إِنَّ سـعـداً يُـريـدُ قـاصـمـة الـظـهـ ... ـرِ بـأَهـل الـحـجـونِ والـبـطـحـاءِ
خَـزْرجـيٌّ لـو يـسـتـطـيـعُ مـن الـغـيـ ... ـظِ رمـانـا بـأَنْـجُـمِ الـعـوَّاءِ
فـانـهـيـنـه فـإنـه الأَسـد الأسـوَ ... دُ والـلـيـثُ والـغُ فـي الـدمـاءِ
فـلـئـن أَقـحـم الـلـواءَ ونـادى ... يـا حـمـاةَ الـلـواءِ يـوم الـلـقـاءِ
لـتـكـونَـنَّ بـالـبـقـاعِ قُـريـشٌ ... نـهـبـةَ الـقـاعِ فـي أكـفِّ الإمـاءِ
إنـه مـصـلـتٌ يـديـرُ لـهـا الـرأ ... يَ صَـمـوتٌ كـالـحـيَّـةِ الـرَّقـطـاءِ

(١) «المغازي» ٢/ ٨٢١ ـ ٨٢٢ .

(٢) انظر «السيرة الشامية» ٥/ ٣٣٥ ، وقد وقع اضطراب في أوراق النسخ أعدنا ترتيبها .

وَغِـرُ الـصـدر لا يَـهـمُّ بـشـيءٍ غـيـر سفـكِ الـدمـا وسـبـي الـنـسـاءِ

وقيل: إن الشعر لضرار بن الخطاب الفهري.

وروى ابن إسحاق عن أم هانئ أنها جاءت إلى فاطمة فقالت: ألا تعذريني من زوجك، استجار بي رجلان من أحمائي من بني مخزوم فزعَمَ زوجُكِ أنه يقتلُهما، فقالت فاطمة: ومالك والمشركين تجيريهم علينا، فوجَدَتْها أشدَّ من زوجها، فأتت رسول الله ﷺ فأجارهما[١].

وقال الواقدي: دخل الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة على أم هانئ يومَ الفتح فاستجارا بها، فدخل عليها أخوها علي رضي الله عنه فلما رآهما شَهَرَ السَّيْفَ عليهما، فقامت إليه أم هانئ فاعتَنَقَتْهُ وقالت: أتصنع بي هذا من بين سائر الناس لتبدأَنَّ بي قبلهما، فقال: أتجيرين المشركين؟! وخرج.

قالت: فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرته فقال: «قد أَجَرنا مَنْ أَجَرْتِ وأَمَّنَّا مَن أَمَّنْتِ» فرجعت إليهما فأخبرتهما فرجعا إلى منازلهما، فقيل لرسول الله ﷺ: هما جالسان في ناديهما، فقال: «لا سَبيلَ عليهما قَد أَمَّنَّاهُما»، ثم قال الحارث: فاستحييتُ من رسول الله ﷺ أن أراه وقد قاتلته في كل موطن، ثم أذكر بِرَّه وصِلَته فجئته مسلماً فقال: «الحمدُ لله الذي هَداكَ للإسلَامِ»[٢].

وقال الواقدي: مرَّ رسول الله ﷺ يوم الفتح وهو على ناقته وعلى رأسه المِغْفَرُ وأبو بكر رضي الله عنه إلى جانبه، فرأى بنات سعيد قد نشرن شُعورَهُنَّ وهُنَّ يَلْطمن وجوهَ الخيل بخُمُرِهِنَّ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال لأبي بكر رضوان الله عليه: أنشدني قول حسان فأنشد[٣]: [من الوافر]

تَـظَـلُّ جـيـادُنـا مُـتَـمـطِّـراتٍ يُـلَـطِّـمُـهُـنَّ بـالـخُـمُـرِ الـنِّـسـاءُ

واختلفوا إلى من دفع رسول الله ﷺ الراية على ثلاثة أقوال:

(١) «السيرة» ٢/ ٤١١.

(٢) «الطبقات» ٦/ ٨٣ ـ ٨٤.

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٣١.

أحدها: إلى علي رضوان الله عليه وقد ذكرناه.

والثاني: إلى الزبير ﷺ.

والثالث: إلى قيس بن سعد بن عبادة.

قال ابن الكلبي: قال رسول الله ﷺ لقيس: «اذهب إلى أبيك فخذ منه الراية» فجاء قيس إلى أبيه فقال: ادفع إليّ الراية فامتنع وقال: لا أسلمها إلّا بأمارة، فعاد قيس إلى رسول الله ﷺ فأخبره فدفع إليه عمامته فعرفها سعد فدفع إليه الراية[١]. قال الكلبي: فأحب رسول الله أن لا يخيب قصد المرأة ولا يشق على سعد فدفع الراية إلى ابنه.

وقال الواقدي: أمر رسول الله ﷺ خالداً أن يدخل من الليط أسفل [مكة وفيها أسلم وسليم][٢] وغفار وجهينة ومزينة، وكان خالد على المجنِّبة اليُمنى، والزبير ﷺ على اليسرى، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخِرَ فنزل بأعلى مكة وضربت له قبة هناك.

وكان صفوان بن أمية، وعكرمةُ بن أبي جهل، وسُهيل بن عمرو، وأوباش قريش والعبيدُ قد اجتمعوا بالخَنْدَمَة ليُقاتلوا رسول الله ﷺ وكان خالد في مقابلتهم فانهزموا، وكان حِماسُ بن قيس بن خالد البكري قَبْلَ مَقْدَمِ رسولِ الله ﷺ يَريشُ نَبْلاً له ويُصْلِحُه، فقالت له امرأته: لمن تصنع هذا؟ فقال: لمحمد وأصحابه، فقالت: والله ما أرى شيئاً يقوم لِمُحمدٍ، فقال: والله إني لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعض أصحابه، ثم قال:

إن يُقبلوا اليوم فمالي عِلّهْ ... هذا سلاح كاملٌ وألَّهْ

ثم شهد الخندمة، وأقبل منهزماً حتى أتى بيته، فدخل فقالت له زوجته: أين الخادم الذي وعدتني به ما زلت منتظرتك منذ اليوم؟ فقال: دعي عنك هذا، أَغْلقي بابي فمن أغلق بابه فهو آمن، فقالت: ويحك، ألم أَنْهَكَ عن قتالِ محمدٍ؟ فقال: [من الرجز]

إنك لو شهدتِ يوم الخَندمهْ

إذ فَرَّ صَفْوان وفَرَّ عِكْرِمهْ

وأبو يزيد قائمٌ كالموتَمَهْ

(١) انظر «المغازي» ٢/ ٨٢٢.

(٢) ما بين معقوفين زيادة لإيضاح النص، انظر «السيرة» ٢/ ٤٠٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٥٧.

واستقبلتهم بالسيوفِ المسلمهْ
يَقْطعْنَ كلَّ ساعدٍ وجُمجمهْ
ضرباً فلا تَسْمَعُ إلا غمغمَهْ[(١)]
لهم نَهِيتٌ خلفنا وهَمْهَمَهْ
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمهْ[(٢)]

قال هشام: دَخل رسول الله ﷺ يوم الفتح، وأُسَيد بن حُضير رضوان الله عليه في كتيبته الخضراء، على ناقته القصواء، وكان نهى عن القتال، فرأى بارقة السيوف فأرسل إلى خالدٍ وقال: أَلم أنْهَكَ عن السيفِ؟ فقال: ما وقع في أُذني إلَّا ضَعِ السيفَ، إنهم قاتلوني فقاتلتهم، فقال رسول الله ﷺ: أمر الله خيرٌ.

قال الواقدي: قُتِل من المشركين بالخَنْدَمةِ أَربعةٌ وعشرون من قريش، وأَربعةٌ من هُذَيل، واستُشهد من المسلمين ثلاثةٌ: كُرْزُ بن جابر بن حُسَيْل أبو عبد الرحمن الفِهري، وأُمه أسماء بنت مالك فِهريَّةٌ، وهو من الطبقة الثالثةِ من المهاجرين، وهو الذي أَغار على سَرْحِ المدينةِ وأخذ لقاح رسول الله ﷺ في السنة الثانيةِ من الهجرة، ثم منَّ الله عليه بالإسلام في السَّنةِ الثانية أيضاً، وشهدَ الحديبيةَ وخيبر[(٣)].

وعن أبي هريرة قال: أَقبل رسولُ الله ﷺ يوم الفتح فدخل مكَّةَ، وبعث الزبير على إحدى المجنِّبتين، وبعث خالداً على المجنِّبةِ الأُخرى، وبعثَ أَبا عبيدةَ على الحُسَّرِ، فأَخذوا بطن الوادي، ورسولُ الله ﷺ في كتيبةٍ، وقد وبَّشَت قريشٌ أَوباشَها وقالوا: نُقَدِّمُ هؤلاءِ، فإن كان لهم شيءٌ، كُنّا معهم وإِن أُصيبوا، أَعطينا الذي سُئِلنا.

قال أبو هريرة: ففطن رسول الله ﷺ فقال لي: «اهتِفْ بالأَنصارِ» فهتفتُ بهم فجاءوا فأَطافوا برسول الله ﷺ فقال: «أَلا تَرَوْنَ إِلى أَوْباشِ قُريشٍ وأَتْباعهم»؟ ثم قال

---

(١) الغمغمة: أصوات الأبطال في الحرب.

(٢) النهيت: صوت في الصدر. والهمهمة: صوت في الصدر أيضاً. وانظر الخبر في «المغازي» ٢/ ٨٢٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٥٧ - ٥٨، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٠٨.

(٣) انظر «الطبقات» ٥/ ٩٧ - ٩٨. وعند الواقدي في «المغازي» ٢/ ٨٢٨: أنهما رجلان، والثاني هو: خالد الأشعر، ويقال: حبيش بن خالد الأشعر. انظر «الطبقات» ٥/ ١٩٧ - ١٩٨.

بيدَيْهِ إحداهما على الأخرى «احصُدُوهم حَصداً حتى تُوافوني بالصَّفا» قال: فانطلقنا فما يشاء أَحد منّا أن يقتل منهم من شاء إلا قتله، وما أَحد منهم يُوجِّه إلينا شيئاً، فجاء أبو سفيان فقال: أُبيدَتْ أَو أُبيحت خَضراءُ قريش، لا قُريشَ بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «مَن أَغلَقَ بابَه فَهو آمِنٌ، ومَن دَخَل دارَ أَبي سُفيانَ فهو آمِنٌ» فغلق الناسُ أبوابهم، وأَقبل الناس إلى دار أبي سفيان، وأقبل رسول الله ﷺ [إلى] الحِجْرِ وطاف بالبيتِ وفي يده قوسٌ قد أَخَذَ بِسِيَتِهِ، فأَتى في طوافه على صنم إلى جانب البيتِ يعبدونه، فجعل يطعن بها في عينه ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ثم أتى الصفا فعلاه حيثُ ينظر إلى البيت ورفع يديه، وجعل يذكر الله بما شاء أَن يذكره ويدعوه [والأنصار تحته، قال] يقول بعضهم: أَما الرجلُ فقد أدركَتْه رغبةٌ في قرابته، ورأفةٌ بعشيرته، وجاءه الوحي، وكان إذا جاء لم يرفع أَحدٌ منا طَرْفَه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي. فلما قضى رفع رأسه وقال: «يا معاشرَ الأَنصارِ، أَقُلتُم كَذا وكَذا»؟ فقالوا: نعم، فقال: «كَلاَّ، ما اسمي إذاً، إنِّي عبد الله ورسولُه، هاجرتُ إلى الله وإليكم، فالمَحْيا مَحياكُم، والمَماتُ مماتُكم»، فأقبلوا يبكون ويقولون: والله ماقُلنا إلا ضِنًّا بالله ورسوله، فقال: «إنَّ اللهَ ورَسُولَهُ يُصدِّقانِكُم». انفرد بإخراجه مسلم[(١)].

وعن عبدالله بن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحولَ الكعبة ثلاث مئةٍ وستون صنماً، فجعل يطعنُها بعودٍ في يده ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]. أخرجاه في «الصحيحين»[(٢)].

وقال هشام: ما دخل رسول الله ﷺ مكّة إلا محرماً، إلّا في يوم الفتح فإنه دخلها وعليه السلاح. ولما استقر في المسجد طافَ وسعى وجلس في ناحية المسجد.

وعن أَبي هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ يومَ الفتح مكّةَ وعليه عمامةٌ سوداء ورايتُه سوداء ولواؤه أسود[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠)، وأحمد في «مسنده» (١٠٩٤٨)، وما بين معقوفين منه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١).

(٣) أورده الواقدي في المغازي ٢/ ٨٢٤. وأخرج مسلم (١٣٥٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام.

قال الواقدي: والتفت رسول الله ﷺ إلى بَعْضِ الأنصارِ فقال له: كيف قال حسان ابن ثابت؟ فأنشده: [من الوافر]

عَدِمنا خَيْلَنا إن لم تَرَوْها ... تُثير النَّقْع من طرفي كَداءِ[1]

وهو إقواء من أبياتٍ أَوَّلُها:

عَفَت ذاتُ الأَصابعِ فالجِواءُ ... إلى عَذْراءَ منزلُها خَلاءُ
كأنَّ سلافةً من بيتِ رأسٍ ... يكونُ مِزاجَها عسلٌ وماءُ
ونَشربُها فتَتركُنا ملوكاً ... وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنا اللِّقاءُ
عَدِمنا خيلنا إن لم تروْها ... تَسيلُ بها كُديٌّ أَو كَداءُ
يُنازِعْنَ الأعنَّةَ مُصغياتٍ ... على أكتافها الأَسَلُ الظِّماءُ
تظلُّ جيادُنا متمطِّراتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النساءُ
فإمَّا تُعْرِضُوا عنا اعْتَمرنا ... وكانَ الفَتْحُ وانكشَفَ الغِطاءُ
وإلَّا فاصبروا لِجلادِ يَوم ... يُعينُ الله فيه مَنْ يشاءُ
وجبريلٌ رسولُ الله فينا ... وروحُ القُدْسِ ليس له كِفاءُ
لنا في كلِّ يوم من مَعَدٍّ ... قِتال أو سِبابٌ أو هِجاءُ
هَجَوْتَ محمَّداً فأَجَبْتُ عنه ... وعِنْدَ الله في ذاكَ الجزاءُ
أتذكرُهُ ولستَ له بكُفءٍ ... فشرُّكُما لخيرِكُما الفِداءُ
ومَنْ يَهجو رَسولَ اللهِ مِنكم ... ويَمدَحُهُ ويَنصُرُه سَواءُ
فإنَّ أبي ووالدتي وعِرْضي ... لِعرضِ محمد منكم فِداءُ

وعن أبيّ بن كعب قال: لما كانَ يومُ أُحُدٍ قُتِل من الأَنْصار ستّون رجلاً وستّةٌ من المهاجرين، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: إن كان لنا يومٌ مثلُ هذا من المشركين لنُرْبِيَنَّ عليهم، فلما كان يوم الفتح قال رجل لا يُعْرَفُ: لا قُرَيشَ بعد اليوم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: أمِنَ الأسودُ والأبيضُ إلَّا فلاناً وفلاناً، ناسٌ سمّاهم رسول الله

---

(١) «المغازي» ٢/ ٨٢٥. ورواية «السيرة» ٢/ ٤٢٢:

عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداءُ

وعليه فلا إقواء.

ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦] الآية، فقال رسول الله ﷺ: «نَصبِرُ ولا نُعاقِبُ»(١).

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدثنا يحيى، عن حسين المعلِّم، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما فُتِحت مكَّةُ على رسولِ الله ﷺ قال: «كُفُّوا السِّلاحَ، إلا خُزاعةَ عن بَني بَكْرٍ» فأذِنَ لهم رسولُ الله ﷺ في ذلك حتى صلى العصر، ثم قال: «كُفُّوا السِّلاح» فلقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر عِنْدَ المُزْدَلِفة فقتله، وبلغ رسولَ الله ﷺ فقام خطيباً مُسْنِداً ظهرَهُ إلى الكعبة فقال: «إنَّ أَعدَى النَّاسِ على الله مَن قَتَل في الحَرَمِ، أو قَتَلَ غَيرَ قاتِلِه، أو قَتَلَ بذُحُولِ الجاهليَّةِ»(٢).

وقال الحارث بن البرصاء: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول يوم الفتح: «لا تُغزى قريش بعد هذا اليومِ إلى يوم القيامة» يعني على: كفر(٣).

ذكر حديث أَخْذِ المفتاح:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: لما دخلَ النبيُّ ﷺ يومَ الفَتْحِ إلى مكة بعث إلى أم عُثمان بن طلحة أَنِ: «ابعثِي إلينا مِفتاحَ البَيتِ» قالت: لا واللات والعزى لا أبعث به إليه، فأراد رسول الله ﷺ أن يَبعث إليها من يأخذه منها قَهْراً، فقال ابنها عثمانُ: يا رسول الله، إنها حديثة عهد بكفر فابعثني إليها، فقال له: «اذهب» فجاءها فقال: يا أماه، قد حدث أمر غير الذي كان، فإن لم تَدْفعي المِفتاحَ قُتِلْتُ أنا وأخي، فدفعته إليه، فجاء به مسرعاً، فلما دنا من رسول الله ﷺ عثر فَوقَع المفتاحُ من يده، فقام رسولُ الله ﷺ فحنا عليه وفتح الباب ودخل، فَقام عند أركان البيت وأرجائِه يدعو، ثم صلى ركعتين بين الأسطوانتين ثم خرج، فقام على الباب، فتطاول إليه العباس رجاء أن يجمع له بين السقاية والحِجابة، فقال: «يا عُثمانُ، خذ ما أعطاكم الله، خذوها خالدةً

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٢٢٩). قوله: «لنربين» أي: لنزيدن على ما قتلوا منا.

(٢) أحمد في «مسنده» (٦٦٨١). والذَّحْل: الثأر.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٤٠٤).

تالدةً لا يَنْزِعُها عنكم إلا ظالم»(١).

وفي «زاد المسير»: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ طلب مفتاحَ البيت يوم الفتح من عُثمان بن طلحة، فذهب عثمان ليعطيه إياه فقال له العباس: بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية، فكفَّ عثمانُ يده مخافة أن يُعْطِيَهُ للعباس، فقال النبي ﷺ : «يا عُثمانُ، هاتِ المفتاحَ» فأعاد العباس قوله، وكف عثمانُ يدَه، فقال رسول الله ﷺ : «هاتِ المفتاحَ إنْ كُنتَ تُؤمنُ بالله واليوم الآخِرِ» فقال: هاكه يا رسول الله بأمانة الله، ففتح البيت ودخل فنزل جبريل بهذه الآية : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾(٢) [النساء: ٥٨].

قال العلماء: هذه الآية وإن نزلت على سبب فهي عامة في الودائع وغيرها من الأمانات.

وقال الواقدي: أمر رسول اللهﷺ بلالاً أن يمضي إلى عُثمان بن طلحة ويأتيه بالمفتاح، فجاء بلال إليه وقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تأتي بمفتاح الكعبة - [ومفتاح الكعبة] يومئذ عند أمه وهي بنت شُهَيْد - فقال لها عُثمان: يا أماه إن رسول الله ﷺ قد أرسل يطلب المفتاح، فقالت له: أعيذك بالله أن تكون الذي يذهب بمأثُرةِ قومِه، فقال: لتدفعنَّه إلي أو ليأتينك غيري فيأخذه منك، فأدخلته في حُجْزَتها وقالت: أي رجل يدخل يده هاهنا؟، فبينما هما على ذلك إذ سمع صوت أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما في الدار وعمر يقول: اخرج يا عُثمان، فقالت أمه: يا بنيَّ خُذْهُ أنت أحب إلي من أن يأخذه غيرك، فأتى به رسولَ الله ﷺ فناوله إياه... وذكر الحديث(٣).

قال الواقدي: وقد سمعت في المفتاح وجهاً آخر عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أقبل رسول الله ﷺ [يوم الفتح على بعير لأسامة بن زيد، وأسامة رديف رسول الله ﷺ ومعه

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٨٠٥٥)، وأخرج عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٠٧٣) من حديث الزهري بنحوه. وأخرج الطبراني (١١٢٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم» وانظر «السيرة الشامية» ٥/ ٣٥٧ .

(٢) «زاد المسير» ٢/ ١١٤ .

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٣٣، والحُجْزَةُ: مَعقدُ السراويل والإزار. اللسان (حجز).

بلال وعثمان بن طلحة، فلما بلغا رأس الثنية أرسل عثمان فجاءه بالمفتاح فاستقبله به، قالوا: وكان عثمان قدم على رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص مسلماً قبل الفتح، فخرج معنا من المدينة[١].

وقال الواقدي: وكان رسول الله ﷺ قد قبض السقاية من العباس وقبض المفتاح من عثمان، فلما جلس قال: «ادعوا إليَّ عثمان» فدعي له عثمان بن طلحة، وكان رسول الله ﷺ] قد قال لعثمان بن طلحة يوماً بمكة وهو يدعوه إلى الإسلام والمفتاح بيد عُثمان: «لعلَّكَ يا عثمانُ ترى هذا المفتاح بيَدِي أَضَعه حيثُ شِئتُ»، فقال له عثمان: لقد هَلكَت قُريشٌ وذلَّت، فقال رسول الله ﷺ: «بَل عَمَرَتْ وعَزَّت». فلما دفع إليه المفتاح وولى ناداه رسول الله ﷺ فقال له: «يا عُثمان، أَتَذكُر يَومَ كَذا وكَذا؟» فذكر عثمان فقال: أشهد أنك رسول الله[٢].

وعن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ يوم الفتح فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال: «أَيُّها الناسُ، إِنَّكم مِن آدَمَ وآدَمُ من التَّرابِ» ثم قرأ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[الحجرات: ١٣] ثم قال: «يا مَعاشِرَ قُريشٍ، ماذا تَرونَ أنِّي فاعِلٌ بِكُم؟» قالوا: خيراً، قال: «اذهَبُوا فَأَنتُمُ الطُّلَقاءُ». فأعتقهم رسولُ الله ﷺ وقد كان الله أمكَنَهُ من رِقابهم وكانوا قباله، فلذلك يسمون الطلقاء[٣].

ثم قال: «ألا كل دَيْن ودَمٍ ودَعْوى ومأْثُرةٍ كان في الجاهلية فهو تحت قدمي، وأول ما أَضَعُ دمَ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب»[٤] وذكر بمعنى ما ذكر الواقدي ثم قال: «يا معاشر قريش قد أذهب الله عنكم نَخْوَةَ الجاهلية».

وابن ربيعة بن الحارث اسمه آدم، وقيل: إياس، وقيل: تَمَّام، كان مسترضعاً في بني سعد أصابه حجر فقتله.

قال ابن عباس: إنما خطب بعد الظهر، وفي رواية: خطب في اليوم الثاني.

(١) «المغازي» ٢/ ٨٣٣ ـ ٨٣٤ .

(٢) «المغازي» ٢/ ٨٣٧ ـ ٨٣٨ ، وما بين معقوفين زيادة منه .

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٤١٢ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٦١ .

(٤) هذا الحديث إنما هو في حجة الوداع لا في الفتح كما أخرجه مسلم (١٢١٨) .

قال عكرمة: حدثني ابن عباس قال: وقف رسولُ الله ﷺ بالحَزْوَرةِ وقال: «واللهِ إنَّكِ لَمِنْ أَحَبِّ أَرْضِها إليَّ، وإنَّكِ لخيرُ البلادِ أو لَخيرُ أرضِ اللهِ، ولَولا أنَّ قومَكِ أَخرَجُوني مِنْكِ لَما خَرَجتُ»[(١)]. «و إنَّما أُحِلَّت لي ساعةً مِن نَهارٍ، وقَد عادَت كحُرْمتِها بالأمسِ»[(٢)].

وعن أبي هريرة قال: لما فتح الله على رسوله مكة قام فيهم فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنَّ اللهَ حَبَسَ عن مكَّةَ الفيلَ، وسَلَّطَ عليها رسُولَه والمؤمنِينَ، وإنَّما أُحِلَّت لي ساعةً مِن نهارٍ»، ثم قال: «هي حَرامٌ إلى يَومِ القِيامَةِ لا يُعْضَدُ شَجَرُها، ولا يُنَفَّر صَيدُها، ولا تَحلُّ لُقَطَتُها، ومَن قُتِلَ له قتيلٌ فهو بخير النظرين: إمَّا أن يفدى، وإمَّا أن يَقْتُلَ». فقام رجل من أهل اليمن يقال له: أبو شاه، فقال: يا رسول الله، اكتبوا لي. فقال: «اكتبُوا لأبي شاهٍ». قيل: للأوزاعي: ما قوله: اكتبوا لي؟ ما يكتبون له؟ قال: خطبته التي سمعها. متفق عليه[(٣)].

صعود بلال على ظهر الكعبة:

فأذَّنَ وصعد وقريش في رؤوس الجبال، منهم الخائف ومنهم من يطلبُ الأمان، فلما قال: «الله أكبر» تزعزت بيوتُ مكة، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» خرَّت الأصنام سجَّداً، فلما قال: «وأشهد أنَّ محمداً رسول الله» تقول جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع نهيق عَبْدِ بني جُمَح على ظهر الكعبة، قد لعمري رفع لك ذكرك، أما الصلاةُ فنصلي، ولكن والله ما نحب من قتل الأحبة أبداً. وقال خالد بن سعيد بن العاص: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم ير هذا اليوم ولم يسمع هذا الصوت. وقال الحارث بن هشام: واثكل أُماه ليتني مِتُّ قَبل اليوم. وقال الحكم بن مروان: هذا والله الحدث العظيم، أن يصيح عبد بني جمح ينهق على بنيَّة أبي طلحة.

وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطاً من الله فسيُغيّره، وإن كان لله فيه رضى

---

(١) لم نقف عليه من حديث ابن عباس، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٧١٥) من حديث عبد الله بن عدي الزهري ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤) من حديث أبي شريح العدوي ﷺ.

(٣) البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥).

فسيقره. وقال أبو سفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصاة، وجاء رسولَ الله ﷺ الوحيُ بما قالوا، فجاء إليهم ووقف عليهم وقال: أنتَ قلت كذا وأنت قلت كذا، فقال أبو سفيان: وأنا قلتُ شيئاً؟ فقال: لا، وضحك[١].

وقالت أم هانئ: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ يوم الفتح فوجدته يغتسل وابنته فاطمة تستره بثوب، فسلَّمتُ عليه، فقال: «مَن هذِه؟» فقلت: أنا أم هاني بنت أبي طالب. فقال: «مَرحَباً يا أُمَّ هانئ». فلما فرغ من غُسْلهِ قام فصلى ثماني ركعات مُلتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف من صلاتِه قلتُ: يا رسول الله، زعم ابنُ أبي أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرتُه، فلانُ بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أَجَرْنا مَن أَجَرْتِ يا أُمَّ هانئ». وكان ذلك ضُحىً. أخرجاه في «الصحيحين» ولمسلم بمعناه[٢].

وعنها قالت: لما فتح الله على رسولِه مكَّة فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم، فأَجَرْتُهما وأدخلتُهما بيتي، فجاء أخي فقال: لأقتلنهما، فقلت: إني قد أجرتُهما، وأَغلقتُ عليهما بابي، ثم جئت رسولَ الله ﷺ بأعلى مكَّة فوجدته يغتسل من جَفْنَةٍ فيها من أَثر العَجين، وابنته فاطمة تسترُه بثوبٍ، فلما فرغ من غُسْلِه أخذ ثوبه فتوشحه، ثم ركع ثماني ركعات من الضحى، ثم أقبل عليّ وقال: «مَرحَباً وأَهلاً يا أُمَّ هانئ، ما جاءَ بكِ؟» فأخبرته الخبر فقال: «لَيسَ بقاتِلِهما»[٣].

ذِكْرُ النفرِ الذين أَباح رسول اللهِ دِماءَهم:

وهم أَنس بن زُنَيم بن عمرو بن عبد الله من كنانة، وهو أخو ساريةَ بنِ زُنَيمٍ صاحب وقعة نهاوَنْد، والحارثُ بنُ نُقَيد، وصفوان بن أُمية، وعبدُ الله بن خَطَل، وعبد الله بنُ سعد بن أبي سَرْح، وعكرمةُ بن أبي جهل، ومِقْيَسُ بن صبابةَ، ووحشي قاتل حمزة، وهَبّار بن الأَسود.

ومن النساءِ: سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب، وفَرْتنى، وقُرَيبَةُ، وهند

(١) انظر «المغازي» ٢/ ٨٤٦ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٢/ ٤٥٢ ، وأحمد في «مسنده» (٢٦٨٩٢) .

بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب.

فأما أنس بن زنيم فكان قد نقل إلى رسول الله ﷺ أنه قد هجاه، فقال يعتذر[١]:

[من الطويل]

أَأَنتَ الذي تُهدى مَعَدٌّ بأمرِهِ بلِ الله يَهديها وقال لَكَ اشهَدِ
فما حَمَلَت مِن ناقَةٍ فَوقَ رَحْلِها أبرَّ وأَوفَى ذِمَّةً مِن مُحمَّدِ
أَحثَّ على خيرٍ وأوسعَ نائلاً إذا راحَ يهتزُّ اهتزازَ المهنَّدِ
وأكسى لبُرْدِ الخالِ قبلَ احْتِذائِهِ وأعطى لرأسِ السابحِ المتجَرِّدِ
تعلم رسولَ الله أنَّكَ مُدْركي وأنَّ وعيداً مِنْكَ كالأَخْذِ باليدِ
تعلَّمْ رسولَ اللهِ أنكَ قادرٌ على كلِّ سكنٍ من تِهامٍ ومُنْجِدِ
ونُبِّي رسولُ الله أني هَجَوْتُه فلا رفَعَتْ سَوْطي إليَّ إذاً يدي
سوى أنني قد قلتُ يا ويحَ فِتْيةٍ أُصيبوا بنحسٍ يومَ طَلْقٍ وأَسْعُدِ
ذُؤَيباً وكُلثوماً وسَلمى تَبايَعُوا جميعاً فإلَّا تَدمعِ العينُ أكْمَدِ
على أن سَلْمى ليس فيهم كمِثْلهِ وإخوته أَوْ هَلْ ملوكٌ كأَعْبُدِ
فإنِّيَ لا عِرضاً خَرَقْتُ ولا دَماً هرقت، ففكّر عالم الحق واقْصُدِ
وتعلم أن الركبَ ركبُ عُوَيْمرٍ هُمُ الكاذِبُونَ المُخْلِفُو كلَّ مَوْعِدِ

يشير إلى خزاعة وما نَقلوا إلى رسول الله ﷺ عنه، عَنَى ذؤيباً وكُلثوماً وسَلمى وكانوا من سادات العرب يُدَوْنَ بدِيَتَيْنِ لفضلهم في بني بكر، وهم: بنو الأسود بن رَزْن مروا على خزاعة فقتلوهم عند أنصاب الحرم، فكانوا سبباً لإعانةِ قريشٍ على خُزاعةَ[٢].

لما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إن أنس[٣] بنَ زُنَيْم الدِّيلي هجاك، فأهدر دمه، فلما قال هذه الأبيات كلَّمه فيه نوفل بن معاوية الدِّيلي سيِّدُ بكر، وقال: يا رسول الله كذبتْ عليه خزاعةُ، وأطنب فيه، فقال رسول الله ﷺ: «قد عفوت عنه».

(١) السيرة ٢/ ٤٢٤، والمغازي ٢/ ٧٨٩، والطبقات ٦/ ١٥١ـ١٥٢.
(٢) انظر «السيرة» ٢/ ٤٢٤، وطبقات ابن سعد ٦/ ١٥١.
(٣) في النسخ: أنيس، والمثبت من السيرة ٢/ ٤٢٤.

وقال بُدَيْل بن أَصْرَم يرد على أنس[١]: [من الطويل]

بكى أنسٌ رَزْناً فأعوزه البُكا ... وأشفق لَمَّا أوقَد الحربَ مُوقِدُ

ويبكي على سلمى وكلثومَ بعدَه ... سقاهم بكأس الموت قيسٌ ومَعْبَدُ

* * *

وأما الحارث بن نقيد[٢] بن وهب بن عبد بن قصي بن كلاب، ويقال له: الحويرث، كان شديداً على رسولِ الله ﷺ يهجوه ويهجو أصحابه ويؤذيه، فلقيه علي رضي الله عنه يوم الفتح فقتله كافراً[٣].

وكان له ولد اسمه جبير بن الحارث من التابعين، قال الواقدي: أدرك رسول الله ﷺ ولم يرو عنه شيئاً. وقال ابن عبد البر: في صحبته نَظَر[٤]. وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، روى عن أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما وغيرهما، وروى عنه عروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهما، شهد اليرموك، فسمع صائحاً يصيح: يا خيل الله اركبي، يا معاشر المسلمين هذا يوم من أيام الله تعالى قاتلوا فيه بلا حياء. قال: فتأملتُه فإذا به أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد.

* * *

وأما صفوان بن أمية فهرب يوم الفتح حتى أتى الشُّعَيْبَةَ ومعه غلامه يَسار فقال له: ويحك انظر من تَرى، فنظر فقال: هذا عمير بن وهب، فقال صفوان: ما أصنع بعمير، والله ما جاء إلا يريد قتلي، قد ظاهر محمداً فلحقه، فقال: يا عمير ما كفاك ما صنعت

---

(١) لم نقف على هذين البيتين بهذه الرواية في المصادر، ورواية «السيرة» ٢/ ٤٢٥:

بكى أنس رزناً فأعوله البكا ... فألّا عدياً إذ تُطَلُّ وتُبعَدُ

بكيتَ أبا عبس لقرب دمائها ... فتُعذِرَ إذ لا يوقد الحرب مُوقد

أصابهم يوم الخنادم فتية ... كرامٌ فَسَل منهم نفيل ومعبد

هنالك إن تسفح دموعك لا تلم ... عليهم وإن لم تدمع العين فاكمدوا

(٢) في النسخ: «معبد» والمثبت من «الطبقات» ٧/ ٥ في ترجمة ابنه جبير.

(٣) انظر «المغازي» ٢/ ٨٥٧، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٣١.

(٤) «الاستيعاب» بهامش الإصابة ١/ ٢٣٢.

بي؛ حمَّلْتني دَيْنَكَ وعيالَكَ وجئت تريدُ قتلي، فقال: أبا وهب، جُعِلْتُ فِداكَ جئتك من عندِ أبرِّ الناس وأوصلِ الناس وقد أمَّنَك، فقال: والله لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامةٍ أَعْرِفُها، فرجع وقال: يا رسول الله قال كذا وكذا، فقال: «خذ عِمامتي» وهي البُرْدَةُ التي دخل بها رسولُ الله ﷺ يوم الفتح مُعْتَجِراً بها، فعاد بها إليه فجاء معه فوافى النَّبي ﷺ وهو يُصلِّي العصرَ، فوقف حتى سلَّم وناداه: يا محمد إن هذا جاء ببردك وزعم أنك أَمَّنْتَني فقال: «نعم أبا وهب»، فأقام مع رسول الله ﷺ على حاله حتى خرج معه إلى هَوازن وهو كافِرٌ.

وأرسل إليه رسول الله ﷺ يستعير سلاحاً، فقال: أطَوْعاً أو كُرْهاً؟ قال: «بل عارِيَّة مؤداة» فأعاره مئة دِرْعٍ وسلاحاً وحمله إلى حنين وشهد حنَيْناً والطائِفَ وهو على شركه، ثم رجع إلى الجِعْرانة، فبينما رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها وصفوان معه، فجعل ينظر إلى شِعْبٍ مُلئ نَعَماً وشاءً ورِعاءً، فأدام النظر إليه ورسول الله ﷺ يرمُقه فقال: «أبا وَهبٍ، يُعجبُكَ هذا الشِّعْبُ؟» قال: نعم فقال رسول الله ﷺ: «هُوَ لَكَ وما فِيهِ»، فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفسُ أحدٍ بمثل هذا إلا نفسُ نبي، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأسلم مكانه[(١)].

وكانت تحته فاختةُ بنت الوليد بن المغيرة، فأسلمت قبله ففرَّقَ الإسلامُ بينهما، فلما أسلم رُدَّت عليه بالنِّكاح الأول[(٢)]، وقيل: بنكاحٍ جديد.

وأما عبدُ الله بنُ خَطَل فقال أنس: دخل النبيُّ ﷺ يومَ الفتح مكَّة وعلى رأسه المِغْفَرُ، فلما نزعه جاءه جبريل فقال: ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «اقْتُلُوه» فقتلوه[(٣)].

قال أبو بَرْزَةَ الأسلمي: أخرجتُه من بين أَستار الكعبةِ فضربت عنقه بين الركن والمقام، وهربت قَيْنتاه، فقُتِلَت إحداهما وعاشت الأخرى إلى زمن عثمان رضوان الله

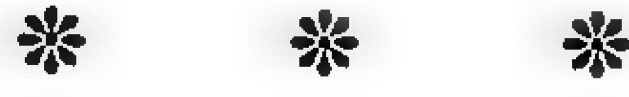
---

(١) «المغازي» ٢/ ٨٥٣، و«الطبقات» ٦/ ١١١ ـ ١١٢، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٣٥، و«المنتظم» ٥/ ٣٣٢، و«تاريخ دمشق» ٢٤/ ١١٢، و«السيرة الشامية» ٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٢) «الطبقات» ٦/ ١١١.

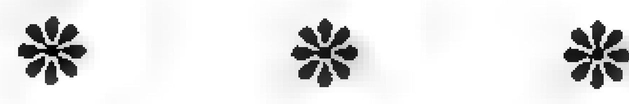
(٣) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧).

عليه، فكُسِرَ ضِلَعٌ من أضلاعها فماتت فقضى عثمان فيها بثمانية آلاف درهم، الستة آلاف دِيَتُها وألفين تعظيماً لأَمْرِ الجنايةِ في الحرم(١).



وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فأمه مُهانةُ بنت جابر من الأشعريين، قدمت على رسولِ الله ﷺ مسلمة، فأحسن إليها ووصلها، فعادت إلى مكة مرتدة تهجوه وتهجو المسلمين، فصادفها علي رضوان الله عليه يوم الفتح فقتلها(٢).

وعبد الله أخو عثمان رضوان الله عليه من الرَّضاعة، فلما كان يومُ الفتح جاء إليه وقال: أنت أخي من الرضاعة فكلِّمْ محمداً فِيَّ، فإنه إن رآني قتلني، فإن ذنبي أعظم الذنوب. فلم يُرَعْ رسولُ اللهِ ﷺ إلا وعثمانُ رضي الله عنه آخذٌ بيد عبد الله فقال: يا رسولَ الله، أخي من الرَّضاعة، فأعرض عنه، فردَّد عليه الكلام وأكبَّ عليه يقبِّلُ رأْسَه ويقول: فداك أبي وأمي، قال: «نعم» وكان رجلٌ من الأنصار نذر أن يقتله وكان حاضِراً، فقال له رسول الله ﷺ: «هلَّا وَفَّيتَ بنَذرِكَ» فقال: انتظرتك أن تومئ إليَّ، فقال: «الإيماءُ خيانةٌ، ما كانَ لنبيٍّ أَنْ يُومئَ»(٣).



وأما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب يوم الفتح، فاستأمنت له زوجته رسولَ الله ﷺ فأمَّنَه، فخرجت في طلبه، وكان قد ركب البحر فهبَّ بهم فجعل النَّواتي يَدْعون الله ويُوَحِّدونَه فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله تعالى، فقال: هذا إله محمد الذي يدعو إليه فأرجعوني، فرجع ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ومعه امرأته فقال: إلامَ تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة... وعدَّ له خصال الإسلام. فقال عكرمة: والله ما دعوتَ إلَّا إلى

---

(١) «المغازي» ٢/ ٨٥٩ ـ ٨٦٠ .

(٢) لم نقف في مصدر من المصادر أن علياً قتل مهانة ولا أنها قتلت ولا أسلمت، وإنما ذكر البلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ أن الذي قتلها علي يوم الفتح هي سارة صاحبة كتاب حاطب، وذكر صاحب «السيرة الشامية» ٥/ ٣٤١ أنها أسلمت وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب. والله أعلم.

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٥٥ ـ ٨٥٦ ، و«الطبقات» ٦/ ١٣٠ ـ ١٣١ .

الحق. ثم أسلم، وردَّ عليه رسول الله ﷺ امرأته بالنكاح الأَول(١).

وأما مِقْيسُ بن صبابة فكان رسول الله ﷺ أهدر دمه، فلما كان يومُ الفتحِ شرب الخمرَ وأصبح مصطبحاً في ندامى له، فعلم بمكانه نُميلةُ بنُ عبد الله فأتاه فوجده يترنم: [من الوافر]

دَعِيني أَصطَبِح بَكْراً فَإنِّي ... رَأيتُ الموتَ نقَّبَ عن هشامِ
ونَقَّب عن أَبيك أبي يزيدِ ... أَخي القَيْناتِ والشَّرْبِ الكِرامِ
بهم أَرسَت رَواسِيَ من ثَبيرٍ ... ومن ثَوْرٍ ولم يُصْمم صَمامِ
تُغنيني الحمامُ كأنَّ رَهْطي ... خُزاعةُ أو أناسٌ من جُذامِ

قال: فبادره نُميلةُ فضربه بالسيف حتى برد.

ويقال: إنه خرج وهو يتمثل بين الصفا والمروة، فرآه المسلمون فقتلوه(٢).

* * *

وأما وحشي فهرب إلى الطائف، ثم قدم على رسول الله ﷺ مُسْلِماً(٣).

* * *

وأما هبَّار بن الأسود فكان رسول الله ﷺ أهدر دمه فهرب يوم الفتح.

قال جبير بن مطعم: كنت جالساً معَ رسول الله ﷺ في مسجده بالمدينة منصرفه من الجِعِرَّانةِ فطلعَ هبَّارُ بن الأسود، فنظر إليه القوم وقالوا: هذا هبَّارٌ، فقال رسول الله ﷺ: «قَد رَأَيتُه»، وأراد بعض القوم أن يقوم إليه، فقال له رسول الله ﷺ: «اجْلِس» فوقف عليه هبار وقال: السلام عليك يارسول الله، وذكر الشهادتين، ثم قال: لقد هربت منك في البلاد وأردت اللحاق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وفضلك وبرك وصفحك، واعتذر طويلاً فقال رسول الله ﷺ: «قد عَفوتُ عنك، وقد أحسنَ الله إليكَ إذ هَداكَ للإسلامِ، والإسلامُ يَجُبُّ ما قَبلَهُ». وخرجت سلمى مولاةُ رسول الله ﷺ فقالت: لا أنعم

---

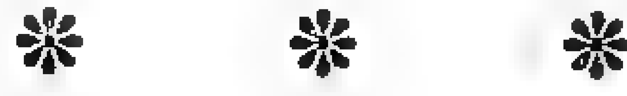
(١) «المغازي» ٢/ ٨٥١ ـ ٨٥٢، و«الطبقات» ٦/ ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) «المغازي» ٢/ ٨٦٠ ـ ٨٦١. وفيه أنه خرج وهو ثمل فيما بين الصفا والمروة

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٦٢ ـ ٨٦٣.

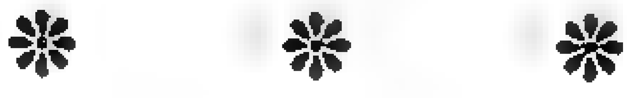
الله بك عيناً، أنت الذي فعلت وفعلت، فقال: «إنَّ الإسلامَ مَحا ذلكَ»(١).

ونهى رسول الله ﷺ عن سبِّه وقال له: «سُبَّ من سَبَّكَ»(٢).



وأما هند بنت عتبة فأسلمت.

ولما قتل النفر الذين عيَّنهم رسولُ الله ﷺ سُمع النوح عليهم بمكة، وجاءه أبو سفيان بن حرب فقال: فداك أبي وأمي، البقيةَ على قومك، فقال رسول الله ﷺ: «لا يقتل قرشي بعد اليوم صبراً» يعني: على كفر(٣).



وطُلبَ عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرى فهرب إلى نجران، فحصنوا حصنهم، وأرسل حسانُ بن ثابت إلى ابن الزِّبَعْرى بأبيات منها: [من الكامل]

لا تَعدَمَنْ رَجُلاً أحلَّكَ بُغْضُه ... نَجرانَ في عيشٍ أحَذَّ لئيمِ

بَلِيَتْ قَناتُكَ في الحروبِ فأُلفِيَتْ ... خَمّانةً جوفاءَ ذاتَ وُصومِ

غَضَبُ الإلهِ على الزِّبَعْرى وابنه ... وعذابُ سُوءٍ في الحياة مقيمِ

فلما وقف على الأبيات تهيَّأ للخروج، فقال له هبيرة: أين تريد؟ قال: محمداً، قال: تتبعه؟ قال: نعم، قال: يا ليت أني رافقتُ غيرك، والله ما ظننت أنك تتبع محمداً أبداً، قال: على أيّ شيء أُقيمُ عِنْدَ الحارثِ بن كعب وأدع ابن عمي خير الناس وقومي وداري، وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، والحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد عاديتك وأَجْلَبْتُ عليك، وركبت الفرس والبعير، ومشيت على قدمي في عداوتك، ثم هربت منك إلى نجران . . . واعتذر، فقال رسول الله ﷺ: «الحمدُ للهِ الذي هَداكَ إلى الإسلامِ، والإسلام يَجُبُّ ما قَبْلَهُ»(٤).

---

(١) «المغازي» ٢/ ٨٥٧ ـ ٨٥٨، و«الطبقات» ٦/ ٦٠ .

(٢) «المغازي» ٢/ ٨٥٩، و«الطبقات» ٦/ ٦٢ .

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٦٢، والحديث أخرجه مسلم (١٧٨٢) من حديث مطيع بن الأسود.

(٤) «المغازي» ٢/ ٨٤٧ ـ ٨٤٨، و«الطبقات» ٦/ ١٠٨ ـ ١٠٩ .

وقال لما أسلم(١): [من الكامل]

مـنـعَ الـرُّقـادَ بـلابـلٌ وهـمـومُ والـلـيـلُ مـعـتـلـجُ الـرواقِ بَـهـيـمُ
مِـمّـا أَتـانـي أَنَّ أَحـمـدَ لامَـنـي فـيـه، فـبـتُّ كـأَنَّـنـي مـحـمـومُ
يا خَيْرَ مَنْ حملتْ على أَوصالِها عـيـرانـةٌ سُـرُحُ الـيـديـن غَـشُـومُ
إِنِّـي لـمـعـتَـذِرٌ إلـيـك مـنَ الـذي أَسْـدَيْـتُ إِذْ أَنـا فـي الـضـلالِ أَهـيـمُ
أَيـام تـأمـرنـي بـأسـوأ خُـطَّـةٍ سَـهْـمٌ وتـأمـرنـي بـهـا مـخـزومُ

وأما هُبيرة فأقام بنجران ومات بها كافراً.

وأسلمت أم هانئ فكتب إليها لَمّا بلغه إسلامُها في أبيات(٢):

فـإن كـنـتِ قـد تـابـعـتِ ديـنَ مـحـمَّـدٍ وقـطَّـعَـتِ الأَرحـامَ مِـنـك حِـبـالُـهـا
فكوني على أعلى سحوق بهضبةٍ مُـلَـمْـلَـمـةٍ حَـمـراءَ يَـبْـسٍ بـلالُـهـا

* * *

وأما سهيل بن عمرو فقال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة أغْلَقْتُ بابي، وأرسلت إلى ابني عبد الله أن يطلب لي جواراً من رسولِ الله ﷺ فإني لا آمن القتل، وجعلتُ أتذكَّرُ آثاري وما فعلتُ يوم الحُدَيْبِيَةِ، وقتال رسولِ الله ﷺ في كلِّ مَوْطنٍ، وطلب لي عبد الله أماناً، فقال رسول الله ﷺ: «هو آمن» وقال لمن حوله: «من لقي منكم سُهَيْلاً فلا يُحِدَّ النظر إليه، فإن له عَقْلاً وشَرفاً وَلْيَخْرُجْ من بيته آمناً»، فأخبره ابنه بمقالةِ رسول الله ﷺ فقال سهيل: كان والله بَرًّا صغيراً وكبيراً.

وكان سهيل يُقْبِلُ ويُدْبِرُ ولا ينظر إليه أحد، وخرج مع رسول الله ﷺ إلى حُنين وهو كافر فأسلم بالجِعِرَّانة(٣).

ذِكْرُ مُبايعةِ النِّساء:

قال أبو حبيبة مولى الزبير: لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة، وأم حكيم

(١) الأبيات في «السيرة» ٢/ ٤١٩ .

(٢) الخبر في «السيرة» ٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ ، و«المغازي»، ٢/ ٨٤٨ ـ ٨٤٩ .

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٤٦ ـ ٨٤٧ ، و«الطبقات» ٦/ ١٢٣ .

بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل، وكلثوم بنت المعدل كنانية امرأة صفوان بن أمية، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، ونسوةٌ من قريش، فأتين رسول الله ﷺ وهو بالأَبْطح وعنده زوجتاه وابنته فاطمة ونساء من بني عبد المطلب فبايعنه، فقالت هند: يارسول الله، الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه، لتمسني رَحِمُك يا محمد، فإني امرأة مؤمنةٌ بالله، ثم كشفت عن نقابها وقالت: هند بنت عتبة، فقال لها: «مَرحباً بكِ» فقالت: والله يا رسول الله، ما كان على الأرض من أهل خِباء أَحبُّ إلي من أن يَذِلّوا من خِبائك، ولقد أصبحتُ وما على الأرض من أهل خِباء أحبُّ إِليَّ من أن يَعِزُّوا من أهل خبائك. فدعا لها رسول الله ﷺ وقرأ عليهن القرآن وبايعهن، فقالت هند: يا رسول الله ألا نصافحك؟ فقال: «إنِّي لا أُصافِحُ النِّساءَ»[1].

وقال الهيثم: جاءت هند متنكرة في النساء إلى الصفا ورسول الله ﷺ جالس عنده، وعمر بن الخطاب رضوان الله عليه قائم على رأسه وبيده السيف صَلْتاً، فبايعه الناس وهند قد أرسلت خِمارَها على وجهها خوفاً من القَتْلِ، فقال رسول الله ﷺ: «أبايعكُنَّ على أَن لا تُشرِكنَ باللهِ شَيئاً». قلْنَ: نَعم. قال: «ولاتَزْنين». فقالت هند: وهل تزني الحرَّة. فقال: «ولا تَسْرِقنَ ولا تَقْتُلنَ أَولادكُنْ». فقالت: أما الأولاد فإنا ربَّيْناهم صغاراً وقتلتموهم كِباراً، وأمَّا السَّرقة فقد كنت أصبتُ من مال أبي سفيان ولا أَدري أيحلُّ لي ذلك أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: «وإنَّكِ لهِنْدٌ؟». قالت: نعم. فقال: «مَرحباً و أَهْلاً». وكان أبو سفيان حاضِراً فقال: أما ما مضى فأنت منه في حِلٍّ، ومنَ الآن فلا. فقالت: يا رسول الله اعف عني. فقال: «عَفا الله عنكِ»[2].

وهذا بمكة، وأمَّا في المدينة فقد بايعه معظم نساء الأنصار.

ولما أسلمت هند كَسَرَت كلَّ صنم كان في بيتها وقالت: لقد كنا منهم في غرور، وأهدت إلى رسول الله ﷺ جدْيَينِ مَرْضُوفَيْن وسقاء من لبن، فأتت الجارية خيمته فاستأذنت، فأذن لها فدخلت وسلمت وقالت: إن مولاتي أرسلت إليك بهذه الهدية وهي معتذرة إليك، وتقول: إن غنمنا اليوم قليلة.

---

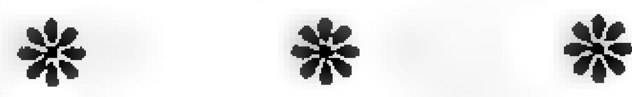
(١) «الطبقات» ١٠/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ٦١ ـ ٦٢ .

فقال رسول الله ﷺ: «بارَكَ اللهُ لكُم في غَنَمِكُم وأكثَر أولادَها». فرجعت الجارية إليها فأخبرتها فَسُرَّت بذلك(١).

ذكر إسلام أبي قُحَافة:

قالت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ ﷺ: لما كان عامُ الفتح ونزل رسول الله ﷺ بذي طوى، قال أبو قحافة لابنة له صغيرةٍ أصغر ولده: يا بُنَيَّةُ أشرفي بي على أبي قُبَيْسٍ، وكان قد كُفَّ بَصرُه، فأشرفت به عليه فقال: ماذا تريْن؟ فقالت: أرى سواداً مُجْتمعاً وأرى رجلاً يَشْتَدُّ بين ذلك السواد، فقال: تلك الخيل، أسرعي بي إلى منزلي، فخرجت به سريعاً حتى هبطت الأَبْطح، فلقيتها الخيل وفي عنقها طوق من وَرِق فاقتطعه إنسان من عُنقها، فلما دخل رسولُ الله ﷺ المسجد خرج أبو بكر رِضوانُ الله عليه فجاء بأبيه يقودُه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «وهلّا تركتَ الشيخَ في بيته حتى كنتُ أَجيئُه»، فقال: يا رسول الله، هو أحق أن يمشيَ إليك، فأجلسه بين يديه ثم مسح على صدره وقال: «أَسلِمْ تَسْلَم» فأسلم، ثم قام أبو بكر رضوان الله عليه فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلامَ رجلاً رأى طوق أختي فردَّه، قالها مراراً، فما أجابه أحد فقال: يا أُخَيَّةُ احتسبي طوقكِ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقَليل(٢).



وجاء أبو أحمد الأعمى بن جحش إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني لما هاجرتُ إلى الله ورسوله باع أبو سفيان داري بأربع مئة دينار وأُريدُ ثمنَها، فكان أبو سفيان حاضراً، فقال له رسول الله ﷺ: «أَلا تَرضى بها داراً في الجنَّةِ؟» قال: بلى(٣).

ذكر إسلام عُتْبَةَ ومُعتِّب ابني أَبي لهب:

وأمهما أم جَميل بنت حَرْب، حَمَّالة الحطب، قال رسولُ الله ﷺ يوم الفتح للعباس

(١) «المغازي» ٢/ ٨٦٨ ـ ٨٦٩.
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٩٥٦) دون قوله: فو الله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل.
(٣) «الطبقات» ٤/ ٩٦.

رضي الله عنه: «أينَ ابنا أَخيكَ عُتْبةُ ومُعتِّبٌ»؟ فقال: حاضران، فجاء بهما فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ بإسلامهما، وخرجا معه من فوره وشهدا حنيناً وثبتا، وأصيبت عين مُعتِّبٍ يوم حنين، وأقاما بمكة بعد الفتح، ولم يقم بها أحد من بني هاشم سواهما(١).

ولما دخل رسولُ الله ﷺ مكة قيل له: ألا تنزلُ بَعْضَ بيوتك؟ فقال: «وهل ترك لي عَقيلٌ من منزل»(٢).

وكان عَقيلٌ قد باع منزل رسول الله ﷺ ومنازل بني هاشم، فضربت لرسول الله ﷺ قُبَّةٌ بالحَجون، فكان يمشي من الحَجونِ إلى المسجد وقتَ كل صلاة.

وقال ابن عباس: كان لرسولِ الله ﷺ صديقٌ من ثقيف أو دوس، فلقيه يوم الفتح براويةٍ من خمر، فقال له رسول الله ﷺ: «أَما عَلِمتَ أنَّ اللهَ حَرَّمَها»؟ فسارَّ غلامه بشيء، فقال له رسول الله ﷺ: «ما الذي قُلْتَ له؟» قال: قلت له: اذهب بها إلى الزورة فبعها، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الذي حَرَّمها حَرَّم ثَمَنَها» فأمر بها فأُفْرِغَتْ بالبطحاء. انفرد به مسلم(٣).

ذكرُ ما استسلف رسول الله ﷺ من المال:

استسلف من عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم، واستقرض من صفوان بن أمية خَمْسين ألف درهم، ومن حُويطب بن عبد العزى أربعين ألفاً، فقسم الجميع بين أصحابه من أهل الضعْفِ، فلما فتح الله عليه هوازن أَوْفى الجميع وزادهم.

ذكر تجديد أنصاب الحرم:

وكان أَوَّلَ من وضعها آدمُ وإبراهيم وجبريل يريه ذلك، ثم لم تُحرّكْ حتى كان إسماعيل فجدَّدها، ثم لم تُحَرَّكْ حتى كان قصي فجددها، ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح فجدَّدَها رسولُ الله ﷺ، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه

---

(١) «الطبقات» ٤/ ٥٥ ـ ٥٦ .

(٢) أخرجه البخاري (١٥٨٨)، ومسلم (١٣٥١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (١٥٧٩)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٤١) .

[فبعث مخرمةَ بنَ نوفل وأَزهر بنَ عبدِ عوف وحُوَيطبَ بنَ عبد العُزّى وسعيد بن يربوع المخزومي فجددوها، ثم كان عثمان بن عفان رضي الله عنه] فبعث هؤلاء النفر فجددوها، ثم حج معاوية [فبعثهم فجددوها]، ثم جددها عبد الملك بن مروان[١].



وفي هذه الغزاةِ تزوجَ رسولُ الله ﷺ مليكة بنت داود الليثية[٢]. وقيل: اسمها عَمْرة بنت كعب، وقيل: إنها كنانية، وأنه دخل بها وماتت عنده[٣].

وقال الزهري: ما تزوج رسولُ الله ﷺ كِنانية قط، ولا دخل بهذه[٤]. وهي التي استعاذت منه، وتزوجها قبل الفتح، وقيل: بعده، وكان أبوها قُتلَ يوم الفتح.

قال البلاذري: كانت حَدَثة جميلة، فجاء إليها بعض أزواج رسول الله ﷺ فقالت لها: ألا تستَحينَ أن تنكحي قاتلَ أبيك؟ فاشمأزت، وقالت: فكيف أصنع؟ فقالت لها: إذا جاء إليكِ فقولي: أعوذ بالله منك، ففعلت فقال رسول الله ﷺ: «لقد عذت بمعاذ» وفارقها[٥]. والتي قالت لها عائِشةُ رضوان الله عليها.

وقال أبو حصين الهذلي: قَدِمت على رسول الله ﷺ مكَّةَ امرأةٌ من نساءِ بني سعد بن بكر بِنِحْيٍ مملوءٍ سَمْناً وجرابٍ فيه أَقِطٌ، فدخلت عليه وهو بالأَبطح، فانتسبت له فعرفها ودعاها إلى الإسلام فأسلمت، فقبل هديتها، وسألها عن حليمة فأخبرته بوفاتها فذرفت عيناه، ثم سألها: «من بقي منهم؟» فقالت: أخواك وأختاك وهم والله محتاجون إلى بِرِّكَ وصِلَتك، ولقد كان لهم موئِلٌ فذهب، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين أهلُك؟» فقالت: بذات أَوْطاس، فأمر لها بكسوة وأعطاها حمل ظعينة ومئتي درهم، فانصرفت وهي تقول: نِعْمَ والله المكفول كنت صغيراً، ونعم المرءُ كبيراً عظيمَ البركة[٦].

---

(١) المغازي ٢/ ٨٤٢ وما بين حاصرتين منه.

(٢) رجح ابن حجر أن اسمها مليكة بن كعب. انظر «الإصابة» ٤/ ٤١٠ .

(٣) «الطبقات» ١٠/ ١٤٣ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩ .

(٤) «الطبقات» ١٠/ ١٤٤ .

(٥) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٨ ، وقوله ﷺ : «لقد عذت بمعاذ» إنما قاله لأسماء بنت النعمان بنت الجون الكندية، انظر «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٦ .

(٦) «المغازي» ٢/ ٨٦٩ .

فصل في المتعة

حدَّث الربيع بن سَبْرَةَ الجُهَنيُّ عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الفتح فأقمنا خمس عشرة ما بين يوم وليلة، فأذن لنا رسول الله ﷺ في المتعة، فخرجت أنا وابنُ عمٍّ لي، فلقينا فَتاةً من بني عامر بن صعصعةَ كأنها البكرة وأنا قريب من الدَّمامة، وعليّ برد جديد وعلى ابن عمي بُرْدٌ خَلَق وابنُ عمي وَسيمٌ، فقلنا لها: هل لك أن يستمتع منك أحدُنا؟ قالت: وهل يصلح ذلك؟ قُلنا: نعم، فجعلت تنظرُ إلى ابن عمي، فقلتُ لها: بُردي هذا بُرْدٌ جَديد وبرد ابن عمي خلَقٌ، قالت: برد ابن عمك لا بأس به، فاستمتع منها، فلم نَخْرجْ من مكة حتى حرَّمها رسول الله ﷺ[(١)].

قال المصنفُ رحمه الله: وقد اختلف الناس في جواز المتعة، فعامة العلماء على أنها باطلة، وروي جوازها عن جماعة منهم علي[(٢)]، وابن عباس[(٣)]، وجابر بن عبد الله[(٤)]، وأبي سعيد الخدري[(٥)] وعطاء بن أبي رباح، وابن جُرَيْج، وابن أبي مُليكة، وطاووس[(٦)] وحكاه أصحابنا.

قال ابن عبد البَرِّ: حرَّم مالكٌ المتعة في أهل المدينة والشافعي في أهل الحجاز، وأبو حنيفة في أهل الكوفة، والأوزاعي في أهل الشام، والليث في أرض مصر،

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٦) (٢٠)، وأحمد في «مسنده» (١٥٣٤٦).

(٢) لم نقف على قول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في جواز المتعة، بل ورد عنه النهي عنها، وهو، كما سيذكره المصنف بعد قليل، دليل على أن علي بن أبي طالب يرى النسخ كما قال البخاري عقب (٥١١٩): وقد بينه علي عن النبي ﷺ أنه منسوخ.

(٣) أخرجه البخاري (٥١١٦) عن أبي حمزة قال: سمعت ابن عباس يسأل عن متعة النساء، فرخص، فقال له مولى له: إنما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه؟ قال: نعم.

وقال الترمذي عقب (١١٢١): وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة، ثم رجع عن قوله حيث أخبر عن النبي ﷺ، وسيذكر المصنف عدول ابن عباس عن هذه الرخصة.

(٤) أخرجه البخاري (٥١١٧)، ومسلم (١٤٠٥) عن جابر وسلمة بن الأكوع قالا: خرج علينا منادي رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ قد أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء.

(٥) ذكره ابن قدامة في «المغني» ٧/ ١٣٦.

(٦) انظر «المغني» ٧/ ١٣٦.

والحسن في أهل البصرة.

واحتجَّ من أباحها بقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤]، وبأحاديث منها:

ما روي عن ابن مسعود قال: غزونا مع النبي ﷺ وليس معنا نِساءٌ، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهى رسولُ الله ﷺ عن ذلك، ثم رخَّص لنا في المتعة، وكان أحدنا يأخذ المرأة أو ينكِح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ ابن مسعود ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] متفق عليه(١).

ولعامة العلماء قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦] والمتعة ليست من هذا القبيل، ألا ترى أنها ترتفع من غير طلاق ولا يجري بينهما توارث.

وأخرج البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عام خيبر عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الأهلية(٢).

وكذا قال عمر: أباح رسول الله ﷺ المتعة ثم حرَّمها.

وأما الآية فالمراد بها الاستمتاع بطريق النكاح المؤبد لا المؤقت، لأنه وسيلة إلى الأغراض المطلوبة من التناسل والتوالد وغيره، والتوقيت يبطله.

وروي أن عروة بن الزبير قال لابن عباس: أهلكت نفسَك وأهلكت الناسَ، فقال له: وما هو يا عُرَيُّ؟ قال: إباحةُ المتعةِ، وقد كان أبو بكر وعمر ينهيان عنها فقال: أُخْبِرُكَ عن رسول الله ﷺ وتخبرني عن أبي بكر وعمر، فقال عروة: هما كانا أعلم بالسنة منك.

وقال سعيد بن جُبير: قيل لابن عباس: لقد أكثرت في المتعة حتى سارت بها الركبان، وقال فيها الشاعر: [من البسيط]

أقول وقد طال الثواء بنا معاً ... يا صاح هل لكَ في فتوى ابن عباسِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٧٥)، ومسلم (١٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥١١٥) وأخرجه أيضاً مسلم (١٤٠٧).

يا صاحِ هل لك في بيضاءَ آنسةٍ تكونُ مثواك حتى رجعةِ الناسِ

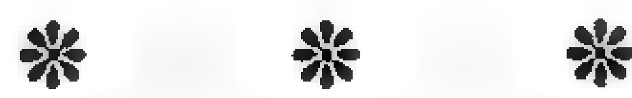
فانزعج ابن عباس وقال: ما إلى هذا ذهبت، ثم قام خطيباً في يوم عرفة وقال: أيها الناس إن المُتعةَ حرامٌ كالميتةِ والدمِ ولحمِ الخنزير[١].

وقال جابر بن يزيد: والله ما فارق ابن عباس الدنيا حتى رجع إلى قول الصحابة في تحريم المتعة.

وكان عمر رضوان الله عليه يقول: والله لا أوتى برجل أباح المتعة إلا رجمته[٢].



وبثَّ رسولُ الله ﷺ سراياه حول مكة وهو مقيم بها وسيَّر خالد بن الوليد لهدم العُزَّى، فخرج في ثلاثين فارساً فهدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فقال: «هَدَمْتَها»؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: «فَهَل رَأَيتَ شَيئاً»؟ قال: لا، قال: «فَإِنَّكَ لم تَهدِمْها، فارجعْ إليها» فرجع وهو متغير، فجرَّد سيفه، فخرجت امرأة عُريانةٌ سوداءُ ناشرة شعرَها، قال خالد: فأخذني في ظهري قُشَعْرِيرَة وأقبل إليها وبيده السيف فضربها فجزَلَها اثنتيْنِ، ثم رجع إلى رسولِ الله ﷺ فأخبره، فقال: «تِلكَ العُزَّى، وقد يَئِسَت أَن تُعبدَ بِبلادِكُم أبَداً». وكان هدمُها لخمس بقين من رمضان، وسادِنُها أفلح بن النَّضْرِ السُّلَميُّ[٣].



وبعث رسول الله ﷺ بالطُّفَيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكَفَّيْنِ صنمَ عَمْرو بن حُمَمَةَ الدَّوْسي فهدمه وحَرَّقَهُ بالنار[٤].

ذكر هدم سُواع صنم هُذَيل:

قال عمرو بن العاص: انتهيت إليه وعنده السادن فقال: ما الذي تريد منه؟ قلت:

(١) أخرجه البيهقي في «السنن» ٧/ ٢٠٥.
(٢) أخرجه مسلم (١٢١٧).
(٣) «الطبقات الكبرى» ٢/ ١٣٥، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧.
(٤) «الطبقات» ٢/ ١٤٥.

أَمرني رسول الله ﷺ بهدمه، فقال: لا تَقْدِرُ؛ إنه يمتنع عليك، فقلت له: وأنت إلى الآن في الباطل، وهل يسمع أو يبصر؟ ثم دنوت منه فَهدمته وقلت للسادن: كيف ترى؟ فقال: أسلمت لله رب العالمين[١].

ذكر مسير خالد إلى بني جَذِيمةَ:

لما افتتح رسولُ اللهﷺ مكّة بعث خالدَ بنَ الوليدِ داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج حتى نزل على بني جَذيمة بن عامر بن مناة بن كنانة وهم على ماء لهم يقال له: الغُمَيصاء، وكانوا قد أصابوا في الجاهلية عمه الفاكه بنَ المغيرة وعوفاً أبا عبد الرحمن رضي الله عنه، فلما غشيهم أخذوا السلاح، فقال خالد: إن الناس قد أسلموا فَضعوا السلاح، وأبى جَحْدَم ـ رجل منهم ـ أن يضع سلاحه، وقال: يا بني جَذيمة، إنه خالد، ولا والله ما بعد وضع السلاح إلاَّ الإِسارُ وما بعد الإِسارِ إلاّ ضَرْبُ الأعناق، فقالوا: يا جَحْدم، تريد أن تُصيبَ دِماءَنا، فإن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وأَمِنَتِ الناس، فلم يزالوا به حتى أخذوا سلاحه، فنزل خالد وأمر برجال منهم فأسروا وضربت أعناقهم، فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ إليك ممَّا عَمِلَ خالدُ بن الوليدِ» ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: «اخرُج إلى هؤلاءِ القومِ فدِ دِماءَهم وأَموَالَهمَ، واجْعَل أمرَ الجاهليةِ تحت قَدمَيْكَ» وأعطاه مالاً، فخرج فوَدَى دماءهم وأموالهم حتى أعطاهم ثمنَ مِيْلَغَةِ الكلب، وبقيت بقيةٌ من المال فقال: أعطيكم هذا احتياطاً لرسولِ اللهﷺ فيما لا يعلم وفيما لا يعلمون فأعطاهم إياه، ثم قَدِمَ على رسول الله ﷺ فاستقبل القبلةَ ورفَع يديه حتى رُؤي بياض إبطيه، ثم قال: «اللَّهمَّ إنِّي أَبرَأُ إليكَ ممَّا فَعَل خالدُ بن الوليدِ»[٢].

وقال ابن سعد: لما رجع خالد من هَدْمِ العزى إلى رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة بعث إلى بني جَذيمة داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً، فخرج في ثلاث مئة وخمسين من المهاجرين والأنصار وبني سُليم، فقيل لبني جَذيمة: هذا خالد في المسلمين، فقالوا:

---

(١) «الطبقات» ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٢٨ ـ ٤٣٠ .

ونحن مسلمون قد صلَّينا وبَنينا المساجدَ وأذَّنّا فيها وصدَّقْنا محمداً ﷺ، فقال لهم خالد: ما أنتم؟ فقالوا: مسلمون، وقال: فما بالُ سلاحكم عليكم؟ قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوةً فَخِفْنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح لندفع عن أنفسنا، قال: فضعوا السلاح، فقال لهم جَحْدم: ويحكم يا بني جذيمة، والله إنه خالد، ولا يريد منا ما يراد بالمسلمين وقد عرفتموه، فما زالوا يكلِّمونه حتى ألقى سيفه وقالوا: نحن مسلمون وقد فتح الله مكة، فقال: والله ليأخذنَّكم بما تعلمون من الأحقاد القديمة، فقال خالد: استأسروا، فاستأسروا وأمر بهم فكُتِّفوا ودَفَع إلى كلِّ رجلٍ من المسلمين الرجلَ والرجلين فباتوا في وَثاقٍ،فكانوا إذا جاء وقت الصلاة كلَّموا المسلمين فيصلون ثم يربطون، فلما كان في السحر والمسلمون قد اختلفوا بينهم، فقائل يقول: إنّما أسرهم ليذهبَ بهم إلى النبيﷺ،وناس يقولون: إنما يختبرهم ليبلوَ طاعتهم، فلما كان وقت السحر نادى مناديه: من كان معه أسيرٌ فليدافّه، والمدافَّةُ الإجهاز عليه بالسيف، فأما بنو سُلَيْم فقتلوا كلَّ أسيرٍ في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأطلقوا أسراهم، وكان في الجيش عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فأطلق أسيره[(١)].

قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا عبد الرزاق، حدَّثنا مَعْمَر، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: بعث رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى بني جَذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوا ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صَبَأْنا. وذُكر أنهم لما قدموا على النبي ﷺ أَخْبَروه بما صنع خالد، فرفع يديه وقال: «اللَّهمَّ إنِّي أَبرَأُ إليكَ ممَّا صَنَعَ خَالدٌ» مرتين[(٢)].

وقال الواقدي: لما أرسل المهاجرون والأنصار أسراهم غضب خالد، فقال له أبو أسيد الساعدي: اتق الله يا خالد، والله ما كنا لنقتل قوماً مسلمين، قال: وما يدريك؟ فقال: قد سمعنا إقرارهم بالإسلام ورأينا مساجدهم[(٣)].

ولما قدم خالد على النبيﷺ عاب عليه عبد الرحمن بن عوفرضي الله عنه ما صنع وقال:

---

(١) «الطبقات» ٢/١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٣٨٢) .

(٣) «المغازي» ٣/ ٨٧٧ .

يا خالد، أخذت القومَ بأمر الجاهلية قاتلك الله، وأعان عمر ﷺ على خالدٍ، فقال خالد: أخذتُهم بقتل أبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت والله لقد قتلتُ قاتلَ أبي بيدي، واستشهد بعثمانَ ﷺ فقال: نعم، ثم قال عبد الرحمن: ويحك يا خالد، ولو لم أقتل قاتل أبي أكنت تقتل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية؟ فقال: من أخبرك أنهم أسلموا؟ فقال: أهلُ السَّرِيَّةِ كلُّهم[١].

ذكر من شهد الفتح ومدة مُقام النبي ﷺ:

شهد مع رسولِ الله ﷺ الفتح عشرةُ آلافٍ من المهاجرين والأنصار والقبائل، وقيل: شهده اثنا عشر ألفاً، وبُرَيدةُ بن الحُصَيْب في خمس مئة وخزاعةُ في خمس مئة.

وأقام بمكة تسع عشرة ليلة يَقْصُرُ، وإذا سلَّم من صلاته يقول: «يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإنا قوم سَفْرٌ».

وقيل: أقام خمس عشرة ليلة، وقيل: عشرين ليلة، وكان قُدومُه لعشر ليالٍ بقين من رمضان، واستخلف على مكة عتَّابَ بنَ أَسِيْد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أميراً وهو ابن ثماني عشرة سنة، وقيل: ابن عشرين، ومعاذَ بن جبل يعلِّمهم السُّنَنَ والفقه.



وفيها: كانت غزاةُ حُنَيْن[٢] في شوال، وحُنَيْن: اسم موضع، وقيل: جبل بتهامة، وقيل: وادٍ إلى جانب ذي المجاز: بينه وبين مكة ثلاث ليال.

وسبب هذه الغزاة، لما فرغ رسول الله ﷺ من مكة بلغه أن أشراف ثقيف وهوازن اتفقوا وجمَّعوا، وجعلت هوازن أمرها إلى مالك بن عوف النَّصْري وهو يومئذ ابنُ ثلاثين سنةً، وكان في ثقيف سيدان: قاربُ بن الأسود بن مسعود، وذو الخِمار سُبَيْع

---

(١) «المغازي» ٣/ ٨٨٠، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٣١.

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٣٧، و«المغازي» ٣/ ٨٨٥، و«الطبقات» ٢/ ١٣٨، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٣٨، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٧٠، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ١١٩، و«المنتظم» ٣/ ٣٣١، و«البداية والنهاية» ٤/ ٣٢٢.

ابن الحارث، ويقال له: الأحمر بن الحارث[١]، وتجمعت كلها إلى هوازن، وكان مالك بن عوف قد مضى بنفسه إلى الطائف ودعاهم إلى قتال رسول الله ﷺ فأجابوه، وخرج غيلان بن سلمة الثقفي ومعه ثقيف وعشرة من ولده على عشرة أفراس، ولم يحضرها من هوازن كعبٌ ولا كِلابٌ.

وحضرها دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ في بني جُشَم وهو ابن ستين أو سبعين ومئة سنة، شيخ كبير لا يراد منه إلا رأيُه ومعرفتُه بالحروبِ، وكان شيخاً مُجرّباً قد ذهب بصره وأَمْرُ الناسِ يومئذ ثقيفٍ وغيرها إلى مالك بن عوف النَّصْري، وأمرَ الناسَ فجاؤوا بأموالهم ونسائهم وأهلهم فنزلوا بأَوْطاس وادٍ عند حُنَيْن فعسكروا به، والأمدادُ تأتيهم من كل ناحية.

وأمرُ جُشَم إلى درَيْد بن الصِّمَّةِ [ابن بكر بن][٢] علقمة بن خُزاعة بن غزية بن جشم ابن معاوية بن بكر، وقد جعلوه في شجارٍ مثل الهودج يقاد به على بعير، فلما نزل الناس[٣] لمس بيده الأرض وقال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأَوْطاس، فقال: نعم [مجال الخيل، لاحَزْنٌ ضَرِس، ولا سهل دَهِسٌ، مالي][٤] أسمع رُغاءَ البعير، ونُهاقَ الحمير، ويُعارَ الشاءِ، وخُوارَ البقر، وبكاء الصغير، قالوا: ساق مالكٌ مع الناس أولادَهم ونساءَهم وأموالهم، فقال: يا معاشر هوازن، أمعكم من بني كلاب أحد؟ قالوا: لا، قال: فمعكم من بني كعب بن ربيعة أحد؟ قالوا: لا، قال: فهل معكم من بني هلال بن عامر؟ قالوا: لا، فقال دريد: لو كان خيراً ما سبقتوهم إليه، ولو كان ذِكْراً وشرفاً ما تخلفوا، فأطيعوني وارجعوا وافْعلوا كما فعلوا، فأَبَوْا عليه، فقال: أين مالك؟ فدُعِيَ به فقال: يا مالك، إنك مقاتلٌ رجلاً كريماً وأنت رأسُ قومِكَ، إن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام، يا مالك مالي أسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير، وخوار البقر، ويعار

(١) في «السيرة» ٢/ ٤٣٧ : وأخوه أحمر بن الحارث.

(٢) ما بين معقوفين زيادة من «تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٣١ .

(٣) في «المغازي»: «الشيخ».

(٤) ما بين معقوفين زيادة من «السيرة» و«المغازي»، و«الحزن»: المرتفع من الأرض، و«الضرس» الذي فيه حجارة محددة، و«دهس»: لين كثير التراب.

الشاء، وبكاء الصغير؟ فقال: سُقْتُ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال دريد: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهلَه ومالَه وولده وشاءه حتى يقاتِلوا عنهم، فنفض دريد يده وقال: راعي ضأن، ماله وللحرب، وهل يردُّ المنهزمَ شيءٌ؟ إنها إن كانت لك، لم يَنْفَعْكَ إلا رجل بسيفه ورمحهِ، وإن كانت عليك، فُضِحْتَ في أهلك ومالك، يا مالكُ، إنك لن تصنع بتقديم بَيْضَةِ هوازن إلى نُحور الخيل شيئاً، فإن كانت لك لحِق بك مَنْ وراءَكَ، وإن كانت عليك ألفاكَ ذلك وقد أحرزت أهلَكَ ومالَكَ. فغضب مالك وقال: والله لا أُغَيِّرُ أمراً أَصنعُه، إنك قد كَبِرتَ وكبر عملك وحدث بعدك من هو أبصر منك بالحرب. فقال دريد: يا معاشر هوازن، والله ما هذا لكم برأي، هذا فاضحكم في عورتِكم وممكِّنٌ منكم عدوَّكم، ولاحقٌ بحصن ثقيف وتارِككم، فانصرفوا ودعوه. فسلَّ مالكٌ سيفه ثم نكسه، وقال: والله يا معاشر هوازن لتُطيعُنَّني أو لأتكئَنَّ على السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكرٌ، فقال بعضهم لبعض: والله لئن عصينا مالكاً وهو شاب ليقتلن نفسه ونبقى مع دريد شيخ كبير لا قتال فيه، فأَجْمعوا رأيهم على مالك، فلما رأى ذلك دريدٌ قال: هذا يوم لم أشهده ولم أَغِبْ عنه: [من مجزوء الرجز]

يا ليتني فيها جَذَعْ
أَخُبُّ فيها وأَضَعْ
أقود وَطْفاءَ الزَّمَعْ
كأنَّها شاةٌ صَدَعْ

وخرج رسول الله ﷺ من مكّة في عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار والقبائل الذين شهدوا معه الفتح، وفي ألفين من أهل مكة من الطُّلقاء، وكان المشركون أربعة آلاف فقال قائل: لن نُغْلَبَ اليوم من قِلَّةٍ، فلما سمع النبي ﷺ ذلك ساءَه[١].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيرُ الأصحابِ أربَعةٌ، وخَيرُ السَّرايا

(١) «السيرة» ٢/ ٤٣٧ ـ ٤٤٠، و«المغازي» ٣/ ٨٨٥ ـ ٨٨٩.

أَربعُ مئةٍ، وخَيرُ الجيوشِ أَربعةُ آلافٍ، ولا يُغلبُ اثنا عَشرَ ألفاً من قِلَّةٍ كَلمتُهُم واحدةٌ»[(١)].

وقال أبو واقد الليثي: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، وكان لكفارِ قريش ومَنْ سواهم شجرةٌ عظيمةٌ خضراءُ يقال لها: ذات أنواط، يأتونها في كل سنة يُعَلِّقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً، فبينا نحن نسيرُ مع رسول الله ﷺ أتينا شجرة عظيمة خضراء فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: «اللهُ أكبَرُ، قُلتُم والذي نَفسِي بيَدِهِ كما قالَ قَومُ مُوسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لتَأخذُنَّ سَنَنَ مَن قَبلكم»[(٢)].

قال: وانتهى رسول الله ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء، لعشر ليالٍ خَلَوْنَ من شوال[(٣)].

وقال أمية بن عبد الله بن عثمان بن عفان: بعث مالك بن عوف عيوناً ممن معه، فأتوه وقد تقطعت أوصالُهم فقال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فما ردَّه ذلك عن وجهه[(٤)].

ودعا رسول الله ﷺ ابنَ أبي حَدْرَدٍ الأسلميَّ فقال له: انطلق فادخل في الناس حتى تأتيني بأخْبارِهم، فانتهى إلى خِباء مالك فسمعه وهو يقول لأصحابه: إن محمداً لم يلق قط مثل المرة، وإنما لقي قوماً أغْماراً لاعِلم لهم بالحرب فيظهر عليهم، فإذا كان في السحر فصفوا مواشيكم وأبناءكم و نساءكم من ورائكم، ثم اكسروا جفون سيوفكم واحملوا حملة رجل واحد، فإنكم تلقونه بعشرين ألف سيف.

وهذا يدل على أنهم كانوا عشرين ألفاً.

ورجع ابن أبي حَدْرَدٍ إلى رسول الله ﷺ فأَخْبَرهُ، فقال عمر: كذب ابن أبي حَدْرَدٍ، فقال ابن أبي حدرد: لئن كذَّبتني يا عمر، فلطالما كذَّبتَ بالحق، فقال عمر رضوان الله

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧١٨).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٨٩٧).
(٣) «المغازي» ٣/ ٨٩٢.
(٤) «المغازي» ٣/ ٨٩٢.

عليه: أتسمع يا رسول الله ما يقول؟ فقال رسول الله ﷺ: «صَدَق، كُنتَ ضالاًّ فَهَداكَ اللهُ»(١).

وخرج من مكة رجالٌ فُرساناً ومُشاةً ينظرون لمن تكون الدائرة، فيصيبون من الغنائم، ولا يكرهون أن يكون الصَّدْمُ للنبي ﷺ وأصحابه.

وخرج أبو سفيان بن حرب في أثر العسكر، كلما مرّ بترس ساقط أو رمح أو متاع من متاع النبي ﷺ حمله على بعيره، والأزلام في كنانته حتى أَوْقَر جمله.

وخرج صفوان ولم يُسْلِم وهو في المدة التي جعلها رسول الله ﷺ له، وحكيم بن حزام، وحُويطب بن عبد العزى، وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة، والكل ينظرون لمن تكون الدائرة وهم خلف الجيش(٢).

وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه صُفوفاً في السحر، وعقد الألوية ووضع الرايات مع أهلها، فكان لواءُ المهاجرين بيد علي رضي الله عنه، ولواء الخزرج بيد الحُبابِ بن المنذر، وقيل: مع سعد بن عُبادة، ولواء الأوس بيد أُسيد بن حُضَيْر، ورايةٌ بيد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، ورايةٌ بيد سعد بن أبي وقاص، في كل بطن وقبيلة لواء أو راية(٣).

ذِكْرُ القتال:

انحدر رسولُ الله ﷺ بأصحابه وقد مضت مقدمته على تعبئته في وادي حُنين، وركب بغلته الدُّلدُل، وظاهَرَ بِدِرْعَيْنِ، ولبس المِغْفَرَ والبَيْضَةَ.

وقال أنس بن مالك: لما انتهينا إلى وادي حنين وهو وادٍ من أودية تِهامة، له مضايقُ وشُعَبٌ، فاستُقْبِلنا من هوازن بشيء، لاوالله إنْ رأيتُ مثله قط، من السَّوادِ والكَثْرةِ، قد ساقُوا نِساءهم وأموالهم وأبناءَهم وذراريهم، ثم صَفُّوا صفوفاً، فجعلوا النساءَ فوق الإبل وراء صفوف الرجال، ثم جاؤوا بالإبلِ والبقرِ والغنمِ فجعلوها وراءَ ذلك لئلا يفرُّوا، فلما رأينا ذلك السوادَ حسبناه رجالاً، فبينا نحن في غَبَشِ الصُّبْحِ إنْ

(١) «المغازي» ٣/ ٨٩٣، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠.
(٢) «المغازي» ٣/ ٨٩٤ ـ ٨٩٥.
(٣) «المغازي» ٣/ ٨٩٥ ـ ٨٩٦.

شَعرنا إلا بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادي وشُعَبِهِ، فحملوا علينا حملة رجل واحد، فانكشفتْ أوَّل الخيول مُوَلِّيَةً، وتَبِعهم أهلُ مكة وتبعهم الناسُ منهزمين لا يَلْوُون على شيء، فسمعتُ رسولَ الله ﷺ والتفت عن يمينه ويساره والناس مُنْهزمون وهو يقول: «يا أَنصارَ اللهِ، وأَنصارَ رَسُولِهِ، أنا عبدُ اللهِ ورَسُولُه، أنا عبدُ اللهِ ورَسُولُه» ثم تقدم بحربته، فوالذي بعثه بالحق ما ضربنا بسيف ولا طعنَّا برمح حتى هَزَمَهُم الله، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى العسكرِ وأمر بأن يُقتل كلُّ من قُدِرَ عليه منهم، وجعَلَت هوازن تؤول وثاب من انهزم من الناس[1].

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: سبق رسولَ الله ﷺ مالكُ بن عوف إلى الوادي، فانحطّ بهم في عَمايةِ الصبح، وثارت في وجوههم الخيلُ فشدَّت عليهم، وانكفأ الناس منهزمين، وانحازَ رسول الله ﷺ ذاتَ اليمين ثم قال: «أَيُّها الناسُ، هَلُمُّوا إليَّ، أنا رسُولُ اللهِ، أنا مُحمدٌ» ومعه رَهْطٌ من أهلِ بيته ورَهْطٌ من المهاجرين، والعباسُ آخذٌ برأسِ بَغْلته البيضاء، ورسولُ الله ﷺ عليها قد شَجرها، وثبت معه من أهلِ بيته علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد، وثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما.

قال: ورجلٌ من هَوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء على رأس رمحٍ طويل أمام هَوازن، وهوازن خلفه، إذا أدركَ الناسَ طَعنَ برمحه، وإذا فاته الناسُ رفعَ رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فلما انهزم مَنْ كان مع النبي ﷺ من جُفاة أهلِ مكة، تكلَّم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضِّغْنِ[2].

وعن جابر قال: لما رأى رسول الله ﷺ يوم حنين ما رأى قال: «يا عباسُ اصرَخْ بالأَنْصار» فنادى العباس: يا أصحاب السَّمُرةِ، فأجابوه: لبيكَ لبيكَ، فجعل الرجلُ منهم يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر عليه، فيقذف درعه ويأخذُ سيفَه وقوسه ثم يَؤُمُّ الصوتَ، حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مئة، وأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه

(١) «المغازي» ٣/ ٨٩٧ ـ ٨٩٨، وفيها: تولّي وثاب.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٠٢٧).

وقال: «الآن حَميَ الوَطِيسُ».

وروى عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال[١]: انكشف الناسُ يومَ حُنينٍ عن رسول الله ﷺ ولم يبق معه إلا رجل يقال له: زيد، أخذ بعنان بغلته الشهباء فقال له: «وَيحكَ ادعُ النَّاسَ»، فنادى: أيها الناسُ، هذا رسول الله ﷺ فلم يجبه أحد، فقال: «ادعُ الأنصارَ» فنادى: يا معشر الأنصار، فلم يجبه أحد، فقال: «خُصَّ الأوسَ والخزرجَ» فنادى: يا معشر الأوسِ والخزرج، فلم يجبه أحد، فقال: «ويحكَ ادعُ المهاجرينَ، إن للهِ في أعناقِهم بيعتَيْنِ وهذا رسُولُ الله ﷺ يَدْعوهُم» فأقبل منهم ألف قد كسروا جفون سيوفهم، فأتوا رسول الله ﷺ ثم مشوا قُدُماً حتى فتح الله على يديه[٢].

وعن العباس ﷺ قال: لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون، فولَّى المسلمون يومئذ، ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ وما معه إلا أبو سفيان بن الحارث آخذ بثَفَرِ[٣] بغلة رسول الله ﷺ فأخذتُ بلجامها وكنت رجلاً صيِّتاً، فقال: «يا عباسُ، اصرخ بالأنصار: يا أصحاب السَّمُرةِ» فناديت، فأقبلوا كأنهم الإبلُ إذا حنَّت إلى أولادها، يقولون: لبَّيكَ لبيكَ، وثاب الناس، فقال رسول الله ﷺ: «الآنَ حميَ الوَطيسُ» ثم أخذ بيده من الحصى فرماهم به ثم قال: «انْهَزمُوا ورَبِّ الكَعبَةِ» فانهزموا، وركَضَ رسول الله ﷺ بغلته خَلْفَهم[٤].

وقيل: لما ناداهمُ العباسُ ﷺ رجعوا وهم يقولون: الكرة بعد الفرة، ورسول الله ﷺ يقول: «اللَّهمَّ إنِّي أنشُدكَ وعْدَكَ، اللَّهمَّ لا ينبغي لهم أَن يظهروا علينا»[٥].

وقال هشام بن الكلبي: ثبت مع رسول الله ﷺ ثلاث مئة رجل من أهل بيته وغيرهم.

وسأل رجلٌ البراءَ بن عازب فقال: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حُنَيْن؟ فقال

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ١٢٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٧/ ٤١٧ ، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٨١ ، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات .

(٣) الثفر: بالتحريك، السَّيْر في مؤخر السرج .

(٤) «المغازي» ٣/ ٨٩٨ _ ٨٩٩ .

(٥) «المغازي» ٣/ ٨٩٩ .

البراء: لكن رسول الله ﷺ لم يفِرَّ؛ كانت هوازن ناساً رُماةً، وإنّا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسِّهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذٌ بلجامها، ورسول الله ﷺ يقول: «أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ أَنا ابْنُ عَبدِ المُطَّلِبْ». أخرجاه في «الصحيحين»[١].

وقال سلمة بن الأكوع: لما غَشَوا رسول الله ﷺ نزل عن بغلته ثم قبض قَبْضةً من الأرض واستقبلهم بوجهه وقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ الله عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا منهزمين، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[٢].

وقال البلاذري: قال العباس ﷺ: كنت آخذاً يومَ حنين بحكمَة بغلةِ رسول الله ﷺ، وأقبل نفر من كِنانة يريدونه فدنا منه أحدهم، فاحتضنت الرجلَ وصحت بأقرب موالي رسول الله ﷺ إليَّ وقلت: اضربه ولا تتق مكاني ولا تُبالي أَيَّنا قُتِلَ، فقتله المولى، ثم جاء آخرُ يريدُه ففعلت به كذلك، حتى قتلنا ستة أنفس من القوم، فقبَّل رسول الله ﷺ وجهي.

وفي يوم حنين يقول العباس: [من الطويل]

نصرنا رسولَ الله في الحرب سبعة ... وقد فرَّ من قد فرَّ عنه فأقشعوا

وثامِنُنا لاقى الحِمامَ بسَيْفِهِ ... بما مسَّه في الله لا يتوجع

يعني نفسه وابنه الفضل وعلي بن أبي طالب وأبا سفيان بن الحارث وأسامة بن زيد وأبا رافع وأيمن بن أم أيمن[٣].

ذكرُ أقوالِ أهلِ الأضْغَانِ:

قال أبو سفيان بن حرب: ما تَنْتهي هزيمتهُم إلاّ إلى البحر، وأخرج الأزلامَ من كِنانتهِ يستقسم بها، فقال له رجل مِن أَسلم يقال له أبو مغيث: أما والله لولا أني سمعت

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٣) المذكورون هنا سبعة فقط، والثامن اختُلف فيه، انظر أنساب الأشراف ٣/ ٧ ـ ٨، والاستيعاب ١/ ٢٤٥.

رسول الله ﷺ ينهى عن قتلك لقتلتك.

وصرخ كَلَدةُ بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية وهما مشركان: ألا بَطَلَ السحرُ اليومَ، فقال له صفوان: أُسْكت فضَّ الله فاك، فوالله لأن يَرُبَّني رجلٌ من قُريش أحبُّ إلي من أن يربَّني رجلٌ من هوازن[(١)].

وقال سهيل بن عمرو: لا يجتبرُها محمد وأصحابه، فقال عكرمة بن أبي جهل: إن هذا ليس بقول، إنما الأمر بيد الله ليس إلى محمد منه شيء، إن أُديل عليه اليوم فإن له العاقبة غداً، فقال له سهيل: والله إن عهدك بخلافه لحديث، فقال له: يا أبا يزيد إنا كنا والله نُوضِعُ في غير شيء وعقولنا عقولنا، نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع[(٢)].

وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة: خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى حُنين وقد أضمرت غِرَّته وقلت: عسى أن أصيب بثأرِ قريش، فلما اختلطَ الناسُ اخترطتُ سيفي وقصدتُه، فلما رفعت يدي رفع لي شُواظٌ من نارٍ كالبرق فسقط السيف من يدي، وناداني رسول الله ﷺ وقال: «أعيذُك بالله يا شيبة» أَطْلعه على ما كان في نفسي، فقلت: أشهد أنك رسول الله، وأحببتُه، فهو أحب إلي من سمعي وبصري[(٣)].

ذِكْرُ هزيمة المشركين:

كانت الهزيمة أولاً على هوازن، فخلَّفوا الذَّراري، ثم تنادوا: يا حماة السوء أُذكروا الفضائح، فتراجعوا فانكشف المسلمون. فقال الطُّلقاءُ بعضهم لبعض: اخذُلوه فهذا وقته، فانهزموا، فهم أول من انهزم.

وقال جابر بن عبد الله: لما انكشف الناسُ والله ما رجعت راجعةُ هزيمتهم حتى وجدنا الأسرى عند رسول الله ﷺ مُكتَّفين، ولما انكشفَ الناسُ قال رسول الله ﷺ لحارثة بن النعمان: يا حارثة كم ترى من الرجال الذين ثبتوا؟ قال: فحزَرْتُهم فكانوا مئة رجل[(٤)].

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٢) «المغازي» ٣/ ٩١٠ ـ ٩١١.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٠٩ ـ ٩١٠.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩٠٠.

وكان من دعاء رسول الله ﷺ لما انهزم الناس وبقي في المئة الصابرة: «اللهمَّ لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان» فقال له جبريل عليه السلام: لقد لُقِّنْتَ الكلماتِ التي لَقَّنَ اللهُ موسى يوم فلق البحر أمامه وفرعون خلفه(١).

ويقال: إن المئة الصابرة يومئذ ثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وسبعة وستون من الأنصار.

وقصد أبو دجانة الرجلَ الذي كان على الجمل الأحمر وبيده رايةٌ سوداء على رمح طويل، وكان قد أكثر القتل في الناس، فعرقَبَ جَمَله وشدَّ عليه هو وعلي فقتلاه(٢).

وبلغت هزيمةُ المسلمين مكّة، ثم تراجعوا، فأسهم لهم رسول الله ﷺ جميعاً، وجعلت أم سُليم تقول: يا رسول الله أرأيت هؤلاء الذين فروا عنك وخذلوك، لا تعْفُ عنهم إذا أمكنكَ الله منهم، اقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين، فقال: «يا أم سُلَيْمٍ قد كفى الله»(٣).

ولقد قَتل أبو طلحة يومئذ عشرين بطلاً وسَلَبهم.

ولما حمل المسلمون على المشركين قتلوهم وأسرعوا إلى قَتْل الذُّرِّيَّة [فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ما بالُ أقوامٍ ذَهَب بهم القَتل حتى بَلغَ الذُّرِيّة] ألا لا تُقْتَلُ الذُّريةُ» قالها ثلاثاً، فقال أُسيد بن حضير: أليس هم أولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أوَليسَ خيارُكُم أولادَ المُشرِكينَ، كلُّ نَسَمةٍ تُولَدُ على الفِطْرةِ، حتى يُعْرِبَ عنها لسَانُها، فأَبَواها يهوِّدَانها ويُنَصِّرانِها»(٤).

وقال جبير بن مُطْعِمٍ: لما تراءينا نحن والقوم رأينا سواداً لم نر مثله قط، فأقبل مثل الظلمة السوداء من السماء حتى أظلمت علينا وعليهم وسدت الأفق، فنظرنا فإذا وادي حنين يسيل بنمل أسود مبثوث لم نشك أنه نصر أَيَّدَنا الله به(٥).

---

(١) «المغازي» ٣/ ٩٠١.

(٢) «المغازي» ٣/ ٩٠٢.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٠٣ ـ ٩٠٤.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩٠٤ ـ ٩٠٥، وما بين معقوفين زيادة منه، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٥٨٩) من حديث الأسود بن سريع.

(٥) «السيرة» ٢/ ٤٤٩، و«المغازي ٣/ ٩٠٥، و«دلائل النبوة» ٥/ ١٤٦.

وقال رجل من المشركين: التقينا نحن وأصحاب محمد فلم يقفوا لنا حَلْبَ شاةٍ، فلما كشفناهم جعلنا نخترقهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء - يعني رسولَ الله ﷺ - فلاقانا رجال بيضُ الثياب، حسانُ الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، فرجعنا ورَكِبونا[١].

وحُكيَ أيضاً عن رجل يقال له: شجرة من بني نصر أنه قاله بعدما انهزموا، وبلغ رسول الله ﷺ فقال: «تلك الملائكةُ».

وقال الواقدي: نزلت الملائكة يوم حنين، سيماهم عمائم حمر قد أرخوها، فنظر إليهم الكفار فانهزموا[٢].

وقال مالك بن أوس بن الحدَثان: حدثني عِدَّةٌ من قومي أنهم رأوا يومئذ رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلْقٍ، عليهم عمائم حمرٌ، أرخوها بين أكتافهم بين السماء والأرض، كتائب كتائب، ما يستطيع أحد من الرعب ينظرُ إليهم[٣].

وهربت ثقيف بعد أن قُتِلَ منهم مئة رجل تحت راياتهم حتى دخلوا حصن الطائف.

وقال أبو قتادة: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فاستدرت له فأتيته من ورائه فضربته بالسيف على حَبْلِ عاتقه، فأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأَرسلني، فلقيتُ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه فقال: ما بال الناس؟ فقلت: أَمْرُ اللهِ، ثم رجع الناسُ وجلس رسولُ الله ﷺ فقال: «مَن قَتَلَ قتيلاً فَلَهُ سَلَبُه إذا كانت له بيِّنَةٌ» فقمت وقلت: من يشهدُ لي، ثم جلستُ، وقمت ثانياً وثالثاً فقال: «مَالَكَ يا أبا قَتَادَةَ؟» فقصصت عليه القصة، فقال رجل من القوم: صدق يا رسول الله وسَلَبُهُ عندي، فأرضه من حقه، فقال أبو بكر: لاها اللهِ إذاً، لا يَعْمِدُ إلى أَسَدٍ من أُسْدِ الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سَلَبَه، فقال رسول الله ﷺ: «صدق فأعطِهِ إيَّاه» قال: فأخذت الدرع فابتعت به مَخْرَفاً، فإنّه لأول مال تأثَّلْتُه في الإسلام.

(١) «المغازي» ٣/ ٩٠٦.
(٢) «المغازي» ٣/ ٩٠٥.
(٣) «المغازي» ٣/ ٩٠٦.

أخرجاه في «الصحيحين»[١].

وهذا الحديث يتضمن فتوى أبي بكر رضوان الله عليه بحضرة رسول الله ﷺ.

ومرّ رسولُ الله ﷺ على امرأة مقتولةٍ، وكان قد قدَّم خالداً في مقدِّمتهِ مع بني سُلَيم فأرسل إليه وقال: «لا تَقتُلَنَّ امرأةً ولا عَسِيفاً»[٢] أي: أجيراً.

وفي رواية: «ما كانت هذه تقاتل فلم قتلت».

وجاءته الشيماءُ بنت الحارث بن عبد العزى أُخته من الرضاعة بعد أن أتعبوها من المشي وهي تقول: والله إني أخت صاحبكم، ولا يُصَدِّقُونها، فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا محمد إني أختك من الرضاعة، فقال: «وما علامة ذلك»؟ قالت: عضضتني في إبهامي هذه وأنا مُتورِّكَتُكَ بوادي السرور ونحن نرعى بَهْمَ أبيك وأبي، وأَرَتْهُ مكان العضَّةِ، فعرف العلامة وقام لها قائماً وبسط لها رداءه ثم أجلسها عليه، ورحَّب بها وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما، فدمعت عيناه، وخيَّرها بين المقام عنده وبين الرجوع إلى أهلها، وأسلمت فأحسن إليها ووهبها ثلاثة أَعْبُدٍ وجاريةً، فأحدهم يقال له: مكحول، فزوجوه الجارية[٣]. ثم عادت إلى رسول الله ﷺ بالجِعِرّانةِ فأعطاها نَعَماً وشاءً[٤].

وهرب مالك بن عوف إلى حصن الطائف.

ذِكْرُ الغَنائمِ:

كانت الإبل أربعاً وعشرين ألفاً، والبقر ثلاثة آلاف، والغنم أربعين ألفاً، ومن الخيل ألفان، ومن السبايا ستة آلاف، وقيل عشرة آلاف، ومن الفِضَّة شيء كثير، فأمر رسول الله ﷺ بإصدار الجميع إلى الجِعِرّانةِ ليعودَ إلى الطائف، وولَّى مسعودَ بنَ عمرو القاري ذلك، وقيل: استعمل على السبي مَحْمِيَةَ بن جَزْءٍ.

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١).

(٢) «المغازي» ٣/ ٩١٢، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٦١٠) من حديث حنظلة الكاتب.

(٣) «السيرة» ٢/ ٤٥٨، و«المغازي» ٣/ ٩١٣ ـ ٩١٤.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩١٤.

وقال الحَريش بن هلال القريعي من شعراء الحماسة[١]: [من الوافر]

شَهِدْنَ مع النبيِّ مُسَوَّماتٍ   حُنَيْناً وَهْيَ دامِيةُ الحوامي[٢]
ووقعة خالدٍ شهدَتْ وحكَّت   سنابكَها على البلدِ الحرامِ[٣]
نُعرِّضُ للسيوف إذا التقينا   وُجوهاً لا تُعَرَّضُ لِلِّطامِ
ولستُ بخالعٍ عَنِّي ثِيابي   إذا كَرَّ الكُماةُ ولا أُرامي
ولكنِّي يجولُ المُهرُ تحتي   إلى الغاراتِ بالعضْبِ الحُسامِ

ذكر من استشهد من المسلمين في ذلك اليوم:

أيمن بن عُبَيْد بن زيد، وقيل: ابن عمرو[٤] الخزرجي، وهو ابن أم أيمن مولاةِ رسولِ الله ﷺ، وهو أخو أسامة بن زيد ﵄ لأمه، وهو من الطبقة الثالثة، وثبت يوم حنين مع رسول الله ﷺ ووقاه بنفسه، وقُتِلَ بين يديه، ويقال له: الحبشي ﵁.

آبي اللَّحْمِ، واسمه الحُوَيْرِثُ بن عبد الله، وقيل: اسمه عبد الله بن عبيد بن مالك، من بني غِفار، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وإنما سمي آبي اللحم لأنه أبى أن يأكل من اللحم ما ذبح على النصب والأصنام.

سراقةُ بن الحارث بن عدي الأنصاري من بني العَجْلان.

أبو عامر الأشعري، واسمه عُبَيْد، وقيل: عبد الله، وقيل: عبيد الله بن وهب، حليف بني تميم رهطِ أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وهو عم أبي موسى الأشعري، قال أبو نعيم: قتله دُرَيْد بن الصِّمة. وهو وهم لأن دريداً كان شجاعاً شيخاً كبيراً عاجزاً عن القتال، وإنما قتله سلمة بن دريد.

وقال أبو موسى الأشعري: لما فرغ رسولُ الله ﷺ من حُنَيْن بعث أبا عامر على جيش إلى أَوْطاس، فلقي دُرَيْدَ بن الصمة، فقُتِلَ دريدٌ وهزم الله أصحابه.

---

(١) الأبيات في الحماسة، وفي «السيرة» ٢/ ٤٣٣ هي للحجاج بن حكيم السلمي.

(٢) المسومات: المعلمات. والحوامي: ما فوق الحافر.

(٣) سنابكها: مقدم أطراف الحوافر.

(٤) نسبه في «الطبقات» ٥/ ٣٦٨: أيمن بن عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال... بن خزرج.

قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر فرُميَ أبو عامرٍ في رُكبته، رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه وقلت: يا عم، من رماك؟ فقال: ذاكَ قاتلي الذي رماني تَراه؟ فلحقت الرجل فلما رآني ولّى هارباً، فاتَّبَعْتُه وجعلت أقول: ألا تستحي، فوقف فالتقينا، فقتلته ثم رجعت إلى أبي عامر فقلت له: قد قَتَل الله صاحبك، فقال: انزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماءُ، قال: فانْطَلِقْ إلى رسولِ الله ﷺ وأقرِئه مني السلام واسأله أن يستغفر لي، ثم لِتَخْلُفْني على الناس، ومكث يسيراً ومات، فلما رجعتُ إلى رسول الله ﷺ دخلت عليه وهو في بيت على سرير مُرْمَل وعليه فِراش وقد أثر رِمال السرير في ظهره وجنبه، فأخبرته خبر أبي عامر، فدعا له واستغفر، فقلت: ولي، فقال: «اغفرِ اللَّهمَّ لعبدِ اللهِ بنِ قيسٍ ذَنبَهُ، وأَدخِلْهُ مُدْخَلاً كريماً يومَ القيامةِ»(١).

وقال الواقدي: بارز أبو عامر عشرة فقتل تسعة، وبرز له العاشر وهو مُتَعمِّمٌ بعمامة صفراء فقال أبو عامر: اللهمَّ اشهد، فقال الرجل: اللهمَّ لا تشهد، فضرب أبا عامر فأثبته، فحملوه وبه رَمَقٌ، واستخلف أبا موسى الأشعري ففتح الله عليه، وقتل قاتلَ أبي عامر وجاء إلى رسول الله ﷺ فاستغفر لأبي عامر، فقال له أبو موسى: يا رسول الله، فهذا لأبي عامر فادع لي، فقال: «اللَّهمَّ اغفِر لأبي موسى، واجْعَلهُ في أَعْلَى أُمَّتي»(٢).

يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب، جمح به فرسه، فقتله المشركون.

ذكر من قتل من الكفار:

قتل منهم زيادة على المئة، وقيل: تسعون، وقيل: سبعون، فمن أعيانهم:

دُرَيد بن الصِّمَّة(٣)، واسم الصمة: معاوية، وكنية دريد: أبو قُرة الجُشَمي، وهو الذي خَطَبَ الخنساء ابنةَ عمرو بن الشريد فلم تُجِبْهُ فقال: [من الوافر]

كفاك الله يا ابنة آل عمرو ... من الفتيان أمثالي ونفسي
أَتَزْعمُ أنني شيخ كبيرٌ ... وهل أَنْبأْتُها أني ابنُ أمسِ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨).
(٢) «المغازي» ٣/ ٩١٥ ـ ٩١٦.
(٣) انظر ترجمته في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٣١.

ودريد يعد في الشعراء الفرسان، ووفد على الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّاني.

وقال أبو حاتم: كان مالك بن عوف يخرج بدريد في الحروب يتيمَّن برأيه، ولم يخالفه إلا في هوازن.

ذكر مقتله:

يقال: إن أبا عامر الأشعري قتله، فرماه ابنه سلمة بن دريد بسهم فقتل أبا عامر.

وقال الواقدي: لما انهزم الناس يوم حنين أتوا الطائفَ، وعسكر ناس منهم بأَوْطاس، وتوجه بعضهم نحو نَخْلَةَ، فبعث رسولُ الله ﷺ في آثارهم، فأدرك ربيعةُ بن رُفَيْع بن وهبان السلمي دريدَ بن الصمة، فأخذ بخِطام جمله وهو يظن أنه امرأة وهو في شِجارٍ له[(١)]، فأناخ الجملَ، وإذا فيه شيخ كبير ابن ستين ومئة وهو لا يعرفه، فقال له دريد: ما تريد؟ قال: قتلك، قال: وما تريد إلى المُرْعِشِ الكبير الفاني الأَدْرَدِ[(٢)]، فقال الفتى: ما أُريد إلى غيره ممَّن هو على مِثْلِ دينه، فقال له دُرَيد: من أنت؟ فانتسب له، وضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً، فقال دريد: بئس ما سلَّحتكَ أُمُّكَ، خذ سيفي من وراء الرَّحْل في الشِجار واضرب به وارفع عن العِظامِ واخفض عن الدماغ، فإني كنتُ كذلك أقتُلُ الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قَتَلْتَ دُرَيْد بن الصمة، فربَّ يوم قد منعت فيه نساءك، فلمّا ضَرَبَهُ تكشَّف عَجُزُه وبطونُ فَخِذَيْه فإذا بها مثلُ القراطيس من ركوب الخيل، فلما رجع ربيعةُ إلى أمه أخبرها فقالت: والله لقد أعتق دُرَيْدٌ أُمَّهاتٍ لك ثلاثاً في غَداة واحدة وجزَّ ناصية أبيك، فقال الفتى: لم أشعر[(٣)].

فقالت عَمْرة[(٤)] في قتل ربيعةَ دريداً: [من الوافر]

جَزى عني الإلهُ بني سُلَيْمٍ ... وأَعقَبَهم بما فَعلوا عَتاقِ[(٥)]
وأسْقَانا إذا قُدنا إليهم ... دِماءَ خِيارِهم عندَ التلاقِي

---

(١) الشجار: هو مركب مكشوف دون الهودج.
(٢) الأدرد: الذي لا سن له.
(٣) «المغازي» ٣/ ٩١٤-٩١٥، وما بين معقوفين زيادة منه، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٥٣-٤٥٤.
(٤) هي عمرة بنت دريد بن الصمة، والأبيات في «السيرة».
(٥) في السيرة: وعقتهم بما فعلوا عَقاق.

فــربَّ عــظـيــمــةٍ دافَـعْـتَ عـنـهـم ... وقـد بَـلـغَـت نُـفـوسُـهـم الـتَّـراقِـي
وربَّ مُـنَـوَّهٍ بـكَ مـن سُـلَـيْـمٍ ... أَجَـبْـتَ وقـد دعـاكَ بـلا رِمـاق
وربَّ كـريـمـةٍ أَعْـتَـقْـتَ مـنـهـم ... وأُخـرى قـد فَـكَـكْـتَ مِـنَ الـوَثـاق
فـكـانَ جَـزاؤُنـا مِـنْـهـم عُـقـوقـاً ... وهــمّــاً مـاعَ مــنــهُ مُــخُّ سـاقِ

وهرب سَلَمةُ بنُ دريد مع مالك بن عوف، فلما طلع مالك على ثَنِيَّةٍ قال لأصحابه: قفوا حتى يمضيَ ضُعفاؤكم ويلحقوا بإخوانكم، ووقف حتى مضوا[1].

واختلفوا في سِنِّ دريد، فقيل: ستون ومئة سنة، وقيل: مئة وسبعون سنة، وقيل: مئتا سنة وعِشْرون سنةً.

وقال أبو عبيدة: كان دُريد ميمونَ النقيبة، غزا مئة غزوة، وأدرك أوَّلَ الإسلام ولم يسلم حتى قُتِلَ كافراً.

وكانت بنو يربوع قتلوا الصِّمةَ، فأوقع بهم دريدٌ فقتلهم.

وكان له إخوة: عبد الله وعبد يغوث وقيس وخالد بنو الصِّمة، وأمهم جميعاً رَيْحانةُ بنت معدي كَرِب الزبيدي أخت عمرو، وكان الصِّمة سباها[2] ثم تزوجها، فأولدها بنيه، وفيها يقول أخوها عمرو: [من الوافر]

أَمِـنْ ريـحـانـةَ الـداعـي الـسـمـيـعُ ... يُـؤرِّقـنـي وأصـحـابـي هـجـوع

وأما عبد الله فيقال له: العارض، أغار هو ودريد على نَعَمٍ لقيس فاستاقوها، فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله في مكان، فقال له دريد: لا تفعل، فجاءت قيسٌ فأحاطت بهم، فأول من قتل عبد الله وكان أشجع إخوة دريد، فقال دريد: [من الطويل]

أَمَـرْتُـهُـمُ أَمْـري بِـمُـنْـعَـرَجِ الـلِّـوى ... فلم يستبينوا الرُّشْدَ إلا ضُحى الغَدِ
فـلـمـا عَـصَـوني كـنـتُ منهم وقد أرى ... غَـوايـتـهـم وأَنَّـنـي غَـيْـرُ مُـهْـتَـدِ
ومـا أنـا إلاَّ مـن غَـزِيَّـةَ إنْ غَـوت ... غَـوَيْـتُ وإن تَـرْشُـد غَـزيـةُ أَرْشُـدِ
فـقـلـت لـهـم ظُـنّـوا بـأَلـفَـيْ مُـدَجَّـجٍ ... سَـراتُـهـم فـي الـفـارسـيّ الـمُـسَـرَّدِ

---

(١) «المغازي» ٣/ ٩١٦.

(٢) في النسخ: «سماها»، والمثبت من الأغاني ١٠/ ٤.

وإن يـكُ عَـبْـدُ الله خَـلّـى مـكـانَـه فـمـا كـان وَقّـافاً ولا طـائِـشَ الـيَـدِ
كـمـيـشُ الإزارِ خـارجٌ نـصـفُ سـاقِـه بَـعـيـدٌ مـن الآفـات طَـلاَّعُ أَنْـجُـدِ
قـلـيـلُ التَّـشكِّي لـلـمـصـيـباتِ حـافظٌ مِنَ الـيـومِ أعـقابَ الأحـاديـثِ في غَـدِ
صَبا ما صَبا حتَّى علا الشَّيبُ رَأْسَه فـلـمَّـا عـلاه قـال لـلـبـاطـل ابـعُـدِ

وأوَّلها:

أَرَثَّ جـديـدُ الـحَـبْـلِ مِـن أُمِّ مَـعْـبَـدِ بـعـاقـبـةٍ وأخـلـفـت كـلَّ مـوعـد

وأُمُّ معْبَد: امرأة دريد، لما جزع على أخيه عاتبت وصغَّرت أمر أخيه عبد الله، فألحقها بأهلها وكان عبد الله يكنى أبا فُرغان، وأبا ذُفافَة، وأبا أوفى.

واليوم الذي قتل فيه يسمى: يوم اللِّوى، واليوم الذي ظهر فيه دريد يسمى: يوم الدلائل، فإنه أخذ بثأر أخيه وقتل سادات غطفان واستَقْراهم حيّاً حيّاً.

وأما عبدُ يغوث بن الصِّمة فقتله بنو مُرَّة.

وأما قَيسُ بن الصمة فقتله بنو كلاب.

وأما خالد بن الصمة فقتله بنو الحارث بن كعب[١].

وأنزل الله تعالى في قصة حنين ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ الآية [التوبة: ٢٥].

غزاة الطائف [٢]

وسار رسولُ الله ﷺ من فَوْرٍ على تعبئته وقد تحصَّن القومُ بحصنهم، وقدَّم خالدَ بن الوليد في مقدَّمتهِ.

وكان عروةُ بن مسعود وغَيْلانُ بن سَلَمة بجُرَشَ يتعلَّمان عمل الدباباتِ والمجانيق لأجل حصنهم[٣].

---

(١) الأغاني ١٠/٥ .

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٧٨ ، و«المغازي» ٣/ ٩٢٢ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٤٥ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٨٢ ، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ١٥٦ ، و«المنتظم» ٣/ ٣٤١ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٣٤٥ .

(٣) «السيرة» ٢/ ٤٧٨ ، و«المغازي» ٣/ ٩٢٤ .

وسلك رسول الله ﷺ على نَخْلةِ اليمانية ثم على لِيَّةَ، وابتنى بها مسجداً بيده، وأصحابهُ ينقلون إليه الحجارة.

وأُتي يومئذٍ برجلٍ من بني ليث قتلَ رجلاً من هُذيلٍ فسلَّمه إلى هذيل فقتلوه، وكان أوَّلَ دم أُقيد في الإسلام، وحرقَ قصرَ مالك بن عوف بلِيَّة ولم يكن به أحدٌ، ومالك بن [عوف في][1] حصن ثقيف، ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فجاءهم النَّبْلُ كأنَّه الجرادُ، حتى أُصيبَ من المسلمين أناسٌ، فقال له الحُبابُ بن المنذر: إن كان نزولك يا رسول الله عن أمرٍ، سلَّمنا، وإن كان عن غيرِ أمرٍ، فالرأيُ أن نتأخَّر، فقال: «انظروا مَكاناً مُرتَفِعاً» فنزلوا في موضع مسجد الطائف خارجاً من القرية، وأبو محجن يرمي من فوق الحصن بمعابل[2] كأنها الرماحُ ما يسقُطُ له سَهْمٌ، وخرج من الحصنِ امرأةٌ ساحرةٌ فاستقبلت الجيش بعورتِها، يدفعون بذلك عن حصنهم[3].

وشاور رسولُ الله ﷺ أصحابه في ذلك، فقال له سلمان: قد كُنَّا بفارسَ ننصُبُ المجانيق [وإن لم يكن المنجنيق][4] طال الثواءُ، فأمره بعملِهِ ونصبه على الحصن، وعمل يزيدُ بن ربيعةَ دبابتين، ونثر رسول الله ﷺ حَسَكاً من عيدانٍ حول حصنهم، ودخل المسلمون تحت الدبابتين وهما من جلود البقر، وقاتلوا ثم رجعوا إلى جدار الحصن ليحصروه، فرمى عليهم القوم سكك الحديد المُحْماةَ بالنار فأحرقوا الدبابتين، وخرج بعض المسلمين منهما، فسُمِّيَ: يوم الشَّدْخَةِ، ورماهم القومُ بالنَّبْلِ فقتلوا جماعةً، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها، فنادى منادي القوم: يا محمدُ، لَمَ تقطعُ أموالَنا؟ إما أن تأخذَها إن ظَفِرت علينا، وإمّا أن تدَعَها لله والرَّحِمِ، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي أدَعها لله والرَّحم» فتركها[5].

وتقدَّم أبو سفيان بن حرب والمُغيرةُ بن شعبةَ إلى ثقيفٍ فقالا: أمِّنونا حتى نتكلَّم،

(١) ما بين معقوفين زيادة لتوضيح النص.

(٢) المعابل: جمع مِعبَلَة، وهي: نصل طويل عريض.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٢٥ ـ ٩٢٦.

(٤) ما بين معقوفين زيادة من «المغازي».

(٥) «المغازي» ٣/ ٩٢٧ ـ ٩٢٨.

فأمّنوهما. فدَعَوا نساءً من قريشٍ ليخرجنَ إليهما وهما يخافان السبيَ عليهن، منهن ابنة أبي سفيان كانت عند عروة بن مسعود ولم يكن عروةُ حاضراً، والفِراسِيَّةُ بنتُ سُويد بن عمرو بن ثعلبة عند قارِب بن الأسود، وامرأةٌ أُخرى(١).

وكان رجلٌ يقومُ على الحِصْنِ فيقول: روحوا يا رعاءَ الشاء، يا عبيد محمد، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ روّحه إلى النار» فرماه سعد بن أبي وقاص ؓ بسهم فوقع في نَحْرِهِ، فهوى من الحصن ميِّتاً، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك(٢).

ورمى أبو محجن عبدَ الله بنَ أبي بكرٍ ؓ، ثم أُخرجَ السهمُ من الجرحِ وبرِئ واندمل، وأمسك أبو بكر [السهمَ عنده، وتوفي عبدُ الله، وقدمَ أبو محجن في خلافةِ أبي بكر]، فأخرج له السهم وقال: هل تعرف هذا يا أبا محجن؟ فقال: [كيف] لا أعرفُه وأنا بَرَيتُ قدحه ورِشْتُه ورميتُ به ابنك، والحمد لله الذي أكرمه بيدي ولم يُهنِّي بيده(٣).

ونادى منادي رسول الله ﷺ: أيما عبدٍ نزل إلينا من الحصن فهو آمن، فنزل جماعةٌ منهم: أبو بكرة نُفَيعُ بن الحارث بن مسروح، وكان [عبداً] للحارث بن كَلَدَةَ، وكُنِّي بأبي بكْرة لأنه نزل من الحصنِ في بكْرةٍ، فسلَّمه رسول الله ﷺ إلى عمرو بن العاص يعلِّمُه القُرآنَ والسُّنَنَ، وكذا فعل بالباقين؛ دفع إلى كلِّ واحدٍ من المسلمين رجلاً يمونُه ويعلِّمه(٤). فلما أسلم هل الطائف تكلَّموا فيهم ليُرَدُّوا إلى الرِّقِّ، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك عتقاء الله، لا سبيلَ لكم عليهم» فبلغ ذلك من أهل الطائفِ.

وقال ابن إسحاق: ردّ رسول الله - ﷺ - كل عبدٍ إلى مولاه لمّا أَسلم مواليهم.

وقال عُيَيْنةُ بن حصنٍ: يا رسول الله، ائذن لي حتى آتي الحصن فأُكلِّمهم، فأذن له فجاءهم وقال: أدنو منكم وأنا آمِن؟ فعرفه أبو محجن فقال: أَدْنُوه، فدخل الحصنَ فقال: فداكم أبي وأُمي، واللهِ لقد سرَّني منكم ما رأيتُ، واللهِ إنْ في العربِ أحدٌ مثلكم، واللهِ ما لاقى محمد مثلكم قطُّ، ولقد ملَّ المُقامَ فاثبتوا في حِصْنِكم فإنه حصين، وسلاحكُم كثيرٌ. فلما خرج قالت ثقيف لأبي مِحْجَن: إنا كَرِهْنا دخوله علينا،

---

(١) «المغازي» ٣/ ٩٢٩، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٨٣ - ٤٨٤.
(٢) «المغازي» ٣/ ٩٢٩ - ٩٣٠.
(٣) المغازي ٣/ ٩٢٦، وما بين حاصرتين منه.
(٤) «المغازي» ٣/ ٩٣١ - ٩٣٢.

وخَشينا أن يُخبِرَ محمداً بخَللٍ رآه في حصنِنا. فقال أبو محجن: لا تخافوا، فليس على محمدٍ أشدُّ منه وإن كان معه. فلمّا رجع إلى رسول الله ﷺ قال له: ما الذي قُلْتَ لهم؟ قال: قلتُ لهم: ادخلوا في الإسلامِ؛ فواللهِ لا يبرحُ محمدٌ عُقْرَ داركم حتى تنزِلوا، فخُذوا لأنفسكم أماناً، فإنه قد نزل ساحة غيركم: بني قينقاع والنضير وقُريظة وخيبر أهل العِدَّةِ والحَلْقةِ، فقال له رسول الله ﷺ: كذبتَ، قلتَ لهم كذا وكذا، الذي قال، فقال عُيينةُ: أَستغفرُ اللهَ، فقال عمر رضي الله عنه: دعْني أَضرب عُنُقَه، فقال رسول الله ﷺ: «لا يتحدَّثُ الناسُ أَني أَقتلُ أصحابي». وأَغلظ له أبو بكر رضي الله عنه وقال: ويحك يا عُيينة، إنّما أنت أبداً تُوضعُ في الباطل، لنا مِنْكَ من يوم بني النضير وقريظة وخيبر والخندق، تُجْلِبُ علينا وتقاتِلُنا بسيفك، ثم أسلمتَ كما زعمتَ فتحرِّضُ علينا عدوَّنا؟! فقال: أستغفرُ اللهَ وأتوب إليه، لاأعود إليه أبداً[1].

ودخل رسول الله ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها وعندها عبد الله بن أبي أمية والمخنث يقول له: إن فتح الله عليكم الطائفَ غداً فعليك بابنة غَيْلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فسمعه رسول الله ﷺ فقال لأم سلمة: «لا يَدخُلْ هذا عليكِ»[2].

ذكر رحيل رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضوان الله عليه وهو محاصرٌ ثقيفاً: «يا أبا بكر إني رأيت كأنني أُهْدِيَت لي قَعْبَةٌ مملوءة زُبْداً، فنقرها ديكٌ فهرَاق ما فيها». فقال: يا رسولَ الله، ما أظنك تدرك منهم ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «ولا أنا، ما أرى ذلك».

ثم إن خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص السُّلَمِيَّةَ امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلِيَّ باديةَ بنتِ غَيْلان بن سلمة أو حُلِيَّ الفارعةِ بنت عَقيل و كانتا من أجمل نساء ثقيف، فقال لها رسول الله ﷺ: «وإنْ لم يَكُن أُذِنَ لي في ثَقيفٍ»، فخرجت إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فأخبرته،

---

(١) «المغازي» ٣/ ٩٣٢ ـ ٩٣٣، و«الطبقات» ٦/ ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٥)، ومسلم (٢١٨٠).

فدخل على رسول الله ﷺ فسأله فقال: «نَعَم» فقال: ألا أُوذِنُ الناسَ بالرحيل؟ قال: «بَلَى» فأذَّن فيهم بالرحيل(١).

وبعث رسولُ الله ﷺ حنظلةَ بن الربيع ابن أخي أكثم بن صيفي إلى أهل الطائف ينظرُ هل يريدون الصلح أم لا ؟ فدخل عليهم فسألهم فقالوا: الموتُ دونَ ذلك، فرجع إلى رسول الله ﷺ.

ونادى سعيد ابن عمرو بن عِلاجٍ الثقفي من الحصن: ألا إن الحي لمقيم، فقال عيينة: أجل والله، مَجَدةٌ كِرامٌ، فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة تمدح قوماً مشركين وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ ؟! فقال: إني والله ما جئت أقاتل معكم ثقيفاً، ولكن أردت إذا فتح محمد الطائفَ أن أُصيب من ثقيف جاريةً فأتَّطِئَها لعلها أن تلد ذكراً، فإن ثقيفاً قومٌ مذاكِير(٢).

فلما ولّى عيينةُ قال رسول الله ﷺ: «هذا الأحمق المطاعُ»(٣).

وقال أبو هريرة: لما مضت خمسةَ عَشَرَ يوماً من حصارهم استشار رسول الله ﷺ نوفلَ بن معاوية الدِّيلي فقال: «مَا تَرَى؟» قال: يا رسول الله ثَعْلَبٌ في جحر إن أقمت عليه أخَذْتَه، وإن تركته لم يضرك شيئاً، قال: ولم يؤذن له في فتحها، فأذَّن عمر في الناس بالرحيل فضَجُّوا، فقال رسول الله ﷺ: «فاغدُوا على القِتال» فغدَوْا فأصاب المسلمين جراحاتٌ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّا قَافِلُونَ إنْ شاءَ اللهُ» فسرُّوا بذلك وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك(٤).

وأقام رسول الله ﷺ بضعاً وعشرين ليلة ـ والله أعلم ـ وكل ذلك يصلي ركعتين.

وقال أبو إسحاق الثعلبي: حاصر الطائف إلى آخر شوال. فلما دخل ذو القعدة وهو شهرٌ حرامٌ لا يَحِلُّ القتال فيه انْصَرفَ عنهم، وكان معه من نسائه أم سلمة وأخرى قيل: هي زينب بنت جحش.

---

(١) «السيرة» ٢/ ٤٨٤ .

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٨٥.

(٣) المغازي ٣/ ٩٣٧، والطبقات ٦/ ١٧٨.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩٣٦ ـ ٩٣٧ .

ولما رحل عن الطائف قيل له: ادع عليهم، فقال: «اللهمَّ اهد ثقيفًا وائتِ بهم»[١] فاستجاب الله دعاءه.

ذِكْرُ المُسْتَشْهد من المسلمين:

سعيد بنُ سعيد بن العاص بن أمية، وعُرْفُطةُ بن حباب[٢] بن حبيب، وقيل: الحباب بن جُبير، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما رمي بِسَهْمٍ فمات بالمدينة منه، وعبد الله بن أبي أمية مات من رميةٍ رُميها يومئذٍ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، والسائب ابن الحارث [بن قيس بن عدي، وأخوه عبد الله بن الحارث، وجليحة بن عبد الله بن محارب، والحارث][٣] بن سهل بن أبي صَعْصَعة، والمنذر بن عبد الله بن وَقْش بن ثعلبة، ورُقَيْم بن ثابت بن زيد بن لَوْذان، وقيل: ويزيد بن زمعة بن الأسود، جمح به فرسه إلى حصن الطائف فقتلوه، وثابت بن ثعلبة[٤] بن زيد بن حَرام.

ومما قيل في الطائف من الشعر لما فرغ النبي ﷺ من مكة وحنين قول كعب بن مالك قبل نزوله على الطائف[٥]: [من الوافر]

قضينا من تِهامةَ كلَّ رَيْبٍ ... وخيبرَ ثم أَجْمَمْنا السُّيوفا
نُخبِّرُها ولو نطقت لقالت ... قواطِعُهنَّ دوساً أو ثقيفا
فلستُ لمالك إن لم يزركم ... بساحة داركم منها ألوفا
وننتزع العُروشَ ببطن وَجٍّ ... وتُترك دارُكم منكم خُلوفا
نجاهد لا نبالي من لقينا ... أَأَهلكنا التِّلادَ أم الطريفا
بأمر الله والإسلام حتى ... أقَمنا الدين مُعْتَدِلاً حنيفا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٤٢)، وأحمد في «مسنده» (١٤٧٠٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) ضبطه ابن حجر في «الإصابة» ١/ ٣٠١ عند ذكر والده الحباب: بضم المهملة والموحدتين الأولى خفيفة. وفي ترجمته ٢/ ٤٧٥ قال: وضبط ابن إسحاق أباه بجيم ونون، و ابن هشام بمهملة مضمومة بعدها موحدة.

(٣) ما بين معقوفين زيادة من «السيرة» ٢/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧، و«المغازي» ٣/ ٩٣٨.

(٤) هو: ثابت بن الجزع، واسم الجذع ثعلبة. «الإصابة» ١/ ١٩٠.

(٥) الأبيات في «السيرة» ٢/ ٤٧٩.

ذكر رجوع النبي ﷺ إلى الجِعِرّانةِ:

خرج من الطائف، ففي منحدره إلى الجِعِرَّانةِ لقيه سراقة بن مالك بن جُعْشُم الذي تبعهم في طريق المدينة لما هاجر النبي ﷺ، قال سراقة: فدفعت الكتابَ الذي كتبه لي أبو بكر وناديتُ: أنا فلان وهذا كتاب رسول الله ﷺ فعرفني، فقال: «أُدْنُ» فدنوت، فقال: «هذا يَومُ وَفَاءٍ وبِرٍّ» فأسلمت وسقت إليه الصدقة[(١)].

وانتهى رسول الله ﷺ إلى الجِعِرَّانة والغنائم والسبي بها، وقد اتخذ للسبي حظائر يستظلون بها من حر الشمس، وكان السبي ستة آلاف، فأمر رسول الله ﷺ بشر بن سفيان الخزاعي أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً يكسوهم بها ففعل[(٢)].

ذِكْرُ ما فَرَّق من السَّبْيِ:

أعطى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه جارية منهن فوطئها بالملك بعد أن حاضت. وأعطى صفوان بن أمية أخرى، وعلي بن أبي طالب أخرى يقال لها: رَيْطة، وأعطى عثمان رضوان الله عليه أخرى اسمها زينب بنت خُناس[(٣)] فوطئها فكرهته، وأعطى عمر رضي الله عنه جاريةً فأعطاها لابنه عبد الله، فبعث بها إلى أخواله بني جمح بمكة ليصلحوها حتى يطوف بالبيت ثم يعود إليها قال: فبينا أنا أطوف بالبيت وفي عزمي أن أعود إليها فأطأها، فلما خرجتُ من المسجد وإذا بالناس يَشْتَدُّون، فقلت: ما لهم؟ قالوا: رُدَّ سَبْيُ هوازن، فقلت لأهلها: دونكم إياها، فأخذوها.

وأعطى جبير بن مطعم جارية فلم يطأها، وأعطى طلحة بن عبيد الله وأبا عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام رضي الله عنهم جواري فوطئوهن، وهذا كله بحنين، فلما رجع إلى الجِعِرانة أقام يتربص أن يقدم عليه وفد هوازن[(٤)].

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٩٠٢)، والطبراني في «الكبير » (٦٦٠٢)، وانظر «المغازي» ٣/ ٩٤١ .

(٢) «المغازي» ٣/ ٩٤٣ .

(٣) «في «السيرة» ٢/ ٤٩٠ ، و«المغازي» ٣/ ٩٤٤ : بنت حيان .

(٤) «المغازي» ٣/ ٩٤٣ _ ٩٤٤ .

وقال أنس: نادى رسول الله ﷺ يوم أوطاس: «أَلاَ لا تُوطأُ الحَبَالى حتى يَضعْنَ، ولا غَيرَ الحَبَالى حتى يَستبرِئْنَ بحَيضَةٍ»(١).

وعن سلمة بن الأكوع قال: رخص رسول الله ﷺ في متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيام ثم نهى عنها(٢).

وعنه عن رسول الله ﷺ: «أَيُّما رجل وامرَأةٍ تَوافَقَا، فَعِشْرَةُ ما بَينهُما ثَلاثُ لَيالٍ، فإنْ أَحبَّا أَن يَتزايَدا، أَو يتَّارَكا» فما أدري أشيء كان لنا خاصة أم للناس عامة(٣).

ذكر وفد هوازن:

لما أصاب رسولُ الله ﷺ ما أصاب من أموال هوازن وسباياهم أدركه وفدهم بالجِعِرَّانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، نحن الأهل والعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، وقام خطيبهم زهير بن صُرَد فقال: يا رسول الله، إنّما في الحَظائر من السبايا خالاتُك وعماتُك وحواضِنُك اللاتي كن يكْفُلْنَك، ولو كنا ملَكنا ابن أبي شمر الغسّاني أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا بِرَّهما وعائِدتَهما وعَطْفَهما، وأنت خير المكفولين، وأنشده(٤): [من البسيط]

أُمنُنْ علينا رسولَ اللهِ في كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نَرْجوه ونَدَّخِرُ
أُمنُنْ على بيضةٍ إعْتاقُها قَدَرٌ ... مُمَزَّقٌ شملُها في دَهْرها غِيَرُ
أُمنُنْ على نِسوَةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذ فُوكَ يَملؤُهُ مِن مَحضِها دِرَرُ
اللاَّئي إذْ كنتَ طفلاً كنت تَرضَعُها ... وإذ يزينُك ما تأتي وما تذرُ
ألا تداركها نعماءُ تَنشُرُها ... يا أرجَحَ الناس حِلْما حين يُخْتَبَرُ
لا تجعلنّا كمن شالت نَعامتُه ... واستبقِ منّا فإنا معشر زُهُر
إنا لنَشْكُرُ آلاءَ وإن قَدُمَتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَر

(١) أخرجه أبو داود (٢١٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري، ولم نقف عليه من حديث أنس.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٥٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥١١٩).

(٤) الأبيات في «المغازي» ٣/ ٩٥٠ - ٩٥١.

فقال رسول الله ﷺ: «نِساؤُكُم وأَبناؤُكُم أَحبُّ [إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحبُّ] [(١)] إلينا، فقال: «مَا كانَ لي ولبَني عَبدِ المطَّلبِ فهوَ لكُم، وإذا صَلَّيتُ الظهرَ بالناسِ فَقُومُوا وقُولُوا: إنا نَستَشفِعُ برسُولِ اللهِ ﷺ إلى المُسلِمينَ وبالمُسلمينَ إلى رسُول الله ﷺ في أَبنائِنَا ونِسائِنَا»، فلما صلوا الظهر فعلوا ما أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم» وقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لله ورسوله، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال العباس بن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم [فلا، فقالت بنو سليم:] بلى ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، فقال رسول الله ﷺ: «من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أَوَّلِ فَيءٍ نُصيبُه» فقال المسلمون: رضينا وسلمنا، ودفعوا ما كان بأيديهم من السبي إلى أهاليهم [(٢)].

وكان عيينةُ قد اختار من السبي عجوزاً كبيرة وقال: هذه أم الحي، لعلهم أن يُغلوا بفِدائها وعسى أن يكون لها في الحي نسبٌ، فجاء ابنها إليه فقال: هل لك في مئة من الإبل؟ قال عيينة: لا، فانصرف وجعلت العجوز تقول لابنها: دعه فوالله ليتركني بغير فداء، فرجع الفتى إليه فقال عيينة: هل لك فيما دعوتني إليه؟ قال: لا أزيدك على خمسين ناقة، فقال عيينة: خذها بغير شيء لا بارك الله لك فيها، لا حاجة لي إليها، فقال ابنها: هي عُريانةٌ، فأَخَذ لها منه شملة [(٣)].

وكان رسولُ الله ﷺ قال: «إن قدرتم على بجاد - رجلٍ من بني سعد بن بكر - فلا يفوتنكم» وكان قد أحدث حدثاً فظفر به المسلمون فأتوا به، وكانت الشيماء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فسألته فيه فأطلقه لها [(٤)].

ولما ردَّ رسول الله ﷺ على هوازن نساءهم وأبناءهم اتبعه الناس يقولون: يا رسول الله اقسِم علينا فيئنا، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعَتْ رِداءَهُ، فقال: «أَيُّها

(١) ما بين حاصرتين مستدرك من «السيرة» ٢/ ٤٨٩.

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٨٩ - ٤٩٠، و«المغازي» ٣/ ٩٥٠ - ٩٥٢.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٥٢ - ٩٥٤، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٩٠.

(٤) «تاريخ الطبري» ٣/ ٨٠ - ٨١.

الناسُ، رُدُّوا عليَّ رِدَائي، فَوَالذي نَفسِي بيَدِهِ، لو كانَ لَكُم بِعَدَدِ شَجَرِ تِهامَةَ نَعماً لقَسمتُه عليكُم، ثم ما ألفيتُموني بَخيلاً ولا جَباناً ولا كذَّاباً»[١].

حديث الغار:

عن أبي سعيد قال: أصبنا سبايا يوم حنين، فكنا نلتمس فِداءهُنَّ، فسألنا رسول الله ﷺ عن العزل فقال: «اصنَعُوا ما بَدا لَكُم، فما قَضَى اللهُ فهو كائنٌ، ولَيسَ مِن كلِّ الماءِ يكونُ الولدُ». انفرد بإخراجه مسلم[٢].

وقال أبو سعيد: كانت اليهود تزعم أن العزلَ: المَوْؤدةُ الصُّغْرى، فقال رسول الله ﷺ: «كذبتِ اليَهودُ، ولو أَرَادَ اللهُ أنْ يَخلقَهُ لم يَستَطعْ أَحَدٌ أنْ يَصرِفَهُ». أخرجه الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند»[٣].

ذكر ما أعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم:

أعطى أبا سفيان بن حرب مئة بعير، وابنه معاويةَ مئة بعير، وحكيمَ بن حِزام مئة بعير، والنَّضْرَ بن الحارث[٤] بن كَلَدَةَ بن علقمة مئة بعير، والعلاء بن جارِيةَ الثقفي مئة من الإبل، وسهيل بن عمرو مئة من الإبل، وحويطب بن عبد العزى مِئةً من الإبل، وسهل بن مُطعِم مئة من الإبل، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر دون المئة[٥].

وأعطى مَخْرمة بنَ نوفل الزهري وعُمير بن وهب الجُمَحي وهشام بن عمرو، وأعطى سعيد بن يَربوع بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل.

وأعطى عبّاس بن مِرداسَ السُّلمي أباعِرَ[٦] فسخطها، وعاتب رسول الله ﷺ فقال:

وإيــقــاظِــيَ الــقــومَ أن يــرقُــدُوا إذا هَــجَــعَ الــنــاسُ لــم أَهْــجَــعِ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٧٧٥) من حديث جبير بن مطعم.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٣٨) (١٣٣) واللفظ لأحمد في «مسنده» (١١٤٣٨).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٤٧٧).

(٤) ويقال: الحارث بن الحارث، كما في «السيرة» ٢/ ٤٩٣.

(٥) في «السيرة» ٢/ ٤٩٣، و«المغازي» ٣/ ٩٤٦: أنه أعطاه مئة بعير.

(٦) في النسخ: «أبا عامر» والمثبت من السيرة» ٢/ ٤٩٣.

فأصبح نَهْبي ونَهْبُ العُبَيـ ـدِ بينَ عُيينةَ والأَقْرعِ
وقد كنتُ في الحَربِ ذا تُدْرَإٍ فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمْنَعِ
إلا أفائِلَ أُعطِيتُها عديدَ قوائمِها الأربعِ
فما كان حِصنٌ ولا حابِسٌ يفوقانِ مِرداسَ في مَجْمَعِ
وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

فقال رسول الله ﷺ: «اذهَبُوا فاقْطَعُوا لِسَانَهُ» فزادوه حتى رضي[(١)].

وقال الواقدي: أخذ بلال بيده ليذهب به فيقطع لسانه فقال: يا معاشر المسلمين انقطع لساني، و أعطاه مئة من الإبل[(٢)].

وقال صفوان بن أميَّة: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ[(٣)].

وقيل لرسول الله ﷺ: أعطيت عيينة والأقرع وتركت جعيل بن سُراقة الضَّمْري؟! فقال: «والذي نَفسِي بيَدِهِ، لَجعيلٌ أَحَبُّ إليَّ من طِلاعِ الأرض كلها مثل عيينةَ والأَقرعِ، ولكنِّي تَألَّفتُهما لِيُسْلِما، وَوَكَلْتُ جُعَيْلاً إلى إسلامِهِ»[(٤)].

وجُعيل من الطبقة الثانية من فقراء المهاجرين، شهد أُحداً وما بعدها وكان صالحاً[(٥)].

وكان رسول الله ﷺ قد غنم فضة كثيرة، فقال أبو سفيان بن حرب: يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً! فتبسم، فقال: أعطني من هذا المال، فقال لبلال: «يا بلال زِنْ لأبي سفيان أربعين أوقية» فأعطاه ومئة من الإبل، فقال أبو سفيان: فداك أبي وأمي إنك لكريم، لقد حاربتك فنعم المُحارَبُ كنت، ثم سالمتك فنعم المسالَمُ كنت، جزاك الله خيراً[(٦)].

---

(١) «السيرة» ٢/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤، والأفائل جمعُ أفيل، وهي الصغار من الإبل.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٥/ ١٦٢، والخبر فيه أوضح مماهنا.

(٣) «الطبقات» ٦/ ١١٢.

(٤) «السيرة» ٢/ ٤٩٦، و«المغازي» ٣/ ٩٤٨.

(٥) انظر «الطبقات» ٤/ ٢٣١، وفيه: اسمه جعال.

(٦) «المغازي» ٣/ ٩٤٤ ـ ٩٤٥.

وقال حكيم بن حزام: سألت رسول الله ﷺ بحنين مئة من الإبل فأعطانيها، ثم سألته مئة فأعطانيها، ثم سألته مئة فأعطانيها، ثم قال:«يا حكيمُ بنَ حزامٍ، إنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوٌ، فَمن أَخَذَه بسخَاءِ نفسٍ، بُورِكَ له فيهِ، ومَن أَخَذَه بإشرافٍ، لم يُبارَكْ له فيهِ، وكانَ كالذي يَأكُلُ ولا يَشبَعُ، واليدُ العُليا خَيرٌ مِنَ السُّفلَى، وابْدَأْ بمَن تَعُولُ».

فكان حكيم يقول: والذي بعثك بالحق لا أَسْأَلُ أحداً بعدك شيئاً. وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول: أيها الناس إني أشهدكم على حكيم أنِّي أدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه[1].

قال الواقدي: والثابت أن رسولَ الله ﷺ أعطى هؤلاء من الخُمْسِ[2].

وأَمَر زيدَ بنَ ثابتٍ بإحصاءِ الغَنائم ففعل، وكان أبو حذيفة العدوي يتقاسم الغنم[3].

ذكر معاتبة الأنصار رسول الله ﷺ:

قال أبو سعيد الخُدري: لما أصاب رسولُ الله ﷺ الغنائمَ يوم حُنينٍ، وقسم في المنافقِين من قريش وسائر العرب ولم يعطِ الأنصار شيئاً، وَجَدوا في نفوسهم وقالوا: لَقِيَ واللهِ رسولُ الله ﷺ قومه، فقال سعدُ بن عبادة: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنْصار قد وجدوا في نفوسهم عليك، قال: «ولم»؟ قال: لأنك قسمت الغنائم في قريش والعرب، ولم يك فيهم من ذلك شيء، قال: «فأَينَ أنتَ من ذلكَ يا سعدُ»؟ قال: ما أنا إلاّ امرؤ من قومي، قال: «فاجْمَعْ لي قَومَكَ»، فجمعهم في حظيرة، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فحَمِدَ الله وأثنى عليه وقال:

«يا مَعاشِرَ الأنصارِ، أَلَم آتكُم ضُلَّالاً فَهَداكُمُ اللهُ بي؟ وعَالةً فَأَغناكُمُ اللهُ بي؟ وأَعَداءً فَألَّفَ بينَ قُلُوبكُم بي»؟، قالوا: بلى، قال: «أَلاَ تُجيبُونَني» قالوا: وما نقول؟

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥)،وأما قوله: «وابدأ بمن تعول» فهو قطعة من حديث أخرجه البخاري(١٤٢٧)، ومسلم(١٠٣٤)من حديث حكيم بن حزام أيضاً، وهذا اللفظ بأجمعه من المغازي ٣/ ٩٤٥ .

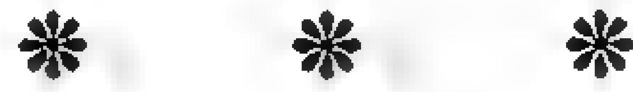
(٢) «المغازي» ٣/ ٩٤٨ .

(٣) انظر «المغازي» ٣/ ٩٤٩ .

قال: «قُولُوا، ولو شِئتُم لَقُلتُم فُصُدِّقْتُم: جِئتَنَا طرِيداً فآوَيناكَ، وعَائِلاً فآسَيْنَاكَ، وخائفاً فأَمَّناكَ، ومَخذُولاً فنَصرناكَ»، فقالوا: المنُّ لله ورسوله. فقال: «أَوجَدْتُم في لُعاعَةٍ مِنَ الدُّنْيا أَلَّفْتُ بها قوماً ليُسْلِموا، وَوَكَلْتُكُم إلى إسلامِكُم؟ أَلاَ ترضَوْنَ أن يذهبَ الناسُ إلى رحالهم بالشَّاءِ والبَعيرِ، وتذهبون إلى رِحالِكُم برسولِ اللهِ ﷺ، والذي نَفسي بيَدِهِ، لو أنَّ الناسَ سَلَكُوا شعْباً وَسَلكتِ الأنصارُ شِعْباً، لَسَلكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ»، فبكى القوم حتى اخْضَلَّتْ لِحاهُم، وقالوا: رضينا بالله ورسوله[١].

ذكر إسلام مالك بن عوف النّصري:

[وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف: مافعل؟][٢] فقالوا: هو بالطائف، فقال: «أخبروه فإن أتاني مُسلماً رَدَدْتُ عليه أهلَه ومالَه وأعطيتُه مئةً من الإبل» فأُخْبِرَ مالكٌ فخرج من حصن الطائف فحبسوه[٣]، فأمر براحلته فهيئت، وأمر بفرس له فأُتي به، فخرج ليلاً حتى لحق برسولِ الله ﷺ بالجِعِرانة أو بمكَّةَ، فردّ عليه ماله وأهله، وأعطاه مئة من الإبل، واستعمله على من أسلم من قومه[٤].



وفي هذه الغزاة قال ذو الخُويصرة واسمه ـ حُرقوص بن زهير ـ لرسول الله ﷺ: اعدل فما عدلت.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: أتى ذو الخويصرة التميمي إلى رسول الله ﷺ وهو يقسم الغنائم بحنين فقال: يا محمد، قد رأيتُ ما صنعتَ، فقال: «وكيفَ»؟ قال: لم أرَكَ عَدَلْتَ، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «إذا لم يكُنِ العَدلُ عِندي، فَعِندَ مَن يَكُونُ؟!» فقال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، فقال: «دَعهُ، فإنَّه سيكونُ لهذا

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٧٣٠).

(٢) ما بين معقوفين زيادة من «السيرة».

(٣) هكذا جاء النص في نسخنا، وجاء في «السيرة»: فخرج إليه من الطائف، وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه، أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال ما قال، فيحبسوه، فأمر ....

(٤) «السيرة» ٢/ ٤٩١.

شِيعَةٌ يتعَمّقون في الدِّين حتى يمرُقونَ منه كما يُمرقُ السّهمُ مِن الرَّمِيَّة»[(١)].

وذكر الطبري: أنّ ذا الخُوَيصرة قال لرسول الله ﷺ في مالٍ بعثه علي عليه السلام من اليمن إلى رسول الله ﷺ[(٢)].

[عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي من اليمن إلى رسول الله ﷺ][(٣)] بذهبة في أديم مقروظٍ لم تُحَصَّلْ من تُرابها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة: بين زيدِ الخيل، والأقرعِ بن حابس، وعيينةَ بن حِصْن، وعلقمةَ بن عُلاثَةَ أو عامرِ بن الطُّفَيْلِ، فوجدَ من ذلك بعضُ الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «ألاَ تَأْمَنُوني وأنا أمينُ مَنْ في السَّماءِ يَأْتيني خَبرُها صَباحاً ومَسَاء»؟. ثم أتاه رجل غائرُ العينينِ مشرفُ الوجنتينِ، ناشِزُ الجبهةِ، كثُّ اللحيةِ، مشمِّرُ الإزارِ، محلوقُ الرأسِ فقال: اتّقِ الله يا رسولَ الله، فرفع رأسه إليه وقال: «وَيحكَ، أليسَ أَحَقُّ أَهلِ الأَرض أن يَتَّقيَ اللهَ أَنَا؟» ثم أَدْبَرَ، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَه؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَلَعلَّه يكونُ قد صلَّى» فقال خالد: رُبَّ مصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي لم أُوْمَر أَن أُنَقِّبَ عن قلُوبِ النَّاسِ، ولا أَشقّ بُطُونَهم» ثم قال ﷺ: «سَيخرُجُ مِن ضِئضِئِ هذا.. وذكره»[(٤)].

فصل في المؤلفة قُلوبهم

فمنهم: الأَقْرع بنُ حابس التَّميمي المجاشعي، جُبَيْر بن مُطْعِم بن عدي، الحُرُّ بن قيس، الحارث بن هشام بن المغيرة، حويطب بن عبد العزى، حكيم بن حزام، حكيم ابن طليق، خالد بن قيس، سعيد بن اليربوع، سهيل بن عمرو، صَخر بن حرب، صفوان بن أمية، العلاء بن جارية الثقفي، العباس بن مِرداس السُّلَمي، عبد الرحمن بن يربوع، علقمة بن عُلاثة، عُمَيْر بن وهب، عمر بن مرداس، عمر بن مالك أبو السنابل، عيينة بن حِصْن، قيس بن عدي، قيس بن مَخْرمةَ، مالك بن عوف، مَخْرَمةُ بن نوفل،

---

(١) «السيرة» ٢/ ٤٩٦، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١١٥٣٧).

(٢) «تاريخ الطبري» ٣/ ٩٢.

(٣) ما بين معقوفين زيادة من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

معاوية بن أبي سفيان، الحارث بن علقمة بن كَلَدَة وأخُوه النَّضْر، هشام بن عمرو، وقيل: زيد الخيل.

قال عمرو بن العاص: كان رسولُ الله ﷺ إذا جلس بين أصحابه يتحدَّثُ يُقْبِلُ بوجهه على أهلِ الرُّتَب يتألَّفُهم بذلك، فكان يقبل بوَجْهِهِ وحديثِهِ عليَّ، حتى قلتُ: ما في أصحابه أحدٌ أحبُّ إليه مني، فسألته يوماً عن شيء ووَدِدْتُ أني لم أكن سألته فقلت: يا رسولَ الله، أيما أحبُّ إليك أنا أم أبو بكر؟ فقال: «أَبُو بَكرٍ» فقلت: عمر فقال: عمر، وذكر عثمان وعلياً وجماعةً من أصحابه وهو يقول: فلان لمن أذْكُرُه ولم يذكرني، فعلمت أنه كان يتألَّفُني(١).

وقال أنس: كان الرجل يأتي النبي ﷺ لشيء يعطاه من الدنْيا، فلا يمشي حتى يكون الإسلامُ أَحبَّ إليه من الدنيا وما فيها(٢).

وقال الشعبي: لم يبق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم أحدٌ، إنّما كانوا على عَهْدِ رسول الله ﷺ فلما وَلِيَ أبو بكر رضوان الله عليه انقطعت الرشا(٣).

وقال الشافعي: المؤلفة قلوبهم صِنْفان: مسلمون مجاهدون في سبيل الله، ومشركون أشراف مُطاعون، فالمشركون لا يُعْطَوْن شيئاً، أما المسلمون فأرى أن يُعْطَوْا من الخُمْس ما يُتَألَّفُون به سوى سهامهم، لأن النبي ﷺ كان يتألَّفُ أقْواماً في صدر الإسلام(٤).

وقال أبو جعفر محمد بن علي: سهم المؤلفة قلوبهم ثابت لم يتغير.

قال المصنف رحمه الله: وكان أشدَّهم على رسول الله ﷺ عيينةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر من بني فَزارة، [واسم فزارة](٥) عمرو، فضربه أخ له ففزره، وكنيته أبو مالِكٍ، ويقال لهم: بنو اللَّقيطة لأن جدَّتهُم وُجِدت لَقيطةً فَنُسِبوا إليها، وجدُّه حذيفةُ

---

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ١٥ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٠٥٠).

(٣) ذكره البيهقي ٧/ ٢٠.

(٤) «الأم» ٣/ ٢٠٩.

(٥) ما بين معقوفين زيادة من «الطبقات» ٦/ ١٧٤.

كان سيِّدَ غَطفان وقتلته بنو عبس، وابنه حِصْن كان سيداً قتلته بنو عَقيل، وكان عيينة سَبَب الفِجار الثاني، لأنه أغار على سوق عُكاظ.

وأسلم قبل الفتح وكان منافِقاً، وارتدَّ وقاتل المسلمين مع طُليحة، ثم عاد إلى الإسلام فقبله أبو بكر رضوان الله عليه وأمَّنه. وعاش إلى زمن عثمان رضي الله عنه ودخل عليه، فقال له: يا عثمان، سِرْ فينا بسيرة عمر، فإنه أعطانا حتى أغنانا، فقال: والله ما كنتَ راضياً بسيرة عمر، ثم قال له: هل لك إلى العشاء؟ فقال: إني صائم، فقال: أتواصل؟ فقال: وما الوصال؟ قال: تَصِلُ يومَك بليلتِك، فقال: لا، صيامُ الليل أهونُ عليّ من صيام النهار. وذهبت عيناهُ في أيام عثمان رضي الله عنه ومات فيها، ولم يضبط تاريخُ وفَاته.

وأما الأقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي، وكان سَيِّدَ قومِه، واسمه فراس، ولقب الأقرع لقرعٍ كان في رأسه، وهو نادى رسول الله ﷺ من وراء الحُجُرات، شهد حُنَيناً والطائف، قيل: وفتحَ مكة، وأسلم قبل الفتح، وشهد مع خالد بن الوليد مشاهده كلها واليمامة، ولم يذكر تاريخ وفاته، وقيل: إنه استعمل على جيش فدخل الجوزجان فأُصيبَ هو والجيش، وروى الحديث.

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدَّثنا عفان، حدَّثنا وُهَيب، حدَّثنا موسى بن عُقبة، حدَّثني أبو سلمة ابنُ عبد الرحمن، عن الأقْرعِ بن حابِسٍ أنه نادى: يا رسول الله من وراءِ الحجرات، فقال: يا رسول الله، إن حَمْدي لزَيْنٌ، وإن ذمي لشَيْن، فقال رسول الله ﷺ: «ذاكَ اللهُ عزَّ وجَلَّ»[(١)].

وأما العباس بنُ مِرْداس بن أبي عامر، أبو الهيثم، وقيل: أبو الفضل السُّلَمي، وكان [العباس بن][(٢)] مِرداس ممَّنْ حرَّم شربَ الخمر في الجاهلية وقيل: هو أول من حرَّمها.

وقال الزبير بن بكار: كان العباس فارِساً شاعراً، وأسلم قبل الفتح، ووافى رسولَ الله ﷺ بقُدَيْدٍ في ألف فارسٍ من قومه. وقيل: في تسع مئة عليهم الدروع والسلاح التام، وبأيديهم القنا. وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، ولم ينزل مكة

(١) مسند أحمد (١٥٩٩١).

(٢) ما بين معقوفين زيادة من «الإصابة» ٢/ ٢٧٢.

ولا المدينة بل البادية، وكان يغزو مع النبي ﷺ ثم يرجع إلى بلاد قومه، وكانت له بدمشق [دار] وبقيَّةٌ(١).

وقال أبو الفرج الأصبهاني(٢): كان العباس فارساً شاعراً، شديد العارضة والبيان، سيداً في قومه من كِلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وأمه الخنساء بنت عمرو بن الشريد.

ذكرُ رجوع رسول الله ﷺ من الجِعِرانة إلى المدينة

وأقام بالجِعِرانة ثلاث عشرة ليلة، وخرج منها ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعْدة ليلاً، فأحرم من مُصَلّاهُ، فلم يزل حتى دخل مكة واستلم الركن، ويقال: إنه لما نظر إلى البيت قطع التلبية وأناخ راحلته عند باب بني شيبة، ودخل وطاف ثلاثة أشواط يرمل فيها وتمم طوافه، ثم خرج فسعى بين الصفا والمروة على راحلته، وحَلَق رأسه عند المروة أبو هند عَبْدُ بني بياضة، وقيل: حلقه خِراش بن أمية، ولم يَسُقْ رسول الله ﷺ هَدْياً، ثم خرج من مكة فسلك على الجِعِرانة، ثم على سَرِف حتى انتهى على مَرِّ الظهران. واستعمل على مكة عتَّاب بنَ أَسِيد وقال له: «استعملتك على أهل الله» وخلَّفَ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري يُعَلِّمانِ الناسَ القرآنَ والفِقْهَ، وأقام الحج في هذه السنة عتاب بن أسيد، وحج ناس من المسلمين والمشركين على مُدَّتِهم(٣).

وقدم رسولُ الله ﷺ المدينة يومَ الجمعةِ لثلاثٍ بَقِيْنَ من ذي القعدة.

وفيها: تزوجَ رسولُ الله ﷺ الكلابيةَ، واسمها: فاطمة بنت الضحاك، وقيل: عَمْرَةُ بنت يزيد بن عُبَيْد بن كِلاب، وقيل: العالية بنت ظبيان، وقيل: هي التي استعاذت منه فقال لها: «الحقي بأهلك»، فكانت تقول: أنا الشقيةُ. وقيل: إنها من بني بكر بن

---

(١) هكذا جاء في نسخنا، وجاء في «الطبقات» ٥/ ١٦٢: ولم يسكن العباس بن مرداس مكة ولا المدينة، وكان يغزو مع النبي ﷺ ويرجع إلى بلاد قومه، وكان ينزل بوادي البصرة وكان يأتي البصرة كثيراً، وبقية ولده ببادية البصرة وقد نزل قوم منهم البصرة. وما بين معقوفين زيادة من «تاريخ دمشق» ٢٦/ ٤٠٣.

(٢) «الأغاني» ١٤/ ٢٩٤.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٥٩ ـ ٩٦٠.

كلاب، ولما وصفها أبوها لرسولِ الله ﷺ قال: وأزيدك أنَّها لم تمرض قط، فقال رسول الله ﷺ: «ما لهذه عند الله من خير» فطلَّقها.

وقيل: إنه دخل بها، ولما خَيَّر نساءه اختارت قومها ففارقها.

وقيل: وجد بكَشْحِها بياضاً ففارقها، وتوفيت سنة ستين في قومِها[١].

وفيها: وَفَدَ على رسولِ الله ﷺ امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرىء القَيْس بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاويةِ بن كِنْدةَ، وهو ثور بن عقيل بن سبأ بن يَشجُب بن يعرُب بن قحطان الكندي، فأسلم ورجع إلى بلاده، ولما توفي رسولُ الله ﷺ ثبتَ على إسلامه ومنع قومه من الردة لما ارتَدَّ بعضهم مع الأشعث بن قيس، وهو من الطبقة الرابعة ممن وفد وشهد اليرموك، ونزل بَيْسان من أرض الشام.

وفيها: طلَّق رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة، فجعلت يومها لعائشة رضي الله عنها فردَّها، وقيل: إنّه عَزَم على طلاقها فتركها.

وفيها: غلا السعر بالمدينة فقالوا: يا رسولَ الله سعِّر لنا، فقال: «إنَّ اللهَ هو الخَالِقُ البَاسِطُ الرزَّاقُ المُسَعِّرُ، وإنِّي لأَرجُو أنْ أَلْقَى اللهَ ولا أَحَدٌ يُطالِبُني بمَظْلِمةٍ ظَلمتُه إيَّاها»[٢].

وفيها: قَدِمَ عُرْوَةُ بن مسعود الثقفي من الطائف على رسول الله ﷺ.

وفيها: وُلِدَ إبراهيمُ عليه السلام ابن رسول الله ﷺ من مارية، في ذي الحجة، وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله ﷺ، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته، فأَخْبَرَ رسولَ الله ﷺ فوهب له عبداً، وعقَّ عن إبراهيم شاةً يوم سابعِهِ، وحلق رأسه وتصدق بوزنه فضةً على المساكين، ودفن شعره في الأرض، وشقَّ مولدُه على نساءِ رسول الله ﷺ ولا مثلَ عائشة رضوان الله عليها[٣].

وتنافس فيه نساءُ الأَنْصار، أَيهنَّ ترضعه، فدفعه رسولُ الله ﷺ إلى أُمِّ بُرْدَة بنت المنذر بن زيد وزوجها البراء بن أوس أَنْصاري، وكان رسولُ الله ﷺ يقيل عندها، وكان لرسول الله ﷺ ثُلَّةُ غنَمٍ يروح عليها، ولبنُ لِقَاحٍ، فقال لعائشة: «انظُرِي إلى

(١) «الطبقات» ١٠/ ١٣٦ ـ ١٣٧ .
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٠٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه .
(٣) انظر «الطبقات» ١/ ١١٢ .

شَبَهي» فقالت: ما أرى شبهه، فقال: «ألا تَرَيْ إلى بَيَاضِه ولَحمِهِ»[١].

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «ولد لي البارحة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم، فجاءني جبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم». قال أنس: ودفعه إلى أم سيف، امرأة قَيْنٍ بالمدينة، فجاء يوماً وقد امتلأ البيت دُخاناً، فقلت لأبي سيف: أمسك فقد جاء رسول الله ﷺ فأمسك، ودعا رسولُ الله ﷺ بالصبي فضمَّه إليه، وقال ما شاء اللهُ أن يقول[٢].

وفيها توفيت

زينبُ بنتُ رسولِ الله ﷺ

وأمها خديجة رضي الله عنها، وكانت أكبرَ بناته، وزوجُها: أبو العاص بن الربيع في الجاهلية ثم أسلم، وكانت زينب عليها السلام أسلمت قبله بست سنين، فردَّها رسول الله ﷺ بالنكاح الأول، لم يحدث شهادة ولا صَداقاً. ورُويَ أنه ردَّها بنكاحٍ جديد وولدت له علياً وأمامة، فأما علي فتوفي وقد ناهز الحُلُمَ، ودخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وهو رديفُه على ناقته وقيل: إنه عاش بعد رسول الله ﷺ، وهو وهم.

وأما أمامةُ فهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا قام حملها[٣].

وأهدى النجاشي إلى النبيﷺ حِلْيَةً فيها خاتمٌ من ذهب، فبعث به إلى أمامة، وقال: «تحلَّيْ بهذا يا بُنيَّة»[٤].

ولما توفيت فاطمةُ عليها السلام تزوَّج علي رضوان الله عليه أمامةَ، زوجه إياها الزبير بن العوام رضي الله عنه وكان أبو العاص أوصى إليه، ولما احْتُضِرَ علي عليه السلام قال لها: لا آمن أن يَخْطُبَكِ هذا الطاغيةُ بعد موتي ـ يعني معاوية ـ فإن كان لك في الرجال حاجةٌ فقد رضيت لك المغيرة بن نَوْفل عشيراً.

(١) «الطبقات» ١/ ١١٤.

(٢) «الطبقات» ١/ ١١٣.

(٣) أخرج البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب، فإذا ركع وسجد وضعها، وإذا قام حملها.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٨٨٠).

فلما انقضت عِدَّتُها كتب معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره أن يخطبها عليه وبذلَ لها مئة ألف دينار، فأرسلت إلى المغيرة وأخبرته وقالت: هذا خطبني، فإن كانت لك بي حاجة فأَقْبِل، فجاء إلى الحسن عليه السلام فخطبها إليه فزوَّجه إياها[١].

وقال ابن سعد: لما قُتِلَ عليٌّ رضوان الله عليه خطبها معاوية، فقال لها المغيرة بن نوفل: أتتزوجين بابن آكلة الأكباد، فلو جعلت أمرك إلي، قالت: نعم، فقال: قد تزوجتُكِ، قال ابن أبي ذئب: فجازَ نِكاحُهُ[٢].

وقال شيخنا موفق الدين رحمه الله: أهدي إلى رسول الله ﷺ قلادة من جَزْعٍ فقال: «لأَدْفَعَنَّها إلى أَحَبِّ أَهلِي إليَّ» فقال النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة، فدعا رسول الله ﷺ أمامة بنت زينب فعلَّقها في عنقها[٣].

وقال الواقدي: كانت أم أيمن وسودة بنت زمعة وأم سلمة فيمن غَسَّل زينب عليها السلام، وقال لهنَّ رسول الله ﷺ: «اغْسِلْنَها وِتْراً: ثلاثاً أو خَمساً أو سَبعاً، واجعَلْنَ في الماءِ سِدْراً وفي الأخيرةِ كافوراً، وابْدَأْنَ بميَامِنِها ومواضعِ الوُضوءِ منها». قالت أم عطية: فجعلنا رأسها ثلاثة قرون: ناصيتها وقرنيها، وألقَيناه خلفها، ثم دفع إلينا رسول الله ﷺ إزاره وقال: «أَشْعِرْنَها إيّاهُ» ففعلنا، ثم أدنَيْناها منه فصلى عليها ونزل في قبرها[٤].

وقال أنَس: شهدنا ابنة رسولِ الله ﷺ وهو جالس على القَبْرِ وعيناه تدمعان فقال: «هَل فيكُم رجلٌ لم يقارِف الليلةَ»؟ فقال أبو طلحة: نعم أنا، قال: «انزل» فنزل في قبرها[٥]، سلامُ الله ورحمته ورضوانه عليها.

عروة بن مسعود

ابن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وهو قسي بن منبِّه

---

(١) انظر «الإصابة» ٤/ ٢٣٧ .

(٢) «الطبقات» ١٠/ ٤٠ .

(٣) التبيين ٢٢٥ .

(٤) انظر «الطبقات» ١٠/ ٣٥ ، وأخرجه البخاري (١٢٥٣)، ومسلم (٩٣٩) من حديث أم عطية رضي الله عنها .

(٥) أخرجه البخاري (١٢٨٥).

ابن بكر بن هوازن بن منصور، أَبو يَعْفور الثقفي، وأُمه سُبيعةُ بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قُصيّ.

قذف الله في قلبه الإسلام فقدِم المدينةَ على رسول الله ﷺ فأسلم في ربيع الآخر فسُرَّ رسول الله ﷺ والمسلمون بإسلامه، ونزل على أبي بكر رضوان الله عليه وقال: يا رسولَ الله، ائذنْ لي أن أذهبَ إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، فأقدُمُ عليهم بِخَيْرِ ما وفد وافِدٌ على قومِه، فقال له رسول الله ﷺ: «إنهم إذاً قَاتِلُوكَ» فقال: يا رسولَ الله، لأنا أَحبُّ إليهم من أبكارِ أولادهم، ثم استأذنه ثانياً، فقال له مِثْلَ قوله الأول، وقال له: يا رسولَ الله، لو وجدوني نائماً ما أَيقظوني، ثم استأذنه ثالثاً فقال له: «إن شِئتَ فاخرُجْ».

فسار إلى الطائف فقدمه عَشِيّاً ودخل منزلَه ليلاً، فأنكر قومُه دخولَه منزِلَه، فحيَّوْه بتحيَّةِ الشرك فقال: عليكم بتحية أهل الجنةِ، ثم دعاهم إلى الإسلامِ فاتهموه وقالوا: واللاتِ والعُزّى لقد وقع في نفوسنا حيث لم تحلقْ رأسَكَ أنك قد صبأتَ، ونالوا منه فحلُم عنهم، وخرجوا من عنده يأتمرون كيف يصنعون به، حتى إذا طلع الفجرُ أَوفى على غُرْفَةٍ له فأذَّن بالصلاة، فرماه رجلٌ من رهطه من الأحلافِ يقال له: وهب بن جابر بسَهْم، وقيل: إنّ الذي رماه أَوسُ بن عوفٍ من بني مالكٍ وهو أَثبت، وكان عروةُ من الأحلافِ فأصابَ أكحله فلم يرقأ دمُه، وحَشَد قومُه ولبسوا السلاحَ، وفعل الآخرون كذلك، فلمّا رأى عروةُ ذلك قال: لا تقتلوا بي، فإني قد تصدَّقْتُ بدمي على قاتلي لأُصلحَ بينكم، فهي كرامةٌ أكرمني الله بها، وهي الشهادةُ ساقها الله إليَّ، ثم قال: أشهدُ أن محمداً رسولُ الله، أخبرني أنكم تقتلوني، ثم قال لرهطهِ: ادفنوني مع الشُّهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحلَ عنكم، فدفنوه معهم، وبلغَ رسولَ الله ﷺ قتلُه فقال: «مَثلُ عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الصلاة فقتلوه»[(١)].



(١) «المغازي» ٣/ ٩٦٠ ـ ٩٦١، و«الطبقات» ٨/ ٦٤ ـ ٦٥.

السنة التاسعة [(١)] من الهجرة

فيها: قدم وفدُ بني أَسدٍ في أولِ المحرَّم إلى المدينة، وفيهم: طُلَيْحَةُ بن خُويلد بن نوفل، وكان يُعَدُّ بألفِ فارسٍ. وكان في الوفد ضرار بن الأزور والحضرمي بن عامر، فقال حضرمي: يا رسول الله، لقيناك مُتَدَرِّعين الليل البهيم في سنة شهباء لم تبعثْ إلينا بعثاً ولم تُرسِلْ إلينا رسولاً، ثم أسلم طُليحة وأخوه سلمة والقومُ، ثم ارتدّ طُليحة وأخوه بعد وفاة رسول الله ﷺ [(٢)]، ويقال: إن فيهم نزل قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧].

وفيها: بعث رسولُ الله ﷺ لما رأى هلال المحرم المُصَدِّقين إلى العرب، فبعث بُريدةَ إلى أسلم وغفار، وعبادَ بنَ بِشرٍ إلى سُلَيم ومُزَيْنَة، ورافعَ بنَ مَكِيثٍ إلى جُهَيْنَةَ، وعمرو بنَ العاص إلى فَزارةَ، والضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كِلاب، وبُسْر بن سفيان إلى بني كعب، وابن اللُّتْبِيَّة الأَزْدي إلى بني ذُبْيان، وبعث رجلاً من بني سعد على صدقاتِهم.

وقيل: إنما سعى على بني كعب نُعيم بن عبد الله النَّحَّام العدوي، فجاء وقد حلَّ بنواحيهم من بني تميم بنو عمرو وهم يشربون على غدير بذات الأشطاط، وقيل: وجدهم على عُسْفان، فأمر بجمع مواشي خزاعة ليأخذ منها الصدقة، فَحَسَرَتْ عليه خزاعة الصدقة من كل ناحية، فاستنكر ذلك بنو تميم وقالوا: ما هذا؟ أتؤخذ أموالكم منكم بالباطل؟ فقاموا إلى السلاح، فقال الخزاعيون: نحن قوم نَدينُ بدينِ الإسلام وهذا من ديننا، وقال التميميون: والله لا يصل إلى بعير منها أبداً، فهرب المصدِّقُ خوفاً على نفسه، والإسلام يومئذٍ لم يَعُمَّ العربَ، وقَدِمَ المُصَدِّقُ على رسولِ الله ﷺ فأخبره الخبر، وأخرجت خزاعةُ بني تميم من بلادهم، وقالوا: لولا قرابتكم لما وصلتم إلى بلادكم، ليدخُلَنَّ علينا من محمدٍ بلاءٌ وعداوة، وعلى نفوسكم، فقال

---

(١) في النسختين: السابعة، وهو خطأ.

(٢) ثم أسلم طليحة بعد وفاة أبي بكر، وقال ابن سعد: وأسلم طليحة إسلاماً صحيحاً ولم يغمص عليه في إسلامه، وشهد القادسية ونهاوند مع المسلمين. «الطبقات» ٦/١٥٦.

رسولُ الله ﷺ: «مَنْ لِهؤلاءِ الذين فَعَلوا ما فَعَلوا»؟ فقال عيينةُ بن حِصن: أنا والله لهم، أتبع آثارهم وآتيك بهم إن شاء الله فترى فيهم رأيك أو يُسْلموا.

وخرج في خمسين فارساً من العرب ليس منهم مُهاجريٌّ ولا أَنْصاريٌّ، وكان يكمن بالنَّهارِ ويسير بالليل، حتى انتهى إلى العَرج، فاقتصَّ آثارهم فوجدهم قد عدلوا من السُّقيا يريدون أرض بني سُليم، فنزلوا في صحراء وسرَّحوا مواشيهم والبيوت خُلوف ليس فيها إلا النِّساءُ ونفرٌ، فأخذ منهم أَحَدَ عَشَرَ رَجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيّاً، وقَدِمَ بهم المدينةَ فحبسهم رسولُ الله ﷺ في دار رملة بنت الحارث[1].

وفيها: قدم وفد تميم بهذا السبب وهم عشرة من رؤسائهم: عطارد بن حاجب بن زُرارة، والزِّبْرِقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث، وتميم[2] بن سعد، وعمرو بن الأَهتَم، والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث بن مجاشع، فدخلوا المسجد قبل الظهر وسألوا عن سَبْيِهم فأُخبروا أنهم في دار رملة، فجاؤوهم فبكى الذراري والنساءُ، فرجعوا حتى دخلوا المسجد ورسولُ الله ﷺ يومئذ في بيت عائشةَ رضوان الله عليها وقد أذَّن بلال الظُّهرَ والناس ينتظرون خروجَ رسول الله ﷺ، فتعجلوا خروجه، فنادَوْا: يا محمد، اخرج إلينا، فقال بلال: إن رسول الله ﷺ يخرج الآن، وخرج رسولُ الله ﷺ وأقام بلالٌ الصلاةَ فتعلقوا برسول الله ﷺ يكلِّمونه ويقولون له: أتيناك بخطيبنا وشاعِرِنا فاستمع لهم، وصلّى رسول الله ﷺ الظُّهْرَ، ثم دخل بيته فصلى ركعتين، ثم خرج فجلس، فقام عطارد بن حاجب فخطب وقال:

الحمد لله الذي له الفضل علينا، والذي جعلنا ملوكاً وأعطانا الأموال نفعل بها المعروف، وجعلنا أعزَّ المَشْرِق وأكثرهم مالاً وعدداً، فمن مِثْلُنا في الناس، فمن فاخَرنا فَلْيُعَدِّدْ مثلَ ما عَدَّدْنا، ولو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكنا نستحي من الإكثار فيما أعطانا الله، أقول هذا إلا أن يأتي من يقولُ ما هو أفضل منا[3].

فقال رسولُ الله ﷺ لثابت بن قيس بن شمّاس: «قُم فأَجِبهُم» فقال: الحمد لله الذي

(١) «المغازي» ٣/ ٩٧٣ ـ ٩٧٥.

(٢) ذكره ابن حجر في «الإصابة» ١/ ١٨٥ وقال: كان في وفد تميم الذين قدموا وأسلموا، وذكره أيضاً ٣/ ٥٦٧ في نعيم وقال: ذكره ابن سعد فيمن قدم في وفد تميم.

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٥٦٢.

خلق السماواتِ والأرضَ، وقضى فيهما أمره، ووَسِعَ كلَّ شيءٍ علمُهُ، ثم كان فيما قدَّر لنا وأنعَم علينا أن اصطفى من خلقه رسولاً، أكرم الناس نَسباً، وأشرفهم حسباً، وأحسنهم زِيّاً، وأصدقهم حديثاً، أنزلَ عليه كتابَهُ، وجعله أميناً على خلقه، وكان خِيرته من عباده، فدعا إلى الإيمان بالله، فآمن به المهاجرون من قومه، ثم كنا أول الناس إجابةً له، فنحن أنصارُ الله ورسولِهِ، نقاتِلُ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلّا الله، فمن آمن بالله ورسوله مَنع منَّا دمَه وماله، ومن كفر بالله ورسولِهِ جاهدناه وكان قتله علينا يسيراً. أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات. ثم قَعَدَ.

فقالوا: يا رسولَ الله، ائذن لشاعِرنا، فأذن له، فقام الزبرقان بن بدر فقال: [من البسيط]

نحن الملوك فلاحيٌّ يعادِلُنا ... فينا الملوك وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ
وكم قَسَرْنا من الأحياءِ كُلِّهِمُ ... عند النِّهابِ وفَضلُ الخير يُتَّبَعُ
ونحن نُطعِمُ عند القَحْطِ ما أكلُوا ... من السَّديفِ إذا لم يُؤنَسِ القَزَعُ
وننحر الكُومَ عَبْطاً في أَرومتِنا ... للنَّازلين إذا ما استُنْزِلوا شَبِعوا
ولا ترانا إلى حَيٍّ نُفَاخِرُهم ... إلا استَعاذوا وكادَ الرأسُ يُقْتَطَعُ
فمَن يُفاخِرُنا في النَّاس نَفْخَرُهُ ... فيَرجعُ القَولُ والأخبَارُ تُسْتَمَعُ

فقال رسول الله ﷺ لحسان: «يا حسانُ، أَجِبْ» فقام فقال: [من البسيط]

إنَّ الذَّوائبَ من فِهْرٍ وإخْوَتِهم ... قد شرَّعوا سُنَّةً للناسِ تُتَّبَعُ
أكرِمْ بقومٍ، رسولُ الله شِيعتُهم ... إذا تفرَّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
وأنَّهم أفْضَلُ الأحياءِ كُلِّهِم ... إنْ جَدَّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا
قومٌ إذا حاربوا رَدُّوا عَدُوَّهُمُ ... أو حاوَلُوا النَّفْع في أشْياعِهم نَفَعوا
إن كان في الناس سَبَّاقون بَعدهُمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لأَدْنى سَبقهم تَبَعُ
أَهْدى لهم مِدَحاً قلبٌ يُؤازِرُهُ ... فيما أحب لسان حائكٌ صَنَعُ

من أبيات[1].

(١) المغازي ٣/ ٩٧٧ ـ ٩٧٨، والسيرة ٢/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤.

وخلا الوفد بعضهم إلى بعض فقالوا: والله خطيبُهم أبلغُ من خطيبنا، وشاعرهم أشعرُ من شاعِرنا وهم أَحْلَمُ منّا، وأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات: ٤] وردَّ رسول الله ﷺ الأسرى والسبي وأجازهم فأحسن جوائزهم، وكان عمرو بن الأهتم في رِحالهم وظَهْرِهم ومن أحدثهم سِنّاً، وقيس بن عاصم يبغضه فقال: يا رسول الله إنه قد تخلَّفَ غلام منا في رحالِنا وهو حَدَثٌ لا شرَف له، فقال رسول الله ﷺ: «وإن كان فإنَّه وافدٌ وله حقٌّ». فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ماأعطى واحداً من القوم، وبلغ عمراً فقال يهجو قيس بن عاصم: [من البسيط]

ظَلِلْتَ تغتابُني سِرّاً وتشتُمني عند الرسول فلم تصدقْ ولم تُصِبِ
سُدْناكمْ سُودَداً رَهْواً[1] وسؤدَدُكم بادٍ نواجذهُ مُقْعٍ على الذَّنَبِ
إن تُبغضونا فإن الرومَ أصلُكُمُ والروم لا تملكُ البغضاءَ للعرب

وقال أبو إسحاق الثعلبي: جاءت بنو تميم إلى رسول الله ﷺ فنادوا على الباب: يا محمد اخرج إلينا، فإن مدحَنا زَيْنٌ وذمنا شيْنٌ، فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: «إنما ذلكم الله، مدحُه زَيْنٌ وذمُّه شَينٌ». فقالوا: نحن أناسٌ من بني تميم جئنا بشاعِرنا وخطيبنا لنُشاعِرَكَ ونفاخِرَكَ.

فقال رسول الله ﷺ: «ما بالشِّعرِ بُعثتُ، ولا بالفخارِ أُمرتُ ولكن هاتوا» فقال الزبرقان لشاب فيهم: قم فاذكر فضْلَكَ وفضْلَ قومك، وذكر بمعنى ما تقدم.

ثم إن حسانَ بنَ ثابتٍ أنشد بعد إجابته لشاعرهم بالأبيات المتقدمة: [من الطويل]

نصرنا رسولَ الله والدينَ عَنْوَةً على رُغْمِ عاتٍ من مَعَدٍّ وحاضِرِ
فأحياؤنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الحَصا وأمواتُنا من خيرِ أَهْلِ المقابرِ

فقام الأقرع وقال: قد قلت شعراً فاسمعه مني، فإني ما جئت لِما جاءَ له هؤلاء، فقال: «هات» فقال: [من الطويل]

أتيناكَ كَيْما يَعْرِفَ الناسُ فَضْلَنا إذا جاء أَمْرٌ عند ذكر المكارمِ

(١) في النسخ: نهزاً، والمثبت من السيرة ٢/ ٥٦٧، وانظر المغازي ٣/ ٩٨٠.

وأَنـا رُؤوسُ الـنـاس مـن كـل مـعـشـر ... وأن لـيـس فـي أرض الـحـجـاز كَـدارِمِ
وأَنَّ لـنـا الـمِـرْبـاعَ فـي كـلِّ غـارَةٍ ... تـكـون بـنَـجـدٍ أو بـأَرْضِ الـتَّـهـائـمِ

فقال رسول الله ﷺ: «يا حسان أجبه» فقال: [من الطويل]

بـنـي دارم لا تَـفْـخَـروا إنَّ فَـخـرُكُـم ... يـعـود وَبـالاً عـنـد ذِكْـرِ الـمـكـارمِ
هَـبِـلْـتُـم، عـلـيـنـا تـفـخـرون؟ وأَنْـتُـم ... لـنـا خَـوَلٌ مِـنْ بـيـن ظِـئـرٍ وخـادِمِ

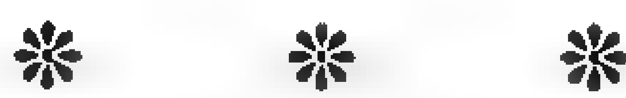
فقال رسول الله ﷺ: «لقد كُنْتَ غَنِيّاً يا أَخَا بني دارمٍ أن تذكرَ الناس ما كانوا قد نَسوه» فكان قوله ﷺ أشدَّ من قول حسان.

ثم عاد حسان إلى شعره فقال:

فـإن كُـنْـتُـمُ جِـئـتُـم لـحـقْـنِ دمـائِـكـم ... وأموالِكم أن تُقْسَموا في المقاسِمِ
فـلا تـجـعـلـوا لله نِـدّاً وأَسْـلِـمـوا ... ولا تَـفْـخَـروا عِـنْـدَ الـنـبـي بـدارِمِ
وإلاَّ وربِّ الـبـيـتِ مـالـت أكـفُّـنـا ... على هامِكم بالمرهفاتِ الصوارمِ

فقال الأقرع: والله إن محمداً لَمُؤتى له! تكلَّمَ خطيبُهم فكان أحسنَ قولاً، وتكلَّم شاعرهم فكان أشعرَ من شاعِرنا، ثم قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك محمدٌ رسولُ الله.

فقال النبي ﷺ: «ما يَضُرُّك ما كان قَبْلَ هذا». ثم أعطاهم وكساهم وارتفعتِ الأصواتُ عند رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] الآيات، يعني جفاة بني تميم(١).



وفيها: كانت سرية قُطبَة بن عامر إلى الخَثْعمِ، في صَفَر(٢).

وفيها: كانت سرية الضَّحَّاكِ بنِ سفيان الكلابي إلى القُرَطاءِ إلى بني كِلاب في ربيع الأول(٣).

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٢٢ ـ ٥٢٤، والخبر بتمامه في «تاريخ دمشق» ١٢/ ٤٠٩ ـ ٤١١، وانظر «السيرة» ٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٧.

(٢) «المغازي» ٣/ ٩٨١، و«الطبقات» ٢/ ١٤٨، و«المنتظم» ٣/ ٣٥٨.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٨٢، و«الطبقات» ٢/ ١٤٩، و«المنتظم» ٣/ ٣٥٩.

وفي ربيع الأول وَفَدَ وَفْدُ عبد قيسٍ إلى المدينة.

قال الواقدي: كتب رسول الله ﷺ إلى البحرين أن يَقْدُمَ عليه عشرون رجلاً من عبد القيس، فقدموا ورأْسُهم: عبدُ الله بن عوف الأشجُّ، وفيهم الجارود العبدي، ومنقذ بن حيان، فقال رسول الله ﷺ: «مرحباً بكم وأهلاً، نِعْمَ الوَفْدُ وَفْدُ عَبْدِ القَيْس، أيُّكم الأشجُّ» وكان دَميماً فقال: أنا، فنظر رسول الله ﷺ، فقال الأشجُّ: يا رسول الله، المرءُ بأَصْغَرَيْهِ قلبِهِ ولسانِه، فقال له: «فيك خَصْلتان يحبهما الله ورسوله: الحِلْمُ والأناةُ» فقال: أشيء حدث أم جُبِلْتُ عليه؟ فقال: «لا بل جُبِلْتَ عليه»، وكان الجارودُ نصرانياً فأسلم وحسن إسلامُهُ، واسمه بشر، وأنزلهم رسولُ الله ﷺ دار رملة ومسح على وجه منقذ بن حيان، ثم أعطاهم جوائزهم وأحسن إليهم وانصرفوا[١].

وفيها: كانت سرية الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب، غير السرية الأولى[٢].

وفيها: وَفْدُ بكر بنِ وائل، في ربيع الأول، وكان فيهم بشير بن معبد السَّدوسي وأُمُّهُ الخَصاصيّة أزْدِيّةٌ، قال هشام: هي أُمُّ أَحدِ أجدادِهِ، وأسلم وحَسُنَ إسلامه وصار من أهل الصُّفَّةِ، وماشى رسول الله ﷺ يوماً فأخذ بيده وقال له: «يا ابن الخصاصية، ما أصبحت تنقم على الله حيث أصبحتَ تُماشي رسول الله»؟ فقال: ما أصبحت أَنْقِمُ شيئاً، قد أعطاني ربي كل خير[٣].

وكان في الوفد حسَّانُ بنُ حَوْط، بحاءٍ مهملة، وفيه يقول بعض ولده[٤]: [من الرجز]

أنـا ابـنُ حـسـان بـن حـوطٍ وأبـي

رسـولُ بـكـرٍ كـلـهـا إلـى الـنَّـبـي

* * *

(١) انظر «الطبقات» ١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٢) لم نقف عليها ولعلها كانت في بعثه على الصدقات.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٧٨٧).

(٤) «الطبقات» (١/ ٢٧٢).

وفيها: كانت سرية علقمة بن مُجَزِّز المُدْلجي إلى جُدَّة في ربيع الآخر[١]، بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تَراآهُمْ أهلُ الشُّعَيْبَةِ: ـ ساحلٍ بناحية مكَّةَ ـ في مراكِب، فبعث علقمةَ في ثلاث مئة رجلٍ، فانتهى إلى جزيرة في البحر، فخاضَ الماءَ إليهم فهربوا مِنه فانْصَرف، فلما كان ببعض المنازل استأذنه بعض الجيش في الانصراف حيث لم يَلْقَوا كَيْداً، فأذِنَ لهم، وأمّر عليهم عبدَ الله بنَ حُذافةَ السَّهْمي، وكان فيه دُعابةٌ فنزلوا ببعض [الطريق] وأوقدوا ناراً يصطلون بها، فقال عبدُ الله: عزمت عليكم إلا تواثبتُم في هذه النار، فقام بعض القوم فتحجَّزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها قال: اجلسوا، إنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «مَن أَمَركُم بمَعصِيَةٍ فَلا تُطيعُوهُ»[٢].

وفيها: كانت سرية علي رضي الله عنه في ربيع الآخر إلى الفُلْسِ[٣] صنمِ طيِّئ، بعثه رسولُ الله ﷺ في خمسين ومئة رجلٍ من الأنصار على مئة بعير وخمسين فرساً، فأجنبوا الخيل واعتقبوا الإبلَ حتى أغاروا على حيٍّ من أحياء العرب، وسألوا عن محلَّةِ آلِ حاتمٍ فَدُلُّوا عَليها، فشنُّوا الغارة مع الفجر فَسَبَوْا حتى ملؤوا أيديهم من السبي والنَّعم والشاء، وهَدَموا الفُلْسَ وكان صنماً لطيء.

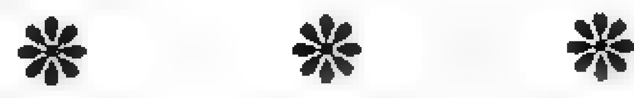
وفي رواية: خرج ومعه رايةٌ سوداء مع سهل، ولواء أبيض مع جبار بن صخر، وبين يديه دليلٌ خِرِّيتٌ، فسلكَ بهم طريق فَيْد، فلما انتهى بهم إلى موضع قال: قد بقي بينكم وبين الذي تُريدون يوم، فإن سرتم نهاراً رآكم رعاؤهم فيُنذِروا بكم، ولكن أقيموا يومكم هاهنا ونمشي ليلتنا فَنُصَبِّحُهم في عماية الصبح، فنزلوا وسرَّحوا إبلهم، فبعث علي رضوان الله عليه أبا قتادة والحُبابَ بنَ المنذر وأبا نائلة على خيولهم يطوفون حول العسكر، فوجدوا غُلاماً أسودَ، فقالوا: من أنت؟ فقال: أطلب بُغْيتي، فأَتَوْا به عَليّاً فشدد عليه، فقال: أنا غلام من طيء، بعثوني إلى هذا المكان وقالوا: إن رأيت خيل محمد فَطِرْ إلينا. فقال علي رضوان الله عليه: ما تَرَوْنَ؟

(١) «السيرة» ٢/ ٦٣٩ـ ٦٤٠، و«المغازي» ٣/ ٩٨٣، و«الطبقات» ٢/ ١٤٩، و«المنتظم» ٣/ ٣٥٩.
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٦٣٩).
(٣) «المغازي» ٣/ ٩٨٤، و«الطبقات» ٢/ ١٥٠، و«المنتظم» ٣/ ٣٦٠.

فقال جبار بنُ صَخْرٍ: أرى أن نَسري ليلاً على خيلنا والعبدُ معنا حتى نصَبِّحَهُم، فقال: سيروا واجعلوا العبد دليلاً وهو مكتوف يردفه بعضهم عقبه، فلما ابهارَّ الليل وقف وقال: أخطأت الطريق وتركْتُها ورائي فرجع بهم مقدارَ ميل ثم قال: أنا على خطأ، فقال علي رضوان الله عليه: أنا منك على خُدَعة، قدِّموه فاضْرِبوا عنقه. فلما رأى السيف قال: أرأيتكم إن صدقتكم أينفعني؟ قالوا: نعم، قال: فإني صنعت ما رأيتم لأنه أدركني ما يدرك الناس من الحياءِ فقلتُ: أقبلتُ بالقوم أدلهم على الحي من غير مِحْنَةٍ، فلما عايَنْتُ القتل كان لي عذرٌ، الحيُّ منكم قريب. فتَسمَّعوا نُباحَ الكلاب، فصبَّحوهم وَقت السَّحَر وسَبَوْا وأخذوا النِّساء والأموال، فنظرت جاريةٌ إلى العبد وهو موثوق فقالت: هذا عمل رسولِكم أَسْلَمَ، فقال: يا ابنة الأكارم والله ما فعلت حتى قُدِّمْتُ لتُضْرَبَ عنقي.

وأصابوا أُخْتَ عدي بن حاتم فعزلوها ناحِيةً[١].

وقال هشام: جعل رسول الله ﷺ أخت حاتم في حظيرة، فمرَّ بها رسول الله ﷺ فنادته: يا محمد أنا ابنةُ سيد قومي، كان أبي يحمي الذِّمارَ، ويفكُّ العاني، ويَقْري الضَّيْفَ، ويُشْبعُ الجائع، ويُطْعِمُ الطعامَ، ولم يردَّ طالبَ حاجةٍ قط. فقال لها رسول الله ﷺ: «هذه صِفَةُ المؤمنينَ، لو كانَ أَبوكِ مُؤمناً تَرحَّمنا عليه، أَطلِقُوا عنها، فإنَّ اللهَ يُحبُّ مكارِمَ الأَخلاقِ».



وفي ربيع الآخر قدم وفْدُ تُجيب، وكانوا ثلاثة عشر، ساقوا صدقاتِ أموالِهم إلى رسولِ الله ﷺ فسُرَّ بهم وأنزلهم وأحسن إليهم وأجازهم بأكثر مما كان يجيزُ الوفود، وقال: «هل بقي منكم أحد»؟ قالوا: غلام خَلَّفْناهُ في رحالنا، فدعاه وقال: «ما حاجتُكَ»؟ فقال: أن تدعو لي بأن يغفر الله لي ويجعل غِنايَ في قلبي، فدعا له، وأمر أن يُعطى مثل ما أعطى واحداً مِنهم، ورجعوا إلى بلادهم، ثم وافَوْا رسول الله ﷺ بالموسمِ سَنَةَ عشر فسألهم عن الغلام، فقالوا: ما رأينا أقنع منه بما رزقه الله تعالى،

---

(١) «المغازي» ٣/ ٩٨٤ ـ ٩٨٧.

فقال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن نموت جميعاً» فمات الغلامُ ورسولُ الله ﷺ في يومٍ واحدٍ(١).



وفي ربيع الآخر بعثَ رسولُ الله ﷺ الوليدَ بن عُقْبة بن أبي مُعَيْطٍ مُصَدِّقاً إلى بني المصطلق من خُزاعةَ وكانوا قد أسلموا وبَنَوُا المسجد، فلما دنا منهم الوليد خرج إليه عشرون رجلاً يَتلقَّوْنه بالجزور والغنم فرحاً به، فلما رآهم ولَّى راجعاً إلى المدينةِ وأخبرَ رسولَ الله ﷺ أنَّهم لقوْه بالسلاح وحالوا بينه وبين الصدقةِ، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم، وبلغ القوم، فقدم عليه الذين لقوا الوليد وقالوا: يا رسول الله هل ناطقَنا أو كَلَّمنا كلمةً واحدةً؟ فأنزل الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ الآية [الحجرات: ٦]. وقيل: كان بين الوليد وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمعوا به تلقَّوْه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فظنَّ أنهم يريدون قتله فهابهم ورجع(٢).

وفيها: قدم عدي بن حاتم إلى المدينة في جمادى الأولى.

قال عدي بن حاتم: ما كان رجلٌ من العرب أشدَّ كراهيةً لرسولِ الله ﷺ مني، لأني كنت رجلاً نصرانياً شريفاً في قومي مَلِكاً عليهم، فخِفْتُ على مُلْكي ونَفْسي، فقلت لغلامي: أَعْدِدْ لي إبلاً سِماناً فاحْتَبِسْها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش محمد وطئَ البلاد فآذنّي، فجاء يوماً فقال: هذه جيوشُ محمد، فاحتملتُ بأهلي وقلت: ألحقُ بالشام فأكون عندَ النَّصارى، وخلَّفتُ ابنةَ حاتمٍ بالحاضِر، وجاء علي بن أبي طالب فأصابها فيمن أصابَ وقدم بها على رسولِ الله ﷺ في سبايا طيِّءٍ، وبلغ رسولَ الله ﷺ هربي إلى الشام، فجعل ابنة حاتم في حظيرةٍ، وذكر بمعنى ما تقدم من قولها: هلك الوالد وغاب الوافد، فلما كان في اليوم الثالث قال لها: «قد مَنَنْتُ عليك فلا تخرجي حتى تجدي من قومك ثِقةً». قالت: فقدم قوم من قُضاعة فَقلت: يا رسولَ الله قد قدم ركبٌ من قومي لي فيهم ثقة وبلاغٌ، قال: فكساني وأعطاني وحملني ودفع إلي نفقةً،

(١) «الطبقات» ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) «السيرة» ٢/ ٢٩٦، و«المغازي» ٣/ ٩٨٠، و«الطبقات» ٢/ ١٤٨.

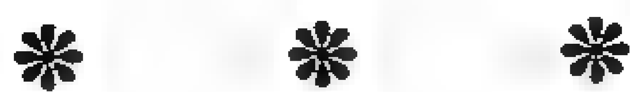
فخرجتُ معهم حتى قدِمْتُ الشامَ.

قال عدي: فواللهِ إني لقاعدٌ في قومي إذ نظرت إلى ظعينةٍ تضرب إليّ، فقلت: ابنةُ حاتم؟! فإذا هيَ هيَ، قال: فخرجتُ، فقدِمْتُ على رسولِ الله ﷺ وهو في مسجده، فسلَّمْتُ عليه فقال: «مَنِ الرجُلُ»؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام وانطلق بي إلى منزله، فلقيته امرأة ضعيفةٌ فاستوقفَتْه فوقف لها، فكلَّمَتهُ في حاجتها فقضاها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملِكٍ، ثم دخل بيته وناولني وِسادةً من أدَمٍ حَشوُها من ليف وقال: «اجلِسْ عليها» فجلست عليها وجلس هو على الأرض، فقلت في نفسي: والله ما هذا بمَلكٍ، ثم قال: «إيهِ يا عديُّ، أَلَمْ تَكُ رَكوسِيّاً»؟ قلت: بلى، قال: «أَلَم تَسِرْ في قَومِكَ بالمِرْباعِ»؟ قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يك في دينك».

الركوسيون: قرية من النصارى والصابئين. والمِرْباعُ: ما يأخذُه المقدَّمُ من الغنيمة، ومعناه: أن الغنائم لم تَحِلَّ لأحد إلا لهذه الأمَّةِ.

فقلتُ في نفسي: هذا نبيٌّ مرسلٌ يعلم ما نجهل، فقال: «لعلَّه إنما يمنعُكَ مِن الدُّخولِ في هذا الدِّينِ ما تَرَى من حَاجَتِهِم، فَو اللهِ لَيوشِكُ أن يَفيضَ المالُ فيهم، حتى لا يُوجَدَ من يأخُذُهُ، [ولعلَّك إنما يمنعُكَ ما ترى مِن كَثرةِ عَدوِّهم وقلَّةِ عددِهم، فَواللهِ ليوشِكَنَّ يُسمع بالمرأةِ تخرجُ من القادسيَّةِ على بعيرٍ، حتى تزورَ هذا البيت لا تخافُ][1]، ولعلَّكَ إنما يمنعُكُ مِن الدُّخولِ فيه ما ترى من المُلكِ والسُّلطانِ، فَواللهِ لَيوشِكَنَّ أن تَسْمَع بالقُصُورِ البيضِ في أَرْضِ بابلَ قد فُتِحَتْ».

وأسلم عدي وكان يقول: قد مضت اثنتان وبقيت واحدة، رأيتُ القصورَ البيضَ قد فُتِحَتْ، ورأيت الظَّعينةَ تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تأتي، وايْمُ اللهِ ليفيضَنَّ المالُ حتى لا يوجد من يأخُذُهُ[2].



(١) ما بين معقوفين زيادة من «الطبقات».

(٢) «السيرة» ٢/ ٥٧٨ ـ ٥٨١، و«الطبقات» ٦/ ٢١٤ ـ ٢١٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١١٢ ـ ١١٥.

وفي جمادى الآخرة قدم على رسول الله ﷺ واثِلَةُ بن الأَسْقَعِ وهو يتجهَّزُ إلى تبوك فأسلم، ورجع إلى قومه فهجره أبوه وقال: والله لاأكلمه أبداً، وسمعته أختُه فأسلمت وجهَّزَتْهُ إلى تبوك، فلحق برسولِ الله ﷺ فجهزه مع خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دومةَ، فجاء بسَهْمه من الغنيمةِ إلى كَعْب بن عُجْرَةَ، وكان قد حمله من المدينة إلى تبوك على جمله، وكان واثلةُ قد قال: من يَحْمِلُني وله سهمي؟ فقال له كعب: إنما حملتُك لله، ولم يأخذْ منه شيئاً[1].

وفيها: كانت غزاة تبوك[2].

كانت الأنباط يَقْدُمونَ المدينة من الشام بالزيت ودقيقِ الحُوَّارَى، فكانت أخبارُ الشام عند المسلمين بهذا السبب، فقدمت قادمةٌ مِنْهم فأخبروا أن الرومَ جمعت جموعاً كثيرةً بالشام، وأنَّ هِرَقْلَ رَزَقَ أصحابه رِزْقَ سَنَةٍ، وأجلبت معه لَخْم وجُذامٌ وغَسَّان وعاملةُ وغيرهم، ونزلوا البلقاء، وعسكروا بها، وتخلف هِرَقْلُ بحمص، وأنه يأتي إليهم ويقصدون الحجاز.

قال الواقدي: ولم يكن شيء من ذلك ولم يكن عدوٌّ أخوف [عند المسلمين منهم]. وكان رسولُ الله ﷺ لا يغزو غزاةً إلا ورّى بغيرها لئلا تذهب الأخبارُ حتى كانت غزاةُ تبوك، كان الحرُّ شديداً واستقبل سفراً بعيداً وعدواً كبيراً، فجلَّى للناسِ أمره ليتأهبوا، وأخْبَرهم بالوجه الذي يريد، واستنفر القبائل وأهل مكّةَ، ورغَّبهم في الجهادِ، وذلك في زمنِ عسْرَةٍ من الناس وجَدْبٍ من البلاد وحين طابت الثِّمارُ، فالناس يحبون المقامَ في ثمارهم وظلالهم، وتكرهُ الشُّخوصَ عنها.

وأمر رسولُ الله ﷺ بحمل الصدقات، فأول من جاء أبو بكر رضوان الله عليه بمالهِ كلِّه، وهو أربعةُ آلاف درهم، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أبقيت شيئاً»؟ قال: أبقيتُ الله ورسولَه.

وجاء عمرُ رضوان الله عليه بنصف ماله فقال له رسول الله ﷺ: «هل أبقيت شيئاً»؟

---

(١) «المغازي» ٣/ ١٠٢٨، و«الطبقات» ٥/ ١٢٩ _ ١٣٠.

(٢) «السيرة» ٢/ ٥١٥، و«المغازي» ٣/ ٩٨٩، و«الطبقات» ٢/ ١٥٠، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٠٠، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٢١٢، و«المنتظم» ٣/ ٣٦٢، و«البداية والنهاية» ٥/ ٢.

قال: نعم نصف مالي، وبلغه ما جاء به أبو بكر رضوان الله عليه فقال: والله ما استبَقنا إلى خَيْرٍ قط إلا سبقني إليه أبو بكر.

وجهَّز عثمان بن عفان رضوان الله عليه ثلثَ الجيشِ، وقيل: جاء بألف بعير وألفِ دينار فصبَّها في حِجْرِ رسول الله ﷺ فجعل يقلبها ويقول: «ما ضرَّ عثمانَ ما فعل بعد هذا».

وحمل عبدُ الرحمن بنُ عَوْفٍ رضي الله عنه متي أُوْقية، وحمل معظم الصحابة رضي الله عنهم إلى رسول الله ﷺ، وحمل العباس وطلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مَسلمة مالاً، وحمل عاصم بنُ عديٍّ تِسْعينَ وَسْقاً من تَمْرٍ[1].

وقال هشام: جلسَ رسولُ الله ﷺ على المنبر وحضَّ على الصدقة في سبيل الله، فجاءه العباسُ عمُّه بسبعين ألفاً، وعثمان بألف دينار ومئتي بعير.

وقال ابن إسحاق: أنفق عثمان رضوان الله عليه في ذلك الوجه نفقةً عظيمةً لم ينفق أحدٌ أعظمَ منها، وحمل على مئتي بعير[2].

وحمل كلُّ أحد حتى النساء كن يبعثْن بمعاضِدِهن وخلاخيلهن وخواتيمهن وغير ذلك.

وضرب عسكرُ رسولِ الله ﷺ في ثنيَّةِ الوداع والناس كثير لا يجمعهم كتاب ولا ديوان، واستخلف رسولُ الله ﷺ على المدينة سِباعاً الغفاري، وقيل: محمد بنَ مَسْلَمةَ، وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، وخلَّفَ علياً رضوان الله عليه في أهله، فقال: يا رسول الله خلَّفتني في النساء والصبيان؟ فقال: «ألاَ تَرضَى أن تكُونَ منِّي بمنزِلَةِ هارُونَ من موسى»[3].

وعقد رسولُ الله ﷺ الألوية والراياتِ على الثنية، فدفَع لواءَه الأعظمَ إلى أبي بكر

(١) «المغازي» ٣/ ٩٩٠ ـ ٩٩١.

(٢) «السيرة» ٢/ ٥١٨.

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٥١٩، والحديث أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

رضوان الله عليه، ورايته العظمى إلى الزبير ﷺ، وراية الأوسِ إلى أُسَيْد بن حضير، ولواءَ الخزرج إلى أبي دُجانةَ، وقيل: إلى الحباب بن المنذر.

وكانوا يرحلون عند مَيْلِ الشمس فما يزالون إلى الليل[١]. وكان سيرُهم في خامسِ رجب، وقيل: في عاشره.

وكان قد تخلف عن رسول الله ﷺ نفرٌ من المسلمين أبطأت بهم النِّيَّةُ من غير شكٍّ منهم ولا ارتيابٍ، فمنهم: كعبُ بن مالك، ومُرارةُ بن الربيع، وهلال بن أمية، وأبو خيثمة[٢].

ولما سار رسولُ الله ﷺ إلى تبوك كان يتخلف رجلٌ، فيقولون: يا رسول الله تخلَّف فلان فيقول: «دعوه، إن يكُ فيه خَيْرٌ، فسَيُلْحِقْه الله بكم، وإن يك غير ذلك، فقد أراحكم الله منه»، فلاح راكبٌ فقال رسول الله ﷺ: «كُن أبا ذَرٍّ» فقالوا: هو أبو ذر، فقال: «يَرحمهُ اللهُ يَمشِي وَحدَهُ»[٣].

ورجع أبو خيثمة بعد مسير رسول الله ﷺ إلى أهله في يومٍ حارٍ، فوجد امرأتين له قد رشَّت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماءً وهيأت له فيه طعاماً، فلما نظر إلى ذلك قال: رسولُ الله ﷺ في الضَّحِّ والريحِ والحرِّ، وأبو خيثمةَ في ظلٍّ وماء بارد وطعام مهيَّأٍ وامرأة حسناء، مقيمٌ في ماله، ما هذا بالنَّصَفِ، ثم قال لأهله: لا أدخل عريشَ واحدةٍ منكما حتى ألحق برسولِ الله ﷺ فهيِّئا لي زاداً، ففعلتا، ثم قدَّم ناضِحَه وارتحل في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه بتبوك حين نزلها، وقد كان وافق عُمَيْر بنَ وهبٍ الجمحيَّ في الطريق فقال له: تخلَّفْ عني فلي ذنب، فلما دنا قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبلٌ، فقال رسول الله ﷺ: «كُن أبا خَيثمةَ» فلما وصل إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخَبَرَ فدعا له وقال خَيراً[٤].

وحين مرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْرِ ونزله ليستقي الناس من بئرها قال: «لا تشربوا من

(١) «المغازي» ٣/ ٩٩٦ .
(٢) «السيرة» ٢/ ٥١٩ .
(٣) «السيرة» ٢/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ، و«دلائل النبوة» ٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
(٤) «السيرة» ٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١ .

مائها ولا تَتوضَّؤا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فأعلِفُوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً» ثم ارتحل حتى نزل على البئرِ التي كانت تشرب منها الناقة، وأسرع الناسُ إلى دخولِ الحِجْر فقال رسول الله ﷺ: «ما تَدخُلونَ على قومٍ غَضِبَ اللهُ عليهم؟».

ولما نهاهم عن الشُّربِ من مياه الحجر قال: «لا يَخرجَنَّ أَحدٌ منكم اللَّيلةَ إلا وَمَعه صاحبٌ له» ففعل الناس ما أمرهم به، إلا رجلين من بني ساعدة، خرجَ أحدهما لحاجته، والآخَرُ في طلب [بعيرٍ له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ، وأما الذي ذهب في طلب] بعيره فاحتَملته الريحُ فطرحَتْه بجبلِ طيِّء، فأُخْبِرَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «أَلَم أنهكَمُ أن يخرجَ رَجلٌ منكم إلا وَمَعه آخَرُ» ثم دعا لِلَّذي خُنِقَ فشفي، وأما الآخر فإن طيِّئاً أهدته للنبي ﷺ لما قَدِم من تبوك(١).

وأصبح الناسُ في طريق تبوك على غير ماء، فشكَوْا إلى رسولِ الله ﷺ العطشَ. قال عبد الله بن أبي حدرد: فرأيته استقبل القبلةَ فدعا، ولا والله ما رأيت في السماء سحاباً، فما برح يدعو حتى إني لأَنْظُرُ إلى السحاب يتألف من كل ناحية، فما رامَ مقامَه حتى سحَّت علينا السماءُ بالرِّواءِ، ثم كشف الله عنا السماء من ساعتها وإنِ الأرضُ [إلا غدر تناخس فسقى الناس وارتَوَوا](٢)، فقلتُ لرجل من المنافقين: أبقي بعد هذا شيء؟ فقال: سحابةٌ مارةٌ(٣).

ثم إن رسول الله ﷺ سار، حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقتُه، فخرج أصحابه في طلبها وعنده عُمارةُ بنُ حَزْمٍ الأنصاري، وكان في رَحْلِ عُمارةَ زيدُ بنُ اللُّصَيْت، فقال زَيدٌ: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ لعمارة: «إنّ رجلاً قالَ كذا وكذا، وإني لا أعلمُ إلا ما علَّمني الله، وقد دلَّني الله عليها، وإنها في الوادي الفُلاني قد حبستها شجرة بزمامها». فانطلقوا فجاؤوا بها، فرجع عمارة إلى رحله فأُخْبِرَ الخبرَ فقال رجلٌ: إنَّ زَيْداً قال هذه المقالةَ قبلَ أن يأتي، فقام إلى زيد فوجأ عنقه وقال: يا عدو الله، في رَحْلي داهيةٌ ولا أدري، أُخْرُج عني. فيقال: إن زيداً تاب، وقيل: لم يزل مُصِرّاً حتى هلك(٤) والله أعلم.

(١) «السيرة» ٢/ ٥٢١ ـ ٥٢٢، وما بين حاصرتين منه.
(٢) في النسخ الخطية: «وإن الأرض لا عذراً فسقى وأروى» والمثبت من «المغازي».
(٣) «المغازي» ٣/١٠٠٨ ـ ١٠٠٩.
(٤) «السيرة» ٢/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣.

حديثُ مسجدِ الضِّرار

قال يزيد بن رومان: أقبلَ رسولُ الله ﷺ حتى نزل بذي أَوان، وقد جاءه من أصحاب مسجد الضرار: مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْر، وثعلبة وخِذَام، وأبو حبيبة، وعبد الله بن نَبْتَل، فقالوا: يا رسولَ الله إنّا رُسُلُ مَنْ خَلْفَنَا من أصحابنا، وإنا قد بنينا مسجداً لذي العِلَّةِ والحاجةِ والليلةِ المطيرةِ، ونحن نحبُ أن تأتِيَنا فتصليَ بنا فيه ـ ورسولُ الله ﷺ يتجهز إلى تبوك ـ فقال: «إني على جَناحِ سفر، فإذا قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلَّيْنا بكم فيه»، فلما عادَ من تبوك ونزل بذي أوان، أتاه خبره وخبر أهلِهِ من السماء، وكانوا إنّما بَنَوْهُ لأبي عامرٍ الراهبِ، فكان بالشَّام هارباً، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فابنوا لي مسجداً، فإني قادمٌ بخيول الروم من عند قيصر فأُخْرِجَ محمداً وأصحابه، وكان الذي بنوه اثني عشر[1].

وقال الثعلبي: جاء المنافقون إلى رسولِ الله ﷺ فسألوه أن يصلِّيَ فيه، فدعا بقميصِهِ ليلبَسه ويأتيَهم فأنزل الله عليه خبرَ السماء وما هموا به، فدعا مالكَ بنَ الدُّخشُم ومعن ابن عدي وعامر بن السَّكَن وقال: «اذهَبُوا إلى هذا المسجدِ الظَّالمِ أهلُه فاهدموه»[2].

وقال ابن إسحاق والواقدي: بعث مالك بن الدخشم وعاصم بن عدي وقال لهما: «انطَلِقا إلى هذا المسجدِ الظالم أهلُهُ فاهدماهُ واحرقاه». فخرجا مُسْرِعَيْنِ، وأخذ مالك سَعَفاً من النخل وأشعل فيه ناراً، وانتهيا إليهم بين المغرب والعشاء وهم فيه وإمامهم يومئذ مُجَمِّعُ بن جارِيَة، قال عاصم: فأَحْرقْناه وهدمناه وثبت فيه منهم زيدُ بن جارية بن عامر فاحترقَتْ إِلْيَتاهُ، وجَعَلْناهُ مع الأرض وتفرَّقُوا، فلما قِدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ أعطاه لعاصم بن عديٍّ يتخذه داراً، فقال: ما كنت لأتَّخِذَ مسجداً ـ قد نزل فيه ما نزل ـ داراً، وإني لفي غِنىً عنه، أَعْطِه يا رسول الله ثابتَ بن أقرم، فأعطاه ثابتاً، وكان قد احترق معه دار وديعة بن ثابت ودار عامر إلى جنبها، وكان أبو لبابة بن عبد المنذر قد أعانهم فيه بخشب، وكان غير مغموصٍ عليه في النفاق، فلما هدم أخذ أبو لبابة خشبه ذلك فبنى به منزلاً[3].

---

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٥٢٩، و«المغازي» ٣/ ١٠٤٥ ـ ١٠٤٦.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٧.

(٣) «السيرة» ٢/ ٥٣٠، و«المغازي» ٣/ ١٠٤٦ ـ ١٠٤٧.

والذين أسَّسوا مسجد الضِّرار كانوا خمسة عشر رجلاً[١] ، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٧].

وقال الثعلبي: أمر رسولُ الله ﷺ أن يتخذ ذلك المسجد كناسة يلقى فيها الجِيفُ والنَّتْنُ والقُمامةُ.

ومات أبو عامر بالشام وحيداً فريداً غريباً، وفيه يقول كعب بن مالك: [من الوافر]

مـعـاذ الله مـن فـعـلٍ خـبـيـثٍ   كسَعيكَ في العَشيرةِ عبد عمروٍ
وقُـلْـتَ بـأنَّ لـي شَـرفـاً وذِكـراً   فَـقِـدْمـاً بِـعْـتَ إيـمـانـاً بـكُـفْـرِ

وقال الثعلبي: سأل عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً منهم: بماذا أعَنْتَ في هذا المسجد؟ قال: بسارية، فقال عمر ﷺ: أبشر بها في عنقك في نار جهنم.

وروي: أن بني عمرو بن عوف الذي بَنَوا مسجدَ قُباء سألوا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه في خلافته ليأذن لمجمِّع بن جارية أن يَؤُمَّ بهم في مسجدهم فقال: لا ولانِعْمة، أليس بإمامِ المسجد الضِّرار؟ فقال له مجمِّع: لا يا أمير المؤمنين، فوالله لقد صلَّيْتُ وأنا لا أعلم ما أضْمَروا عليه ولو علمت ماصلَّيتُ فيه، كنت غُلاماً قارِئاً للقُرآنِ وكانوا شُيوخاً قد عَشَوْا لا يقرؤون من القرآن شيئاً، وكنت أظنهم يتقرَّبون إلى الله ولم أعلم بما في نفوسهم. فعذره عمر رضوان الله عليه وصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قُباء[٢].

وروي عن ابن عباس، أن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى مسجد قباء. وروي أنه مسجد رسول الله ﷺ.

وقدم رسولُ الله ﷺ المدينة يومَ الخميس عاشر رمضان، فبدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين وجلس، وكان قد تخلَّف عنه رَهْطٌ من المسلمين والمنافقين، فصفحَ عن المنافقين ولم يَعْذِرْ مَنْ تخلَّف من المسلمين إلا من كان عاجزاً، ومدح ذوي الأعذار من المسلمين.

---

(١) عدهم ابن إسحاق اثني عشر رجلاً، وسلف أنهم كذلك، انظر «السيرة» ٢/ ٥٣٠ .

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٧ .

قال أنس: قال رسولُ الله ﷺ لما رجع من غزاة تبوك ودنا من المدينة قال: «إنَّ بالمدينةِ أقواماً، ما سِرْتُم مَسيراً ولا قَطَعتُم وادياً إلا كانُوا مَعَكم فيه»، فقالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «وهُم بالمدينةِ، حَبَسهُم العُذْرُ». أخرجه البخاري[١].

قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا

لما قَدِمَ رسولُ اللهﷺ من تبوك لم يُعْذِرْ مَنْ تخلَّفَ عنه من المسلمين من أهل القُدرة، منهم: كعب بن مالك الشاعر، ومُرارة بن الربيع العَمْري، وهلال بن أُميَّةَ، وهم من الأنْصار، تخلفوا من غير عُذرٍ مع صحَّةِ إسلامهم، وإنهم لم يُغْمَصوا بالنِّفاق، فوقف رسول اللهﷺ أمرهم، ونهى الناسَ عن كلامهم حتى نزلت تَوْبَتُهم في القرآن.

وقد أخرج حديثهم الإمام أحمد والبخاري ومسلم رحمة الله عليهم:

عن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائدَ كَعْبٍ من بَنِيهِ حين عَمِيَ قال: سمعتُ كعبَ بنَ مالكٍ يحدث حديثه حين تخلَّفَ عن رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوك، قال كعب: لم أتخلَّفْ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غزاها إلاّ في غزوة تبوك، غير أني تخلفت عن غزوة بَدْرٍ ولم يعاتِبْ أحداً تخلف عنه، إنّما خرجَ رسولُ الله ﷺ والمسلمون يريدون عِيرَ قُريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غَيْرِ ميعادٍ، ولقد شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام وما أُحبُّ أن لي بها مشهد بَدرٍ، وإن كانت بدرٌ أَذكَرَ في الناس منها.

وكان من خبري حين تخلَّفْتُ عن رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوك، أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلَّفْتُ عنه في تِلْكَ الغزوةِ، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عَدوّاً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أَمْرَهُم ليتأهبوا أُهْبَةَ غزوِهم، فأخْبَرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسولِ الله ﷺ كثيرٌ ولا يجمعهم كتابٌ حافِظٌ، فَقلَّ رجلٌ يريدُ أن يتغيَّب إلا ظنّ أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله عز وجل، وغزا رسولُ الله ﷺ تلك الغزوةَ حين طابتِ الثمارُ والظلالُ، فتجهز

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٣).

رسولُ الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهزَ معهم فأرجع ولم أقضِ شيئاً وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمرّ بالناس الجِدُّ، فأصبح رسول الله ﷺ غادِياً والمسلمون معه، ولم أَقْضِ من جهازي شيئاً، ثم غَدَوْتُ فرجعتُ ولم أقضِ شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى حتى أسرعوا وتفارطَ الغَزْوُ، فهممت أن أَرْتَحِلَ فأُدْرِكَهم فيا ليتني فَعلتُ، ثم لم يُقَدَّرْ ذلك لي، فطفِقْتُ إذا خرجت في الناس بعد خروج النبي ﷺ يُحْزِنُني أنَّني لا أرى لي أُسْوةً إلّا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممَّن عَذَرَ اللهُ من الضعفاء، ولم يذكُرْني رسولُ الله حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فَعَل كَعبُ بنُ مالكٍ؟» فقال رجلٌ من بني سَلمة: يا رسولَ الله، حبسه بُرْداه والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ، فقال له معاذُ بن جبل: بئس ما قلتَ، واللهِ يا رسولَ الله، ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسولُ الله ﷺ، فبينا هو على ذلك رأى رجلاً مُبَيِّضاً يزولُ به السرابُ، فقال رسول الله ﷺ: «كُن أَبا خَيثَمةَ» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاعِ التمر حين لمزهُ المنافِقون.

قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافِلاً من تبوك، فطَفِقْتُ أتذكَّرُ الكَذِبَ وأقول: بِمَ أَخْرجُ من سَخَطه؟ وأستعين على ذلك بكلِّ ذي رأيٍ من أهلي، فلما قيل: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أظلَّ قادِماً زاح عني الباطلُ حتى عرفت أني لن أنجوَ منه بشيء أبداً، فأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وصبَّح رسولُ الله ﷺ وكان إذا قدِمَ من سفرٍ بدأ بالمسجد فركَعَ فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءَهُ المخلَّفون فطفِقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رَجلاً، فقبلَ منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكَلَ سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئتُ، فلما سَلَّمت تبسم تَبَسُّمَ المغْضَبِ، ثم قال: «تعالَ»، فجئت أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: «ما خلَّفكَ؟ أَلَم تكُن قدِ ابْتَعتَ ظَهْرَكَ»؟ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سَخَطِهِ بعُذْرٍ، لقد أُعطيتُ جَدَلاً، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدَّثْتُك اليومَ حديثَ كَذِبٍ ترضى به عني ليوشِكَنَّ الله أن يُسخِطَك عَلَيَّ، ولئن حدثتك حديثَ صِدْقٍ تَجِدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله عز وجل، والله ما كان بي من عذر، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسرَ منى حينَ تخلَّفْتُ عنك. قال: فقال رسول الله ﷺ:

«أمّا هذا فَقد صَدَقَ، فَقُم حتى يقضيَ اللهُ فيك».

فقمتُ، وثارَ رجالٌ من بني سَلِمَةَ فاتّبعوني فقالوا لي: والله ما علمناكَ أذْنَبْتَ ذَنْباً قبل هذا، لقد عَجَزْتَ في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذَرَ إليه المخلَّفُون، فقد كان كافيك ذَنْبَكَ استغفارُ رسولِ اللهﷺ، قال: والله ما زالوا يُؤَنِّبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول اللهﷺ فأكَذِّبَ نفسي. قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ماقيل لك، قال: قلت من هما؟ قالوا: مُرارةُ بن ربيعة العَمْريُّ، وهلال بن أمية الواقِفيُّ، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً لي فيهما أسوة، قال: فَمَضَيتُ حين ذكروهما لي.

قال: ونهى رسولُ الله ﷺ المسلمين عن كلامِنا أيُّها الثلاثةُ مِنْ بَيْنِ من تخلَّفَ عنه. قال: فاجتَنَبَنا الناسُ، أو قال: تَغيَّروا لنا حتى تنكَّرت إلى نفسي الأرضُ فماهي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأمّا صاحبايَ فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أَشَبَّ القوم وأَجْلَدَهُم، فكنت أخرجُ فأشهدُ الصَّلاةَ وأطوف في الأسواقِ ولا يكلِّمُني أحدٌ، وآتي رسولَ الله ﷺ فأسَلِّمُ عليه وهو في محله بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرَّكَ شَفتيه لردّ السلام أم لا؟ ثم أُصَلِّي قريباً منه وأُسارِقُه النَّظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نَظر إليَّ، وإذا التفتُّ نحوهُ أعرض عني.

حتى إذا طال عليَّ ذلك من جَفْوةِ المسلمين مشيتُ حتى تسوَّرْتُ جدار حائطِ أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبُّ الناس إليَّ، فسلَّمْتُ عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السلامَ، فقلت له: يا أبا قتادة، أَنْشُدُكَ بالله هل تعلمُ أني أُحِبُّ الله ورسوله؟ قال: فسكتَ، فعدتُ فأنشدته، فقال: اللهُ ورسولُه أعلمُ، ففاضت عينايَ وتولَّيْتُ حتى تسوَّرْتُ الجدارَ.

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نَبَطيٌّ من نَبَطِ أهل الشّام ممن قدم بالطعام يبيعُه بالمدينة يقول: من يدلُّ على كعب بن مالك؟ فطفِقَ الناسُ يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته، فإذا فيه: أما بعد، فإنّه قد بلغَنا أن صاحِبك قد جفاك، ولم يَجْعَلْكَ الله بدارِ هوان ولا مَضْيعةٍ، فالحَق بنا نُواسِكَ. قال: فقلتُ حين قرأتُها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيمَّمْتُ بها التَّنُّورَ فسجرتها.

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحيُ إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: فقلت: أُطلِّقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزِلْها فلا تقرَبْها، قال: وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك، قال: فقلتُ لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأةُ هلال بن أمية رسولَ الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، هلال بن أمية شيخ ضائعٌ ليس له خادمٌ، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربنَّكِ» فقالت: إنه والله ما به حركةٌ إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسولَ الله ﷺ في امرأتك فقد أذن لامرأةِ هلال ابن أمية أن تخدمه، قال: فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنتُه فيها وأنا رجل شاب.

قال: فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلةً من حين نهى عن كلامنا، قال: ثم صَلَّيْتُ صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيتٍ من بيوتِنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت عَلَيَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبت، سمعتُ صوتَ صارخٍ أَوْفى على سَلْعٍ يقول بأعلى صوته: يا كعبَ بنَ مالكٍ، أبشر، قال: فخررتُ ساجداً وعرفتُ أنْ قد جاءَ الفَرَجُ.

قال: وآذنَ رسولُ الله ﷺ الناسَ بتوبةِ الله علينا حين صلى صلاة الفَجر، فذهب الناسُ يبشروننا، فذهب قِبَلَ صاحبيَّ مُبَشِّرون، وركض إليَّ رجلٌ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلمَ قِبَلي، وأوفى على الجبل، فكانَ الصوتُ أسرع من الفَرسِ، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوتُهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعَرْتُ ثوبَيْنِ فلبستُهما، وانطلقتُ إلى رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فَوْجاً فَوْجاً يهنِّئونني بالتوبة، ويقولون: ليهنِكَ توبةُ الله عليكَ، حتى دخلتُ المسجدَ فإذا رسول الله ﷺ حوله الناس، فقام طلحةُ بنُ عُبيد الله يهرولُ حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعبٌ لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلَّمتُ على رسولِ الله ﷺ قال وهُوَ يَبْرُقُ وجهه من السرور: «أَبْشِر بخيرِ يومٍ مرَّ عليكَ منذُ ولَدَتكَ أمُّكَ» قال: فقلت: أَمِنْ عِنْدِكَ يا رسولَ الله، أم من عند

الله؟ قال: لا، بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهُه حتّى كأنّ وجهه قطعةُ قَمَرٍ، قال: وكنا نَعرِف ذلك، قال: فلما سلمتُ بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسولِ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَمْسِكْ بعضَ مالكَ فهو خيرٌ لك»، قال: فقلت: فإني أُمْسِكُ سَهْمي الذي بخيبر، قال: فقلت: يا رسولَ الله، إن الله إنما أنجاني بالصِّدْقِ، وإنّ من توبتي ألاّ أحَدِّثَ إلا صدقاً ما بقيتُ، قال: فوالله ما علمتُ أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحْسَنَ مما أبلاني اللهُ، ووالله ما تعمَّدْتُ كَذِبَةً منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

قال: فأنزل الله عز وجل ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ حتى بلغ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ـ ١١٩].

قال كعب: والله ما أَنْعمَ الله عليَّ من نِعمةٍ قط بعد أن هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صِدقي رسولَ الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهْلِكَ كما هَلَك الذين كذبوا [فإن الله قال للذين كذبوا] حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحد، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥].

قال كعب: كنا خُلِّفْنا أيُّها الثلاثةُ عن أمر أولئك الذين قَبِل منهم رسولُ الله ﷺ حين حَلَفُوا له، فبايعهم واستغفرَ لهم وأرجأ رسولُ الله ﷺ أَمْرَنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفْنا تخلُّفَنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرَنا عمن حَلَفَ له واعتذر إليه فقبل منه[1].

وفي حديث إسحاق بن راشد: ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبيّ، ولم يَنْهَ عن كلامِ أحدٍ من المتخلفين غَيرنا، فاجتَنَبَ الناسُ كلامَنا، فلبثتُ كذلك حتى طال

(١) أحمد في «مسنده» (١٥٧٨٩)، والبخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

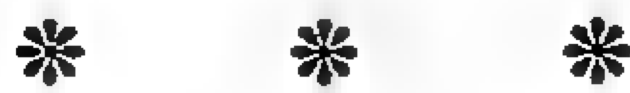
عليَّ الأمر، وما من شيء أهم إليَّ من أن أموتَ فلا يصلي علي النبي ﷺ، أو يموتَ رسولُ الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلةِ، فلا يُكَلِّمني أحد منهم ولا يسلِّم عليّ ولا يصلي عليَّ. قال: فأنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة ﵂، وكانت أم سلمة ﵂ مُحْسِنَةً في شأني مَعْنِيَّةً بأمري، فقال رسول الله ﷺ: «يا أمَّ سَلمة، تِيْبَ على كعبٍ» قالت: أفلا أرسل إليه فأُبشِّرُهُ؟ قال: «إذاً يَحْطِمَكُمُ الناسُ فيمنَعُونكُم النَّوْمَ سائرَ اللَّيلِ»، حتى إذا صلّى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذنَ رسولُ الله ﷺ بتوبة الله علينا[1].

ونزل في غزاة تبوك جُمْلَةٌ من سورة براءة.

ولما رجع رسولُ الله ﷺ من تبوك قال له العباسُ بن عبد المطلب ﵁: يا رسول الله، إني أُريدُ أن أمدحكَ. فقال: «قل لا يَفضُضِ اللهُ فاكَ»، قال: فقال[2]: [من المنسرح]

مِنْ قبْلِها طِبْت في الظِّلال وفي ... مُستودَعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هبطت البلاد لا بَشَرٌ ... أنتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نطفةٌ تركبُ السَّفينَ وقد ... أَلْجَم نَسْراً وأهلَه الغَرَقُ
وَرَدْتَ نارَ الخليلِ مُكتَتماً ... فيها زماناً ولست تحترق[3]
تَنَقَّلُ من صُلْبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضى عالَم بدا طَبَقُ
حتى انتهى بيتكَ المهيمنُ من ... خِنْدفَ علياء تحتها النُّطُقُ
وأنت لما ولدت أشرقت الـ ... أرضُ وضاء من نورِكَ الأُفُقُ
فنحن في ذلك الضِّياء وفي النو ... رِ وسُبْلِ الرشادِ نَخْتَرِقُ

وفي هذه السنة تتابعت الوفود على رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤١٦٧) من حديث خريم بن أوس، وانظر منال الطالب ٤٤٠.

(٣) في سمط النجوم العوالي ١/ ١٦٤، وسبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٧٠:

وردتَ نارَ الخليل مكتتماً ... في صلبه أنتَ كيف يَحترقُ

وفد الطائف:

كان عمرو بن أمية أخو بني علاج مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو بن عمير، فجاء عمرو إلى باب عبدِ ياليل، فقيل له: عمرو واقف على بابك، فقال: هذا شيء ما كنت أَظُنُّه، وكان عمرو أَمْنَعَ في نفسه من ذلك، فخرج إليه ورحَّب به فقال له عمرو: إنه قد نزل بنا أمرٌ ليس معه هِجرَةٌ؛ إنه قد كان من أمْرِ هذا الرجلِ ما رأيتَ، وقد أسلَمَتِ العربُ كلُّها، وليس لكم بحربهم طاقة فانظروا في أمركم، فعند ذلك ائتمرت ثقيف، وقال بعضهم لبعض: ألا تَرَوْنَ أنه لا يأمنُ لكم سِرْبٌ ولا يخرج منكم أحد إلا اقْتُطِعَ، فاتفقوا على أن يُرْسِلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً، فكلموا عبد ياليل فأبى أن يفعل، وخشي أن يفعلوا به إذا رجع كما فعلوا بعُرْوَةَ، وكانوا هم الذين أرسلوه إلى رسول الله ﷺ ثم قتلوه، وقال لهم عبدُ ياليل: لستُ فاعِلاً حتى تبعثوا معيَ رجالاً، فبعثوا معه خمسةً: رجلين من الأحلاف، وثلاثةً من بني مالك. من الأحلاف: الحكم بن وهب ابن مُعَتِّب، وشُرَحْبيلُ بنُ غَيْلان بن سلمة بن معتِّبٍ، ومن بني مالك: عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونُمَيْرُ بن خَرَشَةَ، فخرج بهم عبد ياليل وهو نابُ القَوْمِ وصاحبُ أمرهم، فلما فصلوا قناةَ، لقوا بها المُغيرةَ بنَ شُعْبَة يرعى رِكابَ رسولِ الله ﷺ وكانت رعايتها نُوَباً على أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فلما رآهم ترك الرِّكابَ عندهم وضَبَرَ يشتَدُّ ليبشِّرَ رسولَ الله ﷺ بهم، فلقيه أبو بكرٍ رضي الله عنه فأخبره بقدومهم وأنهم قد جاؤوا يريدون الإسلام وأن يكتبَ لهم رسولُ الله ﷺ كِتاباً شرطوا فيه شروطاً على قومهم وبلادهم، فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أَقْسَمْتُ عليك بالله لا تَسْبِقني إلى رسولِ الله ﷺ حتى أكونَ أنا الذي أُبشره، ففعل، ودخل أبو بكرٍ رضي الله عنه فأخبر رسولَ الله ﷺ بقدومهم فسر، وقال لهم المغيرةُ: إذا دخلتُم على رسولِ الله ﷺ فحيُّوهُ بتحية الإسلام، فلما دخلوا عليه حيوه بتحية الشِّرْكِ، فضرب عليهم قُبَّةً في المسجد، وكان خالدُ بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ وما كانوا يأكلونَ الطعامَ يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل هو منه، حتى أسلموا وبايعوا، وكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتاباً، وسألوه أن يَدَعَ لهم اللَّاتَ ولايهدمها إلى ثلاث سنين، فأبى، فقالوا: سنة، فأبى، فسألوه فقالوا: شهراً بعد قدومهم فأبى عليهم، وسألوه أن يُعفِيَهم

من الصلاة وأن يكسروا أوثانَهم بأَيْديْهم: فقال: «أما الصلاةُ، فلا خَيرَ في دينٍ لا صلاةَ فيه» وأعفاهُم أن يكسر غيرُهم أوثانهم وأمّر عليهم عثمانَ بنَ أبي العاص الثقفي وكان من أحدثهم سِنّاً، وإنما كان حريصاً على الفقه وتعلُّم القرآن.

قال عثمان بن أبي العاص: آخرُ كلامٍ كلَّمني به رسولُ الله ﷺ إذ استعملني على الطائف فقال: «خفِّفِ الصلاةَ على الناس» حتى وقَّتَ لي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ وأشباهَها من القرآن[١].

وفي «المسند»: «جوِّز في صلاتِكَ واقْدُرِ الناسَ بأَضْعفِهم، فإنَّ فيهمُ الصَّغيرَ والكبيرَ وذا الحاجةِ»[٢]. وفي «المسند»: «واتَّخِذْ مؤذِّناً، فلا يَأخُذ على أذانه أجراً»[٣].

وكان قدومهم في رمضان، فلما أسلموا صاموا، وكان بلال رضي الله عنه يأتيهم بفطرهم فيقولون: يا بلال، ما نرى الشمس توارت بَعْدُ، لما يرون من السَّدَفِ، فيضعُ بلالٌ يدهُ فيه ويأكل منه، ويقول: ماجئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ويأتيهم بسحورهم وقد تخوَّفوا الفجرَ وأمسكوا ويقولون: يا بلالُ، قد أصبحتَ، فيقول: نزلتُ ورسول الله ﷺ يتسحَّرُ. ولما توجّهوا إلى الطائف بعث معهم رسولُ الله ﷺ أبا سفيان بن حرب والمُغيْرة بن شُعبة لهدم اللَّاتِ، فلما قدما الطائف قال المغيرة لأبي سفيان: تقدَّمْ، فقال: أنت أولى بالدخول على قومك، وأقام أبو سفيان في ماله بذي الهَدْمِ، فلما دخلَ المغيرةُ على اللَّاتِ علاها بمِعْوَلٍ يضربُها، وقامَ دونه بنو معتِّب بالسلاح خشيةَ أن يُصابَ كما أُصيب عروةُ بن مسعود، وخرج نساءُ ثقيف حُسَّراً يبكين عليها، ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهاً لكِ، آهاً لكِ، ثم بعث إلى أبي سفيان بمالها وحُلِيِّها[٤].

وكان أبو مُلَيْحٍ بنُ عُرْوَةَ وقاربُ بنُ الأسود لما قُتِلَ عروةُ قدما على رسول الله ﷺ وأسلما، وقال لهما: «توَلَّيا خالكما أبا سفيان بن حرب» فقال أبو مليح: يا رسول الله،

(١) «السيرة» ٢/ ٥٣٨ _ ٥٤٠، و«المغازي» ٣/ ٩٦٢ _ ٩٦٨.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٩١٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٢٧٠).

(٤) «السيرة» ٢/ ٥٤٠ _ ٥٤٢.

اقض دينَ أبي من مال الطَّاغية؟ قال: نعم، وقال له قارب بن الأسود: يارسول الله، وعن الأسود فاقضه، فإن عروة والأسود كانا أَخَوَيْنِ لأبٍ وأمٍّ، فقال رسول الله: فإن الأسود مات وهو مشرك، فقال قارب: يا رسول الله إنما الدَّيْنُ علي وأنا الذي أُطالَبُ به، فإذا فَعَلْتَ وَصَلْتَ مُسْلِماً.

وكتب النبي ﷺ إلى أبي سفيان أنِ اقض دَيْنَ عروة والأسود من مال الطاغية، ففعل[١].

وكانت سَدَنَةُ الطاغية من ثقيف بنو العجلان.

قال هشام: كان سبب إسلام ثقيف أن مالكَ بن عوف النَّصْريَّ لما قدِمَ على رسول الله ﷺ بالجِعرّانةِ وردَّ عليه ماله وأهلَه أسلم وحَسُنَ إسلامُه، واستعمله على القبائل، فقال له: يا رسول الله، أنا أكفيك ثقيفاً، فأزعجهم بالغارات والنَّهْبِ، فلما رأت ذلك ثقيفٌ مشوا إلى عبدِ ياليل وسألوه أن يقدم على رسول الله ﷺ، فقدم هو وابناه في سبعين رجلاً وهم رؤساؤهم.



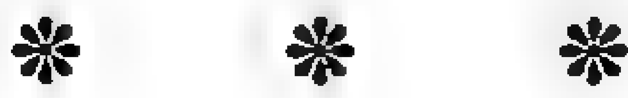
وفيها: في رمضان قدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير وهَمْدان باليمن بإسلامهما، وبعث إليه زرعة بن ذي يزن[٢] مالك بن مرة الرهاوي، فَسُرَّ بهم رسولُ الله ﷺ، فكتب إليهم بعد البسملة: «من محمدٍ رسولِ الله إلى ملوكِ هَمدانَ والمعافِر وحمير ـ وسماهم ـ أما بعد: فإني أَحْمَدُ إليكُم الله الذي لا إلَه إلا هو، والحمدُ للهِ الذي هَداكُم للإسلام، وإنا لَقينا رسُولكم ونحن قافلون من أرض الروم فبلَّغَنا رسالتكم، فأقيمُوا الصلاة وآتوا الزكاة وأدوا خُمْسَ أموالكم إلى الله ورسوله، وما يجب عليكم من الصدقات، وعليكم عُشْرُ ما سقت العيون والسماء... وذكر أسنان الإبل والبقر والغنم وما يجب فيها». وفيه: «وعلى كل حالم وحالمة من اليهود والنَّصارى دينار أو قيمتُه من المعافِر».

(١) «السيرة» ٢/ ٥٤٢ .

(٢) في «السيرة» ٢/ ٥٨٨ : زرعة ذو يزن، وانظر «الطبقات» ١/ ٣٠٦ .

وقوله: وحالمةٍ: سهو من الكاتب أو الراوي، لأن المرأة لا جزية عليها بالإجماع.

والمعافر: ضَرْبٌ من ثيابِ اليَمَنِ.



وفيها: قدمَ وفدُ فزارةَ، وكانوا سبعة عشر رجلاً ومنهم الحرُّ[١] بن حصن، وكان أصغرهم سناً، فلقوه عند رجوعه من تبوك وهم على رحالٍ عِجاف، فسألهم رسولُ الله ﷺ فقالوا: أَسْنَتَتْ[٢] بلادُنا وهلكتْ مواشينا، وسألوه الدعاءَ لبلادهم بالحيا، فخطب ودعا لهم، فقال: «اللهمَّ اسق بلادك عاجلاً نافعاً، سقيا رحمةٍ لا سقْيا عذاب، اللهمَّ حوالينا ولا علينا». فعادوا إلى بلادهم وقد سقوا[٣].

وفيها: قدم وفد هَمْدان[٤]، وفيهم ذو المشعار مالك بن نَمَط فقام فقال: يا رسول الله أَتَتْكَ نَصِيَّةٌ من همدان من كل حاضر وبادٍ، أتوك على قُلُص نواجٍ مُتَّصِلَةٍ بحبائلِ الإسلام، لا تأْخُذُهُم في الله لومةُ لائم، من مِخْلافِ خارِف، وعهدهم لا يُنْقَضُ عن سنة ما قام لَعْلَعُ[٥] وجرى اليَعْفُور بصلع، فكتب لهم رسول الله ﷺ:

هذا كتابٌ من محمد رسول الله لِمخلاف خارف وأهل جِنابِ الهَضْب وحِقافِ الرَّمْل، لوافدها ذي المِشْعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه، على أن لهم فِراعَها ووِهاطها وعَرارَها ماأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون عُلَّافَها ويرعون حِقافها، وليأمن ذِمِّيهم وضامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقةِ: الثلب والنابُ والفَصيلُ والداجن والكبش الحواريُّ وعليهم فيه الضَّالع والقارِحُ.

تفسيره: «النصية» من الإبل والقوم والمال: خياره، و«القَلوص» من النوق: بمنزلة الجارية من النِّساء، و«النواج»: النّاجيةُ بصاحبها. والمخلافُ: لأهل اليمن واحدُ المخاليف، وهو كورها، ولكل مخلاف اسم يعرف به، و«اليعفور»: اسم واد،

(١) في النسخ: «الحارث» وانظر «الإصابة» ١/ ٣٢٤.

(٢) أسنتت: أجدبت من قلة المطر.

(٣) «الطبقات» ١/ ٢٥٧، و«المنتظم» ٣/ ٣٥٣.

(٤) السيرة ٢/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨.

(٥) لعلع: اسم جبل.

و«صلع»: موضع لا يُنْبِتُ، و«الفِراع»: أعالي الجبال، و«الوَهْطة»: ما اطمأن من الأرض، و«العَرار»: نَبْتٌ طيِّبُ الريح، و«العُلَّف»: بتشديد اللام، ثمرُ الطَّلْحِ، و«الحِقافُ»: الرّمال، و«الثِّلْبُ»: الجمل الذي انكسرت أنيابه من الهَرَمِ وتناثر ذَنَبه، و«النَّاب»: المسِنَّةُ من النوق، و«الفارض»: البقرة الكبيرة، و«الداجن»: الشاة تألف البيوت، و«الضِّلَعُ»: الغَمْزُ في مَشْيِ البعير، و«القارح»: ما أتت عليه خمس سنين.

وفيها: وَفَد على رسول الله ﷺ وَفْدُ الداريين.

قال زياد بن أبي هند الداري، عن أبيه[١]: قدِمْنا على رسول الله ﷺ مكة ونحن ستة أنفس: تميم الداري وأخوه نُعَيْم بن أوس، والفاكه بن النعمان، وزيد بن قيس، وأبو هند بن عبد الرحمن، وأخوه الطيب بن عبد الله، فَسَمَّاهُ رسولُ الله ﷺ [عبد الرحمن][٢] فأسلمنا وسألناه أن يعطينا أرضاً من أرض الشام، فأعطانا، وكتب لنا في جِلدِ أديم كتاباً فيه شهادة العباس وخُرَيْم بنِ قيس وشُرَحْبيل بن حسنة[٣].

قال أبو هند ـ فهو صاحب الحديث ـ: فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجرنا إليه، وسألناه أن يجدد لنا كتاباً.

وفي رواية: فقالوا: ما شئتم؟ فقال تميم: أرى أن أسأله بيت المقدس وكُورَها، فقال أبو هند: أخاف أن لا يتمَّ لنا ذلك لأنه يكون بها ملك العرب، فقال تميم: فنسألُه بيت جبرين، فقال أبو هند: فهذا أكبر، اطلبوا منه عين، وجبرون، وبيت إبراهيم، وطلبناه فكتب لنا، ثم قال: «إذا سمعتم أني قد هاجرت فاقدموا عليّ»، فلما هاجر قدموا عليه فجدد لهم الكتاب.

وقال الكلبي: قدم وفد الداريين على رسول الله ﷺ عند منصرفه من تبوك وكانوا عشرة، فمنهم: تميم ونُعَيْم ابنا أوس بن خارجة، [ويزيد بن قيس بن خارجة[٤]]

(١) في النسخ: «زياد بن هند». والمثبت من الطبراني، و«الإصابة» ٢/ ٢٣٦.

(٢) ما بين معقوفين زيادة من المصادر.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٤٨)، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٨٠٦). وجاء عندهم أن رسول الله ﷺ سمّى الطيب: عبد الرحمن، وعند الواقدي ٢/ ٦٩٥، وابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٩٦ أنه ﷺ سمى الطيب عبد الله.

(٤) ما بين حاصرتين ليس في النسخ وهو من الطبقات ١/ ٢٩٦.

والفاكه بن النعمان بن جبلة بن صفَّارة، وعزيز ومرة أبنا مالك[١]، و الطيبُ وأبو هند ابنا ذر، وجبلة بن مالك بن صفّارة، وهانئ بن حبيب بن هانئ، وخارجة بن أسود[٢]، وقيل: وأسود بن جبير اللخمي، فأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله ﷺ راوية خَمْر وأفراساً وقَباءً مُخَوَّصاً بالذهب ـ أي مَنْسوجاً ـ فقبِلَ القباءَ والأفراس وردَّ الخمر، وقال: «إن الله حرم شُرْبها وبَيْعَها» فانْطَلَقَ فأَهْرقها في بقيع الجُحْفَةِ، وأعطى رسول الله ﷺ القباء للعباس رضي الله عنه فباعه من يهودي بثمانية آلاف درهم. وسمى رسول الله ﷺ عزيزاً: عبدَ الرحمن، والطَّيِّبَ: عبدَ الله، فقال له تميم: يا رسول الله إن لنا جيرةً من الروم ولهم قريتان يقال لإحداهما: حِبْرى، والأخرى: بيت عينون، فإن فتح الله عليك بالشام فهبهما لي، فقال: «هما لك»[٣].

وقال الواقدي: وكتب رسول الله ﷺ لنُعيم بن أوس وأخيه تميم بن أوس: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطى محمد رسول الله نعيم بن أوس وأخاه تميماً الداريَّيْنِ حِبْرى وبيت عَيْنُونَ بالشام، سَهْلها وجَبَلها وماءَها وأنْباطها وبقرها، ولعقبهِ من بعده، لا يحاقهما فيها أحد ولا يلج عليهم فيها بظلم، فمن ظلمهم وأخذ منهم شيئاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وكتب علي بن أبي طالب[٤].

وقال الهيثم: نسخة الكتاب: هذا ما أنطى محمدٌ رسولُ الله لتميم الداري وأصحابه، أنْطاهم عين، وحَبْرون، والمرْطومَ بيت إبراهيم بذمتهم، وجميع ما فيها، نَطية بتَّةً، وهي لأعْقابهم من بعدهم أبد الآبدين، فمن آذاهم فيه آذاه الله. وشهد أبو بكر ابن أبي قحافة رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية ابن أبي سفيان وكتب، وأقاموا عند رسول الله ﷺ بالمدينة حتى توفي، وقام أبو بكر رضوان الله عليه فأعطاهم ذلك، وأوصى لهم رسول الله ﷺ بمئة وَسْقٍ من تَمْر خيبر.

---

(١) في النسخ: «وعزيز بن مرة بن مالك»، والمثبت من طبقات ابن سعد ١/ ٢٩٦ .

(٢) لم نقف على من اسمه خارجة بن أسود، ولا أسود بن جبير ضمن وفد الداريين في شيء من المصادر، ولا من ذكرهم في الصحابة، وذكر ابن سعد والواقدي بدله: يزيد بن قيس بن خارجة .

(٣) «الطبقات» ١/ ٢٩٦ .

(٤) انظر «الطبقات» ٦/ ٢٥٥ .

وكتب أبو بكر رضوان الله عليه إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ: أما بعد، فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفَسَاد في قُرى الداريين، وإن كان أهلها قد أجلوا عنها وأراد الداريون أن يزرعوها فلهم ذلك، وإن أراد أهلها الرجوع إليها فهي لهم وهم بها أحق[١].

و«المرطوم»: هو بيت إبراهيم عليه السلام وهو موضع قبره، و«حِبْرى» قرية إلى جانب المَرْطوم.

ترجمة تميم الداري

وكنيته: أبو رُقَيَّةَ، ولم يكن له ولدٌ ذكَرٌ، إنما كانت له هذه البنتُ فكُنِّيَ بها. قاله يعقوب بن سفيان.

وقال ابن عبد البرِّ: لم يُولَدْ له ولدٌ غَيْر رُقَيَّة، وكان نَصْرانيّاً فأسلم سنة تسع من الهجرة[٢].

وتميم من الطبقة الرابعة من الصحابة، نزل المدينة، وتحوّل إلى الشّام بعد قتل عثمان رضي الله عنه، وكان يقرأُ القرآن في ركعة، وربما ردّدَ الآية الواحدةَ إلى الصباح، وكان يشتري الرداء بألف درهم فيصلي فيه بالليل.

وفي تميم نزل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية [المائدة، ١٠٦].

وقال الحميدي عن ابن عباس: خرج رجل من بني سَهْمٍ مع تميم الداري وعدي بن بَدَّاء، فمات السهمي بأرضٍ ليس بها مسلمٌ، فلما قدموا بتَرِكَتِه فقدوا جاماً من فضةٍ مُخَوَّصاً بالذَّهَبِ، فأحلَفَهُما رسولُ الله ﷺ ثم وُجدَ الجامُ بمكَّةَ، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي بن بَدَّاء، فقام رجلانِ من أوليائه فحلفا لشهادتُنا أحقُّ من شهادَتهما وأن الجام لصاحبهم، فنزلت الآية، الكلام على الحديث[٣].

وقال تميم: خرجتُ من الشام إلى الحجاز حين بُعث رسول الله ﷺ فأدركني الليل

---

(١) «تاريخ دمشق» ١١/ ٦٦.

(٢) «الاستيعاب» ١/ ١٨٤.

(٣) كذا وردت هذه العبارة هنا، وهي دليل على كلام مختصر، والحديث أخرجه البخاري (٢٧٨٠)، وانظر «الجمع بين الصحيحين» (١١٢٩).

في وادٍ فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة، فناداني منادٍ: عُذْ بالله، فإن الجن لا تجترئ على الله؛ قد خرج الرسولُ الأمين،وصلينا خلفه بالحَجونِ وأسلمنا واتَّبعناه،وذهب كيد الجن ورميت الشياطين بالشهب، فانْطَلِقْ إلى محمد ﷺ، فلما أصبحتُ أتيتُ دَيْرَ أيوب وفيه راهبٌ فأخبرته، فقال: صدقَ، نجدُهُ يخرج من الحرم، وهو خير الأنبياء فلا تُسْبَقْ إليه. فقدمت على رسول الله ﷺ المدينةَ فأسلمت(١).

وهو أول من قصَّ في أيام عمر رضوان الله عليه، فقال له: ما تقولُ؟ قال: أقْرأ عليهم القرآن وآمرهم بالخَيْرِ وأنهاهم عن الشر، قال: افعل، فكان يقصُّ يوماً واحداً في الجمعة، فلما قام عثمان رضوان الله عليه استزاده يوماً آخر(٢).

ومرّ به عمر رضوان الله عليه وهو يقص ومعه ابن عباس، فقال له: سَلْه عن زلَّةِ العالِمِ، فقال تميم: لأن العالِمَ إذا زلَّ زلَّ الناسُ فيؤاخَذ بهم(٣)، فقال عمر رضي الله عنه: أحسنت.

وقال أبو سعيد الخدري: أول من أسرج المسجدَ تميمٌ الداري(٤).

وسكن تميمٌ دمشقَ، ثم انتقل إلى فلسطين، فتوفي بها سنة أربعين، قاله الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى، وقبره ببيت حبرون.

وروى الحديث عن النبي ﷺ، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس وأنس وأبو هريرة وغيرهم، وقدم مصر لغزو البحر فروى عنه جماعة من المصريين، وأخرج له الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند» ثمانية أحاديث.

وقد روى رسول الله ﷺ حديث الجسَّاسةِ عن تميم الداري: كانت فاطمة بنت قيس من المهاجرات الأُوَلِ، وسألها الشَّعْبيُّ ـ واسمه عامرُ بن شَراحيل من شَعْب هَمْدان ـ فقال: حدثيني حديثاً سَمِعتيه من رسولِ الله ﷺ لا تُسْنديه إلى أحدٍ غيره، فقالت: لئن

---

(١) «الطبقات» ٦/ ٢٥٥.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٤٠٠) من حديث الزهري، وأحمد في «مسنده» مختصراً (١٥٧١٥) من حديث السائب بن يزيد.

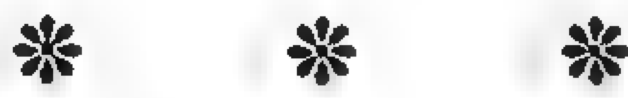
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٤٩)، والخطيب في «الجامع لآداب الراوي» (٣٨٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٧٦٠).

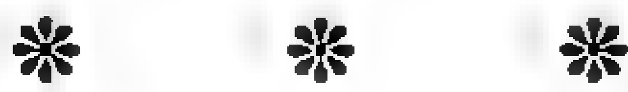
شئتَ لأفعلَنْ، فقال لها: أَجَلْ، حدِّثيني، قالت: نكحتُ ابنَ المغيرة وهو من خَيْرِ شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسولِ الله ﷺ فلما تَأَيَّمْتُ خطبني عبد الرحمن بنُ عوفٍ في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ [وخطبني رسول الله ﷺ] على مولاه أسامةَ بن زيد، فلما كلَّمني رسولُ الله ﷺ قلتُ: أمري في يَدِك فأنْكِحني من شئتَ، فقال: «انتَقِلي إلى أمِّ شَريك» وأُمُّ شريك امرأة غنيَّةٌ من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضِّيفانُ، فقلت: سأفعل، فقال: «لا تَفْعلي، إنَّ أُمَّ شَريكٍ كثيرةُ الضِّيفانِ، وأَكْرهُ أن يَسقُطَ خِمارُكِ وَينكَشِفَ الثَّوبُ عن ساقَيْكِ، فيرى القَوْمُ منك بعضَ ما تكرهينَ، ولكِن انْتَقِلي إلى ابنِ عمِّكِ، ابنِ أُمِّ مكْتُومٍ». فانتقلتُ إليه، فلما انقَضَتْ عِدَّتي سمعنا نداءَ منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاةَ جامعةً، فخرجت مع النساء إلى المسجد، فصَلَّيْتُ مع رسول الله ﷺ، فكنت من النِّساء اللاتي بين ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «ما جَمَعتُكُم لرَغبَةٍ ولا لِرَهْبةٍ، ولكِنْ جمَعتكُم لأنَّ تميماً الداريّ حدَّثني حديثاً وافَقَ ما كُنتُ حَدَّثتُكُم عن المسيحِ الدجَّالِ، حدَّثني أنه رَكِبَ في سفينةٍ بحريةٍ مع ثلاثينَ رجلاً من لَخْم وجُذام، فلعب بهم الموجُ شهراً في البحر، ثم أَرْفؤوا إلى جزيرةٍ في البحرِ حينَ تغرُبُ الشمسُ، فجلسوا في قاربٍ ودخلوا الجزيرةَ، فَلَقِيتهم دابَّةٌ أَهْلَبُ كثيرُ الشَّعَرِ، لا يَدرون ما قُبُلُه من دُبُرِه، فقالوا: ويلكِ ما أنتِ؟ قالت: أنا الجسَّاسةُ، قالوا: وما الجسَّاسةُ؟ قالت: أيُّها القومُ، انْطَلقوا إلى هذا الرجلِ الذي في الدَّير فإنّه إلى لقائكُم بالأشواقِ، قال: فلما سَمَّت لنا رجلاً فرِقْنا منها أنْ تكُونَ شَيطانةً ـ أو شيطاناً ـ فانْطَلقنا سِراعاً حتى دَخَلنا الدَّيرَ فإذا فيه أعظمُ إنسانٍ رأيناهُ قطُّ خَلْقاً، وأشدُّهُ وثاقةً، مجموعةٌ يداه إلى عُنقه، ما بين رُكبتيه إلى كَعبهِ بالحديدِ، قلنا: ويلَكَ ما أنتَ؟ قال: قد قَدَرتُم على خَبري، فأخبرُوني ما أَنتُم؟ قالوا: نحن أُناسٌ من العَرَب ركبنا في سفينةٍ بحريةٍ فصادَفْنا البحر حين اغْتلمَ، فلعب بنا الموجُ شهراً ثم أَرْفأنا إلى جزيرتكَ هذه، فجلَسنا في أَقْرُبها فدخَلْنا الجزيرةَ فلقينا دابةٌ أَهْلبُ كثيرُ الشَّعرِ.. وذكر القصة إلى قوله: فإنّه إلى خَبركم بالأشواق فأقبلنا إليكَ سراعاً وفزعنا منها، ولم نأمَنْ أن تكونَ شيطانةً، فقال: أَخبروني عن نخل بَيْسانَ؟ قلنا: عن أيِّ شيء تَسْتَخبر؟ قال: أسألكم

عن نخلها هل يثمر؟ قلنا: نعم، قال: يوشك أن لا يُثْمِرَ، قال: أخبروني عن بحيرة طبريّةَ؟ قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبرُ؟ قال: أسألكم هل فيها ماء؟ قلنا: هي كثيرة الماء، قال: إنّ ماءَها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زُغَر؟ قلنا: عن أيّ شأنها تَسْتخبرُ؟ قال: هل فيها ماء وهل يَزرَعُ أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرةُ الماءِ وأَهلُها يزرعُون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأُمِّيينَ ما فَعَلَ؟ قلنا: قد خرج من مكَّةَ ونزل يَثْرِبَ، قال: قَاتَلَتْهُ العَرَبُ؟ قُلنا: نَعَم، قال: كيفَ صَنَع بهم؟ فأَخبرناهُ أنه قد ظَهَر على من يَليهِ منَ العَرَبِ وأَطاعُوهُ، فقالَ: قد كانَ ذلك؟ قلنا: نَعَم، قال: أما إنَّ ذلك خير لهم أن يُطيعوهُ، وإنّي مُخبِرُكم عني، أنا المسيحُ، وإنّي أُوْشِكُ أن يؤذنَ لي في الخُروج فأخرجَ، فأَسيرُ في الأرضِ فلا أَدَعُ قريةً إلا هَبَطْتُها في الأربعينَ ليلةً غيرَ مكَّةَ وطَيبةَ، هما مُحَرَّمتانِ عليَّ كِلتاهُما، كلَّما أَردتُ أن أَدخُلَ واحدةً مِنها استَقبَلني مَلَكٌ بيدِهِ السيفُ صَلْتَاً يصدُّني عنها، وإنَّ على كل نَقْب منها ملائكةً يحرُسُونها، قال رسول الله ﷺ وطَعَن بمِخْصَرَتِهِ في المِنْبَرِ: «هذه طيبةٌ» يعني المدينة. قال: فإنّه أعجَبني حديثُ تميمٍ أنّه وافقَ الذي كنتُ أُحدِّثكم عنه وعن مكَّةَ والمدينةَ، إلا أنّه من بَحْرِ الشام أو بحر اليمن لا من قِبَلِ المشرق ما هو من قبل المشرق» يكرره وأومأ بيده إلى المشرق.

قالت: فحفظتُ هذا من قول رسول الله ﷺ، وهذا حديث طويل أخرجه الحميدي[١] من أفراد مسلم.



وفيها: كتب رسول الله ﷺ إلى سمعان بن عمرو الكلابي كتاباً يدعوه إلى الإسلام، فرقَعَ به دَلْوَه، فقالت له ابنته: عَمَدْتَ إلى كتاب سيدِ العرب فرقعتَ به دلوك ستصيبك قارِعةٌ، فمرت به سريةُ رسولِ الله ﷺ فاستباحوا كل شيء كان له، فهرب، ثم قدم على رسول الله ﷺ مسلماً، فرد عليه من ماله ما لم يُقسَم[٢].



(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) والحميدي في «الجمع بين الصحيحين» (٣٥٣٦).

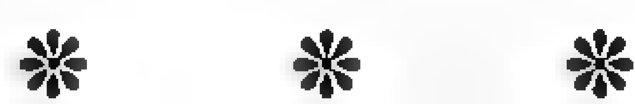
(٢) «الطبقات» ١/ ٢٤٢.

وفيها: وَفَدَ وَفْدُ بني البَكَّاء، وهم: معاوية بن ثَوْر بن عُبادة وهو يومئذ ابن مئة سنة، ومعه ابنه بِشر، والفُجَيْعُ بن جُنْدَع(١)، وعبد عمرو، فأكرمهم رسولُ الله ﷺ وأجازهم، فقال له معاوية بن ثور: يا رسول الله، إني قد كَبرت فامسح على وجه ابني بِشر، فمسح عليه ووهبه أَعْنُزاً عُفْراً ـ أي بيضاء ـ فكانت السَّنَةُ تُصيب بني البكَّاءِ ولا تصيبهم، وفي ذلك يقول محمد بن بِشْر بن معاوية: [من الكامل]

وأبي الذي مَسَحَ الرَّسُولُ بوجهِهِ ... ودعا له بالخَيْرِ والبَرَكاتِ
أعطاه أحمدُ إذ أَتاهُ أَعْنُزاً ... عُفْراً ثَواجِلَ لَسْنَ باللَّجِباتِ
يملأْنَ رِفْدَ الحَيِّ كلَّ عَشِيَّةٍ ... ويعودُ ذاك المَلْءُ بالغَدَواتِ
بُورِكنَ مِن مِنَحٍ وبُورِكَ مانِحاً ... وعليه منِّي ما حَيِيتُ صَلاتي

وكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتاباً فهو عند الفُجيع وقومه(٢).

وفيها: قدم وفد بني عُقيل بن كعب، وفيهم ربيع بن معاوية بن خفاجةَ بن عمرو بن عقيل، وعقال بن خويلد وغيرهما، وأخذ عليهم رسول الله ﷺ الإسلام، وقال لعقال ابن خويلد: قُلْ أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن هُبَيْرة بنَ النُّفاضة نِعْمَ الفارسُ يوم قرني لبان(٣) ـ اسم موضع. فقال له: قل أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن الصريح تَحْت الرِّغْوة، فقال ثلاثاً له، فأَسْلَم، فكتب لهم رسول الله ﷺ العقيق، ويُسمى: عقيق بني عُقيل، وفيه عيون ونخل، وكتب لهم في أديم أحمرَ(٤).



وفي هذه السنة جرت قصة ثعلبة بن حاطب أحد المنافقين.

قال أبو أمامة الباهلي: جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أُدْعُ الله أن يرزقَني مالاً، فقال: «وَيْحَكَ يا ثَعْلَبَةُ، أَمالَك في رسولِ الله أُسوةٌ حَسَنةٌ، والذي نَفسي بيدِهِ، لو أَردْتُ أَن تسيرَ الجبالُ معيَ ذَهَباً وفضةً لَسارت». ثم

(١) في طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٣: والفجيع بن عبد الله بن جندح.
(٢) «الطبقات» ١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣، والثواجل: العِظام البطون.
(٣) في النسخ: «موليان» والمثبت من «الطبقات».
(٤) «الطبقات» ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

أتاه ثانياً وثالثاً، فقال: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يرزقني مالاً، فوالذي بعثكَ بالحقِّ لئن رزقني الله مالاً لأؤدِّيَنَّ إلى كلِّ ذي حقٍّ حقَّه. فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهم ارزُقْ ثعلبةَ مالاً» قالها مرتين، فاتَّخذ غَنَماً فنمت كما يَنْمو الدودُ، وضاقت عليه المدينةُ فتنحى عَنْها، ونزل وادياً من أوديتها وهي تزداد، وكان يصلِّي مع رسول الله ﷺ الظُّهرَ والعَصْرَ و يصلي في غنمه باقي الصلوات، ثم كثرت فتباعد عن المدينة وانقطع عن الصلوات والجُمَعِ، فسأل رسول الله ﷺ عنه ذات يوم فقال: «ما فَعَل ثَعلبةُ»؟ فقالوا: يا رسول الله، كثُرَ ماله فأبْعَد عن المدينة، فقال: «يا وَيحَ ثعلبةَ»، وأنزل الله آية الصدقات، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سُلَيم وآخر من جُهينةَ على الصدقات وقال لهما: «مرَّا بثعلبةَ وبني سُلَيم»، فمرَّا بثعلبةَ فقرآ عليه أسنان الصدقة، فقال: ما هذه إلّا جزية، انطلِقا حتى تفرُغا ثم عودوا إليَّ، فذهبا إلى بني سُليم فاستقبلهما رجل من بني سُليم بصدقته وقد عزل لهما خِيارَ ماله، فقالا: ما هذا عليك، فقال: خُذَاها طيِّبةً من نفسي. وعادا إلى ثعلبةَ فلم يعطهما شيئاً، وقال: حتى أرى رأيي. وأقبلا لمّا رآهما رسول الله ﷺ فقال قبل أن يتكلما: «يا وَيحَ ثعلبةَ» مرتين، فأخبراه بقول ثعلبة وفِعلِ السُّلمي، فأنزل الله في ثعلبة: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٥] الآيات وعند النبي ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فخرج حتى أتاه فقال: ويحكَ يا ثعلبُ، قد أنزل الله فيكَ كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل صدقته، فقال: «إنّ الله مَنَعني أن أَقبلَ صدقَتكَ» فحثى الترابَ على رأسه وجعل يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «هذا فِعْلُكَ بنَفْسكَ، قد أَمَرْتُكَ فلم تُطِعْني». وتوفي رسولُ الله ﷺ ولم يقبلْ منه شيئاً، ولما وَلِيَ أبو بكرٍ رضي الله عنه أتاه فعرض عليه أَخْذَ الصَّدقةِ فقال: لم يأخُذْها مِنْكَ رسولُ الله ﷺ أفآخذها منك أنا؟ ثم مات أبو بكر رضي الله عنه، وقام عمر رضي الله عنه فجاءه يعرِضُها عليه، فقال له كذلك، ثم قام عثمان رضي الله عنه فجاءه فعرضها عليه، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ و لا أبو بكر ولا عمر، أفأَقْبَلُها أنا؟ ولم يأخذ منه شيئاً، فمات في أيام عثمان رضي الله عنه[1].



(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٨٧٣)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٨٩، وفي «الشعب» (٤٣٥٧) وقال: وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف.

وفيها: بعث رسول الله ﷺ أبان بن سعيد بن العاص بن أمية على الصدقات إلى البحرين، وأبان من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وأمه: هند بنت المغيرة المخزومي، وأبوه كنيته: أبو أُحَيْحَةَ، مات كافراً بالطائف، وكان له أولاد: أبان، وعمرو، وخالد، وعبيدة، والعاص، أما خالد وعمرو فأسلما قديماً وهاجرا إلى الحبشة، وأما العاص وأبان وعبيدة فخرجوا إلى بدر مع الكفار، فقتلَ عليٌّ العاص كافراً، وقتلَ الزبير رضي الله عنه عبيدة كافراً، وأفلتَ أبانُ صاحبُ هذه الترجمة، فكاتبه أخواه خالدٌ وعمرو من الحبشة: أَسْلِم، فقال: لا أَدَعُ دينَ آبائي، وأقام بمكة على كفره، حتى كان زَمَنُ الحُدَيْبية، ودخل عثمان رضي الله عنه إلى مكة رسولاً من عند رسول الله ﷺ فأجاره، ثم قدم خالد وعمرو من الحبشة سنة سبع مع أصحاب السفينتين وكتبا من الشُّعَيْبَةِ إلى أبان وهو بمكّة: اقدُم علينا، فقدِم عليهم ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم وحسن إسلامه، وولّاه رسول الله ﷺ صدقات البحرين سنة تسع فسار إليها، وأقام بها حتى ارتدتِ العربُ بعد وفاةِ رسول الله ﷺ وكان قد جمع مئة ألف، فقدم بها على أبي بكر رضي الله عنه فسُرَّ به، وكان معه ثلاثُ مئة من عبد القَيْسِ، فأكرمهم أبو بكر رضي الله عنه، وقال له: ارجع إلى عملك، فقال: والله لا عملتُ لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ فلم يُكْرِهه أبو بكر رضي الله عنه[1].



وفيها[2]: رجم رسول الله ـ ﷺ ـ ماعزاً والغامدية.

[وقد روى القصة جماعة من الصحابة منهم بريدة بن الحصيب، وجابر بن سمرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وعمران بن الحصين وغيرهم.

فأما حديث بريدة فقال [أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير بن المهاجر، حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال][3]: كنت جالساً عند رسول الله ـ ﷺ ـ إذ جاءه رجل

(١) «الطبقات» ٥/٨ ـ ١٢.
(٢) من هنا تبدأ نسخة كوبريللي والمرموز لها بـ (ك) وما فيها من زيادات على النسختين (خ ، أ) يوضع بين معكوفين.
(٣) ما بين حاصرتين زيادة من (ك).

يقال له: ماعز بن مالك، فقال: يا رسول الله، إني قد زنيت، وأريد أن تطهرني، فقال له رسول الله ﷺ: «ارْجع»، فلما كان من الغد أتاه، فاعترف عنده بالزنا، فقال له رسول الله ﷺ: «ارْجِع»، ثم أرسل إلى قومه، فقال: «ما تَعرِفُون من ماعِزِ بن مالكٍ الأَسْلَمي، هَل تَرونَ به بأْساً، أو تُنْكِرون من عَقلِه شيئاً»؟ فقالوا: لا، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ الثالثة والرابعة، فأرسل إلى قومه، فقالوا: ما نعلمه إلا وفيَّ العقل من صالحينا، فأمر رسول الله ﷺ فحفر له حفرة إلى صدره، ثم أمر الناس أن يرجموه.

قال بريدة: كنا نتحدث ـ أصحاب النبي ﷺ ـ أن ماعزاً لو جلس في رحله بعد اعترافه ثلاث مرات لم يطلبه، وإنما رجمه عند الرابعة[١].

وقال أحمد رحمة الله عليه: حدثنا وكيع، حدثنا هشام بن سعد، أخبرني أبي يزيد ابن نعيم بن هزَّال، عن أبيه قال: كان ماعز بن مالك في حِجر أبي، فأصاب جاريةً من الحي، فقال له أبي: ائت رسول الله ﷺ فأخبره بما صنعت، لعلَّه يستغفر لك، فخرج، فأتاه، فقال: يا رسول الله، إني زنيتُ فأقم علي كتاب الله، فأعرض عنه إلى أن أتاه الرابعة، فقال: «إنَّكَ قد قُلْتَها أَربعَ مرَّاتٍ، فبِمَن؟» قال: بفلانة، قال: «هَل ضاجَعْتَها؟ هل جامَعْتَها؟» قال: نعم، فأمر به، فرجم، فوجد مَسَّ الحجارةِ، فخرج يشتد، فلقيه عبد الله ابن أُنَيس، فنزع له بوَظِيفِ بعير، فقتله، فذُكر ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «هَلَّا تَركتُموه، لَعلَّه يَتوبُ، فيَتُوبَ اللهُ عليه، يا هزَّالُ، لو كُنتَ سَترتَه بثَوبِكَ كانَ خيراً لكَ مِمَّا صَنَعتَ بهِ»[٢].

وروى ماعز عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمانٌ باللهِ وَحدَهُ، ثم الجِهادُ، ثم حَجَّةٌ مَبرُورَةٌ ـ أو بَرَّةٌ ـ تَفْضُل سائِرَ العَمَلِ، كما بينَ مَطلِعِ الشَّمسِ إلى مَغربِها» أخرجه الإمام أحمد رحمه الله[٣].

وقال بريدة[٤]: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من غامدٍ، فقالت: يا

(١) أخرجه أحمد بتمامه في «المسند» (٢٢٩٤٢)، ومسلم دون قول بريدة الأخير (١٦٩٥). ومن هنا إلى بداية حديث الغامدية ساقط من (ك).

(٢) أحمد في «مسنده» (٢١٨٩٠).

(٣) أحمد في «مسنده» (١٩٠١٠).

(٤) في (ك): «وبهذا الإسناد عن بريدة قال» وكأنه جمع بين حديث ماعز وحديث الغامدية.

رسول الله، إنِّي قد زنيتُ وأُريد أن تطهرني، فقال لها: «ارْجِعي» فجاءته ثانياً وثالثاً، فاعترفت عنده، فقال لها: «ارْجِعي» فقالت: فلعلَّك أن تردَّني كما ردَدْتَ ماعزاً، فوالله إني لَحُبلى، فقال لها رسول الله ﷺ: «أَمَّا الآنَ فاذْهَبي حتى تَلِدِي»، فلما وَلَدت جاءت بالصبي تحمله، فقالت: ها قد وَلَدت، قال: «فاذْهَبي فأَرْضِعيه حتى تَفْطِميه». فلما فطمته، جاءت به، وفي يده كِسْرةُ خبز، فقالت: يا نبي الله، هذا الصَّبي قد فطمته، فأمر رسول الله ﷺ بالصبي، فدفعه إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها، فحفر لها حفرة، فجعلت فيها إلى صدرها، ثم أمر الناس أن يرجُموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى به رأسَها، فنضح الدم على وجه خالد، فسبَّها، فقال عليه السلام: « [مهلاً ياخالد] فَوَالذي نَفسِي بيَدِه، لقد تابَت تَوبَةً، لو تابَها صاحبُ مَكْسٍ لغُفِرَ له». وأمر بها رسول الله ﷺ فصلَّى عليها، ودُفنت. انفرد بإخراجه مسلم[(١)].

وروى الجماعة بقية الحديث مشابهاً لحديث بريدة، وقد اختصرناه.

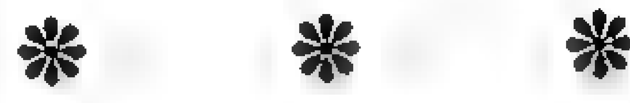


وفيها[(٢)]: لاعَنَ رسول الله ﷺ بين رجل وامرأته.

روى الأَعمَش، عن إبراهيم بن عَلقمة، عن ابن مسعود قال: كنَّا جلوساً عشيةَ الجمعة في المسجد، فقال رجل من الأنصار: أَحدُنا إذا رأى معَ امرأَتِه رجلاً قتله قتلتموه، وإن تكلم حديتموه، وإن سكت سكتَ على مضض أو غيظ؟! و الله لئن أصبحت صالحاً لأسألن رسول الله ﷺ، قال: فسأله كما سأل ابنَ مسعود، فقال: «اللَّهمَّ افتح» يرددها، فنزلت آية اللِّعان، فابتلي ذلك الرجل مِن بين الناس، فجاء هو وامرأته، فتلاعنا عند رسول الله ﷺ فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، والتعنت المرأة أيضاً[(٣)].

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٥) (٢٣)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٩٤٩).
(٢) الخبر ليس في (ك).
(٣) أخرجه مسلم (١٤٩٥).

وفي أفراد البخاري، عن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ـ ﷺ ـ بشريك بن سَحماء، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «البيِّنَةَ، أو حدٌّ في ظَهرِكَ» فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البيِّنة؟! وجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «البيِّنَةَ وإلا حدٌّ في ظَهرِكَ»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، وليُنزلنَّ الله ما يُبرِّئ ظهري من الحد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦]. فأرسل النبي ـ ﷺ ـ إليها، فجاءت، وقام هلال، فشهد، والنبي ﷺ يقول: «اللهُ يَعلَم، إنَّ أحدَكُما كاذِبٌ، فَهَل منكُما تائِبٌ؟». ثم قامت، فشهدت، فلما كان عند الخامسة، وقَّفوها، وقالوا: إنَّها موجبةٌ، قال ابن عباس: فتَلكَّأت، ونَكَصت حتى ظَنَّنا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضحُ قومي سائِرَ اليوم، فمضت، فقال رسول الله ﷺ: «انظُروها، فإن جاءَت به أَكْحَل العينَينِ، سابغَ الأَلْيَتَين، خَدَلَّجَ السَّاقَين، فهو لشَريك بن سَحماء» فجاءت به كذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لَولا ما مَضَى مِن كِتابِ اللهِ لَكانَ لي ولَها شَأنٌ»[١].



وفيها: أسلم كعب بن زهير بن أبي سُلمى الشاعر[٢]، وكان خرج كعب وأخوه بُجَير[٣] بن زهير إلى أبرق العَزَّاف، وكان قريباً من زرود، فقال بجير لأخيه: أقم أنت في النعم حتى آتي هذا الرجل، فأسمع كلامه، وأعرف ما عنده، فأقام كعب، ودخل بجير على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، فدعاه إلى الإسلام، فأسلم، وبلغ كعباً، فقال: [من الطويل]

أَلَا أَبلِغا عنِّي بُجَيراً رسالةً ... على أيِّ أمرٍ دِنْتَ غيرك دلكا
على خُلُق لم تُلفِ أُمًّا ولا أبا ... عليهِ ولم تُدرك عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكر بكأسٍ رويَّةٍ ... وأنْهلَك المأمون منها وعلَّكا

فاتصل ذلك برسول الله ـ ﷺ ـ فأهدر دمه، وقال: «مَن لَقيَ كَعباً فلْيقتُلْهُ»، فكتب إليه

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤٧). قوله «سابغ الأليتين»: تامهما، و«خدلج الساقين»: عظيمهما.
(٢) الخبر في (ك) إلى هنا فقط.
(٣) في (أ) و (خ): «يحيى» والمثبت من «الإكمال» ١/ ١٩١ و«الإصابة» ١/ ١٣٨.

أخوه بُجَير يخبره بذلك، ويقول: النجاء، وما أظنك ناجياً، وإن رسول الله ﷺ ما جاءه أحد قط يفوه بالشهادتين إلا قَبله، ولم يؤاخذه بما تقدم قبل الإسلام، قال كعب: فقدمت المدينة، فأنخت راحلتي على باب المسجد، ودخلته، ورسول الله ﷺ جالس بين أصحابه مثل موضع المائدة من القوم، وهم متحلقون حوله حلقة ثم حلقة ثم حلقة، فيقبل على هؤلاء مرة، ثم على هؤلاء، فدنوت منه، وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال: «مَن أَنْتَ؟» قلت: كعب بن زهير، فقال: «الذي يَقولُ ما يَقُولُ؟» ثم أقبل على أبي بكر رضي الله عنه فاسْتَنشَدَه الشعر إلى أن قال:

سقاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمور......

فقال: يا رسول الله، ما قلتُ هكذا، قال: «فَكَيفَ قُلتَ؟» قال: قلت: وأنهلك المأمون بالنون، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَأمُونٌ والله» ثم اسْتنشَدني، فأنشدته: [من البسيط]

بانَت سُعادُ فقلبي اليوم متبولُ..........

فلما بلغت إلى قولي:

نُبِّئتُ أنَّ رسولَ الله أوعَدَني والعفوُ عندَ رسولِ الله مَأمولُ

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «والعفوَ عندَ رسولِ الله مأمولُ»، فلما قلت:

لا تأخذنِّي بأقوالِ الوُشاةِ ولم أُذنبْ ولو كَثُرتْ فيَّ الأقاويلُ

فقال: «لا»، ثم أعطاني بردته من على كتفيه، فبعتها بعد بعشرين ألفاً[1]، وهي التي اشتراها معاوية، فكانت عند بني أمية، ثم انتقلت إلى بني العباس.

* * *

وفيها: آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً.

واختلفوا في سببه على أقوال:

أحدها: حديث العسل، قالت عائشة رضوان الله عليها: كان رسول الله ﷺ يحبُّ الحلوى والعسلَ، وكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فيدنو منهن، فدخل يوماً على

---

(١) الخبر في «دلائل النبوة» ٥/٢٠٧، وانظر «السيرة» ٢/٥٠١.

حفصة، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبسُ، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةَ عسلٍ، فسقت رسول الله ﷺ منها، فقلت: والله لنحتالن له، فذكرتُ ذلك لسودة، وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك، فقولي له: يا رسول الله، أكلت مغافيرَ؟ فإنه سيقول لك: لا، فقولي: ما هذه الريح؟ وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه ريح، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة من عسل، فقولي له: جَرَسَت نحلُهُ العُرْفُط، وسأقول له ذلك، وقولي أنت له يا صفية، فلما دخل على سودة قالت له ذلك، ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: ألا أسقيك يا رسول الله منه؟ فقال: «لا حاجةَ لي فيه». أخرجاه في «الصحيحين»(١).

والثاني: أن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما استأذنت رسول الله ﷺ أن تزور أباها فأذن لها، فلما خرجت من البيت، أرسل رسول الله - ﷺ - إلى مارية القِبطية، فجاءت، فواقعها في بيت حفصة، وجاءت حفصة، فرأت الباب مقفلاً، فجلست تبكي عند الباب، وخرج رسول الله - ﷺ فرآها تبكي ووجهه يقطر عرقاً، فقال لها: «ما يُبكيكِ؟» فقالت: إنما أذنت لي حتى تدخل أمتك بيتي، وتقع عليها في فراشي وفي يومي، ما رعيت حقي، ولا حفظت حرمتي، ما كنت تصنع هذا بامرأة من نسائك، فقال لها: «اسكُتي، فهي حرامٌ عليّ، أَلْتمسُ بذلك رضاكِ، فلا تُخبري بهذا امرأةً منهنَّ، هو عندك أمانة» ولما خرج رسول الله ﷺ من عند حفصة، قرعت الجدار الذي بينها وبين عائشة رضوان الله عليها وقالت: ألا أبشرك أن رسول الله - ﷺ - قد حرم عليه أمته مارية، فقد أراحنا الله منها، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على جميع أزواجه، وأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ الآية [التحريم: ١ - ٢]. في العسل ومارية(٢).

والثالث: أن رسول الله ﷺ ذبح شاة، فقسمها بين أزواجه، وبعث منها إلى زينب بنت جحش، فردته، ثم أرسل إليها، فردته، فاستشاط غضباً، فآلى منهن.

وقال البخاري: حدَّثنا أحمد بن محمد المُزني، حدَّثنا عمرو بن يحيى، عن جده،

---

(١) البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤) (٢١).

(٢) الخبر عند البغوي في «تفسيره» ٤/ ٣٦٣.

عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤]حتى حج عمر، وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل، وعدلت معه بالإداوة، فتبرَّز، ثم أتاني، فسكبت على يديه، فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان قال الله فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾؟ فقال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس، قال الزهري: كره والله ما سأله عنه، ولم يكتمه، قال: هما عائشة وحفصة، ثم ساق الحديث، فقال:

كنا معاشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، فغضبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت ذلك، فقالت: ما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج رسول الله - ﷺ - ليراجعنه، وتهجره إحداهن من اليوم إلى الليل، قال: فانطلقت، فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعن رسول الله ﷺ وتهجره إحداكن إلى الليل؟ قالت: نعم، قلت: قد خاب من فعلَت ذلك منكن وخسرت، أفتأمن أن يغضب الله عليهالغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعيه، ولا تسأليه شيئاً، وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك جارتك، هي أوسم منك، وأحب إلى رسول الله - ﷺ - منك، يريد عائشة رضوان الله عليها، قال: وكان لي جار من الأنصار، قال: فكنا نتناوب النزول إلى النبي ﷺ فينزل يوماً، ويأتيني بخبر الوحي، وآتيه بمثل ذلك، وكنا نتحدث أن غسان تنعِل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي يوماً، ثم أتاني عشاء فضرب بابي، ثم ناداني، فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم، قلت: وما ذاك؟ جاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول، طلَّق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخَسِرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون.

حتى إذا صليت الصبح شددت عليَّ ثيابي، ثم نزلت، فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري، هو هذا معتزل في مشربة، قال: فأتيت غلاماً له أسود، فقلت: استأذن لي على رسول الله ﷺ أو استأذن لعمر، فدخل، ثم خرج، وقال: قد ذكرتك له فصمت، فخرجت، فجلست عند المنبر وإذا

عنده رهط يبكون، ـ أو يبكي بعضهم ـ ، فجلست قليلاً، ثم غَلَبني ما أجد، فأتيت الغلام، فقلت: استأذن لعمر، فدخل، ثم خرج، فقال مثل الأول، ثم فعلت ذلك الثالثة، فقال لي مثل ذلك، فوليت مدبراً، فإذا الغلام يدعوني، فقال: ادخل، فقد أذن لك، فدخلت على رسول الله ﷺ فسلمت عليه وهو متكئ على رمال حصير قد أثَّر في جنبيه، فقلت: يا رسول الله، أطلقت نساءك؟ فرفع رأسه إلي، وقال: «لا»، فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله، وكنا معاشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن منهن، فغضبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، وذكر بمعنى ما ذكرنا، قال: فتبسم رسول الله ﷺ فقلت: أستأنسُ يا رسول الله؟ قال: «نَعَم»، فجلست، ورفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة[1] ثلاثة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدع الله أن يوسع عليك وعلى أمتك، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدونه، فاستوى جالساً، ثم قال: «أَفي شَكٍّ أنتَ يا ابنَ الخطَّابِ؟ أُولئكَ قَومٌ عُجِّلَت لهم طَيِّباتُهم في الحياةِ الدُّنيا» فقلت: استغفر لي يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدخل على نسائه شهراً لأجل ذلك الحديث حين أفشته حفصةُ إلى عائشة من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عليه.

قال الزهري: فأخبرني عروة، عن عائشة قالت: لما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بي رسول الله ﷺ فدخل علي فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت أن لا تدخل على نسائك شهراً، أو علينا، وإنك دخلت عن تسع وعشرين، أعدُّهن، فقال: «إنَّ الشَّهرَ تسعٌ وعِشرونَ» وفي رواية: وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة، ثم قال: «يا عائشةُ، إنِّي ذاكرٌ لكِ أمراً، فلا عليكِ ألَّا تَعجَلي حتى تَستأمِري أبوَيكِ»، ثم قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨- ٣٥] فقالت: قد علم والله أنَّ أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، فقلت: أفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم قلت: يا رسول الله، لا تخبر نساءك أني اخترتك، فقال: «إنَّ اللهَ أرسَلَني مُبلِّغاً، ولم يُرسِلني مُتعنِّتاً»، وقال عمر لحفصة: والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك، ولولا أنا لطلقك، واستأذن عمر

(١) في (ك) زيادة: «والأهبة هي الجلد لم يدبغ».

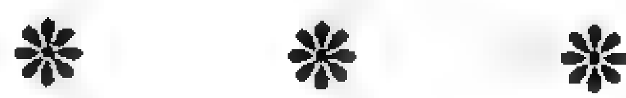
رسول الله ﷺ أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه، فأذن له، فقام عند المنبر، وقال: إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه، وقال له عمر: يا رسول الله، إن كنت طلقتهن فإن الله معك، وملائكته، وجبريل، وميكائيل، وأنا، وأبو بكر والمؤمنون، ونزلت آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[1] [إلى قوله: ﴿وَأَبْكَارًا﴾ الآية [التحريم: ٥].

وفي الباب عن جماعة من الصحابة، ولمسلم عن جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ صباح تسعاً وعشرين فقلنا له في ذلك، فقال: «إنَّ الشهر يكونُ تسعةً وعشرين يوماً» ثم طبق رسول الله بيده ثلاثاً ثم خنس إبهامه في الثالثة[2]، وكذا في حديث ابن عمر أنه خنس إبهامه[3].

وفي المتفق عليه عن عائشة: لما خيرها رسول الله ﷺ قالت: قد خيرنا رسول الله، فاخترناه، أفكان طلاقاً][4].

[فإن قيل: فقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾][5] يشعر بأن غيرهن خيراً منهن، قلنا: هذا خرج مخرج التهديد، لا أن في الأمة من هو خير منهن، والدليل عليه أن الله قد علم أنه لايطلقهن، وصاركقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ الآية [محمد: ٣٨] فكان إخباراً عن القدرة لا عن الكون في الوقت.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم أنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] إذا حلفتم أن تكفروها، وكفَّر رسول الله - ﷺ - عن يمينه، ورجع إلى جاريته، وإلى ما حلف عليه.



وفيها: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضوان الله عليه فحج بالناس.

كان رسول الله ﷺ قبل أن تنزل براءة، قد عاهد أناساً من المشركين عهداً،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٨١) (١٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٢٦٣)، ومسلم (١٤٧٧)، وما بين معقوفين زيادة من (ك).

(٥) ما بين معكوفين من (ك).

فاستعمل على الحج أبا بكر رضوان الله عليه، فخرج من المدينة في ثلاث مئة، ومعه عشرون بدنة قلَّدها رسول الله ﷺ النعال، وأشعرها بيده في الجانب الأيمن، واستعمل عليها ناجية بن جُنْدب الأسلمي، وساق أبو بكر خمس بدنات، وحج عامئذ عبد الرحمن بن عوف ﷺ، فأهدى بدناً، وأهلَّ أبو بكر رضوان الله عليه من ذي الحُلَيفة، وسار حتى إذا كان بالعَرْج في السحر سمع رُغاء ناقة رسول الله ﷺ القصواء، فقال: هذه القَصْواء، وإذا بعليٍّ كرم الله وجهه فقال له: استعملك رسول الله ﷺ على الحج؟ قال: لا، ولكن بعثني أقرأ على الناس براءة، وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أبي بكر رضوان الله عليه أن يخالف المشركين، فيقف يوم عرفة بعرفة، ولا يقف بجمع، ولا يدفع من عرفة حتى تغرب الشمس، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس، فقدم أبو بكر رضوان الله عليه مكة، وكان مفرداً بالحج، فخطب الناس قبل يوم التروية بيوم بعد الظهر، فلما كان يوم التروية حين زاغت الشمس طاف بالبيت سبعاً، ثم ركب راحلته من باب بني شيبة، وخرج إلى منًى، فأقام بها، وصلى الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والصبح بمنًى، فلما طلعت الشمس على ثبير، ركب راحلته، فوقف بالهضبات من عرفة، فلما أفطر الصائم دفع، وكان يسير العَنَق حتى انتهى إلى جَمْع، فنزل قريباً من الماء التي على قزح، فلما طلع الفجر صلى الفجرَ، ثم وقف، فلما أسفَر دفع، وجعل يقول في وقته: أيها الناس، أَسفروا، قالها مرتين، ثم دفع قبل طلوع الشمس، وكان يسير العَنَق، حتى انتهى إلى مُحَسِّر، فأوضع راحلته، فلما جاوز وادي محسر عاد إلى مسيره الأول، حتى رمى الجمرة راكباً بسبع حصيات، ثم رجع إلى المنحر، فنحر وحلق، وقرأ علي بن أبي طالب ﷺ يوم النحر براءة عند الجمرة، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا يحجُّ بعدَ هذا اليومِ مُشركٌ، ولا يطوفُ بالبيتِ عُريانٌ»، وكان أبو هريرة يقول: حضرت ذلك اليوم، فكان يقول: هو يوم الحج الأكبر، وخطب أبو بكر رضوان الله عليه في حجته ثلاث خطب في ثلاثة أيام لم يزد عليها، قبل يوم التروية بمكة بعد الظهر، وبعرفة قبل الظهر، وبمنًى يوم النحر بعد الظهر، ورمى أبو بكر رضوان الله عليه الجمار ماشياً، فلما كان يوم الصَّدَر رمى ماشياً، فلما جاوز العقبة ركب، ويقال: إنه رمى يومئذ راكباً، فلما انتهى إلى الأبطح صلى به الظهر والعصر، ودخل مكة، فصلى المغرب

والعشاء، ثم خرج من ليلته قافلاً إلى المدينة(١).



وفيها: توفي النجاشي(٢) ـ واسمه أَصْحَمة ـ ملك الحبشة، الذي هاجر إليه المسلمون فأحسن إليهم، وزوّج رسولَ الله ﷺ أمَّ حبيبة ﵂ وجهز إليه جعفراً، وكانت وفاته في رجب.

[قال هشام: ورسول الله ﷺ بتبوك فنعاه إلى أصحابه، وصلى عليه لما عاد من تبوك وبلغه خبره].

قال الإمام أحمد ﵁: حدَّثنا يحيى بن سعيد، حدَّثنا مالك، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: نَعَى لنا النبي ﷺ النجاشي في اليوم الذي ماتَ فيه؛ فخرجَ إلى المصلَّى، فصفَّ أصحابَه خلفَه، وكبَّر عليه أربَعاً(٣).

[وفي الباب عن جابر وعمران بن الحصين، وأحاديثهم في «الصحيح» وفيها: «إنَّ أخاً لكم قد ماتَ، فقوموا فَصلوا عليه»(٤)، وهذا يدل على أن النجاشي مات ورسول الله بالمدينة.

وبهذه الأحاديث يحتج الشافعي وأحمد على جواز الصلاة على الميت الغائب، وعند أبي حنيفة ومالك: لا يجوز، وهذا الخلاف يبنى على أن صلاة الجنازة عند أبي حنيفة لا تعاد، لأن الأمة توارثت (ترك الصلاة على رسول الله ﷺ والخلفاء والصحابة، ولو جاز لما ترك مسلم الصلاة عليهم)(٥) والشافعي يقول بتكرار الصلاة كما في الصلاة على النجاشي، وجوابه من وجوه:

أحدها: لأن النبي ﷺ كان وليه، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

(١) النقل عن «المغازي» ٣/ ١٠٧٦ ـ ١٠٧٨.

(٢) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٢٢، و«المنتظم» ٣/ ٣٧٥.

(٣) أحمد في «مسنده» (٩٦٤٦)، وأخرجه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٧٧)، ومسلم (٩٥٢) (٦٦) من حديث جابر ﵁، وأخرجه مسلم (٩٥٣) من حديث عمران بن الحصين ﵁.

(٥) ما بين قوسين زيادة من بدائع الصنائع ١/ ٣١١.

والثاني: لأن الأرض زويت له، ولهذا صف أصحابه خلفه، فكان من معجزاته.

والثالث: لأنه لم يكن في الحبشة من يعرف الصلاة عليه، لأنهم كانوا حديثي الإسلام، فكان ذلك من خصائصه.

وقد أخرج أبو داود[1] عن] عائشة رضي الله عنها لما مات النجاشي كانوا يتحدَّثون أنهم لا يزالون يرون النُّور على قبره[2].

[وقد أخرج أحمد في «المسند» حديثاً يتعلق بالنجاشي، فقال: حدَّثنا ابن النضر بإسناده عن عامر بن شهر قال: سمعت كلمتين من رسول الله ﷺ، يقول: «انظُروا قُريشاً فَخُذوا من قَولِهم وذَروا فِعلَهم» وكنت عند النجاشي جالساً فجاء ابنه بشيء من الكتاب، فقرأ آية من الإنجيل فعرفتها أو فهمتها، فضحكت، فقال: مم تضحك؟ أمن كتاب الله؟ فوالله إن مما أنزل على عيسى بن مريم أن اللعنة تكون في الأرض إذا كان أمراؤها الصبيان[3].

ولم يخرج أحمد عن عامر بن شهر غير هذا الحديث].

وفيها توفيت

أم كلثوم[4] عليها السلام

بنت رسول الله ﷺ [وأمها خديجة، وقد ذكرنا أنه قد] كان تزوجها في الجاهلية عُتيبة بن أبي لهب، ثم طلقها لما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [أمره أبوه بطلاقها] ولم يكن دخل بها، وهي بكر.

[قال جدي في «التلقيح»]: فأقامت مع رسول الله ﷺ بمكة، وأسلمت، وبايعت، [ولما أسلمت أمها وأخواتها] وهاجرت إلى المدينة، فلما توفيت رقية سلام الله عليها بنت رسول الله ﷺ زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه فزوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم، فتوفيت

(١) ما بين معقوفين زيادة من (ك).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٢٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٥٣٦). وما بين معقوفين زيادة من (ك).

(٤) «الطبقات» ١٠/ ٣٧، و«المنتظم» ٣/ ٣٧٥، و«الإصابة» ٤/ ٤٨٩.

في شعبان من هذه السنة، فصلى عليها رسول الله ﷺ، ونزل في حفرتها علي، والفضل، وأسامة رضي الله عنهم[١].

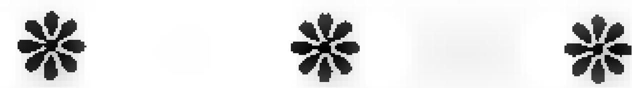
وجلس رسول الله ﷺ على قبرها، وقال: «لو كان لنا ثالثة لزوَّجناها عُثمان»[٢]، ولم تلد من عثمان رضوان الله عليه. وغسلتها أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب، وقيل: غسلتها نساء من الأنصار، منهم أم عطية، ونزل أبو طلحة في قبرها.

[وذكر ابن سعد بإسناده عن] أنس: رأيت رسول الله ﷺ جالساً على قبر أم كلثوم وعيناه تدمعان، فقال رسول الله ﷺ: «أفيكم أحد لم يقارف الليلة» فقال أبو طلحة: أنا، فقال: «انزل في قبرها» فنزل[٣]. [ومعنى قارف: أي جامع، ومنه حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يصبح جنباً من قرافٍ غير احتلامٍ، ثم يصوم[٤].

قلت: وفي الصحابيات أربع يقال لكل واحدة منهن: أم كلثوم، وإحداهن: ابنة رسول الله، لها رواية.

والثانية: بنت أبي سلمة. والثالثة: بنت أبي بكر الصديق. قال ابن سعد: ولم ترو عن رسول الله شيئاً. والرابعة: بنت عقبة بن أبي معيط، وروت منهن اثنتان الحديثَ عن رسول الله ﷺ: بنت أبي سلمة، وبنت أبي معيط، وأخرج عن هذه في «الصحيحين»[٥].

والكلثوم: الكثيرة لحم الخدين والوجه، هكذا ذكره الجوهري][٦].



(١) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٣١ ـ ٣٢.

(٢) «الطبقات» ٣/ ٥٣، وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٧/ (٤٩٠) من حديث عصمة بن مالك. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٨٣: وفيه الفضل بن المختار، وهو ضعيف.

(٣) «الطبقات» ١٠/ ٣٨.

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الغريب» ٤/ ٣٢٣.

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥) أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً...».

(٦) «الصحاح»: (كلثم). وما بين معقوفين زيادة من (ك).

سهيل بن بيضاء[١]

وبيضاء لقب أمه، واسمها دعد بنت جحدم من بني فهر، وأبوه وهب بن ربيعة بن هلال من بني فهر، وكنية سهيل: أبو موسى، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي مرجعه من تبوك، وصلى عليه رسول الله ﷺ في المسجد.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما أسرع ما نسي الناس، وهل صلى رسول الله ﷺ على سهيل ابن بيضاء إلا في المسجد؟ أخرجه مسلم[٢].

وإنما قالت ذلك لما أنكر الناس عليها الصلاة على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - في المسجد.

وتوفي سهيل رضي الله عنه وهو ابن أربعين سنة، وليس له عقب، وكان له أخوان:

سهل، أسلم قبل الهجرة بمكة، فأكرهه المشركون على الخروج إلى بدر، فأسر، فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلي بمكة، فأطلقه رسول الله ﷺ بغير فدية.

وصفوان بن بيضاء، أسلم وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وكنيته أبو عمرو، واختلفوا في وفاته، فقيل: استشهد يوم بدر، قتله طعيمة بن عدي بن الريان، وقيل: مات سنة ثمان [وثلاثين][٣]، وليس له عقب.

روى سهيل عن رسول الله ﷺ الحديث. قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا قتيبة بن سعيد، أنبأنا بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن سعيد بن الصَّلت، عن سهيل بن البيضاء قال: بينا نحن في سفر مع رسول الله ﷺ وأنا رديفه، فقال رسول الله ﷺ: «يا سُهيلُ» رفع صوته مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يجيبه سهيل، فسمع الناس صوت رسول الله ﷺ فظنوا أنه يريدهم، فحبس من كان بين يديه، ولحقه من كان خلفه، حتى إذا اجتمعوا، قال رسول الله ﷺ: «إنَّه مَن شَهدَ أن لا إله إلا الله، حرَّمَه الله على النَّار، وأَدخلَه الجنَّةَ»[٤].

---

(١) «الطبقات» ٣/ ٣٨٤، و«المنتظم» ٣/ ٣٧٦، «الإصابة» ٢/ ٩١. وهذه الترجمة ليست في (ك).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٣).

(٣) زيادة من «الطبقات» ٣/ ٣٨٥.

(٤) أحمد في «مسنده» (١٥٧٣٨).

ويقال: إن ذلك كان في غزاة تبوك.

[وفيها: توفي]

عبد الله بن أبي

[ابن سلول المنافق(١)]، وأبي هو ابن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم، ويعرف سالم بالحُبْلَى، وسلول امرأة من خزاعة وهي أم أُبَي بن مالك، وأم عبد الله بن أبي خولة بنت المنذر بن حرام(٢)، من بني النجار، وعبد الله سيد الخزرج في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد جمعوا له الخرز ليتوجوه، حسد عبد الله بن أبي بن مالك(٣) رسولَ الله ﷺ، وبغى عليه، ونافق، فاتضع شرفه.

[وقد ذكره الواقدي في «المغازي» فقال:] ومرض في ليالي من شوال، ومات في ذي القعدة، فكان مرضه عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ يعوده فيها، فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه، فقال له رسول الله ﷺ: «قد نهيتك عن حب يهود» فقال عبد الله: قد أبغضهم سعد بن زرارة فما نفعه، ثم قال ابن أبي: يا رسول الله، ليس بحين عتاب، هو الموت، إن مت فاحضر غسلي، وأعطني قميصك أكفن فيه، فأعطاه قميصه الأعلى، وكان عليه قميصان، فقال: أريد الذي يلي جلدك، [فنزع قميصه الذي يلي جلده] فأعطاه، ثم قال: صل علي، واستغفر لي.

[قال الواقدي: وكان جابر بن عبد الله يقول خلاف هذا، يقول: جاء رسول الله ﷺ بعد موت ابن أبي إلى قبره فأمر به فأخرج، فكشف عن وجهه ونفث عليه من ريقه، وأسنده إلى ركبتيه وألبسه قميصه.

قال الواقدي: والأول أثبت عندنا أن رسول الله] حضر [جنازته و] غسله، وتكفينه، ثم حمل إلى موضع الجنائز، فتقدم رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فوثب عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد قال يوم كذا كذا، ويوم كذا كذا، يعدُّ عليه، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أَخِّر عنِّي يا عمرُ» فلما

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من (ك)، وانظر جمهرة ابن حزم ٣٥٤، والمنتظم ٣/ ٣٧٧، وطبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٠.

(٢) في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠١ أن خولة أم عبد الله بن عبد الله، فهي زوجة عبد الله بن أبي.

(٣) في (ك): عبد الله بن أبي سلول.

أكثر عليه قال رسول الله ﷺ: «إنِّي قد خُيِّرت، فاختَرتُ، ولو أَعلَم أنِّي إذا زِدتُ على السبعينَ غُفر له زدتُ عليها» وهو قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] فصلى عليه رسول الله ﷺ وانصرف، فلم يكن إلا يسيراً حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ الآية [التوبة: ٨٤].

[ويقال: إنه لم تزل قدماه حتى نزلت عليه هذه الآية فعرف رسول الله في هذه الآية المنافقين، وكان من مات لم يصل عليه].

وقال مجمع بن جارية: ما رأيت النبي ـ ﷺ ـ أطال الوقوف على جنازة مثل ما أطال على جنازة عبد الله. وقال أنس: شهدت رجليه وقد فضلتا السرير من طوله.

وقالت أم عمارة: ما تخلف أحد من الأوس والخزرج عن جنازته، ورأيت ابنته جميلة بنت عبد الله تقول: واجبلاه، واأبتاه، ما ينهاها أحد، ولا يعيب عليها .

وقال عمرو بن أمية الضمري: لقد جهدنا أن ندنو من جنازته أو سريره، فما قدرنا عليه، غلبنا عليه المنافقون من بني قينقاع وغيرهم سعد بن حُنيف، وزيد بن اللُّصَيت، وسلامة بن الحمام، ومعاذ بن أبي عمرو(١)، ورافع بن حرملة، وداعِس، وسويد، وكانوا يظهرون الإسلام وهم أخابث المنافقين، وكانوا هم الذين يمرضونه، وكان ابنه عبد الله بن عبد الله ليس عليه شيء أثقل ولا أعظم من رؤيتهم، وكان به بطن، فكان ابنه يغلق الباب دونهم، وكان أبوه يقول: لا يلينني غيرهم، ويقول لهم: أنتم أحب إلي من الماء على الظمأ، ويقولون: يا ليت أنَّا نفديك بالأرواح والأولاد والأموال، فلما وقفوا على حفرته، [ورسول الله واقف يلاحظهم ازدحموا على النزول في حفرته] وارتفعت الأصوات حتى أصيب أنف داعس، وجعل عبادة بن الصامت يذبُّهم، ويقول لهم: اخفضوا أصواتكم عند رسول الله ﷺ فنزل في حفرته رجال من قومه أهل فضل وإسلام، ولم ينزل أحد من المنافقين، فنزل ابنه(٢) وسعد بن عبادة، وعبادة بن الصامت، وأوس بن خَولي لما رأوا رسول الله ﷺ قد حضره، وكفنه، ووقف عليه.

---

(١) في «المغازي»: «نعمان بن أبي عامر».

(٢) في النسخ: «أبوه» والمثبت من المغازي.

وزعم مجمع [بن جارية] أن النبي ﷺ دلاه بيده إلى حفرته، ثم قام على القبر حتى دفن، وعزى ابنه، ثم انصرف، وجعل المنافقون يحثون التراب على رؤوسهم، ويقولون: ليت أنا فديناك بالأنفس وكنا قبلك(١). [هذا معنى ما ذكر الواقدي.

وقال هشام: مرض عبد الله أول شوال، وأقام مريضاً إلى العشرين منه، ثم بعث إلى رسول الله، فجاء فجلس عنده، فقال: «يا عبد الله أهلكك حب اليهود» فقال: يا رسول الله، إني لم أبعث إليك لتؤنبني وتوبخني، ولكن لتشهدني وتكفنني في قميصك وتستغفر لي وتقف على قبري، ومات في هذا اليوم، وعاد رسول الله إلى منزله، ولما مات انطلق ابنه عبد الله بن عبد الله ـ وكان اسمه الحُباب، فسماه رسول الله: عبد الله، فقال: «أنت عبد الله، والحباب شيطان» وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وشهد بدراً مع رسول الله مسلماً، وكان يصعب عليه صحبة أبيه للمنافقين، وهو الذي جلس على باب المدينة ومنع أباه في غزوة المريسيع من دخولها، وقد ذكرناه ـ فقال: يا رسول الله، مات عبد الله، فقام رسول الله معه وشهد جنازة عبد الله وفعل ما ذكره الواقدي، وما كان إلا اليسير حتى نزلت هاتان الآيتان اللتان هما قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ الآية [التوبة: ٨٤] فما صلى على قبر منافق ولا قام عليه حتى قبضه الله تعالى. أخرجاه في «الصحيحين»(٢).

وفيها توفي

ذو البِجادين

ـ بدال مهملة ـ واسمه] عبد الله بن عبد نُهْم بن عفيف المزني، وأمه جَهْمَة بنت الحارث، همدانية، وهو من الطبقة الثانية من المهاجرين، [قال ابن سعد:] وكان يتيماً لا مال له، مات أبوه ولم يورثه شيئاً، فكفله عمه حتى أيسر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه خوفاً من عمه، حتى مضت المشاهد كلها، فقال له: يا عم قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً، فأْذَن لي في الإسلام، فقال له: والله لئن أسلمتَ لا تركت في يدك شيئاً كنتُ أعطيتُكه إلَّا نزعتُه منك

(١) «المغازي» ٣/ ١٠٥٧ ـ ١٠٦٠، وما بين معقوفين زيادة من (ك).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٦)، ومسلم (٢٧٧٤). وما بين معقوفين زيادة من (ك).

حتى ثوبيك، فقال: أنا والله تابع محمداً ﷺ، وتاركٌ عبادة الحجر، وهذا ما بيدي فخذه، فأخذ ما بيده حتى جرَّده من إزاره، فأتى أمه، فقطعت له بجادها قطعتين، فاتزر بواحدة، وارتدى بالأخرى [والبجاد كساء مخطط من أكسية الأعراب].

ثم قدم المدينة، وكان قد أقام بورقان جبل من جبالها، فدخل المسجد، فاضطجع فيه، وكان رسول الله ﷺ يتصفح وجوه الناس إذا انصرف من صلاة الصبح، فلما نظر إليه أنكره، فقال: «مَن أنت؟» فانتسب له، وكان اسمه عبد العزى، فقال: «أنتَ عبدُ الله ذو البِجادَين»، ثم أنزله قريباً منه، فكان في ضيافته، وعلمه القرآن حتى قرأ قرآناً كثيراً، وكان صيتاً يرفع صوته بالقرآن، فقال عمر رضوان الله عليه: يا رسول الله، ألا ترى إلى هذا الأعرابي قد منع الناس القراءة، فقال: «دعهُ يا عُمرُ، فإنَّه خرج مُهاجراً إلى الله ورسولِه»، ثم خرجوا إلى تبوك، فقال: يا رسول الله، ادع لي بالشهادة، فقال: «أَبغِني لحاء سَمُرةٍ» فربطها في عضده، وقال: «اللَّهمَّ إنِّي أُحرِّم دَمَه على الكفَّارِ» فقال: يا رسول الله، ليس هذا أردت، فقال: «إنَّك إذا أخذتكَ الحمَّى كنتَ شهيداً وإن وقصتك دابتك فأنت شهيد»، وأقام رسول الله ﷺ بتبوك أياماً، فتوفي ذو البجادين بها.

قال بلال بن الحارث: حضرت مع رسول الله ﷺ ومع بلال شعلة من نار عند القبر واقفاً بها، وإذا رسول الله ﷺ في القبر وأبو بكر وعمر رضوان الله عليهما يدليانه على رسول الله ﷺ وهو يقول: «دَلِّيا إلي أخاكُما» فلما هيآه[1] لشقه في اللَّحد قال: «اللَّهمَّ إنِّي أمسيتُ راضياً عنه فارضَ عنه» فقال ابن مسعود: ليتني كنت صاحب الحفرة، ولقد أسلمت قبله بخمس عشرة سنة، وترك ابنة فقضى بها رسول الله ﷺ لأمها.

[وفيها توفي]

معاويةُ بن معاوية

الليثي، وقيل: المزني، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، قال [ابن سعد بإسناده عن العلاء أبي محمد الثقفي قال: سمعت] أنس بن مالك: كنت مع رسول الله ـ ﷺ ـ

(١) في (أ،خ): أنهياه، والمثبت من (ك)، و«الطبقات» ٥/ ١٣٨، وانظر «المنتظم» ٣/ ٣٧٦، و«الإصابة» ٢/ ٣٣٨.

بتبوك إذ طلعت الشمس بيضاء مضيئة لا شعاع لها ولا نور، لم ير فيما طلعت لذلك، فسأل جبريل عن ذلك، فقال: مات اليوم بالمدينة معاوية بن معاوية الليثي، فبعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه، قال: «وفيمَ ذلك؟» قال: كان يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في الليل والنهار، وفي ممشاه، وقيامه وقعوده، ويحبها، فهل لك يا محمد أن أقبض لك الأرض حتى تصلي عليه؟ قال: «نعم» فقبضها، فصلى عليه[1].

[وليس في الصحابة من اسمه معاوية بن معاوية غيره، وله صحبة ورواية، وأخرج له أحمد حديثاً واحداً، فقال: حدثنا سليمان بن داود الطيالسي بإسناده إلى] معاوية بن معاوية: قال رسول الله ﷺ: «يكونُ الناسُ مُجْدِبينَ فينزِّلُ الله عليهم رِزقاً من رِزقِهِ، فيُصبِحونَ مُشرِكينَ» فقيل له: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ فقال: «يَقُولونَ: مُطِرنا بنَوءِ كَذا وكَذا»[2].



(١) طبقات ابن سعد ٥/ ١٣٠.
(٢) أحمد في «مسنده» (١٥٥٣٧).

السنة العاشرة من الهجرة

وفيها: تتابعت الوفود على رسول الله ﷺ وتسمى سنةَ الوفودِ، قدم عليه فيها سبعون وفداً، فنذكر أعيانهم:

وفد الأزد: قدم على رسول الله ﷺ صُرَد بن عبد الله الأزدي في وفد من الأزد، فأسلم، وحسن إسلامه، فأمَّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمَرَه أن يجاهدَ بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن، فخرج صُرَد، فنزل جُرَش، وهي يومئذ مدينة مُغلقةٌ، وبها قبائل من اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم، فحاصرهم قريباً من شهر، وامتنعوا عليه، فرجع عنهم قافلاً، فنزل بجبل لهم يقال له: كَشْر، فظن أهل جرش أنه إنما ولَّى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه، فأدركوه، فعطف عليهم، فقاتل قتالاً شديداً، وكانوا قد بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينا هما عند رسول الله ﷺ بعد العصر، قال النبي ﷺ: «بأي بلاد كشر؟» فقال الجرشيان: هو جبل ببلادنا، فقال: «ليس بكَشْر، ولكنَّه شُكر» قالا: فما له يا رسول الله؟ قال: «إنَّ بُدنَ الله لتُنحر عنده الآنَ» فقاما من عند رسول الله ﷺ فجلسا إلى أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فقال لهما: ويحكما، إن رسول الله ﷺ ينعى لكما قومكما، فسلاه أن يدعو لكما فيرفع عن قومكما، فقاما إليه، فسألاه، فقال: «اللَّهمَّ ارفع عنهم» فرجعا إلى قومهما، فوجدوا صُردَ بنَ عبد الله قد أصاب قومهما في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال في الساعة التي ذَكَر فيها ما ذكر(١).

ثم قدم وفد الأزد على رسول الله ﷺ فأسلموا، وحمى لهم حمىً حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس والراحلة والميرة(٢).

وفد هلال بن عامر، وكان فيهم زياد بن عبد الله العامري، فنزل على ميمونة رضي الله عنها

---

(١) «السيرة» ٢/ ٥٨٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٣٠، والطبقات ١/ ٢٩١ .

(٢) «الطبقات» ١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

وكان ابن أختها، وهو يومئذ شاب، فدخل رسول الله ﷺ فرآه عندها، فغضب، ورجع، فنادته: يا رسول الله إنه ابن أختي، فرجع، وأكرمه، وصلى بعد الظهر والعصر، ومسح على رأسه وبعض وجهه، فكانت بنو هلال بن عامر يقولون: ما زلنا نعرف البركة في وجه زياد، وكان لزياد ابن اسمه علي، فقال فيه الشاعر[1]: [من الكامل]

يا بن الذي مَسَحَ الرسول بوجهِهِ ودعا له بالخير عندَ المسجدِ
أعني زياداً لا أُريد سواهُ من متيمن أو غائرٍ أو منجدِ
ما زالَ ذاك النُّور في عرنينه حتى تبوَّأ بيتَه في ملحَدِ

وفد الرَّهاويين، وكانوا خمسة عشر رجلاً، فأنزلهم رسول الله ﷺ دار رملة بنت الحارث، وجاءهم، فأسلموا، وأهدوا له هدية فيها فرس يقال له: المرواح، فأعجبه، وأجازهم، وكتب لهم بمئة وسق من خيبر، وعقَد لهم لواءً، فلم يزل عند عمرو بن سبيع الرَّهاوي، وكان عليهم حتى قاتل يوم صفين مع معاوية، وقال عمرو في طريقه إلى رسول الله ﷺ هذه الأبيات[2]:

إليكَ رسولَ الله أعملتُ نصَّها تجوزُ الفَيافي سَمْلَقاً بعد سَمْلَقِ
على ذاتِ ألواحٍ أُكلفها السُّرى تَخُب برحلي مرَّة ثم تُعنقِ
فما لكِ عندي راحةٌ أو تَلجلجي بباب النبيِّ الهاشميِّ الموفَّقِ

وفد بني عامر بن صعصعة، وكان فيهم عامر بن الطفيل، وأربَد بن قيسٍ، وخالد بن روم[3]، وجبار بن سلمى بن مالك، وهؤلاء النفر رؤساء القوم وشياطينهم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال له عامر بن الطفيل: يا محمد، ما لي إن أسلمتُ؟ قال رسول الله ﷺ: «لكَ ما للمسلمينَ، وعليكَ ما عليهم»، قال: لا، إلَّا أن تجعل لي الأمر بعدك، فقال: «ليسَ ذاكَ لكَ ولا لقومِكَ» قال: فتجعل لي الوبر، ولك المدر، قال: «لا،

(١) «الطبقات» ١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٢) «الطبقات» ١/ ٢٩٧.
(٣) كذا، وفي السيرة ٢/ ٥٦٨، وطبقات ابن سعد ١/ ٢٦٨: فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وفي الطبري ٣/ ١٤٤: وأربد بن قيس بن مالك بن جعفر.

ولكِن أجعلُ لك أعنَّة الخيلِ» فقال: أوليست لي؟ ثم قال: يا محمد، والله لأملأنها عليك خيلاً ورَجِلاً، ولأربطن بكل نخلة فرساً، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ اكْفِنِي عامراً وأربد، واهد بني عامر، واهد للإسلام عامراً، وأغنِ الإسلام عن عامرٍ»، ثم انصرفوا إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعونَ في عُنقه، فاندلع لسانُه في فيه كضرع الشاة، فمال إلى بيت امرأة من سلول، وجعل يقول: غُدة كغدة البعير، والموت في بيت سلولية، ثم مات، وكان من فرسان العرب، فواراه أصحابه، وجعلوا على قبره أنصاباً ميلاً في ميل، وجعلوه حمىً، ولما رجعوا إلى قومهم، قالوا: ما وراءك يا أربد؟ فقال: لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي فأرميه بنبلي هذه حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين ومعه جمل، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما، وذلك ببركة رسول الله ﷺ وكان أَربد أخو لبيد بن ربيعة لأمه. وقال رسول الله ﷺ: «لو أسلَمت عامرٌ لزاحَمَت بنو عامرٍ قُريشاً في بِرِّها».

وفد كندة، ورئيسهم الأشعثُ بن قيس، قدم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً أو ستين من كندة، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده، وقد رجَّلوا جُمَمهم، وكحلوا عيونهم، ولبسوا جِبابَ الحِبَرات مكفوفةً بالحرير، فقال رسول الله ﷺ: «أوَلم تُسلموا؟» قالوا: بلى، فقال: «فما بالُ هذا الحريرِ في أعناقِكُم؟» فنزعوه، فقال الأشعث: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار، فضحكَ رسول الله ﷺ وقال: «نحن بنو النَّضر بن كنانَةَ لا نَنتَفي من أَبينا، ولا نَقْفُوا أُمَّنا، ولكن انسُبوا هذا النَّسب للعباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث، كانا تاجرين، فكانا إذا سارا في الأرض سئلا: من أنتما؟ فقالا: نحن بنو آكل المُرار، فيدفعون بتلك عن أنفسهم، لأن مَن أكل المُرار من كندة كانوا ملوكاً»، فقال الأشعثُ عند ذلك: أفرغتم يا معاشر كندة؟ لا أسمع رجلاً يقولها بعد اليوم إلا ضربته ثمانين، ثم انصرفوا راجعين(١).

---

(١) «السيرة» ٢/ ٥٨٥ .

وقال هشام: دخلُوا على رسول الله ﷺ وعليهم الدِّيباج المخوص باللُّؤلؤ والذهبِ، فأنزلهم دارَ رملةَ بنتِ الحارثِ وأكرمهم.

وفد زبيد، ورأسهم عمرو بن معدي كرب، وقد كان قال لقيس بن المكشوح المرادي: يا قيسُ، إنَّك سيد قومك اليوم، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش قد ظهر بالحجاز يقال له: محمد، يقول: إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما يزعم، فلن يَخفَى علينا إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فأبى عليه قيس، فركب عمرو في جماعة من قومه، وقدم على رسول الله ﷺ فأسلم، وصدقه، وبلغ قيساً، فتوعده، وقال: خالفني(١)؟ وقيل: إن عمراً لم يأت رسول الله ﷺ.

وحكى ابن سعد قال: قدم عمرو بن معدي كرب المدينة في عشرة نفر من زبيد، فقال: مَن سيد هذه البحيرة؟ قالوا: سعد بن عبادة، فأناخ راحلته على بابه، فخرج سعد إليه، فرحب به، وأكرمه، وأنزله، وراح به إلى رسول الله ﷺ هو ومن معه، وأقاموا أياماً، فأجازهم رسول الله ﷺ ما يجيز به الوفد، وانصرفوا إلى بلادهم، فلما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو، ثم أسلم، وحسن إسلامه، وأبلى يوم القادسية بلاءً حسناً(٢).

وفد عبد القيس: عن ابن عباس: أن وفد عبد القيس لما وفدوا على رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله، وقال: «أَتدرُونَ ما الإيمانُ باللهِ؟ ». قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «شَهادةُ أَن لا إله إلّا اللهُ، وأَنَّ محمداً رسولُ الله، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وأن تُعطوا الخمسَ من المَغنَمِ» أخرجاه في «الصحيحين»(٣) مختصراً.

وكان فيهم الجارود، وكان نصرانياً فأسلم، وأسلم أصحابه.

وفد بني حنيفة [قال ابن إسحاق: قدم وفد بني حنيفة على رسول الله ﷺ]، وفيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب، [فأنزلهم في دار امرأة من الأنصار من بني النجار] فأتوا به إلى رسول الله ﷺ يسترونه بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه، وفي يده

(١) «السيرة» ٢/ ٥٨٣ .
(٢) «الطبقات» ١/ ٢٨٣ .
(٣) أخرجه البخاري (٨٧)، ومسلم (١٧) .

عسيب من سعف النخل، فكلم رسولَ الله ﷺ وسأله، فقال: «لو سألتَني هذا العَسِيبَ الذي في يدي ما أعطيتُكَه». فلما قدموا اليمامة ارتدَّ، وتنبأ، وكذب، وقال: إني قد أُشركت معه في الأمر، وجعل يسجع لهم الأسجاع [فيقول] مضاهاة للقرآن: [قد أنعم الله على الحُبلى، إذ أخرج نسمة تسعى من بين شراسيف وحشا] ووضع عنهم الصلاة، وأباح لهم الزنا والخمر، وهو يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي، فأصفَقَت معه حنيفة على ذلك[١].

وكتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد: فإني قد أُشركت معك في الأمر، ولكن قريش قوم يعتدون، وبعث به مع ابن النواحة وثمامة بن أثال الحنفي [وفي رواية: لنا نصف الأرض ولكم نصف الأرض]، فقال رسول الله ﷺ لرسوليه: «وأنتُما تقولانِ مثل هذا؟» قالا: نعم، فقال: «أما والله لولا أَنَّ الرُّسل لا تُقتَل لَقتَلتُكما» ثم كتب إليه: «مِن محمدٍ رسولِ الله إلى مُسيلمَة الكَذَّاب، أمَّا بعد: فإنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَن يشاءُ من عبادِه والعاقبةُ للمتَّقين».

[قال ابن إسحاق: وكان ذلك في آخر سنة عشر[٢].

قال: قال الحسن: كان ثمامة بن أثال الحنفي رسول مسيلمة إلى رسول الله] فدعا الله أن يمكنه منه [قال ابن إسحاق: فحدثني سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: كان إسلام ثمامة بن أثال الحنفي أنه] دخل المدينة، وقد اعتمر يريد مكة [وهو مشرك] فيتجر بها، فأخذ فأتي به رسول الله ﷺ فأمر به فرُبط إلى عَمودٍ في المسجد، [وكان قد عرض لرسول الله يريد قتله، فلما رُبِط مرّ عليه رسول الله ﷺ فقال: مالك يا ثمام؟ هل أمكن الله منك؟ فقال: قد كان ذلك يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تعف تعف عن شاكر، وإن تسأل مالاً تُعطه، فمضى رسول الله وتركه.

فلما كان من الغد مرّ به وقال له مثل ما قال في اليوم الأول، وأجابه بمثل ذلك،

---

(١) «السيرة» ٢/ ٥٧٦ _ ٥٧٧.

(٢) «السيرة» ٢/ ٦٠٠ _ ٦٠١.

فعل ذلك ثلاثة أيام، ثم قال: أطلقوه فقد عفوت عنه، أو قد عفوت عنك يا ثمام، فقام واغتسل وأسلم ثم قال: يا رسول الله، إني خرجت معتمراً وأريد أن أتمم عمرتي، فعلمه رسول الله.

فخرج فقدم مكة، وسمعته قريش يتكلم بأمر رسول الله، فقالوا: صبأ ثمامة، فقال: ما صبأت ولكني أسلمت. وايم الله لا يأتيكم حبة من اليمامة ما بقيت ـ وكانت ريف مكة ـ.

ثم انصرف إلى اليمامة، ومنع الحمل منها حتى جهدت قريش، فكتبوا إلى النبي ﷺ يسألونه أن يكتب إلى ثمامة كتاباً يسأله أن يخلي لهم الطعام، ففعل رسول الله ﷺ(١).

قال هشام: كان مسيلمة بن حبيب الكذاب صاحب مخرقة ونارنجيات، وهو أول من أدخل البيضة في القارورة، وأوصل الجناح المقصوص من الطائر ونحوه، وسنذكره في سنة ثلاث عشرة].

وأما ابن النوَّاحة فإنه أمكن الله منه لابن مسعود رضي الله عنه فيما بعد، فقال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنَّك رسولٌ لقَتَلتُكَ» فأما اليوم فلست برسول، قم يا خرشة فاضرب عنقه، فقام إليه، فضرب عنقه(٢).

وفد طيّئ، قدموا على رسول الله ﷺ وفيهم زيد بن مهلهل بن يزيد بنُ مُنْهِب(٣) الطائي، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا، وقال رسول الله ﷺ: «ما ذُكرَ لي رجلٌ من العرب بفضلٍ، ثم جاءَني إلّا رأيتُه دونَ ما يُقال فيه، إلَّا زيد الخَيْلِ، فإنَّه لم يَبلغ كل ما كان فيه» ثم سماه: زيدَ الخير، وقطع له أراضي من فَيْد، فقال رسول الله ﷺ: «إن يَسلَم زيدٌ من حُمَّى المدينةِ يَطُل عمُرُه» فمرض، فلما وصل إلى ماء من مياههم، يقال له: الفردة أخذته الحمى، فقال حين أحس بالموت: [من الطويل]

---

(١) «السيرة» ٢/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩ وما بين معكوفين من (ك)، وجاء بدله في (أ،خ): ثم عفى عنه و أطلقه فأسلم.

(٢) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٤٨١، وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٣٣٣.

(٣) في (أ،خ): زياد بن مهلهل بن زيد بن مهذب، والمثبت من طبقات ابن سعد ٦/ ٢١٢، والأغاني ١٧/ ٢٤٥، وتاريخ دمشق ٦/ ٦٧٥ (مخطوط)، وهذا الخبر ليس في (ك).

أُمامَ لقد جُنِّبْتُ بيتك غدوة ... وأنزلُ في بيت بِفَردة منجد[١]

ألا رُبَّ يومٍ لو مرضتُ لعادني ... عوائدُ من لم يَبْرَ منهن يَجهدِ

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان منه من كتاب القطائع التي أقطعه إياها رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار[٢].

وكان فارساً، مغواراً، شجاعاً، شاعراً، مخضرماً يقول الشعر في غاراته ومفاخراته، وسمي بزيد الخيل لكثرة خيله: الهطال، والكميت، والورد، والكامل، ودؤول، ولاحق، ولم يكن لأحد من العرب سوى فرس أو فرسين[٣].

وكان إذا ركب الفرس المشرف تخط رجلاه الأرض، وكان جميلاً، ولما ورد على رسول الله ﷺ طرح له متكأً، فأبى أن يتكئ بين يدي رسول الله ﷺ إجلالاً له، وكان من قوله لرسول الله ﷺ: الحمد لله الذي أيدنا بك، وعصم لنا ديننا، فما رأيت أحسن مما تدعونا إليه، وقد كنت أعجب لعقولنا واتباعنا حجراً نعبده يسقط منا فنظل نطلبه[٤].

قال محمد بن السائب الكلبي: خرج رجل من بني نَبهان من الحرة، وترك بها أهله، وقال: والله لا أرجع إليكم حتى أكسب خيراً، أو أموت، فلم يزل يقطع الفيافي حتى انتهى إلى حي زيد الخيل، فإذا بخباء عظيم فيه قبة من أدم، وفي القبة شيخ كبير كأنه نسر، قال: فلما وجبت الشمس جلست خلفه فإذا بفارس قد أقبل لم أر فارساً أعظم منه ولا أجسم على فرس مشرف، ومعه أسودان يمشيان إلى جنبيه، ومئة من الإبل مع فحلها، فبرك الفحل، وبركن حوله، فنزل، وقال لأحد عبديه: احلب فلانة، وأشار إلى ناقة، فحلبها في عُسٍّ، ووضعه بين يدي الشيخ، وتنحى عنه، فكرع الشيخ منه مرة أو مرتين، ثم نزع، ومددت يدي فشربته، فجاء العبد، فأخذ العُس، وقال: يا مولاي، قد أتى على آخره، ففرح، وقال: احلب ثانياً،

---

(١) رواية «السيرة»، والطبري ٣/ ١٤٥ : أمرتحلٌ قومي المشارق غدوة .... والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ٦/ ٦٧٧.

(٢) «السيرة» ٢/ ٥٧٧ _ ٥٧٨ ، و«الطبقات» ١/ ٢٧٧ .

(٣) انظر «الأغاني» ١٧/ ٢٤٨ .

(٤) «تاريخ دمشق» ١٩/ ٥١٩ .

وضعه بين يديه، فأخذت العُس، وشربت نصفه مخافة أن آتي على آخره فيعلمون بي، ثم ذبح شاة، وشوى منها، وأطعم الشيخ، وأكل هو والعبدان، وناموا، فثرت إلى الفحل، فأطلقت عقاله، وركبته، فاندفع بي، فتبعته الإبل، فما زلت ليلتي أسرع بها إلى الفجر، فلما تعالى النهار وإذا بفارس كأنه طائر، فتأملته فإذا به صاحبي، فنزلت، وعقلت الفحل، ونَثَرتُ كنانتي، ووقفت بينه وبين الإبل، فصاح بي: أطلق عقاله، فقلت: كلا، لقد خلفت نُسَيّات بالحيرة، وآليت أن لا أرجع إليهن حتى أفيدهن خيراً أو أموت، فقال: إنك ميت، أطلق عقاله لا أم لك، فقلت: هو ما قلت لك، فقال: إنك لمغرور، انصب خطامه، واجعل فيه خمس عشر،ففعلت، فقال: أين تريد أن أضع سهمي، فأشرت إلى موضع، فرماه، فكأنما وضعه بيده،ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم، فرددت نبلي إلى كنانتي، وألقيت قوسي، ووقفت مستسلماً، فدنا، فأخذ السيف والقوس مني، ثم قال: ارتدف خلفي،وعرف أني الذي شربت عنده اللبن، ثم قال: ما ظنك بي؟ قلت: أحسن الظن، قال: وكيف؟ قلت: لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بي، قال: أفتراني أهيجك وقد بتَّ تُنادم مهلهلاً يعني أباه ؟ فقلت: أزيد الخيل؟ قال: نعم، قلت: كن خير آخذ، قال: ليس عليك بأس، ولو كانت هذه الإبل لي لما ذهبت إلا بها، ولكنها لابنة مهلهل، ثم عاد إلى مكانه، وقال: أقم عندي مكرماً، فإني على شرف غارة، ثم أغار على بني نمير بالملح، فاستاق مئة بعير، فدفعها إليَّ، وبعث معي الخُفَراء من ماء إلى ماء، حتى وردت الحيرة، فلقيني نبطي، فقال: أيسرك يا أعرابي أن لك بإبلك هذه بستانان من هذه البساتين؟ قلت: وكيف؟ قال: هذا زمن نبي يخرج فيملك هذه الأرض ويحول بينها وبين أربابها، حتى إن أحدهم ليبيع البستان بثمن بعير، قال: فما مضت إلا هنيهة حتى بعث الله رسوله ﷺ ـ فأسلمنا، وما مضت إلا مدة يسيرة حتى فتح الله علينا الحيرة، فاشتريت بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة[1].

قال أبو الفرج: كانت الحمى تعتري زيداً دائماً،وكان له أربعة بنين كلهم يقول

(١) الخبر في «الأغاني» ١٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧ .

الشعر، وهم: عروة، ومهلهل، وحريث، ومكنف،فأسلم مكنف وحريث، وشهدا قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد، فلهما صحبة، وعروة شهد القادسية، وقُسَّ الناطف، ويوم مِهْران، وأبلى بلاءً حسناً.

وفد شيبان، كان فيهم حريث بن حسان الشيباني، فأسلم، وكانت تحته قَيْلة بنت مَخرمَة، هاجرت، وقدمت المدينة، فدخلت المسجد، فجلست خلف رسول الله ﷺ وأخذتها رعدة، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا مسكينةُ عليك السَّكينةُ» ولَحِقَها حريث، فقال: يارسول الله، اكتب بيننا وبين بني تميم لا تُجاوِزُ الدهناء إلينا منهم إلا مسافرٌ أو مُجْتازٌ، فقال رسول الله ﷺ: «يا غلامُ، اكتُب لهم بالدَّهناءِ» فقالت قَيْلة: وكانت الدهناء وطني وداري،فقلت:يارسول الله، الدهناءُ مرعى الإبل والغنم ونساء بني تميم فسراها[1]، فقال: «أَمسِكْ يا غلامُ، صَدَقت والله المسكينةُ، المسلِمُ أخو المسلمِ»[2].

وفد بَجِيْلَة، ومنهم: جرير بن عبد الله البَجَلي، قال جرير: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، ثم حللت عيبتي ، ثم لبست حلتي، ودخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ [يخطب،فرماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: يا عبد الله، ذكرني رسول الله ﷺ؟] قال: نعم، ذكرك آنفاً بأحسن الذكر بينا هو يخطب إذ عرض له في خطبته، فقال: «يدخل عليكم من هذا الباب ـ أومن هذا الفج ـ من خيرِ ذي يَمَن، إلا أن على وجهه مسحة مَلَك». قال جرير: فحمدت الله على ما أولاني. أخرجه الإمام أحمد رحمة الله عليه[3].

وقال جرير: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصيحة لكل مسلم. أخرجاه في الصحيحين[4].

---

(١) هذه الكلمة لا معنى لها هنا، ونص الخبر عند ابن سعد ١/ ٢٧٦ : يا رسول الله ، إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك، إنما هذه الدهناء عندك مقيد الجمل ومرعى الغنم، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك، فقال: «أمسك يا غلام.....» .

(٢) «الطبقات» ١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧ .

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩١٨٠) وما بين معكوفين منه .

(٤) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦) .

وقال جرير: قال لي رسول الله ﷺ : «ألا تُريحُني من أمرِ ذي الخَلَصةِ؟» وكان بيتاً في خثعم يسمى: كعبة اليمانية، فانطلقت في خمسين ومئة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، فأخبرت رسول الله ﷺ أنني لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري، وقال: «اللَّهمَّ ثبِّتهُ، واجعَلْهُ هادِياً مَهدِيًّا» فانطلقت إليها، فكسرتها، وحرقتها، وأرسل جرير [رجلاً] إلى رسول الله ﷺ يبشره، فقال لرسول الله ﷺ : والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب، فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات(١).

واعتماد الفقهاء في المسح على الخفين على حديث جرير، قال رضي الله عنه : أنا أسلمت بعد نزول المائدة، وأنا رأيت رسول الله ﷺ يمسح بعدما أسلمت(٢).

وفد العَنْس ـ بنون ـ فيهم ربيعة العَنْسي(٣) ، قال له رسول الله ﷺ: «أراغباً جئتَ أم راهباً؟» فقال له: أما الرغبةُ، فوالله ما في يديك من مال فأرغب فيه، وأما الرهبةُ فو الله إنني في مكان ما تبلغه جيوشك، ولكن جئت مسلماً، فأجازه رسول الله ﷺ وقال له: «إن أَحسَسْت في الطريقِ بوَعَك فمِل إلى أَدنى قريةٍ منك»، فوعك في الطريق، فمال إلى قرية هناك، فمات فيها.

وفد سعد العشيرة، وفيهم ذُباب بن أنس، فأسلم، وكسر صنماً لهم يقال له: فَرَّاص، وقال: [من الطويل]

تَبِعتُ رسولَ الله إذ جاءَ بالهُدى ... وخلَّفتُ فَرَّاصاً بدارِ هَوانِ
ولَمَّا رأيتُ اللهَ أظهرَ دينَهُ ... أَجبْتُ رسولَ اللهِ حينَ دعاني
شَدَدْتُ عليه شدَّةً وتركتُهُ ... كأن لم يكُن في الدَّهرِ ذُو حَدَثانِ
فأصبحتُ للإسلامِ ما عشتُ ناصراً ... وأبقيتُ فيه كَلكَلي وجِراني
فمَن مبلغ سعدَ العشيرةِ أنَّني ... شريتُ الذي يَبقى بآخر فاني

وعاش ذُباب حتى شهدَ مع علي رضي الله عنه صفين، وقيل: اسمه عبد الله(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٠)، ومسلم (٢٤٧٦).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٢٢١).
(٣) نص الخبر في نسختنا كالتالي: وفد عبد القيس ـ بنون ـ فهم بن ربيعة العبس. وانظر «الطبقات» ١/ ٢٩٥.
(٤) «الطبقات» ١/ ٢٩٥.

وفد جُهينة، وفيهم عمرو بن مرة سادِنُ صنم جُهينة، فكَسَره، وأسلم، وقال: [من الطويل]

شَـهِـدتُ بـأنَّ الله حـقٌّ وأنَّـنـي   لِآلِـهَـةِ الأحـجـارِ أوَّل تـارِكِ
وشمَّرت عن ساقِي الإزارَ مُهاجراً   إليكَ أجوبُ الوَعْثَ بعد الدَّكادِكِ
لأصحَبَ خيرَ الناس نَفساً ووالداً   رسولَ مليكِ الناسِ فَوقَ الحبائكِ

ثم بعثه رسول الله ﷺ إلى قومه، فأسلموا إلا واحداً ردَّ عليه، فدعى عليه عمرو، فسقط فوه، وخرس، وعمي، واحتاج إلى الناس، وقيل: إنما قدم وفد جُهينة المدينة حين قدمها رسول الله ﷺ في صدر الإسلام(١).

وفد كَلْب، وكان فيهم حارثة بن قطن، وحَمَل بن سَعْدانة الكَلْبيان، فأسلموا، وعقد رسول الله ﷺ لحارثة لواءً على قومه، فشهد به صفين مع معاوية، فأقطعه أرضاً بدومة الجندل، وكتب له بها كتاباً(٢).

وفد جَرْم، قال البخاري: حدَّثنا سليمان بن حَرْب، حدَّثنا حمَّاد بن زيد، عن أيوبَ، عن أبي قِلابة، عن عمرو بن سَلَمة قال: كنا بماء ممَرِّ الناس، وكان يمر بنا الركبان، فنسألهم: ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله، وأوحى إليه بكذا، وكنت أحفظ ذلك الكلام، وكانت العرب تلوَّم بإسلامها الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنَّه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبادروا قومي بإسلامهم(٣)، فلما قدم قال: جئتكم من عند النبي ﷺ حقاً، قال: «صلُّوا صلاةَ كذا في حينِ كذا، وصلاةَ كذا في حينِ كذا، فإذا حَضَرتِ الصلاةُ فليُؤذِّن أحدُكم، وليؤمَّكُم أكثَرُكُم قُرآناً» فنظروا، فلم يكن أحد أقرأ مني لما كنت أتلقى الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلَّصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطُّوا عنا است قارئكم، فقطعوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص. انفرد بإخراجه البخاري.

---

(١) «الطبقات» ١/ ٢٨٧.
(٢) «الطبقات» ١/ ٢٨٨ـ ٢٨٩.
(٣) كذا؟! وفي صحيح البخاري (٤٣٠٢): وبدر أبي قومي بإسلامهم. وانظر «الطبقات» ١/ ٢٨٩.

وفد النَّخَع، قدموا على رسول الله ﷺ وفيهم أرطاة بن شراحيل، والأرقم بن عمر، فأعجب رسول الله ﷺ ما رأى من حُسنِ هيئتهما، فأسلما، وقال لهما رسول الله ﷺ: «هَل خلَّفتُما وراءَكما مِن قَومِكُما مِثلَكُما؟» فقالا: خلفنا وراءنا سبعين رجلاً كلهم أفضل منا، فدعا لهما، وقال: «اللَّهمَّ بارِكْ في النَّخَعِ» وعقد لأرطاة لواءً على قومه، فكان في يده يوم الفتح، ثم شهد به القادسية، فقتل أرطاة يومئذ، فأخذه أخوه، فقتل، فأخذه سيف بن الحارث، فدخل به الكوفة.

وقيل: إنما قدموا في المحرم سنة إحدى عشر، وهم مئتا رجل، فأنزلهم دار رملة بنت الحارثِ، وقالوا: بايعنا معاذاً باليمن، وكان منهم زرارة بن عمرو، وكان نصرانياً، فأسلم، وهم آخر وفد وفدَ على رسول الله ﷺ [1].

وفد حَضْرَمَوت، وكان فيهم وائل بن حجر، فسر رسول الله ﷺ.

[وحكى ابن سعد عن هشام بن محمد: أن رسول الله سرَّ] بقدومه، ونادى الصلاةَ جامعةً، ثم خطب فقال: «أَيُّها الناسُ، هذا وائلُ بن حُجر أتاكم من حَضْرَمَوت ـ ومدَّ بها صوتَه ـ راغباً في الإسلامِ» ثم قال لمعاوية بن أبي سفيان: «انطَلِق فأنزلهُ مَنزلاً بالحرَّة» قال معاوية: فانطلقت معه، فأحرقتِ الرَّمضاءُ رجليَّ، فقلت له: أردفني وراءَك، فقال: لست من أرداف الملوكِ، قال: فقلت: فادفع لي نعليك أمشي فيهما أتوقَّ بهما من الحرِّ، فقال: لا يبلُغْ أهل اليمنِ أنَّ سوقَةً لبسَ نعلَ ملكٍ، ولكن إن شئت فامشِ في ظلِّ ناقتي، وكفاكَ به شرفاً في قومك، قال: فسرت في ظل ناقته حتى أنزلته منزلاً، ولما رجع إلى بلاده أجازه رسول الله ﷺ وكتب له كتاباً بأراضي وحصون.

[وفي رواية]: فأخبَرَ معاوية رسول الله ﷺ بما قال له وائل، فقال: «إنَّ فيه لعُبيَّة من عبيَّةِ الجاهلية، ارفُقوا به فإنَّه قريبُ عهدٍ بمُلكٍ»[2].

فلما استخلف معاوية قدم عليه وائل، فأكرمه، وأجلسه معه على سريره، وقال له: أتذكر يوم كذا وقولك لي؟ ووائل يقول: نعم، وهل هو إلا ذاك؟ قال وائل: وأنا أقول في نفسي ليتني حملته بين يدي[3].

---

(١) «الطبقات» ١/ ٢٩٨ .

(٢) «الطبقات» ١/ ٣٠٠ ـ ٣٠٣ ، وما بين معقوفين زيادة من (ك).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٢٣٨) من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه .

وبعثت امرأة من أهل اليمن يقال لها: تهناة بنت كُليب في ذلك الوفد بكسوة إلى رسول الله ﷺ مع ابن لها يقال له: كليب بن لبيد[١]، فدفعها إلى رسول الله ﷺ ثم قال: [من البسيط]

مِن وادِ بَرْهُوت تَهوي بي عذافرة إليك يا خَيرَ مَن يحفى ويَنتعلُ
تجوب بي صفصفاً غُبْراً مناهِلُه تزدادُ عفواً إذا ما كلَّتِ الإبلُ[٢]
شهرين أُعمِلُها نصًّا على وَجَل أرجو بذاكَ ثوابَ الله يا رجلُ
أنتَ النَّبي الذي كنَّا نخبَّرُه وبشَّرَتْنا به التَّوراةُ والرُّسلُ

[وقد ذكر العلماء في تواريخهم وائل بن حجر، فقال خليفة: هو من حَضْرَموت، وسكن الكوفة.

وقال أبو نعيم: من أبناء الأقيال باليمن، وفد على رسول الله ﷺ فأنزله وأصعده معه على منبره، وقال: «هذا وائل بن حجر، سيد الأقيال جاءكم حباً لله ولرسوله» وأعطاه وأقطعه القطائع، وكتب له كتاباً، ثم سكن الكوفة، وعقبه بها.

وقال أبو بكر الخطيب: كان ملك قومه، قدم على رسول الله ﷺ مسلماً، فقربه وأدناه، وبسط له رداءه وأجلسه عليه، ثم نزل بعد رسول الله الكوفة وأعقب بها، ونزل المدائن في صحبة علي عليه السلام حين خرج إلى صفين، وكان على راية حضرموت يومئذ[٣].

وقال الهيثم: لما قدم على النبي ﷺ صعد المنبر وأخذ بيده فأقعده معه وقال: «أيها الناس، هذا وائل بن حجر قد أتاكم من أراض بعيدة، طائعاً لله ولرسوله غير مكره، وهو بقية أبناء الملوك، اللهمَّ بارك فيه وفي ولده وولد ولده» ثم نزل من المنبر وأنزله معه، وكتب له ثلاثة كتب بأراضي.

وذكره جدي في «التلقيح» فقال: وائل بن حجر بن ربيعة الحضرمي، وهو وائل القيل[٤].

---

(١) في «الطبقات»: كليب بن أسد بن كليب.
(٢) في النسخ: «مهمها غبراً» والمثبت من «الطبقات» ١/ ٣٠٢.
(٣) «تاريخ بغداد» ١/ ١٩٧ ـ ١٩٨.
(٤) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص١٩٠.

وروى وائل الحديث عن رسول الله ﷺ وأخرج عنه مسلم، وسنذكره فيما بعد.

وفي الحديث: «أن حضرموت فيها وادي برهوت»[١]، وفي الحديث: «خير بئر في الأرض زمزم فيها أرواح المؤمنين، وشر بئر في الأرض برهوت وفيه أرواح الكفار»[٢]].

وفيها: كانت سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب، ذكرها ابن إسحاق.

وأمره رسول الله ﷺ أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، فخرج خالد إليهم، وبث الركبان في كل وجه يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الناس، وأقام فيهم خالد يعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكتب إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلامهم، وكان في كتابه: لمحمد رسول الله من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن القوم قد أسلموا، وإني مقيم فيهم أعلمهم كتاب الله ومعالم السنن والسلام.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: «مِن محمدٍ رسولِ الله ﷺ إلى خالدِ بنِ الوليدِ، سَلامٌ عليكَ، أَمَّا بعدُ: فإنَّ كتابَكَ وَرَدَ عليَّ يُخبرني بإسلامِهم، فالحمدُ لله على ذلك، فبشِّرهُم، وأَنذِرهُم، وخَوِّفهُم، وحَذِّرهم، وليُقبِل مَعَك وَفْدُهم، والسَّلامُ».

فقدم خالد على رسول الله ﷺ بجماعة، منهم: قيس بن الحُصَين، ويزيد بن عبدِ المَدان، فلما دخلوا على النبي ﷺ قال لهم: «أَنتُمُ الذين إذا زُجِروا استَقدَموا؟» فقال له يزيد: نعم، قال: «أَما واللهِ لَولا كتابُ خالدٍ وَرَد عليَّ بإسلامِكُم لأَلْقَيت رؤوسَكُم تحتَ أقدامِكُم» فقال له يزيد: أَما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، بل حمدنا الله الذي هدانا بك، فقال: «صَدَقتُم» ثم قال لهم: «بِمَ كُنتم تَغلِبونَ من قاتلكم في الجاهليةِ؟» قالوا: كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحداً بظلم، فقال: «صَدَقتُم» وأَمَّر

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩١١٨) من حديث علي موقوفاً قال: خير واديين في الناس ذي مكة، وواد في الهند هبط به آدم ﷺ، فيه هذا الطيب الذي تطيبون به، وشر واديين في الناس وادي الأحقاف وواد بحضرموت يقال له: برهوت، وخير بئر في الناس زمزم، وشر بئر في الناس بلهوت وهي بئر برهوت، تجتمع فيه أرواح الكفار. وما بين معقوفين زيادة من (ك).

عليهم قيس بن الحصين، وأَجازهُم، فرجعوا إلى بلادهم.

ثم بعث إليهم رسول الله ﷺ بعد ذلك عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين، ويعلمهم معالم الإسلام، وكتب معه كتاباً طويلاً، وذكر فيه أسنان الإبل، والصدقات، والعبادات وغيرها، ومات رسول الله ﷺ وعمرو عندهم باليمن(١).

والكتاب مشهور أخرجه الدارقطني وغيره، وفيه: «بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم، هذا كتابٌ منَ الله و رسولِهِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] عهدٌ من محمدٍ رسولِ الله لعمرِو بن حَزْم حين بعثَه إلى اليمن، آمرُه بتقوَى الله في أَمره كلِّه فـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨] وآمرُه أن يأخذَ بالحقِّ كما أَمَره الله، وأن يُبشِّر الناسَ بالخيرِ، ويأمُرَهم به، ويعلِّمهم القرآنَ، ويفقِّههم فيه، ويَنهى الناسَ، فلا يمسّ القرآنَ إلا طاهرٌ، ويشدّد عليهم في الظُّلم ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ويعلِّم الناسَ مَعالِم الحجِّ، وسُنَنه، وفرائضَه، وما أَمَر الله بهِ، والحجُّ الأكبرُ يوم النحر، والأصغر العمرةُ»(٢) وذكر أسنانَ الإبل، وما يجبُ فيما تخرج الأرض، وذكر الجزية، وقال: «وعلى كلِّ حالِمٍ ذكراً كانَ أو أنثى دينارٌ».

وفيها: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى اليمن، فقاتلوه، فبعث علياً -رضي الله عنه- والتقوا، فبرز علي بين الصفين، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلها، وأطاعوا؛ فكتب علي رضوان الله عليه إلى رسول الله ﷺ يخبره، فخر ساجداً، وقال: «السَّلامُ على هَمْدان» قالها ثلاثاً، ورجع خالد إلى المدينة، وأقام علي رضي الله عنه باليمن يفقههم في الدين، ويأخذ الصدقات، فلما كان في الموسم وافى رسول الله ﷺ في حجة الوداع(٣).

وفيها: كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ كتاباً يذكر فيه معنى ما تقدم، [وقيل: إنما كتب إلى رسول الله بعد انفصاله من حجة الوداع].

وفيها: كتب رسول الله ﷺ إلى جبلة بن الأيهم يدعوه إلى الله تعالى، فأسلم،

---

(١) «السيرة» ٢/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣.

(٢) ذكره الدارقطني في سننه مقطعاً في أبواب متفرقة، ولم يذكره بطوله، وانظر «السيرة»٢/ ٥٩٤ ـ ٥٩٦.

(٣) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ١٣١ ـ ١٣٢ ، و«دلائل النبوة» ٥/ ٣٩٦.

وأهدى لرسول الله ﷺ هدية يخبره بإسلامه، ثم ارتد في أيام عمر رضوان الله عليه(١)، وسنذكره.

وفيها: بعث رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي كلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع، ملك اليمن، [وقيل: اسمه سُميفع، وذو الكَلاع لقب له، قال الجوهري: ذو الكلاع بالفتح اسم ملك من ملوك اليمن من الأذواء].

وقيل: كان من ملوك الطوائف [فحكى ابن دريد عن الرياشي عن الأصمعي قال: كان رسول الله كاتب ذو الكلاع من ملوك الطوائف على يد جرير بن عبد الله] يدعوه إلى الإسلام، وكان قد استعلى أمره حتى ادعى الربوبية، وأطيع حتى توفي رسول الله ﷺ قبل عود جرير، وأقام ذو الكلاع على ما هو عليه إلى أيام عمر رضوان الله عليه ثم رغب في الإسلام، فقدم على عمر وسنذكره، وقيل: إنه أسلم على يد جرير، وأسلمت امرأته ضُريبة بنت أبرهة بن الصباح، والأول أصح(٢).

وفيها: كتب فروة بن عمرو الجُذامي إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، وأهدى له [هدية، وقد ذكره ابن سعد وقال: كانت الهدية] بغلة شهباء، وحماراً، وثياباً، وقباءً من سندس مخوص بالذهب، وبعث به مع مسعود بن سعيد الجُذامي، وكان عاملاً لقيصر على عمان البلقاء، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «أما بعد، فإنه قد وصلني كتابك، ورسولك، والحمد لله على هدايتك» وأمر بلالاً فأعطى رسوله اثنتي عشرة أوقية ونشاً - أي نصفاً - [وقال هشام:] وكان مسكنه بمعان وما حولها من الشام، وبلغ قيصر إسلامه وما فعل، فكتب يستدعيه، فلما دخل عليه قال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: لقد علمت أن عيسى عليه السلام بشر به وأنه نبي حق، فقال له: ارجع عما أنت عليه، فقال: لا والله ولا بملكك، فحبسه، ثم نصب له خشبة، [ليصلبه، وأخرجه فلما رفع على الخشبة قال: [من الكامل]:

أبلغ سَراة المسلمين بأنني ... سِلْمٌ لربّي مُهجتي وعظامي

قال الهيثم:]

---

(١) «الطبقات» ١/ ٢٢٨.

(٢) انظر «الطبقات» ١/ ٢٢٩، وما بين معقوفين زيادة من (ك).

وصلبه على ماء يقال له: عِفْرى من أرض فلسطين، فلما رفع على خشبته قال: [من الطويل]

أَلا هـل أتـى سَـلـمـى بـأنَّ حَـلـيـلَـهـا على ماءِ عفرى فوقَ إحدى الرَّواحلِ
علـى نـاقـةٍ لـم يـضـربِ الـفَـحـلُ أمَّـهـا مـشَـذَّبـة أطـرافُـهـا بـالـمـنـاجـل[1]

وفيها: كانت حجة الوداع، وتسمى: حجة التمام، والكمال، والبلاغ، وحجة الإسلام [وحجة الوداع أشهر، وقد أخرج البخاري عن ابن عمر قال: وقف رسول الله ﷺ يوم النحر عند الجمرات، وجعل يقول: «اللهمَّ اشهد» وودع الناس، وما كنا ندري ما حجة الوداع إلى ذلك اليوم[2].

وقال ابن عباس: كرهوا أن يقولوا حجة الوداع، فقالوا: حجة الإسلام].

قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا يحيى بن آدم وأبو النَّضر، قالا: حدَّثنا زهير، حدَّثنا أبو الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: خَرجنا مع رسول الله ﷺ مُهلِّين بالحج، معنا النساء والولدان، فلما قدمنا طفنا بالبيت وبالصفا والمروة، فقال لنا رسول الله ﷺ: «مَن لم يكُن معَه هَديٌ فَلْيَحلِل» قلنا: أيُّ الحل؟ قال: «الحلُّ كلُّه» قال: فأتينا النساء، ولبسنا الثياب، ومسسنا الطيب، فلما كان يوم التروية أهللنا بالحج، وكفانا الطواف الأول بين الصفا والمروة، وأمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر كلُّ سبعة منا في بدنة، فجاء سراقة بن جُعشم فقال: يا رسول الله، بيِّن لنا ديننا كأنَّا خلقنا الآن، أرأيت عمرتنا هذه أَلِعامنا هذا أو للأبد؟ فقال: «لا، بَل للأَبدِ» قال: يا رسول الله، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت فيه الأقلام، وجرت به المقادير [أو فيما نستقبلُ؟ قال: لا، بَل فيما جفَّت به الأَقلامُ، وجرت به المَقاديرُ»] قال: ففيم العمل؟ قال أبو النضر: فسمعت من سمع من أبي الزبير يقول: «اعمَلُوا فكُلٌّ مُيسَّر لما خُلِقَ له»[3].

وعن جابر قال: لم يكن معنا هدي يومئذ إلا مع رسول الله ﷺ وطلحة، وإن رسول الله ﷺ أَمَر أصحابَه أن يجعلوها عمرة، يطَّوَّفوا، ثم يقصِّروا، ويُحِلُّوا إلا مَن

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٥٩١، و«الطبقات» ١/ ٢٤٣، و«تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٧١.
(٢) أخرجه البخاري (١٧٤٢) و (٤٤٠٢).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤١١٦)، وما بين معقوفين زيادة منه.

معه الهدي، قالوا: ننطلق إلى منًى، وذَكَرُ أحدنا يقطر، فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «لو أنِّي استَقْبَلتُ من أَمرِي ما اسْتَدْبَرتُ ما أَهدَيتُ»، وحاضت عائشة فنسَكت المناسكَ كلَّها غير أنها لم تطف بالبيت، فلما طَهُرت طافت، ثم قالت: يا رسول الله، أتنطلقون بحج وعمرة وأنطلق بالحج؟ فأَمَر عبد الرحمن أن يخرجَ معها إلى التَّنعيمِ، فاعتَمَرت بعد الحجِّ في ذي الحجة[١].

وعن جابر بن عبد الله قال: رمى رسول الله ﷺ الجمرة بمثل حصى الخذف[٢].

فصل في التلبية:

ومعنى لبيك: أنِّي مقيم على طاعتكَ وأمرك، وقيل: هي مأخوذةٌ من الإجابة للخليلِ عليه السلام لما أذَّن في الحجِّ فنادى: «أَيُّها الناسُ، إنَّ رَبَّكم قد بَنَى بيتاً فحجوه» قال ابن عباس: فلا يأتي أحد هذا البيت إلا وهو يقول: لبيك اللهمَّ لبيك، فرسول الله ﷺ أهلَّ بالتوحيد: «لبَّيكَ اللهمَّ لبَّيكَ، لا شريكَ لكَ لبَّيكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ والملكَ لك، لا شَريكَ لك».

وروي أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان يزيد: لبَّيكَ ذا النَّعماء والفضلِ الحَسَن، لبيكَ لبيكَ مرغوباً إليك.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، والرغبة إليك.

وكان أنس يقول: لبيك وسعديك حقاً حقاً، تعبداً ورقاً.

وقال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: عجباً لاختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في إهلاله بالحج!؟ فقال ابن عباس: إنِّي لأعلم الناس بذلك، إنها إنما كانت حجةً واحدةً من رسول الله ﷺ فمن هنالك اختلفوا، خرج رسول الله ﷺ حاجاً، فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه أوجب في مجلسه، فأهلَّ بالحج حين فرغ من صلاته، فسمع ذلك منه أقوام فحفظوا عنه، وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالاً، فسمعوه حين استقلت به ناقته، ثم مضى رسول الله ﷺ فلما علا على شرف البيداء

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٥١)، ومسلم (١٢١٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٩).

أهلَّ، فأدرك ذلك منه أقوام، فقالوا: إنما أهلَّ حين علا شرف البيداء، وايمُ الله، لقد أوجب في مصلاه، وأهلَّ حين استقلَّت به راحلته، وأهلَّ حين علا شرف البيداء. فمن أخذ بقول ابن عباس أهلَّ حين فرغ من ركعتيه(١).

وأهدى رسول الله ﷺ في حجة الوداع مئة بدنة، نحر منها بيده ثلاثين، ثم أمر علياً، فنحر ما بقي منها، وقال: «اقسم جلالها ولحومها وجلودها بين الناس، ولا تعطين جزاراً منها شيئاً، وخذ لنا من كل بعير بضعة من لحم، ثم اجعلها في قدر واحدة حتى نأكل من لحومها، ونَحْسُوَ من مرقها» ففعل(٢).

وقال ابن عباس أيضاً: انطلق رسول الله ﷺ من المدينة بعد ما ترجَّل، فادَّهن، ولبس إزارَه ورداءَه هو وأصحابه، فلم ينهَ عن شيءٍ من الأَرْدِيَة والأزرِ إلا المُزَعْفَرة التي تَردَعُ - أي تصبغ الجلد - فأصبح بذي الحُلَيفة، ثم ركب راحلته، حتى إذا استوى على البيداء أهلَّ هو وأصحابه، وقلَّد بُدْنَه، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة، فقدم مكة لأربع خَلَون من ذي الحجة، وطاف بالبيت، وسَعى بين الصَّفا والمروة، ولم يَحِلَّ لأحد بُدْنَه، لأنه قلَّدها، ثم نزل بأعلى مكة عند الحَجُون وهو مُهِلٌّ، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه، حتى رجع من عرفة، وأمر أصحابَه أن يطَّوَّفوا بالبيت، ويسعوا بين الصفا والمروةَ، ثم يقصِّروا رؤوسَهم، ثم يَحِلُّوا وذلكَ لِمَن لم يكن معه بَدَنةٌ قلَّدها، ومن كان معه امرأته فهي حلال له، والطيب، والثياب. أخرجاه في «الصحيحين»(٣).

وقال: جاء رسول الله ﷺ إلى السقاية، فاستسقى، فقال العباس: يا فضلُ، اذهب إلى أمِّك فأْتِ رسولَ الله ﷺ بشرابٍ من عندها، فقال له رسول الله ﷺ: «اسْقِني» فقال: إنَّهم يضعون أيديهم فيه، فقال: «اسْقِني»، فشرب منه، ثم أتى زمزمَ، فهم يستقون ويعملون فيها، فقال: «اعْمَلُوا فإنَّكم على عَمَلٍ صالِحٍ»، فقال: «لولا أن يُغلَبُوا لنزلتُ حتى أضعَ الحَبلَ على عاتِقي، أو على هذه» يعني عاتقه. انفرد بإخراجه البخاري(٤).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٥٨).
(٢) أخرجه أحمد (٢٣٥٩)، وانظر «المغازي» ٣/ ١١٠٨.
(٣) أخرجه البخاري (١٥٤٥) وهو من أفراده انظر «الجمع بين الصحيحين» (١٠٩٢).
(٤) أخرجه البخاري (١٦٣٥) من حديث ابن عباس ﷺ.

وفي رواية: «لولا أن النَّاسَ يتَّخذُونَه نُسُكاً لَنزعتُ»[(١)].

وقال: طاف رسول الله ﷺ بالبيت على ناقةٍ يَسْتَلِمُ الحَجَر بمِحْجَنِه، وبين الصفا والمروة. متفق عليه[(٢)].

وقد أخرجه الإمام أحمد رحمة الله عليه، وفيه: جاء النبيُّ ﷺ وكان قد اشتكى، فطاف على بعير ومعه مِحْجَن، فلما مرَّ عليه استلمه، فلما قضى طوافه أناخ، فصلى العشاءين[(٣)].

وقال ابن عباس أيضاً: خطب رسول الله ﷺ فقال: «إذا لم يجدِ المُحرمُ إِزاراً، فَلْيَلْبس السَّراوِيلَ، وإذا لم يجدِ النَّعلَينِ فَلْيَلْبَسِ الخُفَّينِ». أخرجاه في «الصحيحين»[(٤)].

وقال أيضاً: إن رجلاً كان مع رسول الله ﷺ فوَقَصته ناقته وهو محرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبداً»[(٥)]. وفي رواية: «وهو يهل أو يلبي»[(٦)]. متفق عليه.

والملبد: الذي يجعل في رأسه شيئاً من الصمغ ليلبد شعره ولا يقمل.

وقال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جَمْع: «هَلُمَّ الْقُط» فَلَقطْتُ له حَصَياتٍ مثل حَصَى الخَذْفِ، فلما وضعهنَّ في يدهِ فقال: «نَعَم، بأَمثالِ هؤلاءِ، وإيَّاكُم والغلُوَّ في الدينِ، فإنَّما هَلَكَ مَن كان قَبْلَكُم بالغلوِّ في الدينِ»[(٧)].

وقال: إن أسامة بن زيد كان رَدِيفَ رسول الله ﷺ يومَ عرفَةَ، فدخلَ الشِّعب، فنزل، فأَهْراقَ الماءَ، ثم توضأ، وركب ولم يصلِّ[(٨)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٢٧).
(٢) أخرجه البخاري (١٦٠٧)، ومسلم (١٢٧٢).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٧٢) وفيه: «فصلى ركعتين».
(٤) البخاري (١٨٤١)، ومسلم (١١٧٩).
(٥) البخاري (١٢٦٦)، ومسلم (١٢٠٦) (٩٩).
(٦) البخاري (١٢٦٨)، ومسلم (١٢٠٦) (٩٤).
(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٥١).
(٨) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٦٥).

وقال: كان رسول الله ﷺ بالروحاء، فلقي رَكْباً، فسلَّم عليهم، فقال: «مَنِ القومُ؟» قالوا: المسلمون، قالوا: فَمَن أنت؟ قال: «رسولُ الله ﷺ»، فَفَزِعَت امرأةٌ، فأخذَتْ بعضُدِ صبيٍّ فأخرجَتْهُ من مِحَفَّتها، وقالت: يا رسول الله، ألهذا حج؟ قال: «نَعَم، ولَكِ أجرٌ». انفرد بإخراجه مسلم(١).

وقال: صلَّى النبيُّ ﷺ الظهرَ بذي الحليفة، ثم دعا ببَدَنةٍ، فأشْعَر صَفْحَة سَنامِها الأيمن، ثم سلت الدم عنه، وقلَّدها نعلين، ثم أتي براحِلَته، فلما قَعَد عليها واستَوتْ به على البَيْداءِ أهلَّ بالحجِّ(٢).

وقال ابن عباس: ليس المحصَّب بشي، إنما هو منزلٌ نَزَله رسولُ الله ﷺ. متفق عليه(٣).

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رميتُم الجمرةَ فقد حلَّ لكُم كلُّ شيءٍ إلَّا النساءُ»(٤).

وقال: وقَّت رسولُ الله ﷺ لأهلِ المدينةِ ذا الحُليفة، ولأهل الشامِ الجُحفةَ، ولأهلِ اليمنِ يَلَمْلَمَ، ولأهل نجدٍ قَرناً، وقال: «هنَّ وَقْتٌ لأهلِهِنَّ ولِمَن مرَّ بهنَّ من غَيرِ أهلِهِنَّ - يريدُ الحجَّ والعمرةَ - ومَن كان منزلُه مِن وراءِ المِيْقَاتِ فإهلالُه من حيثُ يُنشِئُ، حتَّى أهلُ مكَّةَ إهلالُهم من حيث يُنشِئون». أخرجاه في «الصحيحين»(٥).

وقال: لما مرَّ رسولُ الله ﷺ بوادي عُسفان حين حجَّ، فقال: «يا أَبا بَكرٍ، أَيُّ وادٍ هذا؟» قال: وادي عُسفان، فقال: «لقد مرَّ به هُودٌ وصَالحٌ على بَكَراتٍ خُطُمُها اللِّيفُ، أُزرهُم العَباءُ، وأَرديتُهم النِّمارُ، يُلَبُّون يحجُّونَ البيتَ العَتِيقَ»(٦).

وقال: إنَّ امرأة من خَثْعَم استَفْتَت رسولَ الله ﷺ في حجة الوداعِ والفضلُ بن عباس

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٦) واللفظ لأحمد في «مسنده» (١٨٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٦٦)، ومسلم (١٣١٢)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (١٩٢٥).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٩٠).

(٥) أخرجه البخاري (١٥٢٤)، ومسلم (١١٨١) واللفظ لأحمد في «مسنده» (٢١٢٨).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٦٧).

رديفه، فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ فريضةَ الله في الحجِّ على عباده أَدْرَكَت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيعُ أن يستويَ على الراحلةِ،فهل يقضي عنه أن أحجَّ عنه؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «نَعَم»،فأخذ الفضل بن العباس يلتفت إليها، وكانت امرأة حسناء، فأخذ رسول الله ﷺ وجه الفضل فحوله إلى الشق الآخر. متفق عليه(١).

وفي رواية «المسند»: فقال له رسول الله ﷺ: «يا ابنَ أَخي، إنَّ هذا يومٌ مَن مَلَك فيه سَمعَه وبَصَره ولسانَه غُفِرَ له»(٢).

وقال: كانوا يَرَونَ العمرةَ في أشهر الحجِّ من أَفْجَرِ الفُجورِ في الأرض، ويجعلون المحرَّم صفراً، ويقولون: إذا بَرَأَ الدَّبَر، وعَفَى الأَثَر، وانْسَلَخ صَفَر،حلَّت العمرة لمن اعتمر، فلما أمرهم رسول الله ﷺ بالعمرة تعاظم ذلك عندهم(٣).

وقال: ما أَعْمَر رسولُ الله ﷺ عائشةَ ليلةَ الحَصْبَة، إلَّا قَطْعاً لأَمر الشِّركِ(٤).

وفي «المسند»: عن عروة بن الزبير أنه قال لابن عباس: حتى متى تُضِلُّ الناسَ؟ فقال: وما ذاك؟ قال: تأمرهم بالعمرة في أشهر الحج وقد نهى عنها أبو بكر وعمر! فقال ابن عباس: قد فَعَلها رسولُ الله ﷺ فقال عروة: هما، أو كانا، أَتْبَع لرسولِ الله ﷺ منك(٥).

وقال ابن عباس: فلما أَمَرهم أن يجعلُوها عمرةً لُبِسَتِ القُمُص، وسَطَعت المجامِرُ، ونُكِحتِ النِّساءُ(٦).

وفي «المسند»: عن ابن عباس قال: تَمتَّع رسولُ الله ﷺ حتى ماتَ، وأبو بكرٍ حتى ماتَ، وعمرُ حتى ماتَ، وعثمانُ حتى ماتَ، وكان أَوَّل من نَهى مُعاوية، فعجبتُ منه، وقد حدَّثني أنَّه قصَّر عن النبيِّ ﷺ بِمِشْقَصٍ(٧).

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٤)، ومسلم (١٣٣٤)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (٢٢٦٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠٤١).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٦٤)، ومسلم (١٢٤٠).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٦١).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٧٧).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٤١).

(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٦٤).

قال المصنف ـ رحمه الله ـ: وهذا وهم، فإن رسول الله ﷺ إنما حج مرة واحدة قارناً وهي هذه الحجَّة، فكيف يقول: تمتَّع حتى مات؟

وفي «المسند»: أنَّ رسولَ الله ﷺ ذَبح، ثم حَلَق[١].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود: أنَّه رمَى جمرة العقبةِ من بطن الوادي، ثم قال: والذي لا إله غيرُه، هذا مَقامُ الذي أُنزلَت عليه سُورَةُ البقرةِ[٢].

قال ابن عباس: وأشهرُ الحجِّ التي ذَكَر اللهُ: شوَّالُ، وذو القَعْدة، وذو الحَجَّة، فَمَن تمتَّع في هذه الأشهرِ فَعليه دمٌ أو صومٌ[٣].

قال الإمام أحمد ﷺ: حدَّثنا عبد الرزاق، أنبأنا مالكُ بن أنسٍ، عن ابن شِهاب، عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نَوفَلٍ بن عبد المطَّلب، أنَّه سَمعَ سعدَ بن أبي وقَّاص، والضحَّاكَ بنَ قيسٍ عامَ حجَّ معاويةُ في صَفرٍ، وهما يذكران التمتع بالعمرةِ، فقال الضَّحاك: لا يصنع ذلك إلا من جَهِل، فقال سعد: بئسَ ما قلتَ، قال الضَّحاك: فإن عمرَ بن الخطاب يَنهى عنها، فقال سعد: قد صنعها رسول الله ـ ﷺ ـ وصنعناها معه[٤].

ولمسلم: فَعَلناها، وهذا كافرٌ بالعُرُش، يعني معاويَة[٥].

و«العُرُش»: بيوت مكة، سميت بذلك لأنها عيدان تُنصب وتظلل.

وقال أنس: كان على ناقة رسول الله ﷺ رَحْل رث لا يساوي أربعة دراهم[٦].

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَثنا إسماعيل، أخبرنا أيوب، عن محمد بن سِيرينَ، عن أبي بكرةَ قال: خطَبَ رسولُ الله ﷺ في حجته، فقال: «ألا إنَّ الزَّمانَ قدِ اسْتَدارَ كهَيئتِه يومَ خَلَقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ، السنةُ اثنا عَشَر شهراً، منها أربعةٌ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤٧)، ومسلم (١٢٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٧٢) وهو قطعة من حديث طويل.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٠٣).

(٥) أخرجه مسلم (١٢٢٥).

(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٠).

حُرُم، ثلاثةٌ مُتوالياتٍ: ذُو القَعْدة، وذو الحجَّة، والمُحرَّم، ورجبُ مُضَر الذي بين جُمادى وشَعبانَ» ثم قال: «ألَا أيُّ يومٍ هذا ؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال: «أَليسَ يومَ عَرَفَةَ؟» قلنا: بلى، ثم قال: «أيُّ شَهرٍ هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظنّنا أنه سيسميه بغير اسمه فقال: «أَلَيسَ ذا الحجَّة؟» قلنا: بلى، ثم قال: «أيُّ بَلَدٍ هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أَلَيس البلدَ الحرامَ؟» قلنا: بلى، قال: «فإنَّ دِماءَكُم وأَموالَكُم ـ قال: وأحسبه قال: وأَعراضَكُم ـ عليكُم حرامٌ، كَحُرمةِ يومِكُم هذا في بَلدِكُم هذا في شَهرِكُم هذا، وسَتَلقَون ربّكم تبارك وتعالى فيَسألُكُم عن أعمالِكُم، أَلَا لا تَرجعُونَ بعدي كُفَّاراً، أو ضُلَّالاً، يضربُ بعضُكُم رِقابَ بعضٍ، أَلَا هلْ بلَّغتُ، أَلَا لِيُبَلِّغ الشَّاهدُ الغائب منكُم، فلعلَّ مَن يبلِّغُه يكونُ أَوعى له من بعضِ مَن سَمِعَه». أخرجاه في«الصحيحين»[(١)].

ذكر الصيام بعرفة:

قال عطاء الخراساني: إن عبد الرحمن بن أبي بكرٍ دخلَ على عائشة يوم عرفةَ وهي صائمةٌ والماء يرشُّ عليها، فقال لها عبد الرحمن: أَفطِري، فقالت: أُفطِر وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ صومَ يومِ عَرَفَةَ يُكفِّر العامَ الذي قَبلَهُ»؟ أخرجه الإمام أحمد رحمة الله عليه[(٢)].

ولمسلم: عن أبي قتادةَ أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، أرأيتَ صيامَ يومِ عرفةَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَحتَسِبُ على اللهِ أَن يُكفِّرَ السنَةَ الباقيَةَ والماضيةَ»[(٣)].

وقد اختلف العلماء في صوم يوم عرفة للحاج.

فكرهه قوم لمعنيَيْن: أحدهما: لأن الحجَّاج ضيوف الله تعالى، ولا يحسنُ صوم الضيف عند المُضيف، والثاني: ليتقوَّى الحاج على الدعاء.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٣٨٦)، والبخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٩٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٢).

وقال ابن عمر: حججت مع رسول الله ﷺ فلم يَصُم يومَ عرفةَ، وحججتُ مع عُمرَ فلم يَصُمه[١].

وقالت أم الفضل زوجة العباس: شكَّ الناس في صيامِ رسولِ الله ﷺ يوم عرفةَ، فبعثتُ إليه بلبَنٍ فَشربَه وهو يخطُبُ الناسَ[٢].

قال ابن عباس: إنما فعل رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك لئلا يظنه الناس فرضاً، أما من كان قوياً على الدعاء فهو في صومه بالخيار.

وقالت عائشة رضوان الله عليها: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما مِن يَوم أكثرُ مِن أن يَعتِقَ اللهُ فيهِ عبيداً مِنَ النَّارِ مِن يَومِ عَرَفةَ، فإنَّه لَيَدنُو، ثم يُباهي بهمُ الملائِكَة، يقول: ماذا أرادَ هؤلاءِ؟»[٣]. انفرد بإخراجه مسلم.

وقال الواقدي: وقف مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع عشرون ومئة ألف، قيل له: فمن أين كان هؤلاء؟ قال: من المدينة ومكة ومابينهما وحولهما من الأعراب، والمشهور: أنه وقف يوم الجمعة.

قال طارق بن شهاب: قال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، إنكم لتقرؤون آية في كتابكم لو أنزلت علينا معاشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال عمر: أي آية هي؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] قال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، نزلت في يوم عرفة يوم الجمعة. انفرد بإخراجه البخاري[٤].

ذكر دخوله ﷺ البيت في حجة الوداع:

قالت عائشة رضوان الله عليها: دخل رسول الله ﷺ البيت، ثم خرج وعليه كآبة، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ فقال: «فعلتُ اليومَ أَمراً وَدِدتُ أنِّي لم أكن فَعلتُه، دخلتُ البيتَ، ولعلَّ الرجلَ مِن أمَّتي لا يقدرُ أن يدخلَه فينصرفُ وفي نفسِه منه شيءٌ، إنَّما

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٧٨٢٩).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٨٨١).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٦٨).

أُمرنا بالطوافِ حولَه، ولم نُؤمَر بالدخولِ»[١].

وروى عروة، عن عائشة رضوان الله عليها: أنَّها كانت تحملُ ماءَ زمزمَ، وتُخبر أنَّ رسولَ اللهﷺ كان يحملُه[٢].

واتفقَت الروايات: أن رسول الله ﷺ نحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، وأتمها علي رضوان الله عليه مئة.

وقال الواقدي: أقام رسول الله ﷺ تسع سنين يُضحِّي كلَّ عامٍ ولا يحلقُ ولا يُقصِّر، حتى أجمع الخروج في سنة عشر إلى الحج، فخرج، وكان خروجه من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة، فصلى الظهر بذي الحليفة ركعتين، وأحرم من يومه ذلك في ثوبين صُحاريَّين، وأبدلهما عند التنعيم بمثلهما من جنسهما، وحج معه نساؤه في الهوادج، ثم أصبح يُقلِّد هَدْيَه، وأشْعَر بُدْنَه. وأمر ناجية بن جُندب الذي استعمله على الهدي أن يشعر الباقي، فكان مئة، وقال ناجية: يا رسول الله، ما عطب منها كيف أصنع به؟ قال: «تَنحَرُهُ، وتُلقي قَلائدَه في دَمِه، وتضربُ به صَفحتَه اليُمنى، ثم لا تَأكُل منه لا أَنتَ ولا رِفقَتُك شيئاً»، وكان رسول الله ﷺ يأمر المشاة أن يركبوا بدنه.

قال: وقالت عائشة: وأصبح رسول الله ـ ﷺ يوم الأحد بمَلَل، ثم راح فتعشى بسرف، وأصبح بعِرْق الظبية بين الرَّوحاء والسيَّالة دون الروحاء في المسجد الذي عن يمين الطريق، ونزل الروحاء، ثم راح فصلى الظهر[٣] بالمنصرف، ثم صلى المغرب والعشاء، وصلى الصبح بالأثاية، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج، ونزل السقيا يوم الأربعاء، ثم أصبح يوم الأربعاء فأهدى له الصعب بن جثامة حمار وحش أو عَجُزَ حمار، فرده، وقال: «إنَّا حُرُم» وصلى رسول الله ﷺ في المسجد الذي ببطن وادي الأبواء، على يسارك وأنت متوجه إلى مكة، ثم راح من الأبواء فصلى بتَلَعات اليمن، ثم صلى في المسجد الذي يهبط من ثنية أراك[٤] على الجحفة يوم الجمعة، ثم راح

(١) «الطبقات» ٢/ ١٦٢ .

(٢) أخرجه الترمذي (٩٦٣) .

(٣) في «المغازي»: «العصر» ٣/ ١٠٩٣ .

(٤) في النسختين (خ ، أ): غزال، والمثبت من المغازي ٣/ ١٠٩٦ .

منها، فصلى في المسجد الذي يحرم منه خارج الجحفة وهو دون خمٍّ عن يسار الطريق، فكان يوم السبت بقُدَيد، فصلى في المسجد المُشَلَّلِ، وصلى في المسجد الذي دون لَفَت و كان يوم الأحد بعُسْفان، ونزل يوم الاثنين بمرِّ الظهران، وغربت الشمس عليه بسَرِف، فلم يصل المغرب حتى دخل مكة، وقيل: دخل مكة نهاراً من كُدى على راحلته من أعلاها، ودخل المسجد من باب شيبة.

وقال العباس: كسا رسول الله ﷺ البيت في حجته الحِبَرات، وقال: قدم رسول الله ﷺ مكة يوم الثلاثاء فأقام الثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، وهو يوم التروية، وهذا يدل على أنه ﷺ وقف بعرفة يوم السبت، قال: وكانت قريش تدفع في الجاهلية من عرفة والشمس على رؤوس الجبال كهيئة العمائم، فخالفهم رسول الله ﷺ ودفع حين غربت الشمس(١).

قال الواقدي: حدثني [الثوري، عن] أيمن بن نابل، عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال: رأيت رسول الله ﷺ في جمرة العقبة يوم النحر على ناقة صهباء لا ضَرْبَ، ولا طَرْدَ، ولا إليكَ إليكَ(٢).

قال: ثم حلق رسول الله ﷺ رأسه، وقسمه بين أصحابه، فأعطى ناصيته لخالد بن الوليد، وشقه الأيمن أبا طلحة، وجلس للناس، فما سئل يومئذٍ عن شيء قدِّم أو أخِّرَ إلا قال: «افعله ولا حرج»(٣).

وأخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسولَ الله، أين تَنزلُ غداً؟ في حجتهِ، فقال: «وهَل تَركَ لنا عقيلٌ منزلاً»، ثم قال: نحنُ نازلونَ غداً إن شاء اللهُ بخَيفِ بَني كِنانَة، حيثُ حالَفَت قريشٌ على بني هاشِمٍ أن لا يُناكِحُوهم، ولا يُبايِعُوهم، ولا يُؤوهم»، ثم قال عند ذلك: «لا يَرثُ الكافرُ المسلمَ، ولا المسلمُ الكافِرَ». أخرجاه في «الصحيحين»(٤).

---

(١) «المغازي» ٣/ ١٠٨٨ ـ ١١٠٢ ، بتصرف من المصنف واختصار .

(٢) «المغازي» ٣/ ١١٠٧، وما بين معكوفين منه .

(٣) «المغازي» ٣/ ١١٠٨ ـ ١١٠٩ باختصار من المصنف .

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٧٦٦)، والبخاري (١٥٨٨)، ومسلم (١٣٥١) .

وأخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه عن عائشة رضوان الله عليها قالت: قلت: يا رسول الله، ألا نَبني لك بمنًى بيتاً أو بناءً يُظلُّك من الشمسِ؟ فقال: «لا، إنَّما هو مَناخُ لمَن سَبق إليه»(١).

وفيها: بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن، [وكان قد بعثه قبل ذلك وعاد، فلما فصل رسول الله ﷺ عن حجة الوداع بعثه إليها] فتوفي رسول الله ـ ﷺ ـ ومعاذ باليمن.

وعن ابن عباس قال: لما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: «إنَّك تَأتي قوماً أهلَ كتابٍ، فَادْعُهم إلى شَهادةِ أَن لا إِلَه إلَّا الله، وأَنِّي رسولُ الله، فإنْ هُم أَطاعُوكَ لذلِكَ، فَأَعلِمْهم أَنَّ الله قد افْتَرضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وصدقةً في أموالهم تُؤخذ من أَغنيائهم وتُردُّ في فُقرائهم، وإيَّاك وكَرائمَ أَموالِهم، واتقِ دَعوةَ المظلومِ فإنَّها ليسَ بينها وبينَ الله حجابٌ». أخرجاه في «الصحيحين»(٢).

وأخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه، عن معاذ: أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن خرج معه يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحتَ راحلتِه، فلما فرغ قال: «يا معاذُ، إنَّكَ عَسَى أن لا تَلْقاني بعدَ عامي هذا، ولَعلَّك تمرُّ بمسجدِي وقَبْري» فبكى معاذٌ خَشَعاً لفراقِ رسول الله ﷺ ثم الْتَفت، فأقبلَ بوجهه نحو المدينةِ، وقال: «إنَّ أَوْلَى الناسِ بي المتَّقون مَن كانوا وحيثُ كانوا»(٣).

وأخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه عنه أنه كان يقول: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: «لعلَّك تمرُّ بقَبري ومسجدِي، قد بَعثْتُكَ إلى قومٍ رَقيقةٍ قُلوبُهم، يُقاتِلونَ على الحقِّ مرتين، فقاتِل بِمَن أَطاعَكَ منهم مَن عَصاكَ، ثم يَفيئون إلى الإسلامِ حتى تُبادرَ المرأةُ زوجَها، والولدُ والدَه، والأخُ أَخاهُ، وانزِل بين الحيين السَّكون والسَّكاسِكِ»(٤).

وفيها: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعبد ابني الجُلَنْدَى مَلِكَي

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، وما سلف بين معكوفين من (ك).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٠٥٢).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٠٥٣).

عُمان بعد رجوعه من حجة الوداع يدعوهما إلى الإسلام، قال عمرو: فلما قدمت البحرين بدأت بعبد، وكان أرقَّهما وأسهلهما خلقاً، وكان الكتاب مختوماً، فقال عبد: إن أخي أكبر سناً مني، وهو الملك، ولكن أوصلك إليه، فأوصلني إلى جَيْفَر، فناولته الكتاب، فقرأه، ودفعه إلى أخيه عبد، وقال: أنا أضعف العرب إن ملَّكتُ ما في يَدي غيري، فقلت: أنا راجع غداً، فلما كان من الغد دعاني، فأسلما، وخلَّيا بيني وبين الصدقة، فأخذتها من أغنيائهم، فدفعتها إلى فقرائهم.

قال ابن الكلبي: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

وفيها توفي

إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله ﷺ

وأمه مارية القبطية، يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الأول، وقيل: سلخه، وولد عليه السلام في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة، فكان عمره ستة عشر شهراً[وبعضهم يقول: عاش شهرين وعشرة أيام، وهو وهم]، وغسّله الفضل بن العباس، وقيل: أم درة.

[وقال أحمد بإسناده، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «وُلد لي الليلةَ غلامٌ فسميتُه إبراهيمَ... » وقد ذكرنا أول الحديث في مولدِ إبراهيم في سنة ثمان، وإنه دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له: أبو سيف... وذكر الحديث، وقال في آخره: فلقد رأيته بين يدي رسول الله ﷺ وهو يكيد بنفسه، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: «تَدمعُ العينُ، ويَحزنُ القلبُ، ولا نقولُ إلَّا ما يَرْضَى ربُّنا، والله إنَّا بكَ يا إبراهيمُ لَمحْزُونُونَ» أخرجه مسلم بلفظه، والبخاري بمعناه مختصراً، وفيه: إن عبد الرحمن بن عوف قال حين بكى: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابنَ عوفٍ؛ إنَّها رَحمةٌ»[1]].

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا أيوب، عن عمرو بن سعيد، عن أنسٍ قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم مُسترضعاً في عَوالي المدينة، فكان ينطلقُ ونحن معه، فيدخلُ البيتَ، وإنه ليُدَّخَن، وكان ظِئره قيناً فيأخذُه فيقبله، ثم يرجع. قال عمرو: فلما توفي إبراهيم، قال رسول الله

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٠١٤)، ومسلم (٢٣١٥)، والبخاري (١٣٠٣)، وما بين معقوفات زيادة من (ك).

ﷺ: «إنَّ إبراهيمَ ابني، وإنَّه ماتَ في الثَّدْي، وإنَّ له ظِئرَيْن يُكْمِلان رَضاعهُ في الجنَّةِ»(١). [«القين»: الحداد، و«الظئر»: المرضع، وكانت امرأته ترضع إبراهيم فأضيف إليها].

وقد أخرجه ابن سعد بمعناه، وفيه: فقال له ابن عوف: هذا الذي تنهى الناسَ عنه؟ متى يراكَ الناسُ تبكي بكوا، فقال: «مَن لا يَرحَم لا يُرحَم، إنَّما أَنهى الناسَ عن النِّياحةِ، ولولا أنَّه وَعْدٌ جامِعٌ، وسبيلٌ مَيْثاء، وأنَّ آخرَنا لاحقٌ لأَوَّلنا، لوَجَدنا عليه وَجْداً غيرَ هذا»(٢).[قال الجوهري: «المَيْثاء بفتح: الأرض السهلة(٣)، وفي رواية: «وإنها لسبيل مئتة»].

وقال البلاذري: لما قبض إبراهيم كان مستقبل الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «يا جبل لو كان بك مثل ما بي لهدَّك ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون»(٤).

وللبخاري عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: رأيت إبراهيم بن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، مات صغيراً، ولو قُضي أن يكون بعد محمد ﷺ نبيٌّ لعاشَ ابنه، ولكن لا نبيَّ بعده(٥).

وصلى عليه رسول الله ﷺ وكبر أربعاً، وقال: «هو صدِّيق، ادفنُوه عندَ سَلَفِنا الصالحِ عُثمان بن مظعونٍ» وجلس على شفير قبره ومعه عمه العباس، ونزل أسامة بن زيد في قبره، ورش عليه رسول الله ﷺ قربة من ماء، ووضع عند قبره حجرين، وقبره إلى جانب الطريق قريب من دار عقيل(٦).

وقال ابن سعد: صرخ أسامة بن زيد فنهاه رسول الله ﷺ فقال: رأيتك تبكي، فقال: «البُكاءُ من الرحمةِ، والصُّراخُ من الشَّيطانِ»(٧).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢١٠٢).

(٢) «الطبقات الكبرى» ١/ ١١٤.

(٣) «الصحاح»: ميث.

(٤) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤١ ـ ٥٤٢.

(٥) أخرجه البخاري (٦١٩٤).

(٦) «الطبقات» ١/ ١١٧ / و«أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٠.

(٧) «الطبقات» ١/ ١١٥.

ورأى في قبره بين اللبن فرجة، فقال: «أَمَا إنَّ هذا شيءٌ لا يضرُّ ولا يَنفَعُ، ولكِنْ إذا عَمِلَ الرجلُ عَمَلاً يَنبغي أن يُتقنَهُ»(١).

وفي حديث أنس: فلقد رأيته بين يدي رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: «تَدمعُ العينُ، ويَحزنُ القلبُ، ولا نَقُولُ إلا ما يُرضي الربَّ، واللهِ إنَّا بكَ يا إبراهيمُ لَمحْزُونُونَ»(٢).

[وقال علماء السير]: وفي يوم وفاة إبراهيم عليه السلام انكسفت الشمس، [وقد روى حديث الكسوف جماعة من الصحابة: ابن عباس، وأبو موسى، وعبد الله بن عمر، وابن العاص، وعبد الرحمن بن سمرة، وأبو بكرة، وعائشة، وفي بعضها: كسفت وخسفت الشمس، وفي بعضها انكسفت، قال: حدثنا أحمد بإسناده عن ابن عباس قال: خسفت الشمس ... وذكره، ولم يذكر فيه موت إبراهيم، وذكره في حديث] أبي بكرة فقال: مات لرسول الله ﷺ ابن يقال له: إبراهيم، فقال الناس في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّهما آيتانِ من آياتِ الله، وإنَّهما لا ينكسفانِ لموتِ أَحَدٍ، فإذا رأيتم ذلكَ فَصلُّوا وادعُوا حتى يُكشَفَ ما بكُم». انفرد بإخراجه البخاري(٣).

وأخرجه أحمد أيضاً بإسناده عن أبي بكرة قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقام يجر ثوبه مستعجلاً حتى أتى المسجد، وثاب الناس، فصلى ركعتين فجُلِّي عنها، ثم أقبل علينا فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله» وذكره(٤).

وكان عروة بن الزبير يقول: لا تقل كسفت ولكن قل: خسفت(٥).

وقال ثعلب: كسفت الشمس وخسف القمر، هذا أجود الكلام.

باذان

والي اليمن من قبل كسرى، وكان قد أسلم، وتوفي في ذي الحجة بعد رجوع رسول الله ﷺ من حجة الوداع، ففرق رسول الله ﷺ اليمن بين جماعة، وهم: شهر بن

---

(١) «الطبقات» ١/ ١١٩.

(٢) «الطبقات» ١/ ١١٦، وأخرجه البخاري (١٣٠٣)، مسلم (٢٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٤٠)، وما بين معقوفين زيادة من (ك).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٣٩٠).

(٥) أخرجه مسلم (٩٠٥).

باذان، وعامر بن شمر الهمداني، وأبي موسى الأشعري، وخالد بن سعيد بن العاص، وبعث زياد بن لبيد على حضرموت، وعكاشة بن ثور على السكون والسكاسك[١].

أبو عامر الفاسق

واسمه عمرو بن صيفي، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة، ودعى عليه رسول الله ﷺ فقال: «أماتَ اللهُ الكاذِبَ منَّا طريداً» فاستجاب الله لرسوله ﷺ فيه، فمات عند هرقل بالشام.

سعد بن خولة[٢]

أبو سعيد، من الطبقة الأولى من المهاجرين، وهو من اليمن، وقيل: هو مولى أبي رُهْم، وقيل: مولى حاطب بن أبي بلتعة، وهو الذي مات بمكة بعد الهجرة، وقال رسول الله ﷺ في حقه: «ولكن البائس سعد بن خولة» يرثي له أن مات بمكة بعد ما هاجر، هاجر سعد إلى الحبشة المرة الثانية، وشهد بدراً وهو ابن خمس وعشرين سنة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وقيل: إنما شهد الحديبية، ثم رجع إلى مكة لأجل مال كان له بها فأدركه الموت، وله صحبة ورواية، وهو زوج سبيعة بنت الحارث.

قال مسلم: حدثنا أبو الطاهر، أنبأنا وَهْب، حدثني يونُس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدثني عُبيد الله بن عبد الله بن عتبةَ، أنَّ أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سُبيعةَ بنتِ الحارث الأسلميةِ يسألُها عن حديثها وعن ما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته، فكتب إليه عمر بن عبد الله يخبرُه أن سُبيعةَ أخبرته أنَّها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدراً، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعالت من نفاسها أو تعلت، تجملت للخُطَّاب، فدخل عليها أبو السَّنابل بن بَعْكَك، فقال لها: مالي أراكِ متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشراً، قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت ثيابي علي حين أمسيت، وأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك، فأفتاني أني قد حللت للأزواج حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي. انفرد بإخراجه مسلم، وأخرجه البخاري مختصراً[٣].

---

(١) «تاريخ الطبري» ٣/ ٢٢٨، و«المنتظم» ٤/ ٦.

(٢) «الطبقات» ٣/ ٣٧٨، و«الإصابة» ٢/ ٢٤.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٨٤)، والبخاري (٣٩٩١) مطولاً بمثل رواية مسلم.

السنة الحادية عشرة

وفيها: جهز رسول الله ﷺ أسامة بن زيد إلى الشام[١].

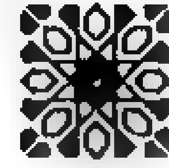
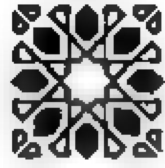
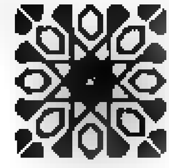
ولم يزل رسول الله ﷺ يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر وأصحابه، وكان قد وجد عليهم وجداً شديداً، فلما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد يوم الثلاثاء دعا أسامة بن زيد، فقال له: «يا أُسامةُ، سِرْ على اسمِ اللهِ وبركَتِه حتى تَنتهي إلى مَقتلِ أبيكَ، فأَوطئهم الخيلَ، فقد ولَّيتُك هذا الجيشَ، فاغزُ صباحاً على أهل أُبْنَى وحرِّق، وأَسرع السَّير تسبق الخبرَ، وخُذ معكَ الأدلَّاء، وقدِّم الطلائعَ أمامَكَ والعيونَ»، فلما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر، بُدئ برسول الله ﷺ المرضُ، فصُدع، وحُمَّ، فلما أصبح يوم الخميس دعى أسامَة، فعقد له لواءً بيده، ثم قال: «يا أسامةُ، اغزُ بسمِ الله في سبيلِ الله، قاتلوا مَن كفَرَ باللهِ، ولا تَغدِروا، ولا تميلوا، ولا تَقتُلوا وَليداً ولا امرأةً، ولا تتمنَّوا لقاءَ العدوِّ، فإنكم لا تدرونَ لعلَّكم تُبتلون بهم، ولكنْ قولوا: اللهمَّ اكففْ بأسهم عنَّا، فإن لَقُوكم وأَجْلَبوا فعليكم بالسَّكينةِ والوَقارِ والصَّمتِ، ولا تَنازَعوا فتَفشَلوا وتذهَبَ ريحُكُم، واعلموا أنَّ الجنَّة تحت البارقةِ» فخرج، فعسكر بالجُرْف، وكانوا ثلاثة آلاف من أعيان المهاجرين والأنصار فيهم: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد رضي الله عنهم، وقتادة بن النعمان، وسلمة بن أسلم وغيرهم.

فقال رجال من المهاجرين منهم عياش بن أبي ربيعة: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، وكثرت المقالةُ في ذلك، فجاء عمر رضوان الله عليه فأخبر رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً، وخرج وقد عصَب رأسَه بعصابة، وعليه قَطِيفةٌ، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أمَّا بعد، فما مَقالةٌ بَلَغتني عنكم، أو عن بعضِكُم في تَأْمِيري أُسامةَ؟ والله لئن طعنتُم في إمارتِه لقد طَعَنتُم في إمارَةِ أبيهِ من

(١) «السيرة» ٢/ ٦٠٦ و ٦٤١، و«المغازي» ٣/ ١١١٧، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٧٠، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٨٤، و«المنتظم» ٤/ ١٦.

قَبلِه، وايمُ الله لقد كانَ خَليقاً بالإمارَةِ، وإنَّ ابنَه بعدَه لَخليقٌ بها، وإن كانَ أَبوه لَمِن أحبِّ الناسِ إليَّ، وإنَّ هذا كذلكَ، فاستَوصُوا به خَيراً فإنَّه من خِيارِكُم». ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خَلَون من ربيع الأول، فقام الناس إلى أسامةَ، وخرجوا معه إلى الجُرْف(١).

قال هشام: إنما طعنوا فيه لأنه ابن مَولى، وكان صغير السنِّ، وقيل: إنما قال ذلك المنافقون. والله أعلم.

(١) «المغازي» ٣/ ١١١٧ ـ ١١١٩.

ذكر أبواب مرض رسول الله ﷺ

الباب الأول

في بداية المرض [وما اعتراه من الألم، اتفقوا على أن ابتداءه المرض لليلتين خلتا من صفر كما حكينا عن الواقدي وغيره، وحكى الطبري أنه ابتدأ به في المحرم(١). وهو وهم.

ذكر استغفاره ﷺ لأهل البقيع:

قال هشام بن محمد، عن أبيه: وقيل قبل وفاته بليال استغفر لأهل البقيع.

فقال ابن سعد: حدثنا الواقدي بإسناده عن] أبي مُوَيهبة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنِّي قد أُمرتُ أن أَستغفرَ لأهلِ البَقيعِ، فانْطَلِق معي» فانطلقنا ليلاً، فاستَغفَر لأهلِه، فقال: «السَّلام عليكم يا أَهلَ المقابِرِ، لِيَهْنِكُم ما أنتُم فيه مِمَّا النَّاس فيه، جاءَت الفِتَنُ كقِطَعِ اللَّيل المُظلم يَركَبُ بعضُها بعضاً، الآخرة شَرٌّ مِن الأُولى» ثم قال: «يا أَبا مُويهبة، إنَّ اللهَ خيَّرني بينَ لِقائهِ والجنَّة، وبين مَفاتيحِ كنوزِ الدنيا والخُلدِ فيها والجنَّة، فاخترتُ لقاءَه في الجنَّةِ» قال أبو مُوَيهبة: فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مَفاتيح خزائن الدنيا والخُلد فيها ثم الجنة، فقال: «لقد اختَرتُ لقاءَ ربِّي» ثم انصرف، فلما أصبح ابتدأ بوجَعه الذي قَبَضه الله فيه(٢)، [فمكث سبعاً أو ثمانياً.

وقال ابن إسحاق: وكان أول ما ابتدأ به مرضه أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل، فاستغفر لأهله، فلما أصبح ابتدأ به الوجع من يومه ذلك(٣).

وقال ابن إسحاق بإسناده عن] عائشة ﵂ قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وهو يُصدَع، وأنا أَشتكي رأسي، فقلت: وَارَأساهُ، فقال: «بَل أَنا يا عائشةُ وارَأسَاهُ»، ثم قال: «وما عليك لو متِّ قَبلي تَوَلَّيتُ أمركِ، وصلَّيتُ عليكِ، ووَاريتُكِ» فقلت: والله إني لأحسبُ لو كان ذلك لقد خلوت ببعضِ نسائك في بَيتي في آخر النَّهارِ فأَعْرَست

---

(١) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٨٥.

(٢) «الطبقات» ٢/ ١٨٢، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٩٩٧)، وما بين معقوفين زيادة من (ك)، وما يأتي منها ولن أشير إليه.

(٣) «السيرة» ٢/ ٦٤٢.

بها، فضحكَ رسول الله ﷺ، ثم تَمادى به وجعه[١].

[قلت: وقد احتج الشافعي وأحمد بهذا الحديث على أنه يحل للرجل أن يغسل زوجته].

وقال يحيى بن سعيد: سمعت القاسم بن محمد يقول: قالت عائشة: وَارَأْسَاهُ، فقال رسول الله ﷺ: «لو كانَ وأنا حيٌّ فأَستَغفِرَ لك، وأَدعوَ لكِ» فقالت عائشة: واثكلاه، والله إنِّي لأظنك تحب موتي، ولو كانَ ذلك لظِلْتَ آخر يومكَ معرِّساً ببعضِ أزواجك، فقال رسول الله ﷺ: «بَل أنا وَارَأْسَاهُ، لقد هَمَمت، أو أردتُ، أن أُرسِلَ إلى أبي بكرٍ وابنهِ، وأَعهَدَ أن يقولَ القائِلُونَ، أو يتمنَّى المتمنّون، ثم قلتُ: يأبى اللهُ ويَدفَعُ المؤمنونَ، أو يدفعُ اللهُ ويأبَى المؤمنونَ» انفرد بإخراجه البخاري[٢].

وأخرجه أحمد رحمة الله عليه عنها، وفي آخره: «ادعُوا إلي أَباكِ وأَخاك حتى أكتُبَ كِتاباً، فإنِّي أخافُ أن يقولَ قائلٌ أو يَتمنَّى مُتمنٍّ، ويأبى اللهُ والمؤمنونَ إلَّا أَبا بكرٍ»[٣].

وأخرجه أيضاً أحمد رحمة الله عليه وفيه: إن النبي ﷺ لما ثقل قال لعبد الرحمن بن أبي بكر: «ائتِني بكَتِفٍ أو لَوحٍ حتى أَكتُبَ لأبي بكرٍ كتاباً لا يُختَلَفُ عليه» فلما ذهبَ عبد الرحمن ليقومَ قال رسول الله ﷺ: «أَبى الله والمؤمنونَ أن يُختَلَف عليك يا أبا بكرٍ»[٤].

وقال هشام: صدع رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ثم اشتد به المرض في بيت ميمونة، فاستأذنَ نساءه أن يمرّض في بيت عائشة فأذنَّ له.

وفي هذا المرض دخلت عليه فاطمة عليها السلام.

[قال أحمد بإسناده عن مسروق، عن] عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن

---

(١) «السيرة» ٢/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٩٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٦).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٧٥١) من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة، وهو عند مسلم (٢٣٨٧) من طريق الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤١٩٩).

مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: «مَرحباً بابنَتي» ثم أجلسها عن يمينه، أو عن يساره، ثم إنه أسر إليها حديثاً، فبَكَت، ثم أسرَّ لها حديثاً، فضحكَت، فقلت لها: ما رأيت كاليوم فرحاً أقربَ من حزن، ما الذي أسرَّ إليك؟ فقالت: ما كنت لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ، حتى إذا قُبض سألتها، فقالت: إنَّه أسرَّ إليَّ: «أنَّ جبريل كان يُعارِضُني بالقرآنِ في كلِّ عامٍ مرَّةً، وإنَّه عارضَني العامَ مرَّتينِ، ولا أُراه إلا قد حَضَر أَجلي، وإنَّك أول من يَلحقُني من أهل بيتي، ونعم السَّلف أنا لكِ» فبكيتُ لذلكِ، ثم قال: «ألا تَرضي أن تكوني سَيدة نساءِ هذه الأُمة [أو سيدة نساء المؤمنين]»، فضحكت لذلك. [أخرجاه في «الصحيحين»، وليس لفاطمة في الصحيح غيره[1].

وقال هشام ابن الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح عن] ابن عباس: دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ في مرضه، فجعلت تبكي، وتقول: بأبي أنت وأمي، وأنت والله كما قال القائل:

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه

فأفاق، وقال: «هذا قولُ عمِّك أبي طالبٍ» ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤]، ثم قال: «وَاكَرباهُ» فقالت: واكربَ أبَتاه، فقال لها: «لا كَربَ على أبيكِ بعدَ اليومِ».

ذكر صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس وما يتعلق بمرض رسول الله ﷺ:

[قد روت عائشة في هذا الباب حديثاً طويلاً جامعاً كثير الروايات، قال أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي، بإسناده، عن] عبيد الله بن عبد الله قال: دخلتُ على عائشة، فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ فقالت: بلى، ثقل رسول الله ﷺ فقال: «صَلَّى الناسُ؟» فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «ضَعُوا لي ماءً في المِخْضَب» ففعلنا، فاغتسل، وذهب لِيَنُوءَ، فأُغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «أَصَلَّى الناسُ؟» قلنا: هم ينتظرونك، فقال: «ضَعُوا لي ماءً في المِخْضَب»، فوضعناه له، فاغتسل، ثم ذهب ليتوضأ فأُغمي عليه، فعل ذلك ثلاثاً، وفي كلِّ مرة يغمى عليه،

---

(١) مسند أحمد (٢٦٤١٣)، وصحيح البخاري (٣٦٢٣)، وصحيح مسلم (٢٤٥٠).

والناس عُكُوف في المسجد ينتظرونه لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله إلى أبي بكر أن يصلِّي بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فقال: يا عمرُ، صلِّ بالناس، فقال له عمر: أنتَ أحقُّ بذلك، فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام، ثم إنَّ رسول الله ﷺ وجدَ خفَّةً، فخرج بين رجلين أحدهما العباسُ لصلاة الظهر، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخَّر، فأومأ إليه أَنْ لا يتأخَّر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبِه، فجعل أبو بكر يصلِّي قائماً، ورسول الله ﷺ يصلِّي قاعداً، قال: فدخلت على ابن عباس، فقلت: أَلَا أعرضُ عليك ما حدثتني به عائشة عن مرض رسول الله ﷺ؟ قال: هات، فحدثته، فما أنكَرَ منه شيئاً، غير أنه [قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا] قال: هو عليٌّ(١).

[طريق آخر:

قال أحمد بإسناده، عن الأسود، عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يُؤْذنه بالصلاة، فقال: «مُرُوا أَبا بكرٍ فَلْيُصلِّ بالناسِ» قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يُسمعُ الناس، فلو أمرت عمر، فقال: «مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصلِّ بالناسِ» قالت: فقلت لحفصة: قولي له مثل ما قلتُ له، فقال: «إنَّكنَّ لأنتنَّ صَوَاحبُ يوسف، مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصلِّ بالناس» قالت: فأمروا أبا بكر فصلى بالناس، فلما دخل في الصلاة، وجد رسول الله من نفسه خِفَّةً، فقام يهادَى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسَّه ذهب ليتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ أن قم كما أنت، وجاء رسول الله فجلس عن يسار أبي بكر، وكان رسول الله يصلي قاعداً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ والناس يقتدون بصلاة أبي بكر(٢).

والأسيف: السريع الحزن والبكاء].

وقال عبد الله بن زمعة: دخلتُ على رسول الله ﷺ أعودُه، فقال: «يا عبدَ اللهِ، مُرِ النَّاسَ بالصلاةِ» فخرجتُ فرأيتُ رجالاً، لم أُكلمهم حتى رأيتُ عمرَ، فقلت: صل بالناس، فلما كبر سمع رسول الله ﷺ تكبيره، فأخرج رأسه من حجرته، وقال: «لا لا

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦١٣٧)، و البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٤١٨).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٧٦١)، و البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨)(٩٦).

لا» قالها ثلاثاً وهو مغضب، ثم قال: «لِيُصَلِّ بالناسِ ابن أَبي قُحافةَ» فانصرف عمر، وقال: يا ابنَ أخي، أمرك رسول الله ﷺ أن تَأمُرني؟ قلت: لا، ولكنه قال لي: «يا عبدَ اللهِ، مرِ النَّاسَ بالصلاةِ» فلما رأيتك لم أبغ مَن وراءك، فقال: ما ظننتُ إلَّا أن رسول الله ﷺ أمرك أن تأمرني، ولولا ذلك ما صليتُ[1].

وعن أنس: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان يصلِّي بالناس في وجعِ رسول اللهِ ﷺ الذي توفِّي فيه، فلما كان يوم الاثنينِ وهم صُفوفٌ في الصلاة كَشَفَ رسولُ اللهِ ﷺ سِتْرَ الحُجرةِ ينظرُ إلينا وهو قائمٌ كأَنَّ وجهَهُ ورقةُ مصحفٍ، ثم تَبسَّم يضحكُ، فهممنا أن نفتتنَ من الفَرَحِ برؤيتهِ، فنكصَ أبو بكرٍ على عقبَيْه ليَصِلَ الصفَّ ظنًّا منه أنَّ رسول الله ﷺ خارجٌ إلى الصلاة، فأشارَ رسول الله ﷺ أن أتمُّوا صلاتكم، وأرخى الستر، وتوفِّي من يومهِ. أخرجاه في «الصحيحين»[2].

وفي «الصحيحين»: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أَهرِيقُوا عليَّ سبعَ قُرَبٍ لم تُحْلَل أَوكِيَتهنَّ لعلِّي أَعْهَدُ إلى الناسِ» قالت عائشة رضي الله عنها: فأجلسناه في مخضب، وطفقنا نصبُّ عليه من تلك القُرب حتى طَفِقَ يشيرُ إلينا بيدهِ: أن قَد فعلتنَّ، ثم خرج إلى الناس، فخطبَ[3].

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يعوِّذ بهذه الكلمات: «أَذهِب الباسَ ربَّ الناسِ، اشْفِ فأنتَ الشَّافي شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَماً» قالت: فلما ثَقُل رسول الله ﷺ في مرضهِ أخذتُ بيده، فجعلتُ أمسحهُ بها، وأقولها، فنَزَع يدَه مني، ثم قال: «ربِّ اغْفِرْ لي، وألحِقْني بالرَّفيقِ الأَعلَى» فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه[4]. [وفي لفظ: كان رسول الله إذا اشتكى يقرأ على نَفْسِه بالمعوِّذات وينفث][5].

وقال [البخاري: بإسناده عن] عروة عن عائشة: إنَّ النبي ﷺ كان يسأل في مرضهِ

---

(١) «الطبقات» ٢/ ١٩٥.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٩)، ومسلم (٤١٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٨)، ومسلم (٤١٨) (٩١) مختصراً، وانظر «الجمع بين الصحيحين» (٣٢١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٥٠)، ومسلم (٢١٩١) وقولها: فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٨٧، وابن ماجه (١٦١٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٢١٩٢) (٥١).

الذي مات فيه: «أينَ أنا غداً، أينَ أنا غداً؟» يريدُ يوم عائشة، فأذنَّ له أزواجُه يكونُ حيثُ شاء، فكان في بيت عائشةَ حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدورُ عليَّ فيه في بيتي وإن رأسَه لبينَ سَحري ونَحري، وخالطَ ريقُه رِيقي، قالت: ودخلَ عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواكٌ يستنُّ به، فنظرَ إليه رسول الله، فقلتُ له: أعطني هذا السواكَ يا عبد الرحمن، فأعطانيه، فقَضمتُه، ثم مَضَغتُه، فأعطيتُه رسول الله ﷺ، فاستَنَّ به وهو مستندٌ إلى صدري[1]. [«السحر»: ـ بفتح السين ـ الرئة وما يتعلق بها، وهذه الطرق كلها في «الصحيحين»].

وقالت عائشة رضوان الله عليها: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لم يُقْبَضْ نبيٌّ قطُّ حتى يَرَى مقعَدَه من الجنَّةِ، ثم يُخيَّر» فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت، ثم قال: «اللهمَّ الرَّفيقَ الأعلَى» فقلت: إنَّه كان حديثه الذي كان يحدثنا به[2].

وقالت: ما رأيت الوجع أشد على أحد منه على رسول الله ﷺ[3].

[وقال البخاري: بإسناده، عن عائشة أنها كانت تقول: إن من نعم الله أن رسول الله توفي ببيتي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت]. وقالت: كان بين يديه رِكوَةٌ أو عُلبَةٌ فيها ماءٌ، فجعلَ يُدخلُ يدَه فيها، ويمسَحُ بالماءِ وجهَهُ، ويقول: «لا إلَه إلَّا اللهُ، إنَّ للموتِ سَكَراتٍ» ثم نصبَ يدَه، فجعل يقول: «في الرَّفيقِ الأعلَى» حتى قُبضَ ومالَت يدُه[4].

وقالت: ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ وإنَّه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعدما رأيت رسول الله ﷺ[5].

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يُدخِلُ يدَه في قَدَح فيه ماءٌ ويقول: «اللهمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥٠)، و مسلم (٢٤٤٣) مختصراً.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٤٩).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٤٦).

أَعِنِّي على سَكَراتِ الموتِ»[١].

[وفي المتفق عليه عنها] قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضهِ الذي لم يَقُم منه: «لعنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى، فإنَّهم اتَّخَذوا قُبُورَ أنبيائهم مساجد». وقالت: ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً فحذَّرهم مثل ما صنعوا[٢].

[وهذا الحديث كثير الروايات.

واختلفوا: كم صلى أبو بكر بالناس في مرض رسول الله ﷺ؟ على قولين:

أحدهما: تسع عشرة صلاة. ذكره ابن حبيب الهاشمي.

والثاني: خمس عشرة صلاة. ذكره الواقدي، وثلاثة أيام لم يصلِّ فيها رسول الله].

وقالت: ما رأيت أحداً كان أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ[٣].

[وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك عليه قطيفة، فوضع يده عليه فوجد حرارتها فوق القطيفة] فقلت له في ذلك، فقال: «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل، وكما يشدد علينا البلاء يضاعف لنا الأجر»[٤].

وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ في مرضه إذا أدير على نسائه يحمل في ثوب يأخذ أطرافه الأربعة مواليه أبو مُوَيهبة، وشُقران، وثوبان، وأبو رافع حتى استقر في بيت عائشة.

وفي هذا المرض لدُّوه:

فيروى عن عائشة قالت: لدَدْنا رسول الله ﷺ في مرضه، فأشار أن لا تلدُّوني، قلنا: كراهية المريض الدواء، فلما أفاق قال: «أَلَم أَنْهَكُم أَن تَلُدُّوني؟ لا يَبْقَى منكم أحَدٌ إلَّا لُدَّ غير العباس فإنه لم يشهدكم». انفرد بإخراجه البخاري[٥].

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٣٥٦).
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠) وسلف قريباً.
(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٨٥، وما بين معقوفين زيادة منه.
(٥) أخرجه البخاري (٥٧١٢).

قال [أحمد بإسناده عن] هشام بن عروة: أخبرني أبي أن عائشة قالت له: يا ابن أختي، لقد رأيت من تعظيم رسول الله ﷺ عمه أمراً عجيباً، وذلك لأنَّ رسولَ الله ﷺ كانَت تأخذُه الخاصِرة، فيشتدُّ به جداً، فكنَّا نقول: أخذَ رسولَ الله ـ ﷺ ـ عرقُ الكلية لانهتدي أن نقول الخاصرة، ثم أخذت رسولَ الله ﷺ يوماً فاشتدَّت به حتى أغمي عليه، وخفنا عليه، وفزع الناس إليه، فظننا أن به ذات الجنب، فلَدَدْناه ثم سُرِّي عنه، وأفاق، فعرف أنه قد لُدَّ، ووجد أثر اللدود، فقال: «ظَنَنْتُم أنَّ اللهَ سَلَّطها عليَّ؟ ما كانَ اللهُ ليفعلَ ذلك، أَمَا والذي نَفسِي بيَدِه، لا يَبْقَى في البيتِ أَحدٌ إلَّا لُدَّ، إلَّا عمِّي العباسُ» فرأيتهم يلدونهم رجلاً رجلاً، وبلغ اللدود أزواج النبي ﷺ فلدت امرأة امرأة، حتى بلغ اللدود امرأة منا [فقال ابن الزناد: لا أعلمها إلا ميمونة، قال: وقال بعض الناس: أم سلمة] قالت: إني والله صائمة، فقلنا: بئس ما ظننت أنا نتركك وقد أقسم رسول الله ﷺ، فلددناها وإنها لصائمة[1]. [وفي رواية: فقالت أم سلمة: هذا من دواء الحبشة لُدُّوه، فلدَّ بالكُسْتِ والزيت.

وفي رواية الواقدي: قال رسول الله ﷺ: «ما كانَ اللهُ ليُسَلِّطَها على رسولِهِ، إنَّها هَمزَةٌ من الشيطانِ، ولَكِنَّها من الأَكلَةِ التي أَكَلتُ بخيبرَ» وكانت عنده أم بشر بن البراء ابن معرور، فقال: «هذه مِنَ الأَكلَةِ التي أَكلتُ أنا وابنُك، ما زالَتْ تُعاوِدني وهذا أَوانُ قَطَعَت أَبهَرِي»[2].

و«الأبهر»: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

وقال الجوهري: «اللَّدود»: هو ما يُصَبُّ من الأدوية في أحد شِقَّي الفم[3].

وقال الزجاج: هو مثل السُّعوط يكون من الكست والزيت].

وقال الزهري: الذي لد به رسول الله ﷺ العود الهندي والزيت.

وفي هذا المرض صعد رسول الله ﷺ المنبر، وذكر التخيير.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٨٧٠).

(٢) «الطبقات» ٢/٢٠٨.

(٣) الصحاح (لدد).

قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا أبو عوانةَ، عن عبد الملك بن عُمير، عن ابن أبي العلاءِ، عن أبيه أنَّ النبيَّ ﷺ خطَبَ يوماً فقال: «إنَّ رجلاً خيَّره ربه عز وجل بينَ أن يَعيشَ في الدُّنيا ما شاءَ أن يَعيشَ فيها، ويَأْكُلَ منها ما شاءَ أن يَأْكُلَ، وبينَ لقاءِ ربِّه، فاختارَ لقاءَ ربِّه»، قال: فبَكى أبو بكر، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: لا تعجبون من هذا الشيخ يبكي أن ذكر رسول الله ﷺ رجلاً صالحاً خيَّره ربه بين لقائه وبين الدنيا، فاختار لقاء ربه، وكان أبو بكر أعلمهم بما قال رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: بل نفديك يا رسول الله صلى الله عليك بأموالنا وآبائنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما مِنَ الناسِ أَحَدٌ أَمنَّ علينا في صُحبتِه وذاتِ يَدِهِ مِنِ ابنِ أَبي قُحافَةَ، ولو كُنتُ متَّخذاً خَليلاً اتَّخذتُ ابنَ أبي قُحافَةَ، ولكنْ ودٌّ وإخاءُ إيمانٍ ـ قالها مرتين ـ ولكنْ صاحبُكم خليلُ اللهِ تعالى»[١].

وفي هذا المرض نبغ مسيلمة والأسود العنسي [حدثنا أبو الطاهر الخزيمي بإسناده] عن ابن عباس قال: خرج رسول الله ـ ﷺ ـ في مرضه عاصباً رأسه، فصعد المنبر، فحمد الله، وقال: «أيُّها الناسُ، رأيتُ في مَنامي كأنَّ سِوارَيْن مِن ذَهَبٍ في يَدِي، فَكَرِهتُهما، فَنَفختُهما، فطارَا، فأَوَّلتُهما هذين الكذَّابين: صاحبِ اليمامَةِ، وصاحبِ اليمنِ»[٢].

وفي هذا المرض اقتصَّ من نفسه ﷺ.

[قال ابن سعد بإسناده، عن جعفر بن برقان، حدثني رجل من أهل مكة قال:] دخل الفضل بن العباس على رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، فقال: «يا فضلُ، اشْدُد رأسي بهذه العِصابةِ»، فشدّه، وأخذ الفضلُ بيده، فدخل المسجد، وصعدَ المنبرَ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أَيُّها الناسُ، إنَّما أَنا بشَرٌ مثلُكُم، فأَيُّما رجلٍ جَلدتُ له ظَهْراً فَهذا ظَهرِي، وأَيُّما رجلٍ أَصبتُ من عِرضِه فهذا عِرضي، ومِن بَشَرِه فهذا بَشَري فلْيَقتصَّ منِّي، أو مِن مالِه فَهذا مَالي، واعْلَموا أنَّ أَوْلَاكُم بي رجلٌ كانَ له مِن ذلك شيءٌ فأَخَذَه وحلَّلني، فَلقيتُ ربِّي وأنا محلَّل، ولا يقولُ أَحدُكُم: إنِّي أخاف العَداوةَ والشحناءَ من رسولِ اللهِ ﷺ فإنَّهما ليسَا من طَبيعَتِي ولا من خُلُقي» فقام رجل،

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٩٩٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤)، وعندهما عنه عن أبي هريرة، وانظر «المسند» (٢٣٧٣).

فقال: يا رسول الله، إنَّك أخذتَ منِّي ثلاثةَ دراهمَ، فتصدَّقت بها على مسكينٍ، فقال: «يا فضلُ، أعطِهِ إيَّاها»(١).

[قال كثير بن هشام: وإنما أراد رسول الله ﷺ تعريف الأمة، أن من فعل ذلك ظلماً ينبغي له أن يؤدَّب،] وإلَّا فهو منزه عن الظلم.

قلت: وقد أخرج جدي رحمه الله في «الموضوعات» بإسناده عن وهب بن منبه حديثاً من هذا الجنس، وفيه: فقام عكاشة بن محصن فقال: إنك ضربتني بقضيب وأريد القصاص، وأنَّ رسول الله ﷺ أحضر قضيباً وأمره أن يقتص منه، وذكر ألفاظاً ركيكة ومعاني سمجة وحديثاً طويلاً.

ثم قال جدي في آخره: هذا حديث موضوع محال، كافأ الله مَن وضعه، وقبَّح من شيَّن الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذي لا يليق بمثل رسول الله ﷺ والصحابة، والمتهم بوضعه عبد المنعم بن إدريس، قال أحمد بن حنبل: كان يكذب على وهب، وقال يحيى: عبد المنعم كذاب خبيث، وقال ابن المديني وأبو داود: ليس بثقة(٢).



(١) «الطبقات» ٢/٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٢) «الموضوعات» (٥٥٩).

الباب الثاني

في ذكر وصيته عليه الصلاة والسلام لأصحابه وأتباعه وأحبابه

قال ابن سعد: حدثنا الواقدي، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن ابن أبي عون، عن ابن مسعود قال: نعى رسول الله ـ ﷺ ـ إلينا نفسه قبل موته بشهر، جمعنا في بيت أمِّنا عائشة، ونظر إلينا، فدمعت عيناه، وقال: «مَرحَباً بكُم، حَيَّاكُم اللهُ بالسَّلام، رَحِمَكُم اللهُ، آوَاكُم الله، حَفِظَكم اللهُ، رَفَعكُم اللهُ، نَصَركُم اللهُ، نَفَعكُم اللهُ، وَفَّقكُم اللهُ، هَداكُم اللهُ، سَلَّمكُم اللهُ، وَقاكُم اللهُ، [أيّدكم الله] أوصيكُم بتَقْوَى الله، وأُوصي اللهَ بكُم، وأَستَخلِفُه عليكم، وأُحذِّركُم اللهَ، إنَّني لكُم منه نذيرٌ وبشيرٌ، ألَّا تَعلُوا على الله في عبادِه وبلادِه، فإنَّه هو القائل: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]»، قال: فقلنا: يا رسول الله، متى الأجل؟ قال: «قد دَنَا، والمُنقَلَبُ إلى اللهِ وإلى سِدْرَةِ المُنْتَهى وجَنَّةِ المَأْوى والفردَوْسِ الأَعلى» قلنا: يا رسول الله، من يُغسِّلك؟ قال: «رجالُ أهلِ بَيْتِي، الأَدْنَى فالأَدْنَى» قلنا: يا رسول الله، ففيم نكفِّنكَ؟ قال: «في ثِيابِي هذه إن شِئتُم أو حُلَّة يمَانية أو بَياض مصرَ» قلنا: فمن يصلِّي عليك، وبَكَينا، فقال: «مَهْلاً رحمَكُم اللهُ، وجَزَاكم اللهُ عن نبيِّكُم خيراً، إذا وضَعتُموني على سَريري بعدَ أن تغسِّلُوني وتُكفِّنوني، فَضَعُوني على شَفيرِ قَبري، ثم اخرجُوا عنِّي ساعةً، فأول مَن يصلِّي علي خَلِيلي وحَبيبي جبريلُ» وفي رواية: «الله تعالى، ثم ميكائيلُ، ثم إِسْرافيلُ، ثم ملَكُ الموتِ مع ملائكةٍ كثيرةٍ، ثم ادخُلُوا عليَّ فَوجاً فَوجاً، فصلُّوا عليَّ وسلِّموا تسليماً، ولا تؤذوني بصيحة ولا برَنَّة، وليبدأ بالصلاةِ عليَّ رجالُ أهل بَيتي، ثم نِساؤُهم، ثم أَنتُم، وأقرِؤُوا السَّلام عنِّي مَن غابَ من أَصحابي ومَن تَبعَني على ديني من يَومي هذا إلى يوم القيامةِ، أَلَا وإنِّي أُشهِدُكُم أنِّي قد سَلَّمت على كلٍّ من دخل في الإسلام إلى يومِ القيامةِ»، وفي رواية: فقلنا: من يدخلك قبرك؟ فقال: «أَهلي مع ملائكة كثيرة»، قلنا: وإلى أين المصيرُ؟

فقال: «إلى الرَّفيقِ الأَعلى، والعيش الأهنأ، والكأس الأَوفى»[(١)].

قلت: وهذه الوصية العامة، فأما الخاصة فقال ابن سعد بإسناده، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ في مرض موته: «ادع لي علياً، أو أخي علياً»، فدعي له، فقال: «ادن مني» قال علي: فدنوت منه فاستند إليّ، فلم يزل يكلمني حتى إن بعض ريقه ليصلني، قال: ثم ثقل في حجري فصحت: يا عباس أدركني فإني هالك، فجاء العباس فكان جهدنا أن أضجعناه[(٢)].

وقد أنكرت عائشة أنَّ علياً كان وصيّاً، فقالت: متى أوصى إليه، فقد كنت مسندته إلى صدري أو قالت: في حجري، فدعا بالطست، فلقد انخنث في صدري وما شعرت أنه مات، فمتى أوصى إليه، أخرجاه في «الصحيحين»[(٣)]. ومعنى «انخنث»: انثنى.

وقد ردَّ ابن عباس هذا وأنَّ رسول الله توفي بين سحرها ونحرها، قال: والله لقد توفي وإنه لمستند إلى صدر علي، وهو الذي غسله وأخي الفضل بن العباس[(٤)].

وروى ابن إسحاق، عن الشعبي قال: قبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجر علي بن أبي طالب[(٥)].

وقال محمد بن إسحاق في«المغازي» في أولها: حدثنا عبد الله بن عينية العبدي، عن وهب بن كعب بن عبد الله بن سور الأزدي[(٦)]، عن سلمان الفارسي قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ليس من نبي إلا وله وصي، فمن وصيك؟ فقال:

---

(١) «الطبقات الكبرى»٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، وجاء بعدها في (ك): وقد ذكر الواقدي بمعناه. وما سيرد بين معكوفين منها .

(٢) «الطبقات» ٢/ ٢٣٠ .

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٤١)، ومسلم (١٦٣٦) .

(٤) «الطبقات» ٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٣٠ عن الواقدي .

(٦) كذا جاء في (ك) ؟! وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٣٦٨ من طريق يونس بن بكير، عن عُتْبة بن عُتَيْبَة البصري العبدي، عن أبي سهل، عن وهب بن عبد الله بن كعب بن سور، مختصراً.

«إن الله بعث أربعة آلاف نبي كان لهم أربعة آلاف وصي، وثمانية آلاف سبط، والذي نفسي بيده لأنا خير النبيين، وإن وصيي لخير الوصيين، وسبطاي خير الأسباط.

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: إن علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله ـ ﷺ ـ دعا به في مرضه، فناجاه طويلاً وأوصاه بما أراد(١).

وأخرج أحمد رحمة الله عليه عن أنس قال: قلنا لسلمان: من كان وصي رسول الله ﷺ [فسأله سلمان] عن ذلك فقال: «مَن كانَ وصيَّ موسى»؟ قلت: يوشع بن نون، فقال: «إنَّ وصيّي ووارِثي ومُنجِزَ وَعدِي عليُّ بنُ أبي طالبٍ»(٢).

وقال الإمام أحمد ـ رحمة الله عليه ـ: حدثنا حجاج، حدثنا مالك بن مغول، أخبرني طلحة قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: أوصى رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قلت: كيف أمر المؤمنين بالوصية [ولم يُوصِ؟ قال: أوصى بكتاب الله. أخرجاه في «الصحيحين»(٣).

أشار ابن أبي أوفى إلى الوصية] التي كتبها الله في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] فكانت الوصية فرضاً ثم نسخت بآية الميراث.

قال المصنف ـ رحمه الله ـ: وقد أخرج الحميدي حديث عبد الله بن أبي أوفى في «الجمع بين الصحيحين»، وقال على أثره: وقد أخرجَ أبو مسعود والبَرقاني في هذا الحديث زيادة لم يخرجها البخاري ولا مسلم، وهي أن هزيل بن شرحبيل قال: أبو بكرٍ يتأمَّر عَلَى وصيِّ رسول الله ﷺ؟ ودَّ أبو بكر لو وَجَد عهداً من رسول الله ـ ﷺ ـ فَخُزِمَ أنفُه بخِزَامةٍ(٤).



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٥٦٥).

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٥٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩١٢٣) والبخاري (٢٧٤٠)، ومسلم (١٦٣٤).

(٤) الجمع بين الصحيحين (٨٢٢)، وقد أخرج هذه الزيادة أحمد في «مسنده» (١٩٤٠٨).

الباب الثالث

في ذكر ما أعتق ﷺ في مرضه وما تصدق به

[قال علماء السير]: أعتق جميع أعبده في مرضه وإمائه [وسنذكرهم فيما بعد]، ولم يكن عنده سوى ستة دنانير، فأخرجها، [قال ابن سعد بإسناده، عن عائشة]: غُشي على رسول الله - ﷺ - في مرضه الذي مات فيه، فلما أفاق قال لها: «هل أنفقت ذلك الذهب؟» قالت: قلت: لا، قال: «فعليَّ به»، فجئته به، فوضعه في كفه، وعده، فإذا هو ستة دنانير، فقال: «ما ظن محمد بربه أن لو لقي الله وهذه عنده؟» فأخرجها، وتوفي في ذلك اليوم[١].



(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٠٩.

الباب الرابع

في ذكر وفاته [والكتاب الذي أشار إليه قبيل مماته ونحو ذلك:

ذكر الواقدي في «المغازي» وقال:] لما كان يوم السبت عاشر ربيع الأول جاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ فيهم عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ، ورسول الله ﷺ يقول: «أَنفِذُوا جيشَ أُسامَةَ» ودخلت عليه أم أيمن، فقالت: يا رسول الله لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل، فإنّ أسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه، فقال رسول الله ﷺ: «أَنفِذُوا بعثَ أُسامَةَ» فمضى الناس إلى المعسكر، فباتوا ليلة الأحد، ونزل أسامة يوم الأحد ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور، وهو اليوم الذي لَدُّوه فيه، فدخل على النبي ﷺ وعيناه تَهْمُلان، وعنده العباس، والنساء حوله، فطأطأ عليه أسامة فقبله ورسول الله ﷺ لا يتكلم، وجعل يرفع يديه إلى السماء، ثم يصبهما على أسامة، يدعو له، وغدا أسامة إلى معسكره، فلما أصبح يوم الاثنين غدا من معسكره، وأصبح رسول الله ﷺ مُفيقاً، فجاء أسامة يُودِّعه، فقال: «اغْدُ على بَرَكَةِ اللهِ» فودعه أسامةُ، ورسول الله ﷺ مُفيق، وجعل نساءه يتماشطن سروراً.

ودخل أبو بكر رضوان الله عليه فقال: يا رسول الله، أصبحتَ بحمد الله مُفيقاً، واليوم يوم ابنة خارجة، فأْذن لي، فأذن له، فذهب إلى السُّنح وخرج أسامة إلى معسكره، وصاح في أصحابه باللحوق به، ونزل أسامة بالجرف، وأمر الناس بالرحيل، وقد متع النهار [أي: ارتفع]، فبينا أسامة يريد أن يركب من الجرف أتاه رسول أم أيمن، وهي أمه، تخبره أن رسول الله ﷺ يموت، [قال ابن إسحاق: إنما بعث رسولاً إلى أسامة امرأته] فأقبل أسامة إلى المدينة ومعه عمر وأبو عبيدة [بن الجراح] رضي الله عنهم فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت، فتوفي حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلَت من ربيع الأول، ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجُرْف إلى المدينة، ودخل بُرَيدة بن الحصيب بلواء أسامة رضوان الله عليه معقوداً

حتى أتى باب رسول الله ﷺ فغرزه عنده، فلما ولي أبو بكر رضوان الله عليه أمَرَ بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة، وأن لا يحله أبداً حتى يغزوهم أسامة، قال بريدة: فخرجت باللواء حتى انتهيت إلى بيت أسامة، ثم خرجت به إلى الشام معقوداً مع أسامة، ثم رجعت به إلى بيت أسامة فما زال معقوداً في بيته حتى توفي أسامة. هذا قول الواقدي(١).

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: خرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه من عند رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بارئاً بحمد الله، فأخذ العباس بيد علي، وقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني لأرى رسول الله ﷺ يموت في مرضه هذا، وإني لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب، فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ نسأله فيمن يكون هذا الأمر، فإن كان فينا علمنا، وإن كان في غيرنا أوصى بنا من بعده، فقال له علي: والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعنا إياها لا يعطينا الناس إياها أبداً، والله لا أسألها أبداً(٢).

حديث الكتاب:

[قال أحمد بإسناده] عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة قال: «هلُمَّ أكتُب لكُم كتاباً لن تَضِلُّوا بعدَه» وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله أو القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت، واختصموا، منهم من يقول: يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف قال رسول الله ﷺ: «قوموا عني» فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب [من اختلافهم ولَغَطهم(٣). وهذا حديث مختصر].

---

(١) «المغازي» ٣/ ١١١٩ ـ ١١٢٠.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٦٦).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٩٩٠)، وأخرجه البخاري (٥٦٦٩)، ومسلم (١٦٣٧) (٢٢).

طريق آخر: قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدثنا سفيان، عن سليمان بن أبي مسلم، أنَّه سمع سعيد بن جُبير قال: قال ابن عباس: يومُ الخميس، وما يومُ الخميس؟ ثم بكى حتى بلَّ دمعُه الحصى، قلنا: يا أبا العباس، وما يومُ الخميس؟ قال: اشتدَّ المرضُ برسول الله ﷺ فقال: «ائْتُوني أَكْتُب لكُم كِتاباً لا تضلُّوا بعدَه أَبَداً» فتنازعوا، وما ينبغي عند نبيٍّ تنازعٌ، فقالوا: ماشأنه؟ أهجر؟ اسْتَفْهِمُوه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: «دَعُوني، فالذي أَنَا فيه خيرٌ مِمَّا تَدعُوني إليه» وأمرهم بثلاث فقال: «أَخرِجُوا المشركينَ من جزيرةِ العَرَب، وأَجيزُوا الوَفْدَ بنحو ما كنتُ أُجيزُهم»، وسكتَ سعيد عن الثالثة، فلا أدري أسكت عنها أو نسيها[١]؟ وقد أخرج الحميدي هذا الحديث، وفيه: فقالوا: ما شأنه؟ فقال عمر: إن الرجل ليهجر[٢].

قال المصنف رحمه الله: والظاهر من حال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أنه لا ينسب إلى النبي ﷺ مثل هذا، ولعلَّه من تحريف الرواة، ويحتمل أن يكون معناه أن رسول الله ﷺ ليهجركم، من الهجر الذي هو ضد الوَصْل لما قد ورد عليه من الواردات الإلهية، ولهذا قال: «الرَّفيقَ الأعلَى» أَلَا ترى إلى قوله: «قُوموا عنِّي، فما أنا فيه خيرٌ مما أنتم فيه».

وقال القاضي عياض: لا يصح أن يَهْجُرَ رسول الله ﷺ وهو معصوم، لأن الهجر ما لا حقيقة له، وأنه لا يقول في الصحة والمرض والنوم واليقظة والرضى والغضب إلا حقاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾[٣] [النجم: ٣].

[وفي رواية ابن سعد قال: لما بقي من أَجَل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام جاءه جبريل فقال: يا محمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضلاً يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجدك؟ فقال: «يا جبريلُ، أجدني مغموماً، وأجدني مهموماً، وأجدني مكروباً» قالها مرتين أو ثلاثاً، فلما كان في الثالث هبط جبريل ومعه ملك يقال

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٣٥)، وأخرجه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧).

(٢) لم أقف عليه في «الجمع بين الصحيحين» والحديث فيه برقم (٩٨٠)، وعزاه الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٣٣ إلى ابن سعد، وهو في «الطبقات» ٢/ ٢١٣.

(٣) انظر «إكمال المعلم»: ٥/ ٣٧٩.

له: إسماعيل، يسكن الهواء، لم يصعد إلى السماء قط، ولم يهبط إلى الأرض منذ خلق الله المخلوقات، وهو مقدَّم على سبعين ألف صف من الملائكة تحت يد كل ملك سبعون ألفاً من الملائكة، ثم هبط ملك الموت فقال: هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد من قبلك، ولا يستأذن على أحد من بعدك، فقال: «إئذن له» فدخل فوقف بين يديه وسلم عليه وقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما أمرتني به، إن أمرتني قبضت وإن أمرتني تركت، فالتفت إلى جبريل كالمستشير له، فقال: يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك، فقال: «امض يا ملك الموت لما أمرت به» فقال جبريل ﷺ: هذا آخر هبوطي الأرض، إنما كنتَ حاجتي من الدنيا[1]. وتوفي رسول الله ﷺ، وارتفع جبريل وهو يقول: واصفيَّاه.

وقد أخرج جدي في «الصفوة» بمعناه فقال:] وعن أبي هريرة ﷺ قال: أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ في مرضه الذي قُبض فيه، فقال: إنَّ الله تعالى يُقرئك السَّلام، وكيف تَجدُك؟ قال: «أَجِدُني وَجِعاً يا أَمينَ اللهِ» ثم جاءَه من الغدِ، ومن بعدِ الغدِ، وهو يقول كذلك، وجاءَ معه في اليوم الثالث ملك الموت، وقال جبريل: هذا آخر عهدي بالدنيا بعدك، ولن آسى على هالك من بني آدم بعدك[2].

[وفي رواية ابن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «يا جبريل، ادن مني» قالها ثلاثاً][3].

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة كساء ملبداً وإزاراً غليظاً، وقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين. متفق عليه[4].

وقال الواقدي: بدئ برسول الله ﷺ المرض يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر، وتوفي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول.

[قال: وهو الثبت عندنا، وكذا قال ابن عباس وأبو هريرة وأنس وغيرهم، أنه أقام مريضاً ثلاثة عشر يوماً، وقيل: اثني عشر يوماً.

(١) «الطبقات» ٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) «صفوة الصفوة» ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٣) «الطبقات» ٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٠٣٧)، والبخاري (٥٨١٨)، ومسلم (٢٠٨٠).

وقال ابن عباس: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين، ونبئ يوم الاثنين، وهاجر يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين[١].

وقال أحمد بإسناده عن أنس قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء من المدينة كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم كل شيء، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[٢].

وفي رواية أحمد أيضاً، وفيه طرف من قدوم النبي ﷺ المدينة، وفيه: فما رأيت يوماً قط كان أنور ولا أحسن من يوم دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، وشهدت يوم وفاته، فما رأيت أقبح من اليوم الذي مات فيه] [٣].



(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٣/ ٦٧ ـ ٦٨ .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٣١٢) .

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٢٣٤) .

الباب الخامس

في ما جرى بعد وفاته

قام عمر رضوان الله عليه يقول: ما مات رسول الله ﷺ، ولَيبعثنَّه الله فلَيُقطِّعن أيدي رجال وأَرجُلهم، وجاء أبو بكر رضوان الله عليه فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبَّله، وقال: بأبي أنت، طِبْتَ حيًّا ومَيتاً يا رسول الله، لا يجمعُ الله لك بين موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متَّها، ثم خرجَ، فقال: أيها الحالف، على رِسْلِك، فلما تكلَّم أبو بكر رضوان الله عليه جلسَ عمر رضوان الله عليه فحمِدَ أبو بكر اللهَ، وأثنى عليه، ثم قال: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فمَن كان يعبدُ محمَّداً فمحمدٌ قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وإنَّها لفي كتاب الله، فقال عمر: أيها الناس هذا أبو بكر فبايعوه.

وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: والله ما هو إلا أن تلاها أبو بكر، يعني ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ حتى خررت إلى الأرض، وأيقنت أن رسول الله ﷺ قد مات(١).



(١) أخرج الخبر البخاري (٣٦٦٧) (٣٦٦٨)، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

الباب السادس

في ذكر غسله وأكفانه والصلاة عليه ودفنه

قال ابن عباس: لما اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله: عمه العباسُ، وعليٌّ، والفضلُ بن عباس، وقُثَمُ بن العباس، وأسامةُ بن زيد، وصالحٌ مولاه، فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الباب أَوسُ بن خَوْليٍّ الأنصاري ثم أحد بني عوف بن الخزرج، وكان بدرياً، عليَّ بن أبي طالب فقال: يا علي نَشدتُكَ الله، وحظَّنا من رسول الله ﷺ، فقال له علي: ادخل، فدخل، فحضَر غسلَ رسول الله ﷺ ولم يَلِ من أمره شيئاً، فأسنده علي إلى صدره، وعليه قميصه، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلِّبونه مع علي، وكان أسامة بن زيد وصالح يصُبَّان الماءَ عليه، وعلي يغسله، ولم يُرَ من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت، وعلي يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حيًّا وميتاً.

حتى إذا فرغوا من غسله، وكان يُغسل بالماءِ والسِّدر، ثم أَدرجوه في ثلاثةِ أثوابٍ، ثوبين أَبيضين وبردٍ حِبَرةٍ.

قال: ثم دعا العباس رجلين، فقال: ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح، وكان أبو عبيدة يَضْرَحُ لأهل مكةَ، وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري، وكان أبو طلحة يَلْحَد لأهل المدينة، ثم قال العباس حين سرحهما: اللهمَّ خر لرسول الله ﷺ، قال: فذهب فلم يجد صاحبُ أبي عبيدة أبا عبيدة، ووجد صاحبُ أبي طلحة أَبا طلحة، فجاء، فلحدَ لرسول الله ﷺ. أخرجه الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند»[1].

[وقال ابن إسحاق: لما غسّل علي رسول الله ﷺ نودي علي: ارفع طرفك إلى السماء[2].

---

(١) أحمد في «المسند» (٢٣٥٧).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ٢٤٤ـ ٢٤٥، قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ١٢١ : وهذا منقطع.

وقال ابن سعد: اسم الرجل الذي نادى علياً: نَنْشُدك الله حَظَّنا من رسول الله ﷺ، هو أوس بن خَوْليّ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وأمه جميلة بنت أُبيّ بن مالك، أخت عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلول.

وكان يُسمَّى الكامل؛ لأنه جمع بين الرمي والكتابة والسباحة، وهو الذي جعله رسول الله ﷺ على الغنائم لما دخل مكة في غزوة القَضيَّة، وعاش إلى أيام عثمان(١).

وأخرج أحمد عن جرير بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «اللَّحْدُ لنا والشَّقُّ لغيرنا»(٢) يعني أهل الكتاب.

وقد روي ذكر الكفن وحده في حديث: فقال أحمد: بإسناده] عن ابن عباس: إن رسول الله ﷺ كُفِّن في ثلاثةِ أثوابٍ: قميصِه الذي ماتَ فيه، وحُلَّةٍ نجرانيَّةٍ(٣).

و[في رواية «المسند» أيضاً عن ابن عباس] (٤) أنه قال: كفن في ثوبين أبيضين وبرد أحمر(٥)، [قلت: وقد أخرج أحمد في «المسند» بإسناده عن] محمد بن الحنفية [عن أبيه علي عليه السلام قال:] كفن رسول الله ﷺ في سبعة أثواب(٦).

[وقال أحمد بإسناده، عن هشام بن عروة عن أبيه] عن عائشة أن أبا بكر قال لها: يا بنيَّة، أيُّ يوم توفي رسول الله ﷺ؟ قلت: يوم الاثنين، قال: في كم كفنتم رسول الله ﷺ؟ قلت: يا أبةِ كفَّناه في ثلاثة أثواب بيض سَحوليَّة جُدُد يمانيَّة، ليس فيها قميصٌ ولاعِمامةٌ، أُدرجَ فيها إدراجاً(٧). [أخرجاه في «الصحيحين» من غير قول أبي بكر لها. و«سحول»: قرية باليمن يعمل فيها الثياب البياض.

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٤٣ و٣/ ٥٠٢.

(٢) مسند أحمد (١٩١٥٨).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٤٢).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٨٤).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٢٨).

(٦) مسند أحمد (٧٢٨).

(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٨٦٩).

وقال أحمد بن حنبل بإسناده، عن] جعفر بن محمد قال: كان الماءُ يَستَنقِعُ في جُفون رسول الله ﷺ، وكان علي يحسوه[١].

[قال ابن سعد]: وكان علي رضوان الله عليه يقول: أوصى إلي رسول الله ﷺ أن لا يغسله غيري[٢].

[قال الهيثم:] وروي أنهم شدوا عيونهم بالعصائب إلا علي، فقال الشاعر: [من الكامل]

غسل النبي وعينه مفتوحة   وعيونكم معصوبة في الهام

[وقال ابن سعد بإسناده عن] عائشة رضوان الله عليها قالت: لما أرادوا أن يغسلوا رسول الله ﷺ اختلفوا فيه، وقالوا: ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله في ثيابه؟ فألقي عليهم النعاس حتى ما منهم رجل إلا وذقنه على صدره، ثم ناداهم مناد من ناحية البيت: غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فغسلوه كذلك، وكانت تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساؤه[٣].

[قال ابن سعد: حدثنا الواقدي] قال علي ﷺ: لما أخذنا في جهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعاً، فنادت الأنصار: نحن أخواله، وهو ابن أختنا، ومكاننا في الإسلام مكاننا، ونادت قريش: نحن عصبته، فقال أبو بكر: القوم أولى به، لا يدخل عليهم إلّا مَن أرادوا[٤].

وغسل من بئر غَرس، وكان يشرب منها، وغسل في المرة الأولى بالماء القراح، وفي الثانية بالماء والسدر، وفي الثالثة بالماء والكافور.

[وقال هشام:] ولما فرغوا من غسله وضعوه على سريره، وخرجوا كما أمرهم، فصلى عليه الله تعالى، وملائكته أفواجاً أفواجاً.

ثم دخل المسلمون فصلوا عليه بغير إمام، الرجال أولاً، ثم النساء، ثم الصبيان،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٠٣).

(٢) «الطبقات» ٢/ ٢٤٢.

(٣) «الطبقات» ٢/ ٢٤٠، واللفظ لأحمد في «مسنده» (٢٦٣٠٦).

(٤) «الطبقات» ٢/ ٢٤٢.

وهم يبكون، ويقولون: السلام عليك يا رسول الله، لقد أديت، ونصحت، وجاهدت في سبيل الله، اللهمَّ اجمع بيننا وبينه.

وقال الواقدي: لما أدرج رسول الله ﷺ في أكفانه وضع على سريره، ثم على شفير قبره.

[فحدثني محمد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، وابن عباس قال:] وأول من صلى عليه من الناس العباس وبنو هاشم، ثم خرجوا، ودخل المهاجرون والأنصار، فلما صلَّوا دخل النساء والصبيان، ثم وضع أزواجه الجلابيب عن رؤوسهن، وجعلن يلتدمن في صدورهن، ونساء الأنصار يضربن الوجوه فذبحت حلوقهن من الصياح.

[وقال الواقدي]: وكانت قريش تحب النوم على السرير، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أهدى له أسعد بن زرارة سريراً قوائمه ساج، فكان ينام عليه، ثم وهبه لعائشة، فلما توفي رسول الله ﷺ وضع عليه، وصلي عليه وهو فوقه، ثم حمل عليه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - واشترى ألواحه عبد الله بن إسحاق الإسحاقي بأربعة آلاف درهم من موالي معاوية[١].

[وذكر الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل»: أن الصحابة] اختلفوا في دفن النبي ﷺ، فأراد أهل مكة من المهاجرين رده إلى مكة، وقالوا: هي مسقط رأسه ووطن أهله. وقال الأنصار: المدينة أولى لأنها دار هجرته وفيها أظهر الله دينه، وقال قوم: ننقله إلى بيت المقدس لأنها مقر الأنبياء ومنه عرج به إلى السماء [ثم اتفقوا على المدينة[٢].

وقال أحمد بإسناده، عن ابن جريج، عن أبيه: أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يدروا أين يقبروه] حتى قال لهم أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يقبر نبي إلا حيث يموت» فأخّروا فراشه، وحفروا له تحته[٣].

---

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٦١٦.

(٢) «الملل والنحل» ١/ ٢٣ - ٢٤.

(٣) أحمد في «مسنده» (٢٧).

وكان دفنه ليلة الأربعاء بعد نصف الليل[(١)] [وقال هشام: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين عند ارتفاع الضحى، فأقام يومين وليلة حتى دفنوه. وكذا روى جعفر بن محمد، عن أبيه. حكاه جدي في «الصفوة»، فإنه قال: قُبض ﷺ يوم الاثنين فمكث ذلك اليوم ويوم الثلاثاء، ودفن في الليل[(٢)].

وقال هشام: أرادوا أن يدفنوه في المسجد، فقالت لهم عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٣)] فدفنوه في حجرتها.

وقال الواقدي:] نزل في حفرته العباس وقثم والفضل وعلي وأسامة وأوس بن خَوْليّ ﷺ، وبني عليه في قبره تسع لبنات، فلما فرغوا خرجوا من اللحد، وأهالوا التراب عليه.

وروى الواقدي عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي في المسجد ليلة الثلاثاء[(٤)].

وقالت أم سلمى ﵂: فصحنا، وصاح أهل المسجد، فارتجت المدينة، فلما أذّن بلال الفجر بكى فانتحب، فزادنا حزناً، [وقد روي أن النبي ﷺ دفن ليلة الثلاثاء، وليلةُ الأربعاء أصح.

واختلفوا هل سنِّم قبره أو سطح على قولين ذكرهما الواقدي، فحكى عن موسى بن محمد، عن أبيه: أنّه جعل قبره ﷺ ارتفاعه شبراً[(٥)]. قال: ورشوا عليه الماء، وجعلوا على قبره طناً من قصب[(٦)].

وأخرج مسلم عن سفيان التمار قال: أخبرني من رأى قبر النبي ﷺ مسنّماً[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٨) من حديث ابن عباس، وانظر «الطبقات» ٢/ ٢٣٨ .

(٢) «صفوة الصفوة» ١/ ٢٢٥ .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (٢٥١٢٩) .

(٤) «الطبقات» ٢/ ٢٦٥ .

(٥) انظر «الطبقات» ٢/ ٢٦٧ فالخبر فيه عن جعفر بن محمد، عن أبيه .

(٦) أي: حزمةً من قصب.

(٧) لم يخرجه مسلم، وإنما أخرجه البخاري بإثر (١٣٩٠)، وهو من أفراده كما في «الجمع بين الصحيحين» (١١٧٩) .

وقيل:] كان قبره ﷺ مسطوحاً[١].

[وحكى ابن إسحاق عن أبي معشر عن محمد] بن قيس: لما انهدم الحائط الذي على قبر رسول الله ﷺ [رأيت قبره] مرتفعاً من الأرض مقدماً إلى القبلة، وقبر أبي بكر وراءه من قبل رأس رسول الله ﷺ، وقبر عمر وراء قبر رسول الله ﷺ من قبل رجليه بحذاء قبر أبي بكر، كان قبر رسول الله ﷺ أمام وهما خلفه.

وقال عامر بن سعد بن أبي وقاص: قال أبي: الحدوا لي لحداً، وانصبوا عليَّ اللبن نصباً كما صنع لرسول الله ﷺ[٢].

[قلت: وقد اختلفوا في صفة قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه، وسنذكره في ترجمة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.]

واختلفوا في آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ:

[فحكى ابن سعد عن الواقدي] أن المغيرة بن شعبة كان يقول: أنا أحدثكم برسول الله ﷺ عهداً، ألقيت خاتمي في قبره، وقلت: خاتمي خاتمي[وإنما فعلته] لأمس رسول الله ﷺ فأضع يدي على اللبن فأكون آخر الناس عهداً به[٣].

قال الواقدي: فقالوا له: إنما ألقيت خاتمك لكي تنزل فيقال: نزل في قبر رسول الله ﷺ، فو الله لا تنزله أبداً، فنزل بعضهم فأخرجه إليه[٤].

وروي: أن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه نزل فأعطاه إياه، أو أمر قثم بن العباس فأعطاه إياه.

قال: وروي أن المغيرة نزل فأخذه. [وروي عن ابن عباس قال وقيل له بأن المغيرة يزعم أنه أقرب الناس عهداً برسول الله؟ فقال: كذب، آخر الناس عهداً برسول الله قثم ابن العباس[٥].

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٦٦٤.
(٢) «الطبقات» ٢/ ٢٥٨.
(٣) «الطبقات» ٢/ ٢٦٤.
(٤) انظر «الطبقات» ٢/ ٢٦٤.
(٥) «الطبقات» ٢/ ٢٦٤.

وذكر البلاذري: أن علياً عليه السلام قال لابنه الحسن: انزل فأخرج خاتم المغيرة، فنزل فناوله إياه، فكان الحسن آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ[١].

وحكى ابن سعد عن جابر بن عبد الله قال: فرش في قبر رسول الله ﷺ] قطيفة حمراء كان يلبسها[٢].

وفي روايةٍ: ألقاها غلامٌ لرسول الله ﷺ في قبره، وقال: والله لا لبسها أحد بعدك[٣].

[وقال ابن قتيبة: والذي ألقاها شقران مولى رسول الله ﷺ[٤].

وقال وكيع: وهذا لرسول الله ﷺ خاصة[٥].

وقال ابن سعد بإسناده] عن الحسن البصري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افرشوا لي قطيفتي في لحدي، فإن الأرض لن تسلط على أجساد الأنبياء»[٦]. قال الحسن: وهذه القطيفة أصابها يوم بدر.

وكانت عائشة رضي الله عنها قد رأت في منامها كأنه سقط في حجرتها ثلاثة أقمار، فأخبرت أباها، فلما دفن رسول الله ﷺ في حجرتها قال لها أبو بكر رضي الله عنه: هذا أحد أقمارك، وهو خيرها[٧].

[ذكر تعزية الملائكة لأهل البيت:

حكى ابن سعد والبلاذري عن المدائني، وذكره هشام، قالوا جميعاً:]

عن ابن عمر رضوان الله عليهما قال: لما مات رسول الله ﷺ، وسجّي قعدنا نبكي

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٦٦٥.

(٢) في (أ ،خ): ثم وضع تحت رسول الله ﷺ قطيفة حمراء كان يلبسها، والمثبت من (ك)، وانظر«الطبقات» ٢/ ٢٦١.

(٣) «الطبقات» ٢/ ٢٦١.

(٤) «المعارف» ص١٦٦.

(٥) «الطبقات» ٢/ ٢٦٠.

(٦) «الطبقات» ٢/ ٢٦١.

(٧) أخرجه مالك في «الموطأ» (٥٥٢)، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٥٦.

حوله، فسمعنا صوتاً من الهوي يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله خلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا، وإليه فارجعوا، وإنما المصاب من حُرِم الثواب، قال ابن عمر: فسمع هذا الكلام أهل البيت والمسجد والطرق، وبكى الناس حتى كادت أنفسهم تخرج من الصراخ، وخرج الولدان والنساء والصبيان، فظنناه جبريل يعزينا في رسول الله ﷺ(١).

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا، قال: هو الخضر عليه السلام(٢).

[ذكر ندب فاطمة عليها السلام:

قال البخاري: بإسناده، عن أنس قال: لما ثَقُلَ رسول الله ﷺ جَعَل يتغشّاه الكرب، فقالت فاطمة: واكرب أبتاه، فقال لها: «ليسَ على أَبيكِ كَرْبٌ بعدَ اليومِ». فلما مات قالت: يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه]، فلما دفن قالت فاطمة رضوان الله عليها: يا أنس، أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب. [انفرد بإخراجه البخاري(٣).

ورواه أحمد مختصراً وزاد فيه: يا أبتاه من ربه ما أدناه(٤).

كذا وقع في عامة النسخ: أنعاه، وهو غلط من الرواة، والصحيح ننعاه بغير ألف(٥).

وقد ذكره الجوهري وقال: هو نعيّ، والنَّعْيُ: خبر الموت، فيقال: جاء نَعْي فلان، والنَّعِيُّ: الناعي، قال: وقال الأصمعي: كان إذا مات من العرب ميت له قدرٌ ركب راكبٌ فرساً وسار في الناس ويقول: نَعاءِ فلاناً أي: انْعَهِ(٦).

---

(١) «الطبقات» ٢/ ٢٣٩، و«أنساب الأشراف» ١/ ٦٥٢.

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٦٥٣.

(٣) في صحيحه (٤٤٦٢)، وما سيرد بين معكوفين زيادة من (ك).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٠٣١).

(٥) قال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ١٤٩: قيل: الصواب: إلى جبريل نعاه، جزم بذلك سبط ابن الجوزي في «المرآة»، و الأول موجّه، فلا معنى لتغليط الرواة بالظن.

(٦) «الصحاح»: (نعا).

قلت: وقد أشار محمد رحمه الله إلى هذا في «الجامع الصغير» بقوله: ولا بأس بالإذن في صلاة الجنازة[١]. وهي من خواص «الجامع الصغير». وفي بعض النسخ: ولا بأس بالآذان، أي الإعلام بأن يُعلم بعض الناس بعضاً ليحضر إخوان الميت فيقضوا حقه، ولم يرد به في النداء في الأسواق لأنه فعل الجاهلية، نهى رسول الله ﷺ عن النعي[٢]، لأن أهل الجاهلية كانوا ينعون موتاهم ويتكلمون بالكذب في مدح أهاليهم، فنهاهم عن ذلك.

وقد اختلف السلف في الإعلام بالجنائز:

فرخص فيه ابن عمر وأبو هريرة وأنس، وروي أنه لما مات رافع بن خديج قال ابن عمر: كيف تريدون أن تصنعوا به؟ قالوا: نحبسه حتى نرسل إلى قباء وإلى قريات حول المدينة ليشهدوا جنازته، فقال: نعم ما رأيتم[٣].

وكره ذلك ابن مسعود وعلقمة والربيع بن خثيم، فإنهم قالوا عند الموت: لا تؤذنوا بموتنا أحداً[٤].

والصحيح: أنه لا بأس به، وإنما المكروه النداء في الأسواق وهو فعل الجاهلية. وقد أشار إليه في «المحيط» فقال: لا بأس بالنداء لتكثير الجماعةِ والمستغفرين للميت وتحريض الناس على الطاعة وحثّهم على الاستعداد لمثله، وإنما المكروه فعل الجاهلية.

وقال ابن منصور: يجوز النداء في الأسواق إذا كان الميت محتشماً مثل الأئمة والصالحين، وقد ثبت أن النبي ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج إلى المصلى وقد ذكرناه].



(١) «الجامع الصغير» ص١١٦.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٢٧٠) من حديث حذيفة ﷺ.

(٣) أورده ابن عبد البر في «التمهيد» ٦/ ٣٢٧.

(٤) أخرج أقوال الثلاثة ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٢/ ٤٧٥.

الباب السابع في مبلغ عمره

[واختلفوا فيه على أقوال:

أحدها: أنه عاش ثلاثاً وستين سنة، وعلى هذا عامة العلماء] قال الإمام أحمد ـ رحمة الله عليه ـ: حدّثنا يزيد بن هارون، ومحمد بن جعفر قالا: أنبأنا هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة. متفق عليه[(١)].

وقال عمار مولى بني هاشم: قلت لابن عباس: كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات؟ قال: خمس وستون، بعث لأربعين، وأقام بمكة خمس عشرة، وبالمدينة عشراً[(٢)].

[والثاني: ستون سنة، قال البخاري، قالت عائشة: مكث رسول الله ﷺ عشر سنين بالمدينة، وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة][(٣)].

والأصح ثلاثاً وستين سنة.



(١) أحمد في «مسنده» (٢١١٠)، والبخاري (٣٩٠٣)، ومسلم (٢٣٥١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٦٤).

الباب الثامن

في ذكر شيءٍ مما رثي به من الأشعار وما ورد في ذلك من الآثار

وقد رثي رسول الله ﷺ بأشعار كثيرة فنقتصر على شيءٍ منها، [وقد ذكر ابن إسحاق والواقدي طرفاً من ذلك فقالا: وقال أبو بكر ﷺ يرثي رسول الله ﷺ ويبكيه(١): [من الكامل]

لـمَّـا رأيـتُ نـبـيَّـنـا مُـتَـجـدِّلاً ... ضـاقَـت عـلـيَّ بـعَـرْضِـهـنَّ الـدُّورُ
فـارْتـعـتُ روعـةَ مُـسـتـهـامٍ والـهٍ ... والـعـظـمُ مـنِّـي وَاهِـنٌ مـكـسـورُ
أعـتـيـقُ ويـحـكَ إنَّ حِـبَّـك قـد ثَـوى ... وبـقـيـتَ مُـنـجـدِلاً وأنـتَ حَـسـيـرُ
يا ليتني من قبلِ مهلك صاحبي ... غُـيِّـبـتُ فـي جَـدَث عـلـيّ صـخـورُ
فـلـتـحـدثـن بـدائـعٌ مـن بـعـدهِ ... تَـعـيـابـهـنَّ جـوانـحٌ وصـدورُ

قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب هذه الأبيات(٢): [من الوافر]

أرقـتُ وبـاتَ لـيـلـي لايـزولُ ... ولـيـلُ أخـي الـمـحـبَّـةِ فـيـه طـولُ
وأسـعَـدَنـي الـبـكـاءُ وذاك فـيـمـا ... أصـيـبَ الـمـسـلـمـونَ بـه قـلـيـلُ
فـقـد عـظُـمَـت مـصـيـبـتُـنـا وجلَّـت ... عـشـيَّـةَ قـيـل: قـد قُـبـضَ الـرسـولُ
فـأضْـحَـت أرضُـنـا مـمَّـا عَـرَاهـا ... تـكـادُ بـهـا جـوانـبُـهـا تـمـيـلُ
فَـقَـدنـا الـوحـيَ والـتـنـزيـلَ فـيـنـا ... يـروحُ بـه ويَـغـدو جـبـرئـيـلُ
وذاكَ أحـقُّ مـا سـالَـت عـلـيـه ... نـفـوسُ الـنـاسِ أو كـادت تـسـيـلُ
نـبـيٌّ كـان يَـجـلـو الـشـكَّ عـنَّـا ... بـمـا يُـوحَـى إلـيـه ومـا يـقـولُ
ويـهـديـنـا فـلا نَـخـشـى ضـلالاً ... عـلـيـنـا والـرسـولُ لـنـا دلـيـلُ
أُصـبْـنَـا بـالـنـبـيِّ وقـد رُزيـنـا ... مـصـيـبـتَـهُ فـمَـحـمَـلُـهـا ثـقـيـلُ

---

(١) الأبيات في «الطبقات» ٢/ ٢٧٨، و«نهاية الأرب» ١٨/ ٤٠٠.

(٢) الأبيات في «الروض الأنف» ٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠، و«البداية والنهاية» ٥/ ٢٨٢. وانظر «سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٠٥.

فلم نَرَ مثله في الناس حيّاً ... وليس له منَ الموتى عَديلُ
أفاطمُ إن جَزِعت فذاكَ عذرٌ ... وإن لم تجزَعي فهو السبيلُ
فعُوذي بالعزاءِ فإنَّ فيه ... ثواب الله والفضل الجزيلُ
وقُولي في أبيكِ ولا تملِّي ... وهل يُجزي بفعلِ أبيك قيلُ
فقبرُ أبيك سيِّد كلِّ قبرٍ ... وفيه سيِّد الناسِ الرسولُ

وقال ابن إسحاق: و]قال عمر بن الخطاب يبكي رسول الله ﷺ ولم يحزن عليه فيما بلغني حزنه، فقال هذه الأبيات: [من الكامل]

مازلتُ مُذْ وضع الفراشُ لجنبهِ ... وثوَى مريضاً خائفاً أتوقَّعُ
حذراً عليه أن يزولَ مكانُه ... عنَّا فَنبقى بعده نَتَفجَّعُ
نفسي فداؤكَ مَن لنا في أمرنا ... أَمن نُشاوره إذا نَتوجَّعُ
ليتَ السماءَ تفطَّرت أكنافُها ... وتَناثَرت منها نجومٌ نُزَّعُ
لما رأيتُ الناسَ هدَّ جميعهم ... صوتٌ ينادي بالنعي فيسمعُ
والناسُ حول نبيهم يدعونَه ... يبكونَ أعينُهم تسيلُ وتدمعُ
فسمعتُ صوتاً قبل ذلك هدَّني ... عباسُ ينعاه وصوت مفظعُ
وإذا تحل بنا الحوادثُ من لنا ... بالوحي من ربٍّ عظيم يسمعُ
فليبكهِ أهلُ المدينة كلهم ... والمسلمون بكلِّ أرضٍ يجزعوا[1]

وقال ابن إسحاق: قال حسان بن ثابت[2]: [من البسيط]

والله ما حملَت أُنثى ولا وضعَت ... مثلَ الرسولِ نبي الأمةِ الهادي
ولا مَشى فوقَ ظهر الأرضِ من أحدٍ ... أوفَى بذمةِ جارٍ أو بميعادِ
هو الذي كان نوراً يُستضاءُ بهِ ... مباركَ الأمرِ ذا حَزمٍ وإرشادِ
مصدقاً للنبيين الأُلى صَدقوا ... وأبذلَ الناس للمعروف في البادِ
اللطفُ والبرُّ كانا من خلائقه ... والجودُ بالمال والإطعامُ للزادِ
[فلتبكه الدهر عيني كلما ذرفت ... وما حدا بالمطايا خلفها حادي]

(١) ذكر منها البلاذري في أنساب الأشراف ٢/ ٢٠ أربعة أبيات، وانظر «سمط النجوم العوالي» ٢/ ٣١٨.
(٢) «السيرة» ٢/ ٦٧١، وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٧٩.

ما عشت حتى يكون الموت يأخذني … والموت في كل ما وجه بمرصادِ

وقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: [من الطويل]

ألا طرقَ الناعي بليلٍ فراعني … وأرَّقني لما استقلَّ مناديا
فقلتُ له لما رأيت الذي أتى … أغير رسول الله إن كنتَ ناعيا
فحقَّق ما أشفقتُ منه ولم يُبَلْ … وكان خليلي عدَّتي ورجائيا
فو الله ما أنساكَ أحمدُ ما مشَت … بي العيسُ في أرض وجاوَزت واديا
لتَبْك رسولَ الله خيلٌ مغيرة … تثيرُ غباراً كالضبابة كابيا[1]

[وقال الواقدي: وقد رثاه بنات عبد المطلب: أروى وعاتكة وصفية.

فأما أروى فقالت:

ألا يا رسول الله كنتَ رجاءنا … وكنتَ بنا بَرّاً ولم تكُ جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً … ليَبْكِ عليك اليوم من كان باكيا
كأن على قلبي لذكر محمدٍ … وما خفت من بعد النبي المكاويا
لَعَمرك ما أبكي النبيَّ لموته … ولكنْ لما أخشى من الهَرْجِ آتيا
أفاطِمُ صلى الله ربُّ محمدٍ … على جَدَثٍ أمسى بيثربَ ثاويا
فِدىً لرسول الله أمي وخالتي … وعمي وآبائي ونفسي وماليا
فلو أن ربَّ الناس أبقى محمداً … سَعِدنا ولكنْ أمرُه كان ماضيا
عليك من الله السَّلامُ تحيةً … وأُدخِلتَ جَنّاتٍ من العَدْنِ راضيا][2]

وقالت عاتكة[3] بنت عبد المطلب: [من الطويل]

أعينيَّ جودا بالدموعِ السَّواجمِ … على المصطَفى والنورِ من آل هاشمِ
أعينيَّ ماذا بعدَ ما قد فُجعتما … به تبكيان الدهرَ من ولد آدمِ
على المصطفى بالحقِّ والنور والهُدى … وبالرشدِ بعد المعضلاتِ العظائمِ

---

(١) جاءت هذه الأبيات في (ك) عقب مرثية أبي بكر ﷺ، وهي في أنساب الأشراف ٢/ ٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ، ونسبها البلاذري ٢/ ٢٢ إلى صفية بنت عبد المطلب.

(٣) في النسختين (أ،خ): عائشة، والمثبت من (ك)، و الأبيات في «الطبقات» ٢/ ٢٨٤ .

[على الطاهر الميمون ذي الحِلم والنهى وذي الجودِ والراعي لخير المراحم]
فجودا بدمعٍ واندُبا كلَّ شارق ربيع اليتامى في السنين الأرازمِ[١]

[وقالت صفية:

عينُ جودي بدمعةٍ وسُهودِ واندُبي خيرَ هالكٍ مفقودِ
واندُبي المصطفى بحُزْنٍ شديدِ خالَطَ القلبَ فهو كالمعمودِ
فلقد كان بالعباد رَؤوفاً ولهم رحمةً وخيرَ رشيدِ
فعليه السلام حيّاً ومَيْتاً وجزاه الجِنانَ يومَ الخُلودِ

ولهنّ فيه أشعار كثيرة ذكرها الواقدي وغيره][٢]

وقدم أعرابي المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ فوقف عند قبره ﷺ، وقال[٣]: [من البسيط]

يا خير مَن دُفنت في التُّرب أعظمُه فطابَ من نَشرهن القاعُ والأكمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُه فيه العفافُ وفيهِ الجودُ والكرمُ
لو كنتُ أبصرتُه حياً لقلتُ له لا تمشِ إلا على خدي لك القدمُ
هدى به الله قوماً قال قائلهم ببطن يثربَ لما ضمَّه الرحمُ
إن مات أحمدُ فالرحمنُ خالقُه حيٌّ ونعبده ما أورق السلمُ

فأخذ هذين أحمد بن عبيد العزيز القرشي الواعظ بالرافقة فضمنها أبياتاً منها:

أقول والدَّمع من عيني ينسجمُ لما رأيت جدارَ القبر يستلمُ
والناسُ يغشونهُ باكٍ ومنقطعُ من المهابة أو داع فملتزمُ
فما تمالكت أن ناديت من حرق في الصدرِ كادت لها الأحشاءُ تضطرمُ
[يا خيرَ من دفنت في القاعِ أعظُمه فطابَ من نشرهن القاعُ والأكمُ

(١) في «الطبقات»: البوازم.

(٢) ما بين معكوفين من (ك)، والأبيات في الطبقات ٢/ ٢٨٦.

(٣) ذكر النووي في «أذكاره» ص٣٣٥ ـ ٣٣٦ في فضل زيارة قبر رسول الله ﷺ وأذكارها عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي .... وذكر القصة وذكر البيتين الأولين، أما بقية الأبيات فلم نقف عليها. وانظر «الفتوحات الربانية» ٥/ ٣٩ .

روحي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ فيه العفافُ وفيهِ الجودُ والكرمُ]
وفيه شمسُ التقى والدين قد غربت من بعد ما أشرَقت من نورِه الظلمُ
حاشا لوجهكَ أن يبلى وقد هُديتْ بالشرقِ والغربِ من أنوارهِ الأمم
لئن رأيناه قبراً إن باطنَه لروضةٌ من رياضِ الخلدِ تبتسمُ
طافت به من نواحيه ملائكةٌ تغشاهُ في كلِّ ما يوم وتزدحمُ

[انتهت «مغازي» الواقدي عند ذكر أشعار بنات عبد المطلب ولم يبق من رواياته إلا ما رواه ابن سعد عنه.

وقد روى الحكاية محمد بن حرب قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بإزائه، وإذا بأعرابي قد جاء فوقف عند القبر وقال: يا خير الرسل إنّ الله تعالى أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وإني قد جئت مستغفراً ومستشفعاً بك ثم بكى وأنشد البيتين، ثم انصرف.

قال: فرقدت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: الحق الرجل فبشره بأن الله قد غفر له بشفاعتي، فاستيقظت وطلبت الرجل فلم أجده].



الباب التاسع[1] في حديث السقيفة

قال الزهري: لما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله بن حضير في بني عبد الأشهل من بين الأنصار [فأتى آتٍ إلى] أبي بكر وعمر فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عبادة قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل تفاقم أمرهم، ورسول الله ﷺ في بيته لم يفرغ من أمره بعد أن أُغلق دونه الباب.

فقال عمر لأبي بكر رضوان الله عليهم: انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار لننظر ما هم عليه.

وقال هشام بن محمد: بلغ العباس أن سعد بن عبادة قد جمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأنهم قد بايعوه بالخلافة، فدخل العباس و المهاجرون من ذلك وحشة، فخرج العباس على الناس وأبو بكر لا يشعر، فقال: أيها الناس بلغني أن [سعد بن عبادة بنيت له وسادة ودعا إلى نفسه وأجابه من أجابه نقضاً لعهد رسول الله ﷺ][2]، انهض يا أبا بكر إلى هؤلاء القوم يعني الأنصار. فقال له المهاجرون: إنه ليدلنا على صدقك يا أبا الفضل أنه لم يصل الظهر اليوم منهم أحد معنا، فنهض أبو بكر إلى الأنصار.

طرف من حديث السقيفة:

قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: وإنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن علياً والزبير ومن كان معهما تخلَّفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وتخلفت عنا الأنصار بأجمعها، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا رجلان صالحان منهم ممن قد شهد بدراً، فقالا: أين تريدون يا معاشر

---

(١) من هنا إلى قوله: فصل وللبخاري عن عمرو، بعد عدة صفحات؛ ليس في (ك).

(٢) في النسخ بياض قدر سطر، وما بين معقوفين زيادة من «المنتظم» ٤/ ٥٢ .

المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليك ألا تقربوهم، وأمضوا أمركم، وارجعوا، فقلت: لنأتينهم، فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة وإذا [بين ظهرانيهم رجلٌ مزمل، فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا:] توعك، فلما جلسنا قليلاً، قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة منكم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويحضنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زورت في نفسي مقالة أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وقد كنت أرى منه بعض الجد، وكان أعلم مني وأوقر، فلما أردت أن أتكلم قال: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فقام، فحمد الله، وأثنى عليه، فما ترك شيئاً كنت زورت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت إلا وقد جاء به أحسن منه، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا وقد قال في بديهته مثلها وأفضل منها حتى سكت، فقال:

أما بعد يا معشر الأنصار، فإنكم ما تذكرون منكم فضلاً إلا كنتم له أهلاً، وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا في هذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً، ولقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا [أيّهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره مما قاله غيرها، وكان][1] والله لأن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهمَّ إلا أن تسول لي نفسي شيئاً عند الموت لا أجده الآن، فلما قضى كلامه قال قائل من الأنصار: أنا جُذَيلها المحَكَّك، وعذيقها المرجَّب، منا أمير ومنكم أمير، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، وبايعه المهاجرون ثم الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعداً، فقلت: قتل الله سعداً، وقال عمر ـ رضوان الله عليه ـ: أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أوفق من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم يكن لهم بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا،

---

(١) في النسخ بياض قدر سطر في الموضعين، وما بين معقوفين زيادة من «السيرة» ٢/ ٦٥٩، و«مسند» أحمد (٣٩١).

فإما أن نبايعهم على مالا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساداً، فمن بايع أميراً عن غير مشورة من المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه تغرَّة[١] أن يقتلا.

والرجلان اللذان لقياهم: عويم بن ساعدة، ومعن بن معدي، والذي قال: أنا جُذيلها المحكَّك وعذيقها المرجَّب الحبابُ بن المنذر[٢].

وقال أنس بن مالك: لما توفي رسول الله ﷺ اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وقالوا: نولي هذا الأمر سعد بن عبادة، فأخرجوه، وهو مريض، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: يا معاشر الأنصار، إن لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إن محمداً - ﷺ - لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن، فما آمن له إلا قليل، والله ما كان من آمن له يستطيعون أن يمنعوه ولا أن يدفعوا عنه ولا عن أنفسهم ضيماً حتى أراد الله بكم الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، فرزقكم الإيمان بالله ورسوله، وأنتم أحق بهذا الأمر، وإن لم ترض قريش فمنهم أمير ومنا أمير، فقال سعد: هذا والله أول الوهن.

وبلغ أبا بكر وعمر الخبر فجاءا إلى السقيفة، وذكر بمعنى ما تقدم، قال: وخطب أبو بكر، فقال: نحن المهاجرون الأولون أول الناس إسلاماً، وأكرمهم إحساناً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأمسهم رحماً برسول الله - ﷺ - قدمنا الله عليكم فقال: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[التوبة: ١٠٠]وأنتم شركاؤنا في الفيء وأنصارنا على عدونا، فلاتنفسوا علينا ما منحنا الله به دونكم، ولا ننكر سابقتكم، ألا نحن الواسطة من القلادة وعِتْرَةُ رسول الله ﷺ وأصله، وذكر كلاماً طويلاً.

فقال الحُباب: دعوا هذا، منا أمير ومنكم أمير، فقال عمر: هيهات، لا يجتمع فحلان في شرك، ولا ترضى العرب أن تنافروا عليها وبينها حكم من غيركم، ونحن أولياؤه وعترته.

---

(١) أي: خوفاً.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» ٢/ ٦٥٧ - ٦٥٨، وأحمد في «مسنده» (٣٩١) وقوله: «جذيلها المرجب: الجذيل: تصغير جذل، وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتك به، أي: أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود، والعذيق: هو النخلة، والمرجب: يقال: رجَّبتُ النخلة إذا أسندتها إلى خشبة ذات شعبتين لكثرة حملها، أي: أنا الذي ينبغي الرجوع إلى قوله.

فقال الحُباب: يا معاشر الأنصار، لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم فأجلوهم من بلادكم وتَولَّوه، فأنتم أحق به منهم، لأن ناساً منكم(١) فأما والله لئن شئتم لنعيدنها جَذعة، فقال له عمر: إذاً يقتلك الله، فقال: بل إياك يقتل.

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير، فقال: يا معاشر الأنصار، لئن كنا أول من سبق إلى هذا الدين وجهاد المشركين فما قصدنا إلا رضى الله ورسوله، فلا ينبغي لنا أن نستطيل على الناس، ولا نطلب عرض الدنيا، وإن قريشاً أولى بهذا الأمر منا، فلا ننازعهم.

فقال له الحباب: أنفست على ابن عمك، يعني سعد بن عبادة، فقال: لا والله، ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم، ثم قام أسيد بن حضير، فقال هو وبشير: يا أبا بكر مد يدك، فبسطها، فبايعاه، وتبايع الناس، فانكسر على سعد أمره، وكادوا يطؤون سعداً، فقال ناس من أصحابه: اتقوا سعداً لا تطؤوه، فقال عمر: اقتلوا سعداً قتله الله، ثم قام عمر على رأس سعد، وقال: لقد هممت أن أطأك حتى يندر عضوك، فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر، وقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيكَ جارحة، فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر الرفق الرفق فهو ههنا أبلغ، فقال سعد: أما والله لو كان لي قوة على النهوض لسمعتم مني في أقطارها وسككها [زئيراً يُجحرك وأصحابك] حتى ألحقك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع، ثم عاد أبو بكر وعمر إلى مكانهما، وبعثا إلى سعد بن عبادة: بايع فقد بايع الناس، فقال للرسول: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي، وأخضب من دمائكم سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يداي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي، والله لو اجتمع لكم الجن والإنس لما بايعتكم، فلما عاد الرسول فأخبرهم بما قال، قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع، فقال بشير بن سعد: دعه فقد لج، وليس بمبايعكم حتى يقتل ويقتل معه قيس ولده وأهله ومن أطاعه من قومه، فاتركوه، فتركوه، فكان سعد لا يحضر معهم، ولا

(١) كذا في (أ، خ)؟! و في الطبري٣/ ٢٢٠ : فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان.

يصلي في المسجد، ولا يسلم على من لقيه منهم، فلم يزل مجانباً لهم حتى خرج إلى الشام بعد وفاة أبي بكر رضوان الله عليه[١].

وذكر الطبري أن سعداً بايع مكرهاً، وهو وهم[٢].

ولما بويع أبو بكر رضوان الله عليه في السقيفة قال رجل من قريش كنيته أبو عمرو[٣]: [من الكامل]

شكراً لمن هو بالثناءِ حقيقُ | ذهَب الحجاجُ وبويعَ الصديقُ
من بعد ما دحضَت بسعد نعلُه | ورجى رجاءً دونَه العيوقُ
حفَّت به الأنصارُ عاصب رأسهِ | فأتاهُم الصديقُ والفاروقُ
وأبو عبيدةَ والذين إليهمُ | نفسُ المؤمل للصلاح تتوقُ
بالحقِّ إذ طلبوا الخلافةَ زلَّة | لم يُخْطِ مثل خطائهم مخلوقُ
إن الخلافةَ في قريشٍ ما لكم | فيها وربِّ محمد ثُفروقُ

الثفروق: قمع البسرة.

وروى ابن سعد، عن ابن عباس أنه قال أرسل العباس إلى بني هاشم فجمعهم عنده، وكان علي عنده بمنزلة لم يكن أحد بها، فقال: يا ابن أخي إني قد رأيت رأياً لم أقطع به حتى أستشيرك فيه، قال: وما هو؟ قال: ندخل على رسول الله ـ ﷺ ـ فنسأله عن هذا الأمر، فإن كان فينا بعده لم نسلمه إلى أحد ما بقي فينا عين تطرف، وإن كان في غيرنا لم نطلبه أبداً، فقال له علي: يا عم، وهل هذا الأمر [إلا] إليك، وهل ينازعك فيه أحد؟ فقال له العباس: والله إني أظن أنه سيكون، فمد يدك حتى أبايعك، فهذا أمر لم يرد مثله، وسمع العباس التكبير في المسجد، فقيل: ما هذا؟ فقيل: بايع الناس أبا بكر، فقال العباس: هذا ما دعوتك إليه فأبيت عليَّ[٤].

وذكر ابن سعد: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي أبا عبيدة بن الجراح، فقال له:

---

(١) «تاريخ الطبري» ٣/٢١٨ ـ ٢٢٣ من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري.

(٢) «تاريخ الطبري» ٢/٢٢٣.

(٣) «تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق» ص١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤) «الطبقات» ٢/٢١٦ ـ ٢١٧.

ابسط يدك لأبايعك فأنت أمين لهذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ فقال أبو عبيدة: ما رأيت لك فهَّة قبلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق(١)؟

وقال الزهري: سألت سعيد بن المسيب، فقلت له: أشهدت وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: فمتى بويع أبو بكر؟ فقال: في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم بغير إمام وليسوا في جماعة.

وذكر في كتاب «بيت العلوم» أنه قيل للعباس: بايع، فقال: لا أبايع إلا ابن أخي علياً.

وقال سلمان الفارسي: كردي بكردي، أي فعلتموها، فوجئ عنقه.

وقال المغيرة بن شعبة لعلي رضي الله عنه: اصعد المنبر لنبايعك، فإنك إن لم تصعد صعده غيرك، فقال علي: والله إني لأستحيي من رسول الله ﷺ أن أصعد منبره ولم أدفنه احتراماً له(٢).

وقال الشريف في «نهج البلاغة»: لما قضى رسول الله ﷺ وقال أبو سفيان بن حرب والعباس لعلي: هلم لنبايعك بالخلافة، فقال أمير المؤمنين: أيها الناس، شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا من تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح، ماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه، فإن أَقُلْ شيئاً يقولوا: حَرِصَ على الملك، وإن أسكت يقولوا: جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنَسُ بالموت من الطفل بثدي أمه، ولقد اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة(٣).

قال المصنف رحمه الله: وقوله: إن أبا سفيان قال لعلي رضي الله عنه: أبايعك بالخلافة، فيه نظر، لأنهم اختلفوا في حضوره، فذكروا أن أبا سفيان قال لعلي: ما بال هذا الأمر

(١) «الطبقات» ٣/ ١٦٦.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (٣١٠).

(٣) انظر نثر الدر ١/ ٢٧٧، ومنه أصلحت النص فهو في النسختين (أ، خ) غير واضح.

في أقل حي من قريش، والله إن شئت لأملأنَّها عليهم خيلاً ورجلاً، فقال له علي رضي الله عنه: طال ما عاديت الإسلام وأهله فلم يضره ذلك شيئاً، ولقد رُمْتَ هذا في حياة رسول الله ﷺ فلم يتم لك ذلك، وأتم الله نوره[1].

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: توفي رسول الله ﷺ وأبو سفيان عامله على نجران ولم يكن بالمدينة[2].

وقال صاحب «العقد»: توفي رسول الله ﷺ وأبو سفيان في مسعاة، أخرجه فيها رسول الله ﷺ، فلما انصرف لقي رجلاً في طريقه مقبلاً من المدينة، فقال له: ما الخبر، أمات محمد؟ قال: نعم، قال: فمن قام بعده بالأمر؟ قال: أبو بكر، قال: فما فعل المستضعفان علي والعباس؟ قال: جالسان في بيت فاطمة، فقال: أما والله إن بقيت لهما لأرفعن من أعقابهما، ثم قال: إني لأرى غيرة لايُطفئها إلا دم، فلما قدم المدينة جعل يطوف أسواقها وأزقتها، ويقول: [من الطويل]

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولاسيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم وإليكم ... وليس لها إلا أبو حسن علي

وبلغ عمر قوله فقال لأبي بكر: إن هذا قد قدم وهو فاعل شراً، وقد كان رسول الله ﷺ يستألفه[3] على الإسلام، فدع له ما بيده من الصدقة، ففعل، فرضي أبو سفيان، وبايعه.

وذكر صاحب «العقد» أن علياً والعباس والزبير قعدوا في بيت فاطمة عليها السلام، فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال: إن أبوا قاتلهم، فأقبل عمر وفي يده قبس من نار ليضرم عليهم البيت، فخرجت إليه فاطمة، وقالت:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٩ ، وأخرج عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٦٧)، والحاكم في «مستدركه» ٣/ ٨٣ عن أبي الشعثاء الكندي، عن مرة الطيب قال: جاء أبو سفيان بن حرب إلى علي بن أبي طالب فقال: ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة، وأذلها ذلة ـ يعني أبا بكر ـ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً، فقال علي: لطال ما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان فلم يضره شيئاً، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

(٢) «تاريخ دمشق» ٢٣/ ٤٦٠ .

(٣) في (أ) و(خ): يبايعه، والمثبت من العقد ٤/ ٢٥٧ .

ويحك يا ابن الخطاب جئت لتحرق بيتي؟ قال: نعم، أريد أن تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة، فخرج علي حتى دخل على أبي بكر فبايعه، فقال له أبو بكر: أكرهت إمارتي؟ قال: لا، ولكن آليت أن لا أرتدي بعد موت رسول الله ﷺ حتى أجمع القرآن، فعليه حبست نفسي[(١)].

والصحيح: أن علياً رضوان الله عليه إنما بايع بعد مدة لما نذكر، والله أعلم.

وقال أنس: جلس عمر على منبر رسول الله ﷺ وذلك من الغد في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت، ثم قال: أما بعد فإني قلت لكم أمس مقالة، وإنها لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت تلك المقالة في كتاب أنزله الله ولا في عهد عهده إلي رسول الله ﷺ، ولكن كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرَنا، فإن يك قد مات فإن الله قد جعل لكم نوراً تهتدون به هَدي محمد ﷺ فاعتصموا به تهتدوا، وإنما هدى الله به بما هدى الله به رسوله، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين، وإنه أولى الناس بأموركم، فقوموا، فبايعوه، قال: وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة عند المنبر، قال أنس: فرأيت عمر يزعج أبا بكر إلى البيعة إزعاجاً[(٢)].

ولم يبايع علي أبا بكر رضي الله عنهما إلا بعد ستة أشهر.

وقال المسعودي: لما جددت البيعة لأبي بكر يوم الثلاثاء على العامة خرج علي بن أبي طالب فقال: أيفتأت علينا في أمرنا ولم نستشر فيه؟ فقال أبو بكر: بلى، خشينا الفتنة، قال: ولم يبايع أبا بكر أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة عليها السلام[(٣)].

وذكر الطبري: أن علياً رضوان الله عليه كان في بيته، فقيل له: قد بايع الناس أبا بكر، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عجلاً كراهية أن يبطئ عنها، فبايع أبا بكر، وجلس إليه، وبعث إلى بيته فأتي بثوبه، فتجلله[(٤)]. وهو وهم من الطبري.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر ابن إسحاق قصة البيعة مطولاً، فاختصرته، قال: لما توفي رسول الله ﷺ قال الحباب بن المنذر: يامعاشر الأنصار، أمِّروا عليكم

---

(١) «العقد» ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٢) أخرجه البخاري (٧٢١٩) .

(٣) «مروج الذهب» ٤/ ١٨٣ .

(٤) «تاريخ الطبري» ٣/ ٢٠٧ .

رجلاً منكم، فكره معن بن عدي وعويم بن ساعدة ما قال، ومضيا إلى أبي بكر، وأخبراه الخبر، وقالا: هم في سقيفة بني ساعدة، وذكر مجيء أبي بكر وعمر إليهما، فلما سمع المغيرة بن شعبة قول عويم و معن، قال لأبي بكر وعمر: أيها الشيخان إن الناس إنما ينظرون إليكما وليس يرون لهذا الأمر أحداً غيركما، فليضرب أحدكما على يد صاحبه قبل أن يحدث ما يتفاقم له الأمر، فأخذ عمر بيد أبي بكر ليبايعه، فكره ذلك أبو بكر، ونظر إلى الناس، وأراد البيعة بمحضر من المهاجرين والأنصار، وقال لعمر: قم بنا إلى إخواننا الأنصار، فإنه كان من آخر عهد رسول الله ﷺ أن أوصانا بهم، فقام أبو بكر وعمر، وتبعهما المهاجرون، قال عمر: فانتهينا إليهم وهم في سقيفة بني ساعدة قد عصبوا سعداً وهو يوعك، فذهبت لأتكلم، فقال أبو بكر: اسكت يا عمر حتى أتكلم، ثم قل ما أحببتَ، ثم خطب أبو بكر في السقيفة، فقال: الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونشهد به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سراج الظلمة، ونبي الرحمة، بعثه الله بالحق نوراً وهدىً للعالمين، وذكر خطبة طويلة، وقال: وإن هذا الأمر في قريش ماأطاعوا الله واستقاموا على أمره، وقد سمعتم ذلك من رسول الله ﷺ، وإنه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران لئلا يقع الاختلاف، وتتفرق الجماعات، وتترك السنة وتظهر البدعة، وأنا أدعوكم إلى أبي عبيدة بن الجراح أو عمر بن الخطاب، وذكر بمعنى ما تقدم، فقال عمر: ما ينبغي لأحد من المسلمين أن يكون فوقك، أنت صاحب رسول الله ﷺ في المواطن كلها، واختياره لك في الصلاة دليل على أنك أحق بهذا الأمر، فقام خطيب الأنصار ثابت بن قيس بن شماس فقال: نعم أنتم أول من آمن به وصدقه، وأنتم أقرباؤه وقومه، وأفضل الناس حَسَباً ونسباً، لا يحسدكم والله على ما آتاكم الله، ولا خلق الله أحداً أحب إلينا وأكرم منكم، فلو جعلتم رجلاً منا ورجلاً منكم كان أشفق للقرشي إذا زاغ مخافة أن ينقض عليه الأنصاري، [وكان أشفق للأنصاري] إذا زاغ مخافة أن ينقض عليه القرشي، وقد كانت منا فيكم دماء، ولا نأمن الوالي منكم أن يميل على السيد منا فيقتله أو يصرفه.

فقام عمر، فخطب، وذكر خطبة طويلة، وفيها: وأن العرب لا ترضى بهذا، ولا تقرُّ به إلا لقريش، وأنا أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول: «الأمراء من قريش»

قالوا: بلى الآن ذكرنا، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ثم أخذ بيد أبي بكر، فبايعه، وبايع الناس، واجتمع أمر المسلمين، و صاروا يداً واحدة، ولم يغب عن تلك البيعة أحد ممن يُؤْبَه له إلا علي بن أبي طالب، والزبير، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، فرجع الناس على ذلك يومهم، حتى إذا كان من الغد خرج أبو بكر، وذلك يوم الجمعة، فقال: اجمعوا لي المهاجرين والأنصار، فاجتمعوا، ثم أرسل إلى علي بن أبي طالب فأتاه والنفر الذين كانوا تخلفوا معه، فقال: ماخلفك يا علي عن أمر الناس؟ فقال: خلفني عظم المصيبة، ورأيتكم استغنيتم برأيكم، فاعتذر إليه أبو بكر لخوف الفتنة وتفاقم الحدثان، وإن كنت والله لها كارهاً وما شَهِدَها أحد أحب إلي أن يشهدها [منك]، ثم أشرف على الناس، وقال: أيها الناس، هذا علي بن أبي طالب، فلا بيعة لي في عنقه، وهو بالخيار من أمره، ألا وأنتم بالخيار جميعاً في بيعتكم، فإن رأيتم لها غيري فأنا أول من أبايعه، فلما سمع ذلك علي تحلل عنه ما كان قد دخله، فقال: أجل لا نرى لها غيرك، مد يدك، فبايعه هو والنفر الذين كانوا معه[١].

وهذا دليل على أن علياً بايع أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، ودل عليه أيضاً ماذكره ابن سعد فإنه قال:

حدثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن الحسن قال: قال علي بن أبي طالب: لما قُبِض رسول الله ـ ﷺ ـ نظرنا في أمرنا، فوجدنا رسول الله ـ ﷺ ـ قد قدَّم أبا بكر في الصلاة، فرضينا بأمر رضيه رسول الله ـ ﷺ ـ لديننا، فبايعنا أبا بكر[٢].

ولما بلغ أبا قحافة بمكة وفاة رسول الله ﷺ قال أبو قحافة: من ولي بعده؟ قالوا: ابنك، قال: أرضيت بذلك بنو عبد شمس وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم، قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع[٣].

وقيل: إن بيعة علي ـ رضوان الله عليه ـ أبا بكر رضوان الله عليه تأخرت إلى وفاة فاطمة عليها السلام.

(١) الاعتقاد والهداية للبيهقي ٣٥١.

(٢) «الطبقات» ٣/ ١٦٧.

(٣) «الطبقات» ٣/ ١٦٨.

الباب العاشر

في طلب آل رسول الله ﷺ الميراث

قالت عائشة رضوان الله عليها: جاء العباس وفاطمة أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله ﷺ: أرضه من فدك، وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لانُورَثُ، ما تَرَكنا صَدَقةٌ». إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يفعله، أو يصنعه إلا صنعته، إني أخشى إن تركت أمره أو شيئاً من أمره أن أزيغ. أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

طريق آخر عن عائشة: أن فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورثُ ما تَركنا صَدَقةٌ» فغضبت فاطمة، وهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي رضوان الله عليه ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها، قال: وكان لعلي حياةَ فاطمة من الناس وجهٌ، فلما توفيت استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحةَ أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايعه تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر: [أن ائتنا] ولا يأتنا معك أحد، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر، فقال عمر: والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وماعسى أن يصنعوا بي، والله لآتينهم، فانطلقوا، وانطلق أبو بكر، فدخل عليهم، فتشهد علي، وقال: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنكم استبددتم بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ أن لنا في هذا الأمر نصيباً، فلم يزل علي يذكر حتى بكى أبو بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شَجَر بيني وبينكم في هذه الأموال فإني لم آل منها عن الخبر، فقال علي: موعدك للبيعة العشية، فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر به، وتشهد علي فعظم حق أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقته،

---

(١) البخاري (٤٠٣٤)، ومسلم (١٧٥٩) (٥٣).

وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ثم قام إلى أبي بكر فبايعه، فأقبل الناس على علي، وقالوا: أصبت وأحسنت، وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر بالمعروف(١).

وقال رجل للزهري: لم يبايع علي أبا بكر ستة أشهر؟ فقال: لا والله ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي.

وقال مالك بن أوس بن الحدثان: أرسل إلي عمر، فجئته حين تعالى النهار، فوجدته جالساً في بيته على سرير مفضياً إلى رُمالة، متكئاً على وسادة من أدم، فقال لي: مالكُ، إنه قد دفَّ أهل أبيات من قومك، وقد أمرت لهم برَضْخٍ، فخذه فاقسمه بينهم، فقلت: لو أمرت بهذا غيري، قال: خذه يا مالك، فدخل يرفأ، فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد؟ قال عمر: نعم، فأذن لهم، فدخلوا ثم جاء فقال: هل لك في علي وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهما، فدخلا، فلما استقر بهما المجلس قال العباس: يا أمير المؤمنين، [اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن، فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين] اقض بينهما وارحمهما، قال مالك بن أوس: فخيل إلي أنهما قد كانا قَدَّموهم لذلك، فقال عمر: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورثُ ما تَركنا صَدَقةٌ»؟ قالوا: نعم، ثم أقبل على العباس وعلي، فقال لهما مثل ذلك، قالا: نعم، فقال عمر: إن الله تعالى كان خص رسوله بما لم يخص به غيره، فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الحشر: ٧] وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]. قال: فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير، فوالله ما استأثر عليكم، ولا أخذها دونكم، فكان رسول الله ﷺ يأخذ نفقته ونفقة عياله منه، ثم يجعلُ ما بقي أُسْوَةَ مال الله، ثم نشدهم ونشد علي والعباس فقالوا: نعم، فلما ولي أبو بكر قال: أنا ولي رسول الله ﷺ فجئتما تطلبان أنت ميراثَك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال لكما أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: «لا نورث»، ثم توفي أبو بكر، وأنا ولي أبو بكر وولي رسول الله ﷺ فوليتهما حتى جئتني وهذا، وأنتما جميع، وأمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا، فقلت: إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملا فيها بالذي كان يعمل رسول الله ﷺ فأخذتماها

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٩) (٥٢).

بذلك، كذلك هو؟ قالا: نعم، ثم قال: جئتماني لأقضي بينكما، والله لا أقضي بينكما أبداً بغير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فردَّاها إلي[١].

قال البرقاني: فكانت بيد علي، ثم كانت بيد زيد بن الحسن، ثم بيد عبد الله بن الحسن، قال: نعم، ثم وليها بنو العباس[٢].

فصل: وللبخاري عن عمرو بن الحارث الخزاعي قال: ما ترك رسول الله ﷺ درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة[٣].

وسنذكر ما ترك بعد هذا.

قلت: ولا خلاف أن فاطمة طلبت ميراثها من أبي بكر رويناه في «الصحيحين» وأنها هجرته حتى ماتت.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي صالح، عن أم هانئ: أن فاطمة عليها السلام قالت لأبي بكر رضوان الله عليه: يا أبا بكر، من يرثك إذا مت؟ قال: ولدي وأهلي، قالت: فما بالك ورثت أبي دوننا؟ فقال: يا بنت رسول الله ما ورّث أبوك مالاً ولا ذهباً، ولا فضة، ولا أرضاً، ولا غلاماً، قالت: فسهم الله الذي جعله لنا وصافيتنا التي بيدك؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّما هي طُعمَةٌ أطعَمَنيها اللهُ، فإذا متُّ عادت إلى المسلمين»، فهجرت فاطمة أبا بكر فلم تكلمه حتى ماتت[٤].

وقال هشام بن محمد: لما مُنعت فاطمة ميراثها دخلت على أبي بكر وقد لاثت خمارها على رأسها، ثم حمدت الله وأثنت عليه، ووصفت رسول الله ﷺ بأوصاف، فكان مما قالت: كان كلما فغرت فاغرة من المشركين، أو نجم قرن من الشيطان وطئ روقه بأخمصه، وأخمد لهبه بسيفه، وكسر قرنه بعزيمته، حتى إذا اختار له الله دار أنبيائه، ومقر أصفيائه؛ أطلعت الدنيا رأسها إليكم فوجدتكم لها مستحبين، ولغرورها ملاحظين، هذا والعهد قريب، والأمد غير بعيد، والجراح لم تندمل، فأنى تكونون كذا وكتاب الله بين أظهركم، ثم قالت: يا أبا بكر، أترثُ أباك ولا أرث أبيَهْ، دونكها

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧) (٤٩)، وما بين معكوفين منه .
(٢) انظر «أخبار المدينة» لابن شبة (٥٧٢) .
(٣) صحيح البخاري (٢٧٣٩)، وما بين معقوفين من (ك) .
(٤) «الطبقات» ٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

مرحولة مزمومة، فنعم الحاكم الله، والموعد القيامة ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧] ثم جاءت إلى قبر رسول الله ﷺ فبكت عنده طويلاً، ثم قالت هذه الأبيات: [من البسيط]

قد كان بعدَك أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ لو كنتَ شاهدَها لم تعظم النُّوبُ
إنا فقدْنَاك فقد الأرض وابِلَها واغتيلَ أهلُكَ لما اغتالَكَ التُّرَبُ
وقد رُزِئنا بما لم يُرزه أحدٌ من البريَّة لا عجمٌ ولا عربُ(١)

قال [ابن إسحاق: حدثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة عن عائشة قالت:] أرسلت فاطمة إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورثُ ما تَركنا صَدَقةٌ» فإن اتهمتِني فسلي المسلمين يخبرونك ذلك.

قال: وقد كان أزواج النبي ﷺ بعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله ﷺ فكنت أنا الذي رددتهن عن ذلك، أرسلت إليهن وقلت لهن: أما سمعتن رسول الله ﷺ يقول: «لا نُورثُ ما تَركنا صَدَقةٌ» فنزعن عن ذلك(٢).

[قال ابن إسحاق: ثم أقامت فاطمة على ذلك تطلب حقها من أبي بكر حتى قبضت بعد ستة أشهر.

وقال ابن إسحاق: فحدثني القاسم بن حكيم قال: سمعت] علي بن الحسين يقول: جاءت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وهو على المنبر، فقالت: يا أبا بكر أفي كتاب الله أن ترثك ابنتك ولا أرث أبي؟ فاستعبر أبو بكر باكياً، ثم قال: بآبائي أبوك وبآبائي أنت، ثم نزل، فكتب لها بفدك، ودخل عليه عمر، فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبته لفاطمة ميراثها من أبيها، قال: فماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى؟ ثم أخذ عمر الكتاب، فشقه.



(١) انظر التذكرة الحمدونية (٦٢٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٧١٧) (٣٧١٨)، وأخرجه البخاري (٣٠٩٢)، ومسلم (١٧٥٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عن صالح، به. قوله: عن الزهري؛ ليس في النسخ، استدركناه من المصادر.

الباب الحادي عشر

في قضاء دينه ﷺ

[قال ابن سعد بإسناده، عن زيد بن أسلم وعمر بن عبد الله مولى غفرة قالا:] لما قبض رسول الله ﷺ جاء أبا بكر مال من البحرين، فقال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليأتني، فجاءه جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال: إن رسول الله ﷺ وعدني إذا جاءه مال من البحرين أن يعطيني كذا وكذا، وأشار بكفيه، فقال أبو بكر: خذ، فأخذ فعده فإذا هو خمس مئة دينار أو درهم، ثم فرق الباقي على من كان وَعَدهم رسول الله ﷺ (١).

[وقال ابن سعد بإسناده] عن جابر بن عبد الله قال: قضى علي بن أبي طالب كل دين كان على رسول الله ـ ﷺ ـ ووفى بعداته، وكان مناديه ينادي في الموسم كل عام يوم النحر بمنىً: ألا من كانت له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتني حتى أوفيه، ثم كان الحسن يفعل ذلك، ثم الحسين، قال جابر: فما كان يأتي أحد بحق أو بباطل إلا أعطوه، ثم انقطع ذلك بعد الحسين (٢).

وقد ثبت في «الصحيح»: أن رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير (٣).



---

(١) «الطبقات» ٢/ ٢٧٦ ، وأخرجه البخاري (٢٢٩٦)، ومسلم (٢٣١٤) من حديث جابر بن عبد الله .

(٢) «الطبقات» ٢/ ٢٧٧ .

(٣) البخاري (٢٠٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

الباب الثاني عشر

في ذكر أزواجه ﷺ و رضي الله عنهن

وهن أربعة أقسام:

[قسم دخل بهن، وقسم عقد عليهن، وقسم خطبهن ولم يحملن إليه، والقسم الرابع من عرضن عليه فأباهن].

القسم الأول: فيمن دخل بهن، فأولهن:

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ـ وقد ذكرناها ـ سنة عشر من النبوة، ثم سَودة بنت زَمْعَة رضي الله عنها وقد ذكرنا طرفاً من أخبارها، وسنذكرها في سنة أربع وخمسين، ثم عائشة رضي الله عنها، ثم حفصة بنت عمر رضي الله عنها [وسنذكرها في سنة خمس وأربعين]، ثم زينب بنت خزيمة رضي الله عنها [وقد ذكرناها في السنة الرابعة من الهجرة]، ثم زينب بنت جحش رضي الله عنها [وسنذكرها في سنة عشرين]، ثم أم حبيبة رضي الله عنها [وسنذكرها في سنة أربع وأربعين]، ثم أم سلمة رضي الله عنها [وسنذكرها في سنة اثنتين وستين]، ثم جُويرية رضي الله عنها [وسنذكرها في سنة خمسين]، ثم صفية رضي الله عنها [وسنذكرها في سنة خمسين]، ثم ميمونة رضي الله عنها [وسنذكرها في سنة إحدى وستين].

فهؤلاء أحد عشر امرأة [أولهن خديجة وآخرهن ميمونة]، توفي منهن في حال حياته ﷺ اثنتان: خديجة وزينب بنت خزيمة، وتوفي عن تسع، منهن خمس قرشيات: عائشة من بني تيم، وحفصة من بني عدي، وأم حبيبة من بني عبد شمس، وسودة من بني عامر، وأم سلمة من بني مخزوم.

وثلاث من سائر القبائل: ميمونة هلالية، وزينب بنت جحش أسدية، وجويرية مُصطلقية، وصفية من بني هارون عليه السلام [لا قرشية ولا عربية، بل] إسرائيلية.

[وذكر جدي في «التلقيح»: ريحانة، وأنه تزوجها[١]، وفيها خلاف نذكره في سراريه].

القسم الثاني: من عقد عليهن، وهن خمس عشرة:

الكلابية، وقد ذكرناها في سنة ثمان من الهجرة، **والجَوْنية** [واختلفوا فيها: فقال البلاذري، عن الكلبي] اسمها أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن آكل المُرار[٢]، وقال [البخاري]: أميمة بنت شراحيل، وقال ابن قتيبة: أميمة بنت النعمان ابنة الجَوْن، ويقال: ابنة النعمان بن أبي الجون الكندية[٣]، وقالت عائشة: هذه هي التي استعاذت منه، [قال هشام فيما رواه عنه البلاذري]: كانت من أجمل النساء، وأمهرها رسول الله ﷺ اثنتي عشرة أوقية ونشاً، فقالت لها بعض نسائه: أنت بنت ملك، وإن استعذت منه حظيت عنده، فلما دخلت عليه ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عُذْتِ بمَعَاذٍ» وصرف وجهه عنها، وقال: «ارجعي إلى أهلك» فقيل: يا رسول الله خدعت وهي حدثة [أو حديثة]، فلم يراجعها، فتزوجها المهاجر ابن أمية المخزومي، ثم قيس بن هبيرة المرادي، فأراد عمر أن يعاقبها، فقيل له: إن رسول الله ﷺ لم يدخل بها، ولم يقسم لها، ولم يضرب عليها الحجاب، فأمسك[٤].

وقد أخرج حديثها أبو أسيد الساعدي:

قال أحمد بإسناده، عن حمزة بن أبي أسيد، عن أبيه وعباس بن سهل عن أبيه قال: مر بنا رسول الله ﷺ وأصحاب له، فخرجنا حتى انطلقنا إلى حائط يقال له: الشوط، حتى انتهينا إلى حائطين، فجلسنا بينهما، فقال رسول الله ﷺ: «اجلسوا» فدخل هو والجَوْنية وقد أتي بها فعزلت في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعها داية لها، فلما دخل عليها رسول الله ﷺ قال لها: «هبي لي نفسكِ» فقالت: وهل تهب الملكة

(١) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٢٥ .

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٦ .

(٣) «المعارف» ص١٤٠ .

(٤) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٦ .

نفسها للسوقة، ثم قالت: إني أعوذ بالله منك، فقال لها: «عُذتِ بمعاذٍ» ثم خرج علينا فقال: «يا أبا أُسيد، اكسُها رَازقية وألحقها بأهلِها». انفرد بإخراجه البخاري[١].

و «السوقة» عند العرب: من ليس بملك، والعامة تخص بهذا الاسم من لازم السوق، والعرب لا تعرف هذا، لأن الملك يسوقهم فينقادون إليه.

وقال الجوهري: «الرازقية»: ثياب كتان[٢].

وفي روايةٍ عن أبي أسيد قال: بعثني رسول الله ﷺ فأتيته بالجوْنية، فأنزلها في أطم بني ساعدة، فلما جاءها رسول الله ﷺ أقعى، ثم أهوى إليها ليقبلها فقالت: أعوذ بالله، فانحرف عنها ووثب، فخرج وأمرني بردها إلى قومها، فلماطلعت عليهم قالوا: إنك لغير مباركة، جعلتينا في العرب شهرة، فأقامت في بيتها لايطمع فيها طامع ولا يراها إلا ذو رحم محرم حتى توفيت أيام عثمان بن عفان عند أهلها[٣].

وكان يقال: إنه تزوجها في ربيع الأول سنة تسع من الهجرة، وأنها هي التي أمرتها عائشة أن تستعيذ منه.

وقال سهل بن سعد: وذكر لرسول الله ﷺ امرأة من العرب فأمر أبا أسيد الساعدي أن يرسل إليها، فأرسل إليها، فقدمت، فنزلت في أطم بني ساعدة، فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءها، فدخل عليها، فإذا امرأة منكسة رأسها، فلما كلمها رسول الله ﷺ قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «قد أعَذتُكِ منِّي»، فقالوا لها: أتدرين من هذا؟ قالت: لا، قالوا: رسول الله ﷺ جاء ليخطبك، قالت: أنا كنت أشقى من ذلك، فأقبل النبي ﷺ يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، وقال: «يا سَهلُ اسْقنا» فأخرجت لهم هذا القدح، فسقيتهم به. قال أبو حازم: وأخرج لنا سهل ذلك القدح، فشربنا منه، ثم استوهبه منه عمر بن عبد العزيز، فوهبه له سهل[٤].

وقال قتادة: كانت تبكي، وتقول: أنا الشقية.

---

(١) أحمد في «مسنده» (١٦٠٦١)، والبخاري (٥٢٥٧).

(٢) «الصحاح»: (رزق).

(٣) أخرجها ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ١٤١.

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٣٧)، ومسلم (٢٠٠٧).

قُتيلة بنت قيس [أخت الأشعث بن قيس الكندي]، وقيل: اسمها عمرة[ذكرها هشام والبلاذري[١] وجدي في «التلقيح» فقال:] ولما ردَّ رسول الله ـ ﷺ ـ الجونية قال له الأشعث بن قيس: ألا أزوجك أختي قتيلة؟ قال: «بلى» فانصرف إلى حضرموت، فجهزها، فبينا هي في الطريق توفي رسول الله ﷺ فبعث الأشعث فردها من الطريق، ولما ارتد أخوها ارتدت معه، فلما أسلم أسلمت معه، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل، فوجد أبو بكر رضوان الله عليه من ذلك وجداً شديداً، فقال له عمر رضوان الله عليه: إنها ليست من أزواجه، ما رآها، ولا دخل بها، ولا حجبها، ولقد برأه الله منها بالردة، وكان عروة بن الزبير ينكر أن يكون رسول الله ﷺ تزوجها[٢].

سبا[٣] [ويقال: سنا ـ بنون ـ] بنت أسماء، ماتت قبل أن يدخل بها، وقيل: هي الكلابية التي تقدّم ذكرها.

أم شَريك[٤] [واسمها غُزَيَّة، وقيل: هي غُزيلة.

وقد نسبها البلاذري: غزية بنت داود بن عوف من ولد عامر بن لؤي، قال:] وهي التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ وكانت قبله عند أبي العَكَر، واسمه سَلْم بن سُمَيٍّ بن الحارث الأزدي، وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها ولم يردَّها[٥].

[وقال الطبري: تزوجها الرسول ﷺ بعد زوجٍ كان لها قبله، وكان لها من الزوج ابن يقال له: شريك، فكنيت به]، فلما دخل بها رسول الله ﷺ وجدها مسنَّةً فطلقها[٦].

وقال عكرمة: التي وهبت نفسها خولة بنت حكيم فلم يقبلها فأرجأ أمرها، فتزوجها عثمان بن مظعون.

[وقال جدي في «التلقيح»: كانت أم شريك قبل رسول الله ﷺ عند أبي بكر بن أبي

---

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٦ .

(٢) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٢٦ .

(٣) انظر «الطبقات» ١٠/ ١٤٤، والإصابة «٤/ ٣٢٤، و٣٣٥ .

(٤) «الطبقات» ١٠/ ١٤٨، و«الإصابة» ٤/ ٣٧٢ .

(٥) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٠٨ .

(٦) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٦٨ .

سلمة، فطلقها رسول الله ﷺ ولم يدخل بها، قال: وقيل: إن التي وهبت له نفسها خولة بنت حكيم][١].

وكانت أم شريك من الصالحات المهاجرات، ذكرها أبو نعيم الأصفهاني قال: ودخل بها رسول الله ﷺ.

قال أبو نعيم بإسناده، عن ابن عباس قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة، فأسلمت، وكانت تحت أبي العَكَر الدَّوسي، فجعلت تدخل على نساء قريش سرّاً، فتدعوهنَّ إلى الإسلام، وترغبهنَّ فيه حتى ظهرَ أمرُها، فأخذها أهل مكة، وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وصنعنا، ولكن سنردك إليهم، فحملوها على بعير ليس تحتها شيء، قالت: وتركوني ثلاثاً لم يُطعموني شيئاً، ولم يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أَوثَقُوني في الشمس واستظلُّوا هم، فبينا هم قد نَزَلوا منزلاً وأنا موثَقَة في الشمس إذا ببَرْدِ شيءٍ على صدري، فتناولته، وشربت حتى رَوَيت، ثم صببته على جَسَدي، فلما استيقَظُوا إذا هم بأَثَر الماءِ على جَسَدي وثيابي، ورأوني حسنة الهيئة، قالوا: تحيَّلت فأخذت سِقاءنا فشربتِ منه؟ فقلت: لاوالله، ولكنه كان من أمري كذا وكذا، فقالوا: لئن كنتِ صادقةً لدينُكِ خيرٌ من ديننا، ثم نظروا إلى أسقيتهم وإذا بها على حالها كما تركوها، فأَسْلَموا عند ذلك، ثم أقبَلَت إلى المدينةِ، فوَهَبت نفسها لرسول الله ﷺ من غير مهر، فدخل بها من غيرِ مَهرٍ[٢].

قال المصنف رحمه الله[٣]: وعامة العلماءِ على أنه لم يدخل بها.

روت أم شريك الحديث عن رسول الله ﷺ، وأخرج عنها في «الصحيح»[٤].

خَولة بنت الهُذيل بن هُبيرة بن قُبيصة، تزوجها رسول الله ﷺ فماتت قبل أن تصل إليه[٥].

---

(١) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٢٦.

(٢) انظر «المنتظم» ٥/ ٢٣٧.

(٣) في (ك): قلت.

(٤) لها حديثان فيهما، أحدهما: أن رسول الله ﷺ أمرها بقتل الأوزاغ. أخرجه البخاري (٣٣٠٧)، ومسلم (٢٢٣٧). والآخر أخرجه مسلم (٢٩٤٥) أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليفرن الناس من الدجال في الجبال»، قالت أم شريك: يا رسول الله، فأين العرب يومئذٍ؟ قال: «هم قليلٌ».

(٥) «الطبقات» ١٠/ ١٥٤، و«الإصابة» ٤/ ٢٩٣.

شَرَافُ بنت خليفة كلبيةٌ، تزوجها فماتت قبل أن تصل إليه[١].

ليلى بنتُ الخَطِيم بن عدي بن عمر الخزرجي، [تزوجها وكانت غيوراً فاستقالته، فأقالها.

وقال هشام ابن الكلبي]: دخلَت على رسول الله ﷺ وهو مولي ظهره الشمس، فضربت على منكبه، فقال: «من هذه؟» فقالت: أنا ابنةُ مُباري الريح، أنا ليلى بنت الخَطِيم، جئت أعرضُ عليك نفسي فتزوّجني، فقال: «قَد فعلْتُ»، فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجني رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: بئس ما صنعت، أنت امرأة غَيرَى، ورسول الله ﷺ صاحب نسوة، استقيليه، فرجعت، فاستقالته، فأقالها[٢].

وقال البلاذري: فحطَأَت على منكبه، فقال: «مَن هذا أَكَله أَسْودٌ، أو الأُسُود؟» فلما رجعت إلى قومها دخلت بعض الحيطان فأكلها أسود[٣].

عَمْرة بنت معاوية، كندية، وقيل: هي أخت الأشعث بن قيس، وقيل: هي غيرها، ماتت قبل أن تصل إليه[٤].

ابنة جندب، جندعية، وأبوها ضمرة، وقيل: لم يعقد عليها[٥].

الغِفَارية [واختلفوا فيها: فقال الكلبي]: هي السنا، تزوجها رسول الله ﷺ فرأى بكشحها بياضاً، فقال: «الحقي بأهلك»، وقيل: اسمها غزية.

وقال هشام: هي التي عَوّذت حين دخلت عليه، واتفق موت ابنه إبراهيم عليه السلام فقالت: لو كان نبيّاً ما مات ولده وأعز الخلق عليه، فطلقها.

هند بنت يزيد من القرطاء، وهي قبيلة، لم يدخل بها[٦].

العالية بنت ظبيان، كلابية، وقيل: عامرية.

---

(١) «الطبقات» ١٠/ ١٥٤، و«الإصابة» ٤/ ٣٤٠.

(٢) انظر «الطبقات» ١٠/ ١٤٥، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٦٨، و«البداية والنهاية» ٥/ ٣٠١.

(٣) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠.

(٤) «الإصابة» ٤/ ٣٦٧.

(٥) «الطبقات» ١٠/ ١٤٤.

(٦) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٦، و«الإصابة» ٤/ ٤٢٧.

[قال هشام:] كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا خرج اطلعت إلى المسجد، فأخبره أزواجه، فطلقها(١). وقيل: إنه دخل بها. (فتزوجت ابن عم لها، ودخل بها) (٢)، [وقيل: إن ذلك كان قبل تحريم نكاحهن على الناس، وقال هشام: ما دخل بها]، وذكر البلاذري امرأة أخرى يقال لها: حمرة بحاء مهملة، ويقال لها: البرصاء(٣).

القسم الثالث: في من خطبهن رسول الله ﷺ ولم يحملن إليه:

وهن ثمان:

أم هانئ بنت أبي طالب، خطبها، فقالت: إني امرأة مصبية، ووالله لقد كنت أحبك في الجاهلية، فكيف في الإسلام؟ ولي أولاد صغار، وأخاف أن يؤذوك، فعذرها ودعا لها(٤).

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب [أخت علي عليه السلام]. فقالت: يا رسول الله إني قد كبرت ولي عيال، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده» قال أبو هريرة: ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً. متفق عليه(٥).

ضُباعة بنت عامر بن قُرْط بن سَلَمة، من بني عامر بن صعصعة، وكانت عند أبي هَوْذَة الحنفي(٦)، فهلك، فورثت منه مالاً، فتزوجها عبد الله بن جُدعان التَّيمي، فلم تلد له، فسألته طلاقها، فطلقها، فتزوجها هشام بن المغيرة فولدت له سلمة بن هشام، وكان من خيار المسلمين، وكانت موصوفة بالجمال، فخطبها رسول الله ﷺ إلى ابنها

---

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٥، وانظر الاختلاف في اسمها، وهل دخل بها أم لا في «الطبقات» ١٠/ ١٣٦ و«الإصابة» ٤/ ٣٥٩.

(٢) ما بين قوسين زيادة من «أنساب الأشراف» وانظر «الإصابة».

(٣) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٥١، وذكرها ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٢٦٠ في حرف الجيم.

(٤) «الطبقات» ١٠/ ١٤٦.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٣٤)، ومسلم (٢٥٢٧) (٢٠١).

(٦) هكذا في النسخ: عند أبي هوذة و«أنساب الأشراف»، وفي جميع المصادر هو: هوذة بن علي الحنفي، انظر «المنتظم» ٣/ ٢٩٠.

سَلَمة، فقال: حتى أستأمرها، فاستأمرها، فقالت: أفي رسول الله ﷺ تستأمرني؟ زوجه، وبلغ رسول الله ﷺ أنها مسنة، فرجع ابنها إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فسكت، ولم يجبه[١].

وقيل: إنها هي التي طلبت ثوباً تستتر وتطوف بالبيت فلم تجده فقالت[٢]: [من الرجز]

اليومَ يبدو بعضُه أو كلُّه وما بدا منه فلا أُحلُّه

صفيَّةُ بنت بَشَّامة بن نَضْلَة العنبري، أخت الأعور العنبري، قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ قد سباها، فخطبها، وخيرها، فقال: «إن شِئْتِ أنا وإن شِئْتِ زَوجَكِ» فقالت: زوجي، فأرسلها، فلعنتها بنو تميم[٣].

جَمْرة بنت الحارث بن عوف المري [وقيل: حمرة]، خطبها ﷺ إلى أبيها، ولم يكن بها شيء، فقال أبوها: إن بها سوءاً، أي: بَرصاً، فرجع أبوها، فوجدها قد برصت، وقال ابن قتيبة: وهي أم شبيب بن البرصاء، والحارث[٤] بن عوف، هو صاحب بني عبس و ذبيان.

[وحكى البلاذري عن المدائني أنها يقال لها: البرصاء، ولم يكن بها برص، وإنما كانت أدماء، فسميت برصاء على القلب][٥].

سودة قرشية، كانت مصبية، خطبها رسول الله ﷺ فقالت: أكره أن يَضْغَوا صبيتي عنده، فدعا لها[٦].

وثلاث نسوة لم تذكر أسماؤهن:

إحداهنَّ كلبية، قال هشام: بعث إليها رسول الله ﷺ عائشة لتنظر إليها، فلما عادت

(١) «الطبقات» ١٠/١٤٨، و«أنساب الأشراف» ١/ ٥٥٠.

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٥٠.

(٣) «الطبقات» ١٠/١٤٨.

(٤) في (أ) و (خ): «والخزل»، والحارث بن عوف هو صاحب الحمالة بين هذين الحيين. «المعارف» ص١٤٠.

(٥) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٥١.

(٦) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٢٧، وفيه: يضغوا صبيتي عند رأسك، قوله: يضغوا؛ أي: يصيحوا.

قال لها: «ما رَأَيتِ»؟ قالت: ما رأيتُ طائلاً، فقال: «لقَدَ رأيتِ بخَدِّها خَالاً اقشَعرَّت له كلُّ شَعرَةٍ منكِ» فقالت: ما دونَكَ سِترٌ[١].

والثانية من العرب خطبها، فقالت: حتى أستأمر أبويَّ، فشاورتهما، فأذنا لها، فلقيت رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لها: «قد الْتَحفْنَا لِحافاً غَيرَكِ»[٢].

القسم الرابع: من عرضن عليه ﷺ فأباهن:

وهن ثلاث:

دُرَّة بنت أم سلمةَ، [قال هشام: قالت أم حبيبة: يا رسول الله، بلغنا أنك تخطب درة، فقال: «لو لم تكن أمها عندي لما حلت لي، أرضعتني وأباها ثويبة مولاة بني هاشم»[٣].

قال أحمد بإسناده عن] زينب بنت أبي سلمة: أن أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ أخبرتها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، انكح أختي ابنة أبي سفيان، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال لها: «أَوَتُحبِّين ذلِكَ؟» قالت: نعم [لست لك بمخلية، وأَحبُّ إليَّ من شاركني في خير أختي، قالت: فقال لي: «إن ذلِكَ لا يَحِلُّ لي» فقلت: يا رسول الله، إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح درة بنت أبي سلمة فقال: «أبِنتَ أَبي سَلَمة؟!» قالت: نعم] قال: «وايمُ اللهِ إنَّها لو لم تكُن رَبِيبَتي في حِجري ما حلَّت لي، إنَّها بنتُ أَخي من الرَّضاعةِ، أَرضَعتني وأباها ثُويبة، فلاتَعْرِضن عليَّ بناتِكنَّ ولاأَخواتِكُنَّ»، أخرجاه في «الصحيحين»[٤].

وقد اختلفوا في عدد أزواج رسول الله ﷺ:

فقال الطبري: تزوج خمس عشرة امرأة، دخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة[٥].

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٥٠ ـ ٥٥١.

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٥١. ولم يذكر المصنف الثالثة.

(٣) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٥١.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٤١٢)، والبخاري (٥١٠٦)، ومسلم (١٤٤٩).

(٥) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٦١.

وقال محمد بن كعب القرظي: تزوج ثلاث عشرة امرأة(١).

وقال علي بن الحسين: خمس عشرة، وقد ذكرنا جملتهن نيفاً وثلاثين امرأة. [ذكر بعضهن هشام بن محمد، والبعض البلاذري، والمدائني، والواقدي، وجدي في «التلقيح» وشيخنا الموفق في «الأنساب»، فما ذكره الطبري وغيره بالنسبة](٢).

فصل في سراري رسول الله ﷺ:

[حكى أبو عبيدة وغيره قالوا:] كان له أربع سراري يطؤهنَّ بملكِ اليمين: مارية [القبطية، وريحانة، وربيحة القرظية، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش(٣).

فأما **مارية**] بنت شَمْعُون القِبطية، وهي أمُّ إبراهيم عليه السلام بعث إليه بها صاحب الإسكندرية [وأختها سيرين وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، فهي أم ولده عبد الرحمن، وقد ذكرنا هذا]، توفيت سنة ست عشرة(٤).

وأما **رَيْحانة** [فحكى جدي في «التلقيح» عن ابن سعد أنه قال: هي ريحانة] بنت زيد ابن عمرو بن خُنافة.

[قال: وقال الكلبي: هي ريحانة بنت شمعون بن زيد] كانت عند رجل من بني قريظة يقال له: الحكم، فسباها رسول الله ﷺ [فأعتقها وتزوج بها في سنة ست من الهجرة، وماتت مرجعه من حجة الوداع فدفنها في البقيع.

قال: وقال الواقدي: ماتت سنة ست عشرة من الهجرة وصلى عليها عمر، قال: وقد سمعت من يقول: إنه كان يطؤها بملك اليمين، ولم يعتقها(٥). هذا صورة ما ذكره جدي في «التلقيح».

قلت: وقد اختلفوا فيها: فقال البلاذري: اصطفاها رسول الله ﷺ لما فتح قريظة]

(١) «الطبقات» ١٠/ ٢٠٥.

(٢) ما بين معكوفين من (ك)، وانظر تلقيح فهوم أهل الأثر ٢٨، والتبيين ٧١.

(٣) انظر «المستدرك» للحاكم ٤/ ٤٥.

(٤) «الطبقات» ١٠/ ٢٠١، و«الإصابة» ٤/ ٤٠٤.

(٥) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٢٣، وانظر طبقات ابن سعد ١٠/ ١٢٥.

فعرض عليها الإسلام فأبت إلا اليهودية، فعزلها عنه، ثم أسلمت بعد ذلك، فعرض عليها أن يتزوجها، فأبت، وقالت: أراني في ملكك، فهو أروح لي ولك، فكان يطؤها بحكم الملك.

[وكانت تحت رجل يقال له: عبد الحكم، وهو ابن عمها من قريظة، وقيل أبو الحكم، وكان لها مكرماً فأبت أن تتزوج بعده(١).

وقال أبو معشر: اسمها ربيحة، تدعى القرظية.

وقال البلاذري أيضاً: عن محمد الأعرابي قال: سمعت أزهر السمان يحدث عن ابن عون] عن ابن سيرين قال: لقي رجل ريحانة في الموسم فقال لها: إن الله لم يَرضَ أن يجعلك أماً للمؤمنين، فقالت: وأنت لم يرضك الله لي ابناً(٢).

[وهذا يدل على أنها لم تكن من أزواجه.

وحكى ابن سعد عن الواقدي، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري قال: كانت ريحانة قرظية ملكها رسول الله ﷺ ثم أعتقها وتزوجها، ثم طلقها، فقالت: لا يراني أحد بعد رسول الله ﷺ(٣).

قلت: والأول أصح، ولو كانت من أزواجه لقسم لها وحجبها، إلى غير ذلك، ولم ينقل والله أعلم](٤).



(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٣.

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٣.

(٣) «الطبقات» ١٠/ ١٢٧.

(٤) ما بين معكوفين من (ك)، وأما الجارية التي وهبتها له زينب بنت جحش، وهي أنه ﷺ هجر زينب في حجة الوداع لما قال لها: أفقري أختك صفية جملاً، فقالت: أنا أفقر يهوديتك، فغضب النبي ﷺ حين سمع ذلك منها، فهجرها شهراً ثم رضي عنها ودخل عليها فوهبت هذه الجارية، والحديث أخرجه أحمد في «مسنده» مطولاً (٢٦٨٦٦)، وسمى ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٤٢٠ هذه الجارية: نفيسة.

الباب الثالث عشر

في ذكر خدمه ومواليه ﷺ

[قال علماء السير:] قد خدمه ﷺ جماعة، منهم:

أنس بن مالك، وكان خصيصاً به، خدمه عشر سنين حضراً وسفراً.

وكان ابن مسعود صاحب نعليه، إذا قام ألبسه إياهما، وإذا خلعهما جعلهما في ذراعيه، حتى يقوم.

وخدمه أسماء وهند ابنا حارثة الأسلميان، وربيعة بن كعب، وأبو السمح، واسمه إياد.

[وقال ابن عبد البر: ضل فلا يدرى أين مات، وقيل: إنه مولى رسول الله ﷺ][(١)].

وكان عقبة بن عامر الجهني يقود بغلته وناقته في السفر.

وكان الأَسْلَع يرحل له ناقته، وهو الأَسْلَع بن شريك بن عوف الأَعرجي، وقيل اسم الأَسْلَع: ميمون بن سناد، وذكره جدي في «التلقيح» فقال: الأسلع بن شريك بن الحارث التميمي[(٢)].

والأسلع الذي روى حديث التيمم، قال: أجنبت ليلة فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أَسْلَعُ، قُم فارحَلْ نَاقَتي» فقلت: يا رسول الله، أصابني جنابة، فأمره بالتيمم، فضرب ضربتين ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين[(٣)].

[وأما هند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان، فكانا يخدمان رسول الله ﷺ يلازمان ثيابه، وأسماء هو الذي بعثه رسول الله ﷺ فقال: «من كان أكل يوم عاشوراء...»

---

(١) «الاستيعاب» بهامش «الإصابة» ٤/ ٩٩، وانظر «الإصابة» ٤/ ٩٥.

(٢) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص١١٨.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٧٥)، وفي الأوسط» (٥٤١)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ٢٦٢ وقال: فيه الربيع بن بدر، وقد أجمعوا على ضعفه.

الحديث[١]. وقيل: بعث معه هند بن حارثة وكنيته أبو محمد، وهو وأخوه هند من أهل الصفة.

قال ابن سعد عن الواقدي: مات أسماء بالبصرة في سنة ست وستين وهو ابن ثمانين سنة.

قال ابن سعد: وغير الواقدي يقول: مات بالبصرة في أيام زياد في خلافة معاوية بن أبي سفيان[٢].

وقال ابن عبد البر: شهد هند بن حارثة بيعة الرضوان مع أخوة له سبعة، وهم: أسماء، وفراس، وذؤيب، وفضالة، وسلمة، ومالك، وحمران، ولم يشهدها أخوة في عددهم غيرهم، ومات هند بالمدينة في أيام معاوية[٣].

وقد خدم رسول الله ﷺ بكير، ويقال: بكر] بن الشُّدَاخ الليثي وكان غلاماً، فلما احتلم جاء إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله قد كنت أدخل على نسائك وأهلك وأنا غلام، وقد بلغت مبلغ الرجال، فدعا له رسول الله ﷺ[٤].

وهو الذي قتل اليهودي، روى ابن مَنْدَه، عن عبد الملك بن يعلى قال: خدم بكير ابن شُدَاخ رسولَ الله ﷺ فلما كان في زمن عمر بن الخطاب وجدوا يهودياً مقتولاً، فصعد المنبر، وقال: أذكِّر اللهَ رجلاً كان عنده علمٌ من هذا الأمر إلَّا أعلمني، فقام بكير بن شداخ، فقال: أنا قتلته، فقال عمر: الله أكبر بؤت بدمه وإلا هات المخرج، فقال: خرج فلان غازياً، ووكلني بأهله، فجئت إلى بابه، فوجدت هذا اليهودي في منزله وهو يقول[٥]: [من الوافر]

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٤)، ومسلم (١١٣٥) من حديث سلمة بن الأكوع ﵁ أن النبي ﷺ بعث رجلاً ينادي في الناس يوم عاشوراء: «إن من أكل فليتم أو فليصم، ومن لم يأكل فلا يأكل».
وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٩٦٢) عن هند بن أسماء قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي من أسلم فقال: «مر قومك فليصوموا هذا اليوم يوم عاشوراء، فمن وجدته منهم قد أكل في أول يومه، فليصم آخره».

(٢) «الطبقات» ٥/ ٢٢٧.

(٣) «الاستيعاب» بهامش «الإصابة» ٣/ ٥٩٩ - ٦٠٠.

(٤) انظر «البداية والنهاية» ٥/ ٣٣٣، و«الإصابة» ١/ ١٦٣ - ١٦٤.

(٥) «البداية والنهاية» ٥/ ٣٣٣.

وأشــعــثَ غــرَّه الإســلامُ مــنــي خــلــوتُ بــعِــرســهِ لــيــل الــتــمــامِ
أبــيــتُ عــلــى تَــرائــبــهــا ويُــمــسـي عــلــى شــدِّ الأعــنَّــة والــحــزامِ
[كــأنَّ مــجــامــعَ الــرَّبَــلاَت مــنــهــا فــئــامٌ يــنــهــضــون إلــى فــئــام

الربلات باطن الفخذ، قال: فصدق عمر قوله وأبطل دم اليهودي بدعاء النبي ﷺ لبكير بن شُدَاخ وخدمته له].

وخدمه **سعد مولى أبي بكر** رضوان الله عليه فقال لأبي بكر: أعتقه، فقال: ما لنا خادم غيره، [قال: أتاك الرجال أي: السبي] فأعتقه.

[قال ابن عبد البر: روى سعد مولى أبي بكر عن الحسن البصري] ويقال: اسمه سعيد ويُعد في أهل البصرة[١].

فأما مواليه ﷺ:

فأحمر وكنيته أبو عَسِيب [وفي الصحابة من اسمه أحمر خمسة، منهم هذا][٢].

أسلم وكنيته أبو رافع[٣]، وكان عبداً للعباس بن عبد المطلب، فوهبه لرسول الله ﷺ، فلما أسلم العباس، بشر رسول الله ﷺ بإسلامه، فأعتقه، [وقد كان أسلم بمكة مع العباس] وشهد الخندق[٤] [وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ مع رجلٍ من الأنصار يخطب ميمونة بنت الحارث[٥].

قال ابن سعد]: وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة من المدينة إلى مكة ليحمل عيال رسول الله ﷺ إلى المدينة عند الهجرة[٦].

[قال ابن سعد: وهو الذي ضربه أبو لهب بالعمود بمكة لما جاء خبر بدر]، وهو الذي

---

(١) «الاستيعاب» بهامش «الإصابة»٢/ ٤٨، وفيه: أن الحسن البصري هو من روى عن سعد، وانظر «الإصابة»٢/ ٣٩.

(٢) «الطبقات» ٩/ ٥٩، و«الإصابة» ٤/ ١٣٣ .

(٣) «الطبقات» ٤/ ٦٧، و«الإصابة» ٤/ ٦٧ .

(٤) «الطبقات» ١٠/ ١٣٠ .

(٥) «الطبقات» ٤/ ٦٨ .

(٦) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٦٧ .

بشر رسول الله ﷺ بولادة إبراهيم ابنه ﷺ. ويقال: هو الذي عمل منبر رسول الله[1] ﷺ.

[وذكره ابن عبد البر فقال: شهد أسلم أحداً والخندق وما بعدها] وزوجه رسول الله ﷺ مولاته سلمى [وشهدت خيبر، وولدت له عبيد الله بن أبي رافع[2]. قال:] وكان أبو رافع من فضلاء الناس إلا أنه كان فيه عي شديد.

[رأته امرأته في المنام بعد موته، فقال لها: لي على فلان الصيرفي مائتي دينار، فلما انتبهت جاءت إلى الصيرفي فأخبرته، فقال: والله ما علمته قط، فدخلت المسجد فرأت أشياخاً من آل أبي رافع كلهم مقبول القول، فأخبرتهم، فقالوا: ما كان أبو رافع ليكذب في نوم ولا يقظة، قدميه إلى الحاكم لنشهد لك عليه، وبلغ الصيرفي فجاء إليهم فقال: أصلحوا بيني وبينها على مئة دينار صلحاً عن مئتي دينار ادعاها عليَّ أبو رافع في النوم، وإنها قد أبرأتني، فربما ترى أبا رافع في النوم مرة أخرى، ففكر القوم فاستيقظوا من غفلتهم وقالوا للمرأة: قبح الله ما جئت به ولم يحصل لها شيء.

واختلفوا في اسمه على أقوال:

أحدها: أَسْلَم وهو المشهور. والثاني: هُرمز. والثالث: إبراهيم. والرابع: ثابت. والخامس: يزيد.

وقال ابن عبد البر: توفي بعد مقتل عثمان بن عفان بيسير في سنة ست وثلاثين، وفي الصحابة ستة كل واحد اسمه أسلم أحدهم هذا، وفي اسمه خلاف كما ذكرنا][3].

أسامة بن زيد رضي الله عنه وسنذكره في سنة ستين [في آخر أيام معاوية].

أنسة، وكنيته أبو مسروح [وقيل: أبو مسرح] من مولدي السراة، [واختلفوا فيه: فحكى ابن سعد عن الواقدي]: أنه قتل يوم بدر شهيداً[4]. وقيل: إنه من الفرس، [وكانت أمه حبشية وأبوه فارسياً، واسم أبيه كردويه.

---

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٦٧.

(٢) «الاستيعاب» بهامش «الإصابة» ١/ ٨٥ ـ ٨٧.

(٣) «الاستيعاب» ١/ ٨٧، وفيه قبل قتل عثمان، ولم يذكر السنة.

(٤) «الطبقات» ٣/ ٤٦.

وروى عن الواقدي أنه قال: الثبت عندنا] أنه شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي في خلافة أبي بكر رضوان الله عليه(١).

[وقيل: إنه] كان يستأذن للناس على رسول الله ﷺ [وليس في الصحابة من اسمه أنسة غيره، وليس له رواية.

أيمن بن أم أيمن الحبشي، له رؤية ورواية. وأبوه عبيد الخزرجي تزوج أم أيمن بمكة ثم فارقها، فزوجها رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثةَ بعد أن أعتقها، [وقد ذكرنا أن أيمن قد قتل بحنين شهيداً].

ثوبان، [واختلفوا في اسم أبيه، فقيل: ابن بجدد، وقال ابن يونس: بحدد، وقيل: جحدر(٢)] وكنيته أبو عبد الله، اشتراه رسول الله ﷺ [وأعتقه. قال ابن يونس: وهو من أهل اليمن، وقيل: من السراة ولم يزل مع رسول الله ﷺ] حتى قبض.

[وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة(٣). وقال هشام بن محمد] وكان يحب رسول الله ﷺ لا يصبر عنه. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

[وقال أبو سعيد بن يونس]: شهد ثوبان فتح مصر، واختط بها داراً، [وكذا حكى أبو القاسم في «تاريخ دمشق» عن ابن منده أنه قال: لثوبان بمصر دار وبالرملة أخرى(٤).

واختلفوا في وفاته] فقيل: إنه توفي بمصر سنة أربع وأربعين، وقال ابن سعد: نزل بحمص ومات بها في سنة أربع وخمسين(٥). ومنزله بحمص [عند] حمام جابر، وله بها عقب، وقيل: إنه لم يعقب،[وكانت وفاته في أيام عبد الله بن قُرط]، وكان نزل دمشق، ثم نزل الرملة، ثم عاد إلى حمص.

(١) «الطبقات» ٣/ ٤٦ .
(٢) انظر «تاريخ دمشق» ١١/ ١٦٦.
(٣) «الطبقات»٥/ ٩٨ .
(٤) «تاريخ دمشق» ١١/ ١٧٢ .
(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٩٨ و ٩/ ٤٠٤.

[وروى عن رسول الله ﷺ نيفاً وثلاثين حديثاً، أخرج له مسلم عشر أحاديث، ولم يخرج له البخاري شيئاً، وهو الذي روى حديث الحوض، وسنذكره في آخر السيرة.

ومن مسانيده ما أخرجه أحمد في «مسنده»، فقال بإسناده، عن سليمان المنْبِهي عن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده بإنسانٍ فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة، قال: فقدم من غَزاةٍ فأَتاها، فإذا بمِسْحٍ على بابها ورأى على الحسن والحُسين قُلْبَين من فضة، فرجَعَ ولم يدخل عليها، فهتكت فاطمة السِّتر ونزعت القُلْبين فقطعتهما ظناً أنه لم يدخل عليها لأجل ذلك، فبكى الصَّبيّان، فقسَمت القُلْبين بينهما، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وهما يبكيان، فأخذه رسول الله ﷺ منهما فقال: «يا ثَوبانُ، اذهَبْ بهذا إلى بَني فُلانٍ ـ أهل بيتٍ في المدينة ـ واشترِ لفاطمةَ قِلادةً من عَصَبٍ وسِوارَيْن من عاجٍ، فإنَّ هؤلاءِ أهلُ بَيْتي، ولا أحبُّ أن يَأكُلوا طيِّباتِهم في حَياتِهمُ الدُّنيا»[1].

«العصب»: ثوب، أي يفتل ثم يغسل ثم يصبغ ثم يحاك[2]. وقال الجوهري: «العَصْب» ضربٌ من برود اليمن[3].

قلت: ولا معنى أن تكون القلادة من البرود، وإنما قد روي: «واشتر لفاطمة قلادة من جزع ظفار» وهو أولى.

وأما «العاج» فقال الأصمعي: هو خشب الذبل. وقال الجوهري: العاج عظم الفيل[4].

وفي هذا الحديث دليلٌ على طهارة عظم الميتة.

وفي الصحابة من اسمه ثوبان ثلاثة أحدهم هذا.

أفلح[5]، ذكره ابن البرقي، وقال: له حديث، وهو الذي يقال له: مولى أم سلمة، وليس في الصحابة من اسمه أفلح إلا هو وآخر، يقال له: أفلح أخو أبي

---

(١) أحمد في «مسنده» (٢٢٣٦٣).

(٢) انظر «فتح الباري» ٩/ ٤٩١.

(٣) «الصحاح» (عصب).

(٤) «الصحاح»: (عوج).

(٥) «الإصابة» ١/ ٥٧ ـ ٥٨.

القعيس، وكنيته أبو الجعد، ولهما رؤية وليس لهما رواية].

حُنين[١]، كان لرسول الله ﷺ، فوهبه العباس، فأعتقه [وليس في الصحابة من اسمه حنين غيره، وليس له رواية.

وخدمه جماعة منهم من سميت ومنهم ما سميت مخافة التطويل].

ذكوان، وقيل: اسمه مهران، وقيل: طهمان، وقيل: ميمون، وقيل: كيسان، وقيل: باذام.

رافع بن عبد الله.

رويفع، غير رافع.

رباح، كنيته أبو أيمن، كان يأذن للناس على رسول الله ﷺ ثم جعله على لقاحه مكان يسار لما قتل[٢].

زيد بن حارثة رضي الله عنه.

زيد بن بَوْلا[٣].

زيد بن المنذر من بني قريظة، كان مكاتباً، فابتاعه رسول الله ﷺ فأعتقه[٤].

زيد أبو يسار[٥]، من رواياته: قال بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ: سمعت أبي يحدِّث عن جدي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قال: أَستَغفِرُ اللهَ الذي لا إلَه إلَّا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه، غُفِرَ له وإن كانَ قد فَرَّ من الزَّحفِ»[٦].

سابق[٧]، وليس في الصحابة من اسمه سابق غيره.

---

(١) «الإصابة» ١/ ٣٦٢.

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٧٥، و«الإصابة» ١/ ٥٠٢.

(٣) «الإصابة» ١/ ٥٦١.

(٤) ويكنى أبو لبابة، «أنساب الأشراف» ١/ ٧٣. و«الإصابة» ٤/ ١٦٨.

(٥) «الطبقات» ٥/ ٩٩، و«الإصابة» ١/ ٥٦١ وهو زيد بن بولا كما في «الإصابة».

(٦) أخرجه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧).

(٧) هو وهم كما قال الحافظ في «الإصابة» ٢/ ١١٩ ـ ١٢٠: وإنما جاء الحديث عن سابق بن ناجية عن خادم رسول الله ﷺ، وانظر الحديث في «مسند» أحمد والاختلاف عليه (١٨٩٦٧)، و«الإصابة» ٤/ ٩٣.

سالم[١]، مولد، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلَّها، وتوفي أول يوم ولي عمر الخلافة.

سعيد بن لبيد بن سلمان الفارسي، نذكره في سنة اثنتين وثلاثين.

سليم[٢] أبو كبشةَ الدَّوسي، من مُولَّدي أرض دوس، ابتاعه رسول الله ﷺ فأعتقه، فشهد معه بدراً والمشاهد كلَّها.

شُقْران[٣]، وقيل: اسمه الصالح بن عدي، وقيل: أوس، وقيل: هُرمز، وشقران لقب له، وكان حبشياً، ورثه رسول الله ﷺ عن أمه وأبيه، وقيل: كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه لرسول الله ـ ﷺ ـ فأعتقه، وقيل: أخذه من عبد الرحمن باليمن، وقيل: هو من سبي الفرس.

وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً، وكان على الأسرى، ولم يسهم له رسول الله ﷺ بل أجزاه كل رجل له أسير فحصل له أكبر ما حصل من المغنم، وله عقب بالبصرة والمدينة.

واستعمله رسول الله ﷺ على ما وجد في رحال أهل المريسيع من المتاع، والسلاح، والنعم، والشاء، والذرية، فسأل رسول الله ﷺ أهل المريسيع: «كيفَ وجَدتُم شُقْرانَ؟» فقالوا: أشبع بطوننا، وشدَّ وثاقنا[٤].

وهو الذي نزل في قبر رسول الله ﷺ، وطرح القطيفة فيه.

ومات في خلافة عمر رضوان الله عليه، فبعث ابنه عبد الرحمن إلى أبي موسى الأشعري، وكتب إليه: قد بعثت إليك عبد الرحمن ابن الرجل الصالح شقران، فاعرف له مكان أبيه من رسول الله ﷺ.

ضُميرة بن أبي ضُميرة[٥]، وصل إلى رسول الله ﷺ، فأعتقه، وخيَّره بين المقام

(١) وهو أبو كبشة الآتي انظر «الطبقات» ٣/ ٤٦، و«الإصابة» ٤/ ١٦٥.

(٢) تقدم باسم سالم وانظر التعليق السابق.

(٣) «الطبقات» ٣/ ٤٧، و«أنساب الأشراف» ١/ ٥٦٨ ـ ٥٦٩ و«الإصابة» ٢/ ١٥٣.

(٤) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٦٩.

(٥) «الطبقات» ٥/ ١٠٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ٥٧٤، و«الإصابة» ٢/ ٢١٤.

عنده، وبين اللحاق بأهله، فاختار أن يقيم معه.

ثم كتب له رسول الله ﷺ كتاباً يتضمن الوصية به وبأهل بيته، قال حسين بن عبد الله ابن أبي ضميرة: كتب لنا رسول الله ﷺ كتاباً: «بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم، هذا كتابٌ من محمدٍ رسولِ الله لأبي ضُميرة وأهلِ بيتهِ، إنَّهم كانوا أهلَ بيتٍ من العربِ، وكانوا ممَّا أفاءَ اللهُ على رسولِهِ، فأعتقهم، وإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خيَّر أبا ضميرة أن يَلحقَ بقومِهِ، أو يكونَ معه، فاختارَ المُقامَ عندَ رسول الله ﷺ فمَن لقيَه أو أحَداً من أهله من المسلمين، فلا يتعرَّض لهم إلا بخير، وليستَوصِ بهم خيراً»، وكتب أُبيٌّ بن كعب، فخرج أبو ضُميرة في طائفةٍ من قومه فخرج عليهم قطاع الطريق، فأخذوا ما معهم، فأخرجوا الكتاب، فقرؤوا ما فيه، فردوا عليهم ما أخذوا منهم[1].

ووفد حسين بن عبد الله بن أبي ضُميرة على المهدي فأراه الكتاب، فقبَّله، ووضعه على عينيه، وأعطى حسيناً ثلاث مئة دينار[2].

عبيد بن أبي أسلم[3]، روى عن النبي - ﷺ - حديثاً.

فضالة اليماني[4] نزل الشام، بن أبي معجمه[5].

ذكره ابن ماكولا.

كركرة[6]، وقيل: هو الذي كان على ثقل رسول الله ﷺ فمات، فقال رسول الله - ﷺ -: «هُو في النَّارِ» فنظروا وإذا به قد غلَّ عباءة[7].

كيسان، وقيل: هو سفينة.

مأبُورا[8]، وهو الذي أهداه المقوقس مع مارية، وكان خصياً.

---

(١) «الطبقات» ٥/ ١٠٤.

(٢) «الطبقات» ٥/ ١٠٤.

(٣) «الطبقات» ٥/ ٩٩.

(٤) انظر أنساب الأشراف ١/ ٥٧٠، و«الإصابة» ٣/ ٢٠٨، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٤١ (مجمع اللغة).

(٥) هكذا رسمت في النسخ ولم نهتد لها.

(٦) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٧٥، و«الإصابة» ٣/ ٢٩٣.

(٧) أخرجه البخاري (٣٠٧٤) من حديث عبد الله بن عمرو ﵄.

(٨) «الإصابة» ٣/ ٣٣٤. وضبطه الحافظ بغير ألف في آخره.

محمد[١]، كان مجوسياً، فسمع بذكر رسول الله ـ ﷺ ـ فخرج ومعه تجارة من مرو حتى قدم المدينة، فأسلم على يدي رسول الله ﷺ وسماه محمداً، ثم رجع إلى منزله بمرو مسلماً، وداره قبالة المسجد الجامع.

مِدْعَم[٢] أسود، أهداه له رفاعة الجذامي، وكان يسافر مع رسول الله ﷺ، ويرحل له فجاءه سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كلَّا والذي نَفسي بِيَدِه، إنَّ الشَّمْلَةَ التي أخذها يومَ خيبرَ من الغَنائمِ لَتَشْتَعِلُ عليه ناراً»[٣].

مهران، من مولَّدي الأعراب، ولقبه: سفينة [واختلفوا في اسمه على أقوال: أحدها: هذا المشهور، قاله إبراهيم الحربي. الثاني: رُومان، قاله الهيثم بن عدي. والثالث: كَيسان، والرابع: طِهمان. والخامس: عبس. والسادس: رباح. والسابع: أحمر. والثامن: سبيه بن مارقية، ذكره الطبري قال: وهو من الفرس[٤]. والأول أصح، نص عليه إبراهيم الحربي]، وكنيته أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو البَخْتَري.

وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المهاجرين وقال: اشترته أم سلمة، وأعتقته على أن يخدم رسول الله ـ ﷺ ـ ما عاش، فقال: لو لم تشترطي علي لخدمته، فخدمه عشر سنين[٥].

[وقال ابن سعد بإسناده عن سعيد بن جُمْهان قال: سألت مهران: لم سميتَ سفينة؟ فقال: خرج رسول الله ﷺ في غزوة، فثقل عليهم متاعهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «ابسُطْ كِسَاءَكَ» فبسطته فحولوا عليه أمتعتهم ثم حملوه على ظهري، فقال لي رسول الله ﷺ: «احمِلْ فما أنْتَ إلا سفينةٌ» ثم حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة فما ثقل علي[٦].

---

(١) «الإصابة» ٣/ ٣٨٥.

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٧٤، و«الإصابة» ٣/ ٣٩٤.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٠٧)، ومسلم (١١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٧١.

(٥) «الطبقات» ٥/ ١٠٠.

(٦) «الطبقات» ٥/ ١٠٠.

وحكى عنه ابن سعد أيضاً قال: ركبتُ البحر، فانكسرت بنا السفينة، فتعلّقتُ منها بشيءٍ، فخرجت إلى الجزيرة، فإذا بالأسدِ، فقلت له: يا أبا الحارثِ، أنا سفينةُ مولى رسول الله ﷺ، قال: فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبيه يدلني على الطريق، فلما خرجت إلى الطريق هَمْهَم، فظننت أنه يودعني وانصرف(١).

وليس في الصحابة من اسمه مهران غيره، ولا من يلقب بسفينة سواه، وقد روى عن رسول الله ﷺ الحديث، قال الهيثم: روى عنه أربعة عشر حديثاً.

قلت: وقد أخرج له أحمد ستة أحاديث].

نافع(٢)، من مولّدي السَّراة، روى عن رسول الله ﷺ الحديث.

نبيه(٣)، اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه.

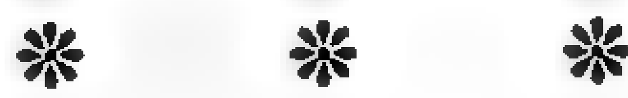
نُفيع، وهو أبو بكرة، نذكره في سنة إحدى وخمسين.

واقد(٤)، ويقال له: أبو واقد.

وَرْدان(٥)، مات في حياة رسول الله ﷺ.

هشام(٦)، يروي عن النبي ﷺ الحديث.

يسار(٧)، كان عبداً نوبياً، دُفع لرسول الله ﷺ في بعض غزواته فأعتقه، وقيل: كان حبشياً لعامر اليهودي، وهو الذي قتله العرنيون، وقيل: هما اثنان.



---

(١) «الطبقات» ٥/ ١٠١.

(٢) انظر «الإصابة» ٣/ ٥٤٧.

(٣) انظر «الإصابة» ٣/ ٥٥٢.

(٤) انظر «الإصابة» ٣/ ٦٢٨.

(٥) «الإصابة» ٣/ ٦٣٣.

(٦) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٧٥، و«الإصابة» ٣/ ٦٠٦.

(٧) ذكره ابن حجر في «الإصابة» ١/ ٥٦١ في زيد بن بولا، وسبق ذكره عند المصنف، وانظر «أنساب الأشراف» ١/ ٥٦٩.

ذكر من عرف منهم بكنيته:

أبو الحمراء، واسمُه هلال بن الحارث، شهد بدراً وأحداً، ونزل حمص، وله بها عقب، وروى عن رسول الله ﷺ الحديث[١].

أبو رافع[٢]، كان لأبي أُحيحة سعيد بن العاص، فورثه بنوه، فأعتق ثلاثة منهم، وقتلوا يوم بدر، أعتقه رسول الله ﷺ فكان يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ.

أبو السَّمْح[٣]، واسمه سعد.

أبو مُوَيهِبَة، من مولَّدي السَّراة، من مُزينة، اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، وهو الذي خرج معه إلى البقيع لما استغفر لأهله، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، شهد المريسيع مع رسول الله ﷺ وكان يقود جمل عائشة رضوان الله عليها، وكان عبداً صالحاً[٤].

وقال محمد بن حبيب الهاشمي في المحبر: من موالي رسول الله ﷺ:

أبو لُبابةِ، **وأبو هند**، **وأبو لَقيط**، **وأبو أُثيلة** وكلهم أعتَقه رسول الله ﷺ، وأبو هند كان يحجم رسول الله ﷺ وكان مولًى لفروة بن عمرو البَياضي، فوهب بنو بياضة ولاءه لرسول الله ﷺ، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا بدراً[٥].

وأبو سلمى راعي رسول الله ﷺ وقيل: أبو سلامة، واسمه حريث[٦].

وأبو صفية، كان من المهاجرين[٧].

وأبو عَسِيب، له صحبة ورواية[٨].

وأبو كَبْشة[٩].

---

(١) انظر «الإصابة» ٤/ ٤٦.

(٢) انظر «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٦٢، و«الإصابة» ٤/ ٦٧.

(٣) انظر «تاريخ دمشق» ٤/ ٣٢٣، و«الإصابة» ٤/ ٩٥.

(٤) «الطبقات» ٥/ ١٠١، و«أنساب الأشراف» ١/ ٥٧٤، و«الإصابة» ٤/ ١٨٨.

(٥) «المحبر» ص١٢٨، وانظر «الطبقات» ٤/ ٤٠٣، و«الإصابة» ٤/ ٢١١.

(٦) «الطبقات» ٨/ ١٨٠، و«الإصابة» ٤/ ٩٤.

(٧) «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٩٢، و«الإصابة» ٤/ ١٠٩.

(٨) «الطبقات» ٩/ ٥٩، و«الإصابة» ٤/ ١٣٣.

(٩) «الطبقات» ٣/ ٤٦.

وأبو ريحانة[١]، واسمه شمعون بن زيد بن خنافة القرظي، أنصاري حليف لهم، وكانت ابنته ريحانة سرية رسول الله ﷺ، له صحبة وسماع، وكان من فضلاء الزاهدين في الدنيا، نزل الشام، وشهد فتح دمشق، واتخذها داراً، ثم سكن بيت المقدس، ويقال: إنه سكن مصر، وحرس رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وكان يقصّ، ودعا له رسول الله ﷺ.

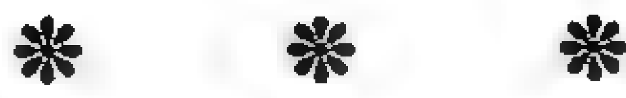
ومن ولده محمد بن حكيم بن أبي ريحانة، كان من كتاب الدمشقيين، وهو أول من طوى الطومار وكتب فيه مدرجاً مقلوباً[٢].

وقال رسول الله ﷺ لأبي ريحانة: «عَليكَ بكَثْرةِ السُّجودِ»[٣].

قال ابن عساكر: كان أبو ريحانة مرابطاً بميَّافارِقِين، فاشترى رسناً من بعض أهلها بفلوس، ثم سافر إلى الشام فلم يذكر الثمن حتى وصل إلى الرستن، وبين الرستن وحمص اثنا عشر ميلاً، فقال لغلامه: أعطيت لصاحب الرسن الفلوس؟ قال: لا، فنزل عن دابته، فدفعها إلى غلامه، وأوصى أصحابه، ثم انصرف إلى صاحب الرسن، ثم عاد إلى الشام[٤].

وقال ابن أبي الدنيا: ركب أبو ريحانة البحر، وكان معه إبرةٌ يخيط بها، فسقطت في البحر، فقال: عزمتُ عليك يا ربِّ إلا رددتَ عليَّ إبرتي، فظهرت على الماء حتى أخذها[٥].

واشتدَّ عليهم البحر فقال له: إنما أنت عبد، اُسكن بإذن الله، فسكن حتى صار كالزيت[٦].



---

(١) «تاريخ دمشق» ٢٣/ ١٩٣، و«الإصابة» ٢/ ١٥٦.

(٢) «تاريخ دمشق» ٢٣/ ١٩٨.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٢٧)، وابن عساكر في «تاريخه» ٢٣/ ٢٠١، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٢٥٠ وقال رواه الطبراني في «الكبير» من رواية شيخه إبراهيم بن محمد بن عرق بن الحمصي قال الذهبي: غير معتمد.

(٤) «تاريخ دمشق» ٢٣/ ٢٠٣.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٣/ ٢٠٤.

(٦) «تاريخ دمشق» ٢٣/ ٢٠٤.

ذكر موليات رسول الله ﷺ:

[قال جدي رحمه الله في «التلقيح»: أم أيمن، واسمها بركة، وأميمة، وخضرة، ورضوى، وريحانة، وسلمى، ومارية، وميمونة بنت سعد، وميمونة بنت أبي عَسِيب، وأم ضميرة، وأم عياش وقيل: هي مولاة ابنته رقية[١]. [قلت: وقد اختلف أرباب السير فيهن، فقالوا: مارية وريحانة وربيحة هؤلاء الثلاثة كن لفراشه، ثم قالوا: وفي أسامي الصحابيات مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، ومارية أخرى أمة رسول الله ﷺ، قال: وبعضهم يجعلهم واحداً.

قلت:] وأما سلمى[٢] [فقال الواقدي] فهي التي زوجها رسول الله ﷺ أبا رافع، فولدت له عبد الله، وقيل: رافعاً، وكانت لصفية بنت عبد المطلب فوهبتها لرسول الله ﷺ، وكانت قابلة أولاد فاطمة عليها السلام، وإبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وهي التي ساعدت علياً رضوان الله عليه في غسل فاطمة سلام الله عليها.

[قلت: روت الحديث عن رسول الله ﷺ، فأخرج أحمد حديثاً واحداً فقال بإسناده، عن أيوب بن حسن بن علي بن أبي رافع، عن جدته سلمى خادمة رسول الله ﷺ قالت: ما سمعت أحداً قط يشكو إلى رسول الله ﷺ وجعاً في رأسِه إلا قال له «احْتَجِم» ولا وَجَعاً في رجليه إلَّا قال: «اخْضِبهُما بالحِنَّاءِ»[٣].

قالت: وكنت أخدمه، فما كانت تصيبه قرحة ولا نكبة إلا أمرني أن أضع عليها الحناء][٤].

وذكر ابن عبد البر ميمونة أخرى[٥]، وذكر غيره ميمونة بنت أبي عنبسة[٦]، وذكر رضوى أخرى.

---

(١) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٣٤ ـ ٣٥.

(٢) «الطبقات» ١٠/ ٢١٦، و«الإصابة» ٤/ ٣٣٣.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٦١٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٥٤)، وابن ماجه (٣٥٠٢).

(٥) «الاستيعاب» بهامش «الإصابة» ٤/ ٤٠٩.

(٦) وذكرها هو أيضاً ٤/ ٤٠٨.

الباب الرابع عشر

في ذكر مراكبه ومنائحه ونوقه

[قال الهيثم]: كان له ﷺ تسعة أفراس.

[وحكى ابن سعد عن الواقدي قال:] وأول فرسٍ ملكه السَّكْب، ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فَزارة بعشر أواق فضة [وكان اسمه عند بائعه: الضرس فسماه رسول الله: السكب]، وأول غزاة غزا عليه أحد(١). وكان أشقر أغر محجلاً، وهو أول فرس سابق عليه فسبق، ففرح المسلمون [ويقال: إنه سابق بفرس اسمه سبحة](٢).

والثاني: المرتجز، وهو الذي اشتراه رسول الله ﷺ من أعرابي من بني مرة، وشهد له خزيمة بن ثابت(٣).

والثالث: لِزَاز، أهداه له المُقَوقِس.

والرابع: الظَّرِب، أهداه له الربيعة بن البراء، وقيل: فروة بن عمرو الجُذامي عامل البلقاء لقيصر.

والخامس: اللُّخَيف، أهداه له سعد بن البراء.

والسادس: الورد، أهداه له تميم الداري، فأعطاه عمر بن الخطاب فحمل عليه في سبيل الله، ثم وجده يُباع بعد ذلك فأخذه(٤).

والسابع: اليَعسوب(٥).

والثامن: المرواح، أهداه له وفد الرَّهاويين(٦).

(١) «الطبقات» ١/ ٤٢١.

(٢) «الطبقات» ١/ ٤٢١.

(٣) «الطبقات» ١/ ٤٢٢.

(٤) «انظر «الطبقات» ١/ ٤٢٢.

(٥) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٧٤.

(٦) «الطبقات» ١/ ٢٩٧.

والتاسع: سبحة.

[قال هشام:] وكانت له بغلتان شَهباوتان أحدهما دُلْدُل، أهداها له المُقَوقِس صاحب الإسكندرية [قال ابن سعد عن الواقدي:] أول بغلة ركبت في الإسلام دُلْدُل، وبقيت إلى أيام معاوية فنفقت بيَنبُع[١].

والأخرى: فضة، أهداها له فروة بن عمرو الجُذامي، فوهبها لأبي بكر رضوان الله عليه.

وكان له حمار يقال له: يعفور، وقيل: عُفير، أهداه له المقوْقِس مع دلدل فنفق منصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع[٢].

وقيل: إن فروة بن عمرو الجُذامي أهدى له يعفور، وأما عُفير فأهداه له المقوقس.

[وقيل: إنهما اسمان لحمار واحد، وقد أردف معاذ بن جبل على حمار يقال له: عفير.

وقد ذكر جدي في «الموضوعات» حديثاً في أسماء مراكب رسول الله ﷺ، فقال بإسناده، عن ابن عباس قال: كان لرسول الله ﷺ سيف محلًّى، قائمتُه من فضة، ونعلُه من فضة، وفيه حِلَق من فضة، وكان يسمى: ذا الفقار، وكان له فرس يسمى: القرقر[٣] وآخر يقال له: المرتجز، وفرس أدهم يقال له: السكب، وسرج يسمى: الداج، وكانت له بغلة تسمى: الدلدل، وناقة يقال لها: القصواء.

وقد أجمع على هذه الأفراس عامة العلماء، كالواقدي وهشام وابن سعد وغيرهم.

قلت: وقد أخرج جدي في «الموضوعات» حديثاً في الحمار فقال بإسناده، عن محمد بن مزيد أبي جعفر مولى بني هاشم، حكى أن رسول الله ﷺ كان له حمار أسود أخذه من خيبر، وأن النبي ﷺ سألَه ما اسمك؟ فقال الحمار: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كلهم لم يركبه إلا نبي، ولم يبق من نسل جدي إلا أنا،

---

(١) «الطبقات» ١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣.

(٢) «الطبقات» ١/ ٤٢٣.

(٣) في الموضوعات (٥٥٥): وكان له محجن يسمى القرقر.

ولا من الأنبياء غيرك، وكنت أتوقع أن غيرك يركبني. وأن رسول الله قال له: سميتك يعفوراً، وكان النبي ﷺ يركبه لحاجته، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيقرعه برأسه فيخرج صاحب الدار فيومئ إليه برأسه: أجب رسول الله ﷺ، فلما مات رسول الله ﷺ جاء الحمار إلى بئر فتردى فيها فهلك حزناً على رسول الله ﷺ.

ثم قال: والمتهم بوضعه محمد بن مزيد فإنه ساقط الرواية(١)].

وأما **لِقاحُه** ﷺ فكان له عشرون لِقْحَة بالغابة، وهي التي أغار عليها عُيينة بن حصن الفزاري، وهي التي كان يعيش بها أزواجه وأهله، كان يراح منها كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن، ومنها: الحَنَّاء، والسمراء، والعريس، والسعدية، والبغوم، واليسيرة والدَّبَّاء(٢). فهذه السبع كانت غزاراً.

وكان له من النوق العضباء، ابتاعها من أبي بكر رضوان الله عليه بأربع مئة درهم لما هاجر إلى المدينة(٣).

[قال الواقدي:] كان له ﷺ مئة شاة، منها منائح سبعة: عجوة، وزمزم، وسُقيا، وبَرَكة، ووَرسة، وإطلال، وإطراف، وكانت أم أيمن ترعاهن(٤).



---

(١) «الموضوعات» ٢/ ٢٦ ـ ٢٧ عقب (٥٥٥).

(٢) «الطبقات» ١/ ٤٢٥.

(٣) «انظر «الطبقات» ١/ ٤٢٤.

(٤) «الطبقات» ١/ ٤٢٦.

الباب الخامس عشر

في ذكر لباسه وخاتمه وآنيته ﷺ

[قال ابن سعد بإسناده عن] البراء بن عازب قال: ما رأيت أحداً أحسن من النبي ﷺ في حلة حمراء. [أخرجاه في «الصحيحين»(١).

وقد أخرج أحمد بمعناه فقال بإسناده قال: سمعت أبا إسحاق يقول: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة، شعره إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء، ما رأيت شيئاً قط أحسن منه ﷺ. متفق عليه(٢).

وفي رواية: له شعر يضرب منكبيه(٣)].

وقال [أحمد بإسناده عن] قتادة: قلت لأنس: أي اللباس كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قال: الحِبَرَة. [متفق عليه(٤).

قال الجوهري: الحِبَرة بُرْدٌ يمانٍ، والجمع حِبَرات وحِبَر](٥).

وقالت أم سلمة ﵂: ربما صبغ رسول الله ﷺ قميصه ورداءه وإزاره وعمامته بالزعفران والورس والعنبر(٦). [قيل: والعنبر هو الزعفران عندهم.

وروى ابن سعد عن] أبي رِمْثَة قال: رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران(٧).

[وروى ابن سعد عن] أنس قال: كان قميص رسول الله ﷺ قطناً، قصير الكمين إلى الرسغ(٨).

---

(١) «الطبقات» ١/ ٣٨٧، والبخاري (٥٨٤٨)، ومسلم (٢٣٣٧) (٩٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٤٧٣)، والبخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٥٥٨).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٣٧٧)، والبخاري (٥٨١٢)، ومسلم (٢٠٧٩).

(٥) «الصحاح» (حبر)، وما بين معكوفات من (ك).

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٨٨.

(٧) «الطبقات» ١/ ٣٨٩، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٧١١١).

(٨) «الطبقات» ١/ ٣٩٤.

وكان طول ردائه أربعة أذرع في ذراعين[١].

وقال عمر[٢]: رأيت على رسول الله ﷺ جبَّة ضيقة الكمين[٣].

وكان أحب اللباس إليه البياض.

[فصل في حديث الخاتم:

قال أحمد بإسناده عن] ابن عمر قال: اتَّخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب، وكان يجعل فَصَّه مما يلي كفه، فاتَّخذه الناس، فرمى به، واتَّخذ خاتماً من وَرِق[٤].

[وقال أحمد بإسناده عن] ابن عمر قال: اتَّخذ رسول الله ﷺ خاتماً من وَرِق، فكان في يده، ثم كان في يدِ أبي بكر من بعدِه، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان، نقشُه: «محمد رسول الله». [الطريقان في «الصحيحين»[٥].

وفي حديث عائشة: كان يتختم في يمينه ثم يحوله إلى يساره[٦].

قال أحمد بإسناده عن] عقبة بن عامر الجهني قال: أهدي إلى رسول الله ﷺ فَرُّوجُ حرير، فلبسه، ثم صلّى فيه، ثم انصرف فنزعه نزعاً شديداً عنيفاً كالكاره له، ثم قال: «لا ينبغي هذا للمتّقينَ». [أخرجاه في «الصحيحين»[٧].

وفي رواية: «ليس هذا لباسَ المتَّقينَ»[٨].

و«الفروج»: القباء المفرج من خلفه].

وقال محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: ترك رسول الله ﷺ عشرة أثواب حبرة،

---

(١) «الطبقات» ١/ ٣٩٤ عن عروة بن الزبير.

(٢) في النسخ: «ابن عمر»، والمثبت من المصادر.

(٣) «الطبقات» ١/ ٣٩٥، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٣).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٦٧٧)، والبخاري (٥٨٦٥)، ومسلم (٢٠٩١).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٧٣٤)، والبخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٠٩١) (٥٤).

(٦) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٥/ ٢٣٧.

(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٣٤٣)، والبخاري (٥٨٠١)، ومسلم (٢٠٧٥).

(٨) أخرجها الطبراني في «الكبير» ١٧/ (٧٥٨).

وإزاراً عمانياً و ثوبين صحاريين وقميصاً صحارياً، وقميصاً سحولياً، وجبة يمانية، وملحفة مورَّسة، وخميصة وكساء أبيض، وثلاث قلانس لاطية صغاراً.

وقال هشام: كان له بردان أخضران يصلي فيهما الجُمع والأعياد، وكساء أسود، وبرد أحمر يلبسه في الجمعة والعيدين، وكان له مِنتقة[1] من أديم فيها سُيور، وحلق فضة وإبريسم، وحصيرة، وعباء يبسطها طاقين، وينام عليها، وخفان أسودان أهداهما له النجاشي، كان يمسح عليهما، وكانت له فروة مدبوغة، وخمرة يصلي عليها ـ وهي السجادة ـ ونعلان لهما قبالان، فكان يصلي فيهما، وكانت له ربعة فيها مشط من عاج، ومرآة ومكحلة، ومقراض، ومسواك، وكانت الربعة لا تفارقه سفراً وحضراً، وكان يكتحل بالإثمد وهو صائم، وكان له قدح مضبَّب بالفضة.

وأخرج البخاري، عن عاصم الأحول قال: رأيت عند أنس بن مالك قدحاً من نُضار قد انصَدع وقد سَلسَلَه بفضة، قال أنس: لقد سقيت رسول الله ﷺ بهذا القدح كذا وكذا مرة. قال ابن سيرين: وكان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يغيرها بحلقة ذهب أو فضة، فقال له أبو طلحة: لا تغير شيئاً صنعه رسول الله ﷺ فتركه[2].

[وقال الواقدي:] وكان له ﷺ تور من حجارة، وطست من نحاس، وقدح من زجاج، وقصعة [وقدح] من عِيدان يبول فيه في الليل.

فإن قيل: فقد رويتم في ميراثه ﷺ أنه ما ترك ديناراً ولا درهماً، ولا شاة ولا بعيراً ولا شيئاً؟

قلنا: قد روى عروة، عن عائشة أنها سُئلت عن ذلك فقالت: فرق رسول الله ﷺ ذلك كله قبل موته.

وروى الهيثم عن أشياخه أنهم قالوا: ما ترك رسول الله ﷺ شيئاً مما يسأل الإنسان عنه، وإنما ترك ما يُلبس ويُمتَهَن[3].

---

(١) كذا في (أ ،خ)، وفي (ك): منيقة، ولم أتبينها.
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٨).
(٣) رسمت في النسخ: يمتن، ولعل المثبت هو الصواب.

وقد ضعف الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله ما روي عن محمد بن علي بن الحسين، وهو أيضاً منقطع لأنه لم يرفعه.

وذكر المدائني أن العباس خاصمَ عليًّا إلى أبي بكر رضوان الله عليه في ميراث رسول الله ﷺ فقال: العم أولى بالميراث أو ابن العم؟ فقال أبو بكر: العم، قال: فما بال درع رسول الله ﷺ وبغلته دُلْدُل، وسيفه ذو الفقار عند علي، فقال أبو بكر رضوان الله عليه: هذا شيء وجدته في يده فأكره أن أنتزعه منه، فسكت العباس.

قال المصنف[1] رحمه الله: وهذا محمول على أن رسول الله ﷺ وهب ذلك لعلي قبل موته، وخفي ذلك عن العباس، وإلا فكيف يظن بعلي أن في يده ما لا يستحقه؟!.



(١) في (ك): قلت.

الباب السادس عشر

في آلات حربه ﷺ

قدم رسول الله ﷺ المدينةَ ومعه سيف ورثه من أبيه يقال له: العَضْب، شهد به بدراً، وأصاب ﷺ من بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيفاً قَلَعياً، وسيفاً يدعى بتَّاراً، وسيفاً يدعى الحَتْف، والمِخْذَم ورَسوب أصابهما من الفُلْس - اسم صنم[١] - بعث رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه فوجد الصنم مقلداً بهذين السيفين، أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وكانا للحارث بن أبي شمر الغساني وكان قد نذر إن ظفر ببعض أعدائه أهداهما إلى الصنم، وفيهما يقول علقمة بن عبدة التميمي[٢]: [من الطويل]

مُـظـاهِـرُ سِـربـالَـيْ حـديـدٍ عـلـيـهـمـا　　عـقـيـلا سُـيـوفٍ مِـخْـذَمٌ وَرسـوبُ

وذو الفَقار تنفَّله يوم بدر من ابن الحجاج، وكانت قبيعته وقائمه ونعله وحِلَقه من فضة[٣]. وهو الذي رأى رسول الله ﷺ فيه الرؤيا ليلة أحد[٤]. ولم يزل عنده حتى وهبه لعلي رضوان الله عليه قبل موته، ثم انتقل إلى محمد بن الحنفية، ثم إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسين، وكان له سيوف أخر.

وأصاب ﷺ من بني قينقاع ثلاث قسي، اسمها الرَّوْحاء، وقوس من شَوْحَط تُدعى البيضاء، وقوس من نبع تُدعى الصفراء[٥]، وقوس يقال لها: الكتوم، رمى عنها يوم أحد فأخذها قتادة بن النعمان، وكانت من نبع[٦].

وكان له جعبة يقال لها: الكافور، وسهام يقال لها: المفضلة.

وأصاب ﷺ من سلاح بني قينقاع درعين يقال لأحدهما: السُّغدية، والأخرى فضة[٧].

---

(١) انظر «الطبقات» ١/ ٤١٧ - ٤١٨.

(٢) «الأصنام» ص ١٥.

(٣) انظر «الطبقات» ١/ ٤١٨.

(٤) حيث قال ﷺ: «رأيتُ في سيفي ذي الفقار فَلًّا» انظر مسند أحمد (٢٤٤٥) و«الطبقات» ١/ ٤١٨.

(٥) «الطبقات» ١/ ٤٢١، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٧٧.

(٦) «تاريخ دمشق» ٤/ ٢١٨.

(٧) «الطبقات» ١/ ٤١٩.

وكان له درع يقال لها: ذات الفضول، وهي التي ظاهر بها يوم أحد[١].

قال ابن الكلبي: وكانت له درع يقال لها: ذات الوشاح، والخريق، والبتراء، وأحد هذه الدروع الدرع التي لبسها داود عليه السلام لما قَتَل جالوت، وكانت عند بني قينقاع يتوارثونها لأنهم يدعون أنها من قبيل داود، وهي التي رهنها عند اليهودي على آصع من شعير، وتوفي ﷺ وهي مرهونة.

وكان له تُرس يقال له: الزلوق، وفيه تمثال كبش، فكره رسول الله ﷺ مكانه، فأصبح يوماً وقد محي[٢].

وكان له ﷺ مِغفَر يقال له: اليسوع[٣]، وهو الذي دخل يوم فتح مكة وهو على رأسه.

وكان له ﷺ آخر هُشِم على رأسه يوم أحد مع البيضة، ودخلت حلقتاه في وجنتيه.

وكان له ﷺ مِحْجَن قدر الذراع يمشي وهو بيده ويعلقه بين يديه على راحلته، وهو الذي طاف بالبيت وهو بيده يستلم به الأركان[٤].

وكانت له ﷺ مِخْصَرَة تسمى العرجون، وهي كالقضيب يستعملها الأشراف للتشاغل بها في أيديهم، ويحكون بها ما بعد من البدن[٥] عن اليد.

وأهدى له النجاشي عَنَزة ـ وهي حربة صغيرة ـ كانت تحمل بين يديه في الأعياد، وإذا صلى في الصحراء جعلها سترة[٦]، وكانت تحمل بين يدي الخلفاءِ في الأعياد، وبقيت إلى زمن المتوكل جعفر[٧]، وقيل: هي مدفونة بسُرَّ مَن رأى[٨].

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) «الطبقات» ١/ ٤٢٠، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٧٨، وانظر «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٣٨.

(٣) هكذا ورد في (أ) و (خ)، وفي «أنساب الأشراف» ١/ ٦١٤ كان له مغفر يقال له: ذو السبوب.

(٤) انظر «التراتيب الإدارية» ١/ ٨٢، و«سمط النجوم العوالي» ٢/ ٢٤.

(٥) انظر «سمط النجوم العوالي» ٢/ ٢٤.

(٦) انظر «الطبقات» ٣/ ٢١٧، و«أنساب الأشراف» ١/ ٦١٤ ـ ٦١٥.

(٧) انظر «المنتظم» ١١/ ٣٢٢، و«الكامل» ٦/ ١٢٩.

(٨) «أنساب الأشراف» ١/ ٦١٥.

الباب السابع عشر

في عدد غزواته وسراياه ﷺ

غزا رسول الله ﷺ سبعاً وعشرين غزاة، قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقُرَيظة، وخَيبر، والفتح، وحُنين، والطائف[١].

وروي: أنه ﷺ قاتل في بني النضير ووادي القُرى مُنصرفه من خيبر، وفي الغابة[٢].

وقال الطبري: جميع غزواته ست وعشرون بنفسه، وبعضهم يقول: سبعٌ وعشرون، فمن قال: ست وعشرون، جعل غزاة خَيبر ووادي القُرى غزاةً واحدةً[٣].

وقال البراء بن عازب: غزا رسول الله ﷺ خمس عشرة غزاةً[٤].

وقال برَيدة: سَبع عشرة، قاتل في ثمانٍ[٥].

وقال زَيد بنُ أَرقم: تسعَ عشرة غزاةً[٦].

وقال جابر: إحدى وعشرين[٧].

وقال سعيد بن المسيِّب: ثماني عشرة، وقال أيضاً مرَّةً أخرى: أربعاً وعشرين غزاة[٨].

والأصح القول الأول، وما نقل عن بُرَيدة، والبراء، وجابر، وغيرهم فمحمول على أنهم لم يحضروا مع رسول الله ﷺ إلا فيما ذكروا، ولم يبلغوا سوى ذلك.

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ١٥٢ .

(٢) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٥٤ .

(٣) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٥٢ .

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٥٥٩)، وأخرجه البخاري (٤٤٧٢) بلفظ: غزوت مع النبي ﷺ خمس عشرة.

(٥) أخرجه مسلم (١٨١٤)، وعنده: تسع عشرة .

(٦) أخرجه البخاري (٣٩٤٩)، ومسلم (١٨١٢) (١٤٤) .

(٧) أخرجه مسلم (١٨١٣).

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٦٥٩) .

وقال الواقدي: كانت سراياه ﷺ ستاً وخمسين سريةً فيما أجمع لنا عليه.

وقال ابن إسحاق: إنها كانت خمساً وثلاثين سريةً ما بين بعثٍ وسريةٍ[(١)].

وقال بُريدة: أربعاً وعشرين سرية[(٢)].

والأصحُّ أنها كانت ستاً وخمسين.



(١) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٥٤، وفي «السيرة» ٢/ ٦٠٩ : ثمانياً وثلاثين .

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٤٥٩ .

الباب الثامن عشر

في ذكرِ كُتَّابه للوحي وغيره ﷺ

كان يكتب لرسول الله ﷺ الوَحيَ بمكةَ أبو بكرٍ، وعمر، وعثمان رضوان الله عليهم، ثم لما هاجر إلى المدينة كتب له عثمان رضوان الله عليه[١].

وقيل: أول من كتب للنبيِّ ﷺ الوحيَ بالمدينة عند الهجرة أُبيُّ بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: وكتب فلان[٢]، ثم داوم زيد على الكتابة، ثم كتب له عامر ابن فُهيرة، وثابت بن قيس بن شَمَّاس، وشُرَحبيل بن حَسَنة، وخالد بن سعيد بن العاص، وأَبان بن سعيد، والعلاء بن الحَضْرمي، وحنظلة بن الربيع بن صَيفي أبو رِبعي من بني تميم، ويعرف بحنظلة الكاتب، له صحبة وروايةٌ، صحب خالد بن الوليد في حروب العراق كلها، وهو أخو[٣] أكثم بن صَيفي، ولما وقعت الفتنة، اعتزلها، وخرجَ إلى قَرْقِيسياء هو وجريرٌ البَجَلي وعديُّ بن حاتم، وتوفي في أيام معاوية بن أبي سفيان.

قال حنظلة: كنَّا عند رسول الله ﷺ فذكرنا الجنة والنارَ حتى كأنَّا رأْيَ عينٍ، فأتيتُ أَهلي وولدي، فضَحكتُ، ولَعبتُ، وذكَرتُ الذي كنَّا فيه، فخرجتُ، فلقيتُ أبا بكر: فقلتُ له: نافقَ حنظلةُ، فقال: إنَّا لَنفعَلُهُ، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «يا حنْظَلَةُ، لو كُنتُم تكونُونَ كما تكونون عِندي لصافَحَتْكُم الملائِكةُ على فُرُشِكُم، أو في طُرُقكُم، يا حَنظَلَةُ ساعةً وساعةً». انفرد بإخراجه مسلم[٤].

وذكر شيخُنا موفَّقُ الدين رحمةُ الله عليه في «الأنساب»[٥]: أنَّ الكاتب لعَهده إذا عاهدَ، ولصلحِهِ إذا صالح عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه.

---

(١) انظر «البداية والنهاية» ٥/ ٣٤٦.

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ١٧٣، و«الوافي بالوفيات» ٦/ ١٢٢، و«الإصابة» ١/ ١٩.

(٣) هكذا جاء في (أ) و(خ)، والصواب أنه ابن أخي أكثم. انظر «الإصابة» ١/ ٣٥٩.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٥٠).

(٥) التبيين ٩٤.

وكتب له محمد بن مَسْلَمة، وعبد الله بنُ عبدِ الله بن أبي ابن سَلول، والمغيرة بن شعبة، وجُهيم بن الصلت، ومُعَيقِيب بن أبي فاطمة، وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وارتَدَّ عن الإسلام، ولحق بمكَّة، فأباح ﷺ دمه، ثم أسلم بعد ذلك، وكتب له معاوية بعد الفتحِ، وكان الزبير يكتب أموال الصدقة، وحذيفة بن اليمان يكتب خَرْصَ[1] النخل، والمغيرة بن شُعبة يكتب كُتبَ المعاملات والمداينات، وزيد بن أرقم يكتب جواب كتبِ الملوك، وكتب علي بن أبي طالب رضوان الله عليه كتاب الحديبية، وكتاب أهل نَجران، وكتب له ﷺ خالد بن سعيد بن العاص كتاباً لأهل وج.

وذكر ابن عباس: أنَّه كان له كاتب يقال له: سجل، وهو المراد بقولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤][2]، وكتبَ له عبد الله بن الأرقم ابن عبد يغوث بن وَهب الزهري، وكان قد أسلم عام الفتح وكان يجيب عن كتب الملوك، وكان إذا كتب كتاباً إلى بعض الملوك لا يقرؤه بل يجبه حفظاً لأمانة رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يدعو له، وقال يوماً: «اللهمَّ وَفِّقه»[3] وكان عمر بن الخطاب حاضراً، فبقي ذلك في قلب عُمر، فلما وليَ، ولَّاه بيت المال لأمانته، وكذا عثمانُ وفرض له ثلاثَ مئة درهم، فردها، وقال: كنت أعملُ لله فلا آخذ عليه أجراً، وكان عمر يثني عليه، وقيل: إن الذي أعطاه ثلاث مئة درهم عمر، وكتب عبد الله هذا لأبي بكرٍ وعمر، واستعمله على بيت المال عثمان، ثم استعفاه، فأعفاه، وكتب له عبد الله ابن زيد صاحب الأذان، وجهيم بن الصلتِ، والعلاء بن عقبة وغيرهم.



(١) الخَرصُ: حَزْرُ ما على النخل من الرطب تمراً. الصحاح: خرص.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤/ ٣٣٢.

(٣) أخرجه الحاكم ٣/ ٣٧٨ ولفظه: أتى النبيَّ ﷺ كتاب رجل فقال لعبد الله بن الأرقم: «أجب عني» فكتب جوابه، ثم قرأه عليه فقال: «أصبت وأحسنت، اللهمَّ وفقه». وانظر طبقات ابن سعد ٦/ ٧٣.

الباب التاسع عشر

في ذكر مؤذنيه ﷺ

كان عبد الله بن زيد الأنصاري سبَبُ الأذان، وكان المداومَ عليه سفراً وحضراً.

وكان عبد الله بن أمِّ مكتوم أعمى لا يؤذن حتّى يقال له: أصبحتَ، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ بلالاً يُؤَذِّنُ بِليلٍ، فكُلُوا واشربُوا حتى يُؤَذِّنَ ابنُ أُمِّ مكتوم»[1].

وأذن له ﷺ أبو محذورة بمكة.



(١) أخرجه البخاري(٦١٧)، ومسلم(١٠٩٢)من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو مروي عن عائشة رضي الله عنها في «الصحيحين» أيضاً: البخاري (١٩١٨)، ومسلم (١٠٩٢) (٣٨).

الباب العشرون

في ذكر عماله وحرسه ونحوه

توفي ﷺ وعامله على مكة: عتاب بن أسيد، وعلى البحرين: العلاء بن الحضرمي، وعلى عمان: جَيْفَر وعَبْد ابنا الجُلَنْدَى، وغلب على الطائف عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان على مخاليف الجند وصنعاء: عمرو بن أمية المخزومي، وعلى مخاليف زبيد وأعمالها: خالد بن سعيد بن العاص، وعلى حرسه: أبو سفيان بن حرب[1]، وكان معاذ وأبو موسى على قضاء اليمن.

وحرَسَه جماعة، منهم: سعد بن معاذ يومَ بدرٍ لما قام في العريش، وحرسه سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة، وسعد بن معاذ، ليلة أحد، وحرسه علي، والزبير، وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم ليالي الخندق، وحرسه أبو أيوب الأنصاري بخيبر ليلة بنى بصفية، وحرسه بلال المؤذن بوادي القرى ليلة التعريس، في آخرين، ومازال يُحرسُ حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[المائدة: ٦٧] فترك الحرس، وكان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ علي، والزبير، ومحمد بن مسلمة، والمقداد بن الأسود، وعاصم ابن أبي الأفلح، وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه بمنزلة الشرط من الأمير.



---

(١) في أنساب الأشراف ١/ ٦٢٠ أن أبا سفيان كان عامل رسول الله ﷺ على نجران.

الباب الحادي والعشرون

فيمن كان يشبهه ﷺ

وكان يشبهه ﷺ جماعة، منهم: جعفرُ بن أبي طالب، والحسن بن علي، وقثم بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والسائب بن عبيد، ومسلم بن مُعتِّب، وكابس[١] بن ربيعة بن مالك البياضي البصري، من بني سامة بن لؤي، وكان أشبَه الناس برسول الله ﷺ في خَلقه وخُلقِه، فكان أنس بن مالك إذا رآه عانقه، وبكى، وقال: من أراد أن ينظر إلى رسول الله ﷺ فلينظر إلى هذا، وبلغ معاوية بن أبي سُفيان خَبَره، فاستقدمه، فلما دخل عليه قام واعتَنَقه، وقبَّل ما بين عينيه، وأقطعه مالاً وأرضاً، فرد المال وقبل الأرض[٢].



(١) في (أ) و(خ): «أنس» والمثبت من «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٥٩ و«تاريخ دمشق» ٥٠/ ٣.

(٢) «تاريخ دمشق» ٥٠/ ٤.

الباب الثاني والعشرون

في ذكر حَجِّه وعمرته ﷺ

لم يحج في الإسلام إلا مرّةً واحدةً، وهي حَجّةُ الوداعِ، وأما في الجاهلية فقد كان يقف مع المشركين على عادتهم، وكذا بعد النبوة حتى هاجر، واعتمر أربع عمر.

قال قتادة: سألتُ أنس بن مالك، قلتُ: كَم حجَّ رسول الله ﷺ؟ فقال: حجَّةً واحدةً، واعتمر أربع عمر: عمرته زمنَ الحديبيةِ، وعمرته في ذي القَعدة قضاء عن الحديبية، وعمرته عن الجِعْرَانة في ذي القَعدة حيث قسم غنائم حُنين، وعمرته مع حجته. أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

قال المصنف رحمه الله: عمرة الحديبية لا تحسب لأنه ما دخلَ مكَّة، فكان حكمه حكم المحصَرِ.

والأصحُّ أنه اعتمر ثلاث عمرٍ.

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر: عُمرة في رجب، وقد أنكَرت عليه عائشة رضي الله عنها وقالت: ما اعتمر إلا ثلاث عمر[(٢)].

قال عروة بن الزبير: كنت أنا وابن عمر مستنديْن إلى حجرة عائشة، وإنا لنسمعها تستنُّ بالسواك، قلت: أبا عبد الرحمن، اعتمر النبيُّ ﷺ في رجب؟ قال: نعم، قلت: يا أمَّتاه، ما تسمعِين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: ما يقولُ؟ قلتُ: يقول: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ اعتمر في رجب، فقالت: يغفر الله له، ما اعتمر رسولُ الله ﷺ في رجَب، قال: وابن عمر يسمع، فما قال: لا، ولانعم، سكت.أخرجاه في «الصحيحين»[(٣)].

وفي روايةٍ: أنَّها قالت: ولَعَمري، ما اعتمرَ رسول الله ﷺ إلا وهو معه، وشاهده.

---

(١) البخاري (١٧٧٨)، ومسلم (١٢٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٩١٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٥ _ ١٧٧٦)، ومسلم (١٢٥٥).

وأخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه عن مُحرِّش بن عبد الله الكعبي الخزاعي، أنَّ النبيَّ ﷺ خرج ليلاً من الجعرانة معتمراً، فدخل مكة، فقضى عمرته، ثم عاد إلى الجعرانة ليلاً، أو من ليلته، حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سَرِفٍ، حتى جاء مع طريق المدينة، قال: فلذلك خفيت عمرته على الناس[1].



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٥١٣).

الباب الثالث والعشرون

في ذكر صفته ﷺ

قال أنس بن مالكٍ ينعت رسول الله ﷺ: كان رَبْعَة من الرجال، ليس بالقصير ولا بالطويل، رَجِلَ الشعر، ليس بالسَّبِطِ، ولا بالجَعْد القَطَطِ، بُعث على رأسِ أربعين، أقام بمكة عشراً، وبالمدينة عشراً، وتوفي على رأس سِتين، ليس في رأسه ولحيته عشرونَ شعرة بيضاء. متفق عليه(١).

وقال أنس: كان رسول الله ﷺ ضَخْمَ القدمينِ، حَسَن الوجه [لم أر بعده مثله(٢).

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ شَثِنَ القَدَمين والكَفَّين(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال:] مامسِستُ حَريراً ولا دِيباجاً ألينَ من كفِّه، ولا شَمِمت مِسكاً ولا عَنبراً ولا عَرْفاً أطيب من ريحه ﷺ(٤).

وعن أُم سليم أن النبيَّ ﷺ كان يأتيها، فيقيل في بيتها، فتبسط له نطعاً، وكان كثير العرق، فتجمع عرقه، فتجعله في الطيب والقوارير، قالت: وكان يصلي على [الخمرة(٥)، وهي]سجادة صغيرة تُنسج من الخُوصِ.

وقيل للبراءِ: أكان وجهُ رسول الله ﷺ مثلَ السيف؟ فقال: لا، بل مثلَ القمرِ(٦).

وقال أبو سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العَذراء في خِدْرِها،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٠٨) وفيه: عن أنس أو عن رجل عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠) (٨٢)، ولم نقف على السياق الذي ذكره المصنف ولعله من تصرف النساخ، وما بين معقوفين زيادة من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٨١)، ومسلم (٢٣٣٢)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (٢٧١١٧)، وما بين معقوفين زيادة ضرورية لتوضيح السياق.

(٦) أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

كان إذا كَره شيئاً، عرَفناهُ في وجههِ[١].

قال الزهري: معناه إذا كره شيئاً لم يواجه به صاحبه، بل يكتمه فيؤثِّر في وجهه.

ذكر صفته ﷺ في التَّوراة:

قال [ابن سعد بإسناده عن]سهل مولى عثيمة، وكان رجلاً يهوديًّا قد قرأ التوراة قال: أخَذْت يوماً توراةَ عمِّي، فإذا ورقة ملصقة، ففتقتها، وإذا فيها سطورٌ: محمد رسول الله، لاطويل، ولا قصير، أبيض بض، بين كتفيه خاتم النبوة، يكثر الاحتباء، ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحلب الشاة، ويلبس القميص المرقوع، وهو من ضئضئ إسماعيل، واسمه أحمد، فقالَ لي عمِّي: ما تقرأ؟ قال: قلت: صفة محمد، قال: إنه لم يجئ بعد، ونهاني عن القراءة[٢].

وقال وهب بن منبه: في التوراة: يا ابن عمران، إني باعث في آخر الزمان نبياً أميًّا، مولده بمكة، ومهاجره طيبة، وملكه بالشام والعراق، حبيب، محبّب، ليس بغليظ، ولا قوال بالفحش والخنا [أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم][٣].

وقال كعب الأحبار: وفي التوراة: يا ابن عمران، إنِّي قد اخترت من عبادي نبياً كريماً اسمه أحمد، منحته الأخلاق الكريمة، وجعلت عليه الوقار والسكينة، التقوى لباسه، والبِرُّ شعارُه، والحلمُ دِثاره، والحكمةُ منطقه، والصدق سجيَّته، والعدلُ شِيمته، والحقُّ شريعته، والوفاء طريقَتُه، والعفو مِلَّته، والقرآن خُلُقه، والهدى دَليلُه، والجودُ والرحمةُ والبِرُّ طبيعتُه، أهدي به من الضلالة، وأجمع به من الفرقة، وأعلم به من الجهالة، وأؤلف به بعدَ الشتاتِ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يأمُرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: يا رب اجعلني من أمة محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٢) «الطبقات» ١/ ٣١٢، وفيه: أنه كان نصرانياً، وأنه كان يقرأ الإنجيل.

(٣) انظر «المنتظم» ٢/ ٢٥٨، و«البداية والنهاية» ٢/ ٨١.

فصل في شَيْبه ﷺ:

قال ثابت البُناني: سألت أنساً: هل شمط رسول الله ﷺ؟ قال: لقد قبض الله رسوله ﷺ وما فضحه بالشيب، ما كان في رأسه ولحيته يوم مات ثلاثون شعرة بيضاء، فقيل: أفضيحة هو؟ قال: أما أنتم فتعدونه فضيحة، وأما نحن فكنا نعده زيناً[١].

وقال جابر بن سمرة: كان رسول الله ﷺ قد شَمِطَ مقدَّمُ رأسه ولحيتِهِ، فإذا ادَّهن ومشطه لم يتبيَّن، وإذا شَعِثَ رأسُه تبيَّن، وكان كثير شعرِ اللِّحيةِ، فقال له رجل: كان وجهه مثلُ السيفِ؟ فقال: لا، بل مثل الشمسِ والقمرِ، وكان مُستديراً، قال: ورأيتُ الخاتَم عند كتفيهِ مثلَ بيضةِ الحمامةِ، يُشبه جسَدَه[٢].

وقال عثمان بن عبد الله بن مَوهَب: دخلنا على أم سلمة، فأخرجت إلينا شعراً من شعر رسول الله ﷺ مخضوباً بالحناءِ والكَتَمِ[٣].

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: ما روي عن أنس أنه قال: لم يخضب رسول الله ﷺ، قد شهد غير واحد على رسول الله ﷺ أنه خضب، وليس من شهد بمنزلة من لم يشهد.

وقال سفيان والزهري: ما خضب رسول الله ﷺ وإنما احمرَّ شعره من كثرة الطيبِ، وإنما خضب أصحابه بالحناءِ والكَتمِ.

وأما الخضاب بالسواد فحرام، ولو كان مباحاً لخضب به الصحابة.

وقال أبو جُحيفة: قيل: يا رسول الله، أسرع إليك الشيبُ، فقال: «شَيَّبتني هودٌ وأَخَواتُها»[٤].

وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، أي: على أمر ربك والدعاء إليه، فما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشد ولا أشق عليه

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٤٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤٤) (١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩٧)، وأحمد في «مسنده» (٢٦٥٣٩).

(٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٤٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٨٨٠)، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٣١٨).

منها، ولذلك قال له أصحابه: لقد أسرع إليك الشيب، فقال: «شَيَّبتني هودٌ» وأشار إلى هذه الآية[١].

وقال ابن عباس: كان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يُسدِلون، وكان رسول الله ﷺ يُعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به، فسَدَل ناصيتَه، ثم فرق بعد. أخرجاه في «الصحيحين»[٢].

وقالت أم هانئ: قدم رسول الله ﷺ مكة مرة، وله أربع غدائر[٣].

وقال أنس: كان شعر رسول الله ﷺ بين أذنيه وعاتقه[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يحفي شاربه، وكان ابن عمر يفعل ذلك[٥].

وقال السَّائِبُ بن يزيد: ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إن ابن أختي وَجِعٌ، فمسَحَ رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وَضوئهِ، ثم قمتُ خلفَ ظهرهِ، فنظرتُ إلى خاتَمِ النبوة بين كتفَيْه مثل زِرِّ الحَجَلَة[٦].



(١) تفسير الثعلبي ٥/ ١٥٠.
(٢) البخاري (٣٩٤٤)، ومسلم (٢٣٣٦).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٨٩٠)، وأبو داود (٤١٩١)، والترمذي (١٧٨١)، وابن ماجه (٣٦٣١).
(٤) أخرجه البخاري (٥٩٠٥)، ومسلم (٢٣٣٨).
(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٨٦.
(٦) أخرجه البخاري (١٩٠)، ومسلم (٢٣٤٥).

الباب الرابع والعشرون

في ذكر محبَّته للطيب وحجامته ﷺ

قال ثمامة بن عبد الله: إنّ أنساً كان يردُّ الطيبَ، وزعم أنس أن رسول الله ﷺ كان لا يردُّ الطيبَ[(١)].

وكان رسول الله ﷺ يُعرف بريح الطيبِ إذا أقبلَ[(٢)]. وكان طيبه المسك والعنبر.

وقالت عائشة رضوان الله عليها: طيَّبتُ رسولَ الله ﷺ لإحرامِه حينَ أحرَمَ، ولإحلالِه حينَ أحلَّ[(٣)].

وكان وَبيصُ الطيبِ يَبدو في مفارقِه[(٤)].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يجعل الكافور على العود، ثم يستجمر به، ويقول: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع[(٥)].

وعن أنس، أن النبي ﷺ قال: «حُبِّبَ إليَّ النساءُ والطيبُ، وجُعلَت قُرَّة عيني في الصلاةِ»[(٦)].

وقال أنس: كان رسول الله ﷺ يَحتجمُ ثلاثاً، واحدة على كاهِلِه، وثنتين على الأخدعين[(٧)].

وقال مَعقِلُ بن يسار: قال النبي ﷺ: «الحِجامةُ يومَ الثلاثاءِ لسبعَ عشرة من الشهرِ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٣٥٦)، والترمذي (٢٧٨٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٨٥٨)، وابن سعد ١/ ٣٤٣.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٥٤)، ومسلم (١١٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧١)، ومسلم (١١٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق النبي ﷺ وهو محرم.

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٤٤.

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٤٢، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٨٧).

(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٠٠١)، وأبو داود (٣٨٦٠)، وابن ماجه (٣٤٨٣).

دواءُ السَّنَةِ»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ احتَجَم، وأعطى الحجَّامَ أجره. متفق عليه[٢].

وأخرج الإمام رحمة الله عليه، عن رافع بن خَدِيج، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أفطَرَ الحاجِمُ والمَحْجُومُ»[٣].

فصل في اطلاء رسول الله ﷺ بالنورة:

حدّثنا جدي رحمه الله بإسناده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

اطَّلَى رسولُ الله ﷺ بالنُّورَةِ، فلما فَرَغ منها قال: «يا مَعاشِرَ المُسلِمين، عليكم بالنُّورَةِ، فإنَّها طَيِّبةٌ وطَهورٌ، وإنَّ اللهَ يُذهِبُ بها عنكم أوساخَكُم وأَشْعارَكُم»[٤].

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا اطلى وَلي عانتَه بيدِه[٥].

[وقد روى أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «أولُ مَن دخلَ الحمامَ وصُنعت له النُّورةُ سليمانُ عليه السلام» وقد ذكرناه].

وقد كان جماعة من الصحابة يتنورون: الحسن بن علي، وأنس، وأبو الدرداء رضي الله عنهم، وكان جماعة منهم يحلقون الشعر، ولا يتنورون، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم.

وروى [أنس: أن رسول الله ﷺ كان لا يَتنوَّر، فإذا كَثُر شعرُه حَلَقه[٦].

وقال الأطباء: منفعة النورة أن تبرز ما تحت الجلد من الأوساخ وخصوصاً في

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٠/ ٤٩٩، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ٩٣ وقال: وفيه زيد بن أبي الحواري العمي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٠٣)، ومسلم (١٢٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٨٢٨).

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٢/ ٣٦٠.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٧٥٢).

(٦) أخرجه البيهقي ١/ ١٥٢.

زمان الربيع، فإن قيل: فقد قال] ابن سعد، عن قتادة أنه قال: ما تنوّر رسول الله ـ ﷺ ـ ولا الخلفاء بعده[١] [فالجواب: أن] عائشة، وأم سلمة رضي الله عنهما أعرف بأحوال رسول الله ﷺ من قتادة، وقد روتا قولاً، وفعلاً، وإثباتاً، وقتادة نفى، والعمل على الإثبات.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يَكتحلُ بالإثمدِ كلَّ ليلةٍ قبل أن ينامَ، وكان يكتحلُ في كلِّ عينٍ ثلاثة أَميالٍ[٢].



(١) «الطبقات» ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٣٢٠).

الباب الخامس والعشرون

في هبته وصدقته ﷺ

أول وَقفٍ كان في الإسلام مال مُخَيريق اليهودي الذي قُتل بأحدٍ، وكان من أَحبار اليهود، خرج فقاتل وهو على دينهِ، وقال قبل أن يُقتَل لمحمد بن مَسلمة، وسلامةَ بن وقشٍ: إن أُصبت فأَموالي لمحمدٍ يَضعها حيثُ يشاءُ، وكان أَيسرَ بني قينقاع، وتصرف رسول الله - ﷺ - في ماله، وكان سبع حوائط: الأعراف، والصافية، والدلال، والميثب، وبُرقة، وحسنى، ومشربة أم إبراهيم، ولما حبس رسول الله - ﷺ - هذه الأماكن، حبس المسلمون بعد على أولادهم[1].

وفي كل حائط من هذه الحوائط بئر ماء. وما كان النبي - ﷺ - يشرب منها، بل من آبار أخر من آبار المدينة، منها بئر بضاعة، وبئر أريس، وبئر رُومة، وبئر غَرْس، وبئر جاسم، وبئر حساء واليسيرة، وبئر ذَرْوان، وهي التي وجد فيها السحر[2]، وبئر مالك ابن النضر والد أنس بن مالك، وكل هذه الآبار شرب منها رسول الله ﷺ واغتسل وتفل فيها[3].



(١) انظر «الطبقات» ١/ ٤٣١ ـ ٤٣٢ .

(٢) صحيح البخاري (٣٢٦٨).

(٣) انظر «الطبقات» ١/ ٤٣٣ .

الباب السادس والعشرون

فيما كان يعجبه من الطعام، وما كان يكرهه منه ﷺ

كان يعجبه الحلوى، والعسل، وقال عبد الله بن جعفر: رأيت النبي ﷺ يأكل القثاءَ بالرطبِ[(١)]. متفق عليه.

وقال محمد الفَهْمي، أنه سمع عبدَ الله بنَ جعفر يحدث عبد الله بن الزُّبير أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَطيَبُ اللَّحمِ لَحمُ الظَّهرِ»[(٢)].

وقال أنس: إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ إلى طعامٍ صنَعَه، فذهبت معه، فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير، ومَرَقاً فيه دُبَّاء وقَديد، فرأيت رسول الله ﷺ يَتبَعُ الدبَّاء من حولِ الصَّحْفةِ، فلم أزل أُحب الدبَّاء من يومئذٍ[(٣)].

وقالت عائشة رضوان الله عليها: كان رسول الله ﷺ يحب الثَّريد[(٤)].

وأما ما كان يكره فالثوم والبصل والكراث والضب.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن أَكَل من هذهِ البَقلةِ، فلا يَقربَنَّ مَسجِدَنا، حتى يَذهَبَ رِيحُها» يعني الثومَ[(٥)].

وعن جابر، أنَّ النبيَّ ﷺ نَهى زمَنَ خيبرَ عن البصلِ والكُرَّاثِ، فَأكَلَهما قومٌ، وجَاؤوا إلى المسجدِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَلَم أَنْهَ عن هاتَيْنِ الشَّجرَتَينِ المنْتِنَتَينِ؟» قالوا: بلى يا رسولَ الله، ولكن أَجْهَدَنا الجوعُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَكَلَهما فلا يَحضر مَسجِدَنا، فإنَّ الملائكةَ تَتأذَّى مما يَتأذَّى منه بنو آدَمَ»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٠)، ومسلم (٢٠٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١).

(٤) أخرجه ابن سعد ١/ ٣٣٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥١٥٩).

وأُتي رسولُ الله ﷺ بقِدْرٍ فيه خضراوات من بقولٍ، فوجَدَ ريحاً، فقال لبعضِ أصحابهِ: «كُل فإنِّي أُناجِي مَن لا تُناجي»[(١)].

وقال ابنُ عباس ﵄: كان رسولُ الله ﷺ عندَ ميمونةَ، وعندَه الفضلُ بنُ عباسٍ، وخالدُ بن الوليد، وامرأةٌ، فأُتي بِخوانٍ عليه خُبز، ولحمُ ضبٍّ، فلما ذهبَ رسولُ الله ﷺ ليأكُلَ، قالت له ميمونةُ: يا رسولَ الله، إنه لحمُ ضبٍّ، فكفَّ يَده، وقال: «إنَّه لحمٌ لم آكُلْه، ولكن كُلُوا»، فأكَلَ الفضلُ، وخالدٌ، والمرأةُ، وقالت ميمونةُ: لا آكلُ من طعامٍ لم يأكُل منه رسولُ الله ﷺ[(٢)].

وكانَ رسولُ الله ﷺ يأكلُ بثلاثِ أصابعَ: الإبهام، والسبابةِ، والوسطى، ولا يمسحُ يَدَه حتى يَلْعَقَها، يَبدأ بالوسطى فيلعَقها، ثم بالتي تَلي الإبهامَ، ثم بالإبهامِ[(٣)].

وقال جابر: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أَكَلَ أَحدُكُم طَعاماً، فلا يَمسحْ يَدَه في المنديلِ حتى يَلْعَقَها أو يُلْعِقَها، فإنّه لا يدري في أيِّ طعامٍ البركةُ» انفرد بإخراجه مسلم[(٤)].

وقال أنس: كان رسولُ الله ﷺ يتنفَّسُ في الإناءِ ثلاثاً، ويقول: «هذا أَهْنَأُ، وأَمرَأُ، وأَبرَأُ» أخرجاه في «الصحيحين»[(٥)].

ونهى رسول الله ﷺ أن يشربَ الرجلُ قائماً[(٦)]، وفي رواية: ثم شرِبَ قائماً[(٧)].



---

(١) أخرجه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٨٤).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٢٨ من حديث كعب بن عجرة، وأخرجه مسلم (٢٠٣٢) مختصراً.

(٤) مسلم (٢٠٣١) (١٣٤)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (١٤٢٢١).

(٥) البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (١٢١٨٦).

(٦) أخرجه مسلم (٢٠٢٤) من حديث أنس.

(٧) أخرجه الضياء في «المختارة» (٢٦٣٥) من حديث أنس أن رسول الله ﷺ شرب قائماً، وأخرجه البخاري (٥٦١٧)، ومسلم (٢٠٢٧) من حديث ابن عباس ﵄ قال: شرب النبي ﷺ قائماً من زمزم.

الباب السابع والعشرون

في ذكر أخلاقه وتواضعه ﷺ

قال أنس: خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفٍّ قطُّ، ولا لِمَ صنعتَ، ولا أَلَا صنعتَ، ولا عابَ عليَّ شيئاً قطُّ[١].

وما صافحَه أحدٌ فنزعَ يدَه حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يَنزِعُها من يدِه، ولا صَرَفَ وجهَه عنه حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يَصرِفُ وجهَه عنه[٢].

وقال أنس: كنتُ أَمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نَجرانيٌّ غليظُ الحاشيةِ، فأدركَه أعرابيٌّ، فجَبَذَه جَبْذَةً شديدةً، حتى رأيتُ صفحةَ عنقِ رسولِ الله ﷺ وقد أَثَّرت فيها حاشيةُ البردِ من شدَّةِ جَذْبتِهِ، وقال: يا محمدُ، أَعطني من مالِ اللهِ الذي عِندَك، فالتفَت إليه رسولُ الله ﷺ، وضَحكَ، ثم أَمرَ له بعَطاءٍ. أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

وقال أنس: إن يهوديةً جعلت سمًّا في لحمٍ أتت به رسولَ الله ﷺ فأكَلَ منه، وقال: «إنَّها جَعلَت فيه سُمًّا»، قالوا: يا رسولَ الله، ألا تقتُلُها؟ قال: «لا»، قال: فجعلتُ أعرِفُ ذلك في لَهوات رسولِ الله ﷺ[٤].

وقال أنس: لم يكن رسولُ الله ﷺ سَبَّاباً، ولا لَعَّاناً، ولا فحَّاشاً، كان يقولُ لأحدِنا عند المعيبةِ: «ما لَه، تَرِبَتْ جَبينُه؟»[٥].

وللبخاري، عنه قال: إنْ كانَتِ الأمةُ من إماءِ المدينةِ لتأخذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ فتَنطَلِقُ به حيثُ شاءت[٦].

---

(١) مسلم (٢٣٠٩)، وأحمد في «مسنده» (١١٩٧٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٢٥، والبيهقي ١٠/ ١٩٢ .

(٣) البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧) .

(٤) أخرجه مسلم (٢١٩٠)، وأحمد في «مسنده» (١٣٢٨٥) .

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٣١) .

(٦) أخرجه البخاري (٦٠٧٢) .

وللبخاري، عنه أيضاً، قال: كان رسولُ الله ﷺ عندَ بعضِ نسائهِ، فأرسَلَت إليه إحدى أُمَّهاتِ المؤمنينَ بصَحْفَةٍ فيها طعامٌ، فضَرَبت التي رسولُ الله ﷺ في بَيتها يدَ الخادِمِ، فوقَعتِ الصَّحفَةُ، فانكَسرت، فجمعَ رسولُ الله ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثم جعَلَ يجمعُ الطعامَ الذي كانَ فيها، ويقول: «غارَت أُمُّكُم، غَارَت أُمُّكم»، ثم حبسَ الخادِمَ حتى أتي بصَحفَةٍ من عندِ الذي هو في بَيتِها، فدفعَ الصَّحْفَةَ الصَّحيحةَ إلى التي كُسرت صَحْفَتُها، وأمسكَ المكسورةَ في بَيتِ التي كُسرَت عندها[١].

وذكر الإمامُ أحمد رحمة الله عليه في «المسند» أنَّ التي صنَعتِ الطعامَ صفيةُ، والتي كَسرت القصعةَ عائشةُ، وأنَّ رسولَ الله ﷺ غضِبَ عليها[٢].

وقال أنس: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: أينَ أبي؟ فقال: «في النَّار»، فلما قفَّى الرجلُ - أي ولَّى - ورأى رسولُ الله ﷺ ما في وَجهِهِ، دَعاه، وقال: «إنَّ أبي وأَبَاكَ في النَّارِ»[٣].

ولمسلم، عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى الغَدَاةَ، جاءَ خَدَمُ أهلِ المدينةِ [بآنِيَتِهم فيها الماءُ، فما يُؤتى بإناءٍ إلَّا غَمَس يدَه فيها، فربَّما جاؤوه في الغَدَاةِ البارِدَةِ فيغمسُ يدَه فيها][٤].

وقال جابر بن عبد الله: مرضتُ، فجاء رسول الله ﷺ يَعُودُني، وليسَ براكبٍ بَغلاً، ولا بِرْذَوناً[٥]. يعني: ماشياً.

قال الأسودُ: قلتُ لعائشةَ: ما كانَ رسولُ الله ﷺ يَصنعُ في أهلِهِ؟ فقالت: كان ﷺ في مِهنَةِ أهلِه، فإذا حضَرتِ الصلاةُ خرجَ إلى الصلاةِ. انفرد بإخراجه البخاري[٦]، والمهنة: الخدمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢٥).

(٢) أحمد في «مسنده» (٢٦٣٦٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣).

(٤) مسلم (٢٣٢٤) وما بين معقوفين زيادة منه.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٦٤)، وأحمد في «مسنده» (١٥٠١١).

(٦) أخرجه البخاري (٦٧٦).

وقال أبو عبد الله الجَدَلي: قلتُ لعائشة: كيف كان خُلُق رسول الله ﷺ في أهلِه؟ قالت: كانَ أَحسنَ الناسِ خُلُقاً، لم يكن فاحشاً، ولا مُتَفحِّشاً، ولا صخّاباً بالأسواقِ، ولا يَجزي بالسيئةِ مثلَها، ولكن يعفو ويَصفحُ[١].

وقالت الرُّبَيِّع بنتُ مُعوِّذ: دخلَ عليَّ رسول الله ﷺ غداةَ بُنِيَ عليَّ، فجلسَ على فِراشي، وعندِي جُوَيْرِياتٌ يَضْربنَ بالدُّفِّ، ويَندبنَ من قُتل من آبائِهنَّ يومَ بدرٍ، فقالت إحداهنَّ:

وفينا نبيٌّ يعلمُ الغيب في غدِ

فقال لها رسولُ الله ﷺ: «لا تَقولي كَذا، وقُولي ما كنتِ تَقولينَ»[٢].

وذَكرَ الحسن البصري النبي ﷺ فقال: لا والله ما كان يغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يُغدَى عليه بالجفانِ ولا يراح عليه بها، ولكنه كان بارزاً، من أراد أن يلقى نبي الله لقيه، وكان يجلس على الأرض، ويوضعُ طعامُه على الأرضِ، ويلبسُ الغليظَ، ويردِفُ على الحمارِ، ويعودُ المرضى، ويشهدُ الجنائز، ويجيبُ دعوى المملوكِ، ويلعقُ أصابعَه[٣].

وقال أنس: كان رسولُ الله ﷺ يسلِّم على الصبيانِ، ولا يدعوه أحدٌ من الناسِ إلَّا أَجابَه ويقول: «لو دُعيتُ إلى كُراعٍ لأَجبتُ»[٤].

وقال بُريدة بن الحُصَيبِ: بَينا رسولُ الله ﷺ بمِنًى إذ جاءه رجلٌ معه حمارٌ، فقال: يا رسولَ الله، ارْكَب، وتأخَّر الرجلُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا أنتَ أَحقُّ بصدرِ دَابَّتك منِّي، إلَّا أن تَجعَلَه لي» قال: قد جعلتُه لك، فركِبَ[٥].

وقال جابر بن عبد الله: ما سُئل رسولُ الله ﷺ شيئاً قطّ فقال: لا[٦].

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٤١٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠١).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥٥٥)، والبيهقي ١٠/ ١٠١.
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣١٧٧).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٩٩٢).
(٦) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١)، وأحمد في «مسنده» (١٤٢٩٤).

وقال أنس: كان رسولُ الله ﷺ قاعداً في المسجدِ، ومعه أصحابُه، إذ دخل أعرابيٌّ، فبالَ في المسجدِ، فقالَ أصحابُه: مَهْ، مَهْ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تُزرموه، ودَعُوه» ثم دَعاه، فقال: «إنَّ هذِه المساجدَ لا تصلُحُ لشيءٍ من البولِ والقَذَرِ والخَلاءِ، إنَّما هي للصلاةِ والذِّكرِ وقِراءَةِ القرآنِ» ثم دَعا بدلوٍ من ماءٍ، فشَنَّه عليه(١).

وقال أنس: ما أَكَلَ رسولُ الله ﷺ مُتَّكِئاً، ولا شَرِبَ قائماً.

وروي: أنه أكل مُومِياً متَّكئاً، فجاءه جبريلُ، فقال له: أتأكُل أكلَ الجَبابِرَة؟ فما أكَلَ بعدَها متَّكئاً(٢).

وقال الزهري: بلَغَنا أنَّه أَتى النبيَّ ﷺ ملَكٌ، لم يَأتِه قطُّ، ومعه جبريلُ، فقال له الملَكُ وجبريلُ: سألتَ الله يخيرُك بينَ أن تكونَ نبيًّا مَلِكاً، أو تكونَ نبيًّا عبداً، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى جبريلَ [كالمسْتَأمِرِ له، فأشار] إليه أن تواضَع، فقال: «بَل عَبداً نبيًّا»(٣).

وقال الزهري: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «آكُلُ كما يأكُلُ العبدُ، وأجلِسُ كما يجلسُ العبدُ»(٤).

وعن أنس: أن يهودياً دَعَا النبيَّ ﷺ إلى خبزِ شعيرٍ، وإهَالَةٍ سَنِخَةٍ، فأجابَه(٥).

وعن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما بَعثَ اللهُ نبيًّا إلَّا رعى الغنَمَ» فقال له أصحابُه: وأنتَ؟ قال: «نَعَم، كنتُ أرعاها على قَرارِيطَ لأَهلِ مكَّةَ»(٦).

وقال أبو سعيد الخدري: افْتَخَر أهلُ الإبلِ والغنَمِ عندَ رسولِ الله ﷺ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «الفَخْرُ والخُيَلاءُ في أهلِ الإبِلِ، والسَّكينةُ والوَقارُ في أهلِ الغَنَمِ»، ثم قال: «بَعَثَ اللهُ مُوسى وهو يَرعى الغنَمَ على أَهلِهِ، وبُعثتُ أنا وأنا رَاعي غنمٍ لأَهلي بجياد»(٧).

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥).
(٢) انظر «الطبقات» ١/ ٣٢٧.
(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ وما بين معكوفين منه.
(٤) انظر «الطبقات» ١/ ٣٢٨.
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٢٠١).
(٦) أخرجه البخاري (٢٢٦٢).
(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٩١٨).

الباب الثامن والعشرون

في حيائه، ومُداراته، وشَفقته، وحِلمه، وصَفحِهِ، ونحوه ﷺ

وعن أنس: أنَّ النبيَّ ﷺ رَأى على رجلٍ صُفرةً، فكرِهَها، وقال: «لو أَمرتُم هذا أن يَغسِلَ هذهِ الصُّفرةَ»، فكان لا يكادُ يواجهُ أحداً، إنَّما يكره في وَجهه[١].

وأخرج مسلم، عن جابرِ بن سَمُرة، وقد سأله [سماك بن حرب]: كنتَ تُجالس رسولَ الله ﷺ؟ قال: نعم، كانَ طويلَ الصمتِ، قليلَ الضحِكِ، فكان أصحابُه يَذكرون عنده الشعرَ، وأَشياءَ من أُمورهم، فيضحكونَ، وربما تَبسَّمَ[٢].

وأما **مُداراته**، فقالت عائشة رضوان الله عليها: إن رجلاً استَأْذَن على رسولِ الله ﷺ فقال: «ائْذَنُوا له، فبِئْسَ ابنُ العشِيرة»، أو «فَبِئْسَ أَخو العشِيرةِ»، فلما دخَلَ عليه، أَلَانَ له القَولَ، فلما خرَجَ، قالت له عائشةُ: قلتَ له الذي قلتَ، ثم أَلَنتَ له القولَ، فقال: «يا عائشةُ، شرُّ الناسِ منزلةً عندَ الله يومَ القيامةِ مَن ودَعَه الناسُ ـ أو تَركَه الناسُ ـ اتِّقاءَ فُحشِه» متفق عليه[٣].

وأما **شفقته** ﷺ فقال أنس: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنِّي لأدخُلُ في الصلاة وأنا أُريدُ أن أُطِيلَها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأَتَجاوزُ في صَلاتي، مما أَعلمُ من وَجْدِ أُمِّه به». متفق عليه[٤].

وأما **حِلمه وصَفحه** فقالت عائشةُ رضوان الله عليها: ما ضربَ رسولُ الله ﷺ خَادِماً له قطُّ، ولا امرأةً قطُّ، ولا ضربَ بيدهِ إلَّا أن يُجاهِدَ في سبيلِ اللهِ، وما نيلَ منه شيءٌ فانْتَقَم من صاحِبه إلاَّ أن تُنتَهكَ مَحارِمُ اللهِ، فيَنْتَقِم للهِ عزَّ وجلَّ، وما عُرضَ عليه أَمران أَحدُهما أيسرُ من الآخرِ إلَّا أخذَ بأَيسَرِهما، إلَّا أن يكونَ مأْثماً، فإن كانَ مأْثماً كانَ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٣٦٧).
(٢) صحيح مسلم (٦٧٠) وما بين معكوفين منه، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٨١٠) واللفظ له.
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).
(٤) أخرجه البخاري (٧١٠)، ومسلم (٤٧٠).

أبعدَ الناسِ منه، أخرجاه[١].

وقال الزهري: إن يهودياً كان يجدُ صفةَ النبيِّ ﷺ في التوراةِ، فأسلَفَه ثلاثين ديناراً إلى أَجَلٍ معلومٍ، فلمَّا بقي من الأجلِ يومٌ جاءَه، فقال: يا محمدُ، أَعطني حقِّي فإنَّكم يا بني عبدِ المطَّلبِ قومٌ مُطُلٌ، فقال له عمرُ: يا خبيثُ، واللهِ لولا مَكانُ رسولِ الله ﷺ لضربتُ عُنقك، فنهاهُ رسول الله ﷺ وقال: «نحنُ إلى غيرِ هذا أَحوجُ، هلَّا أَمرتني بقضاءِ دينهِ أو أَعَنْتَه على قضاءِ حقِّه» ثم قال له: «اذهَب به إلى حديقةِ كَذا وكَذا فأعطِه حقَّه وزِدْه» قال اليهودي: فمضَى بي عمرُ إلى الحديقةِ فأعطاني حقِّي، وزادَني، ثم رجعَ اليهوديُّ إلى رسول الله ﷺ فقال: واللهِ ماحَمَلني على ما قلتُ إلاَّ أنِّي وجَدتُ صفتَكَ في التوراةِ، فاختَبرتُ الجميعَ إلَّا الحلمَ، وقد رأيتُ من حلمكَ ما سَرَّني، وأشهدُ أنَّك رسولُ الله، ونصفُ مالي في فقراءِ المسلمين، وأسلمَ أهلُ بيت ذلكَ اليهوديِّ، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «إنَّ لصاحِبِ الحقِّ مقالاً»[٢].



(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) مختصراً، وهذا لفظ أحمد في «مسنده» (٢٤٠٣٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣١٠ ـ ٣١١ دون قوله: «إن لصاحب الحق مقالاً»، وهو قطعة من حديث آخر أخرجه البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم(١٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبيﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهمَّ به أصحابه، فقال رسول اللهﷺ: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً» ثم قال: «أعطوه سنًّا مثل سنه» قالوا: يا رسول الله، إلا أمثل من سنه، فقال: أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاء».

الباب التاسع والعشرون

في مزاحه ومداعبته ﷺ

عن أنس أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدخلُ على أم سُليم، ولها ابن من أبي طَلحةَ يكنى أبا عُمير، فكان يُمازحه، فدخل عليه يوماً فرآه حزيناً، فقال: «مَالي أَرَى أَبا عُميرٍ حَزيناً؟» قالوا: مات نُغَيرُه الذي كان يلعبُ به، قال: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «أبا عُميرٍ، ما فَعَلَ النُّغيرُ؟»[١].

وعن أنس أنَّ رجلاً اسمه زاهِر، كان يُهدي لرسولِ الله ﷺ الهديةَ من الباديةِ، فيجهزُه رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ الخروجَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ زاهراً بادِيتُنا، ونحنُ حاضِرُوه». وكان رسول الله ﷺ يحبُّه، وكان رجلاً دميماً، فأتاه رسول الله ﷺ يوماً وهو يَبيعُ مَتاعَه، فاحتضَنَه من خلفِه، ولم يُبصره الرجلُ، فقال: مَن هذا؟ أَرسلني، فالتَفَتَ، فعرفَ رسولَ الله ﷺ فجعل لا يألو أن أَلصَق ظهرَه بصدرِ رسولِ الله ﷺ وجعل رسولُ الله ﷺ يقول: «مَن يَشتري هذا العبدَ؟» فقال: يا رسول الله، إذَنْ والله تجدُني كاسداً، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَكِن عندَ اللهِ لستَ كاسِداً» أو قال: «ولكن أنتَ عندَ الله غالٍ»[٢].

[وقال أحمد بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن] عائشة رضوان الله عليها قالت: خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ في بعض أَسفارِه، وأنا جاريةٌ لم أَحمِلِ اللَّحم، ولم أَبدُن، فقال للناس: «تقدَّموا» فتقدَّموا، ثم قال لي: «تَعالي حتى أُسابِقَكِ» فسابقتُهُ، [فسبقته، فسكتَ عني حتى إذا حمَلْتُ اللَّحم وبَدُنْتُ ونسيتُ، خرجتُ معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تَقدَّموا» فتقدَّموا، ثم قال لي: «تَعالي حتى أُسابِقَكِ» فسابقتهُ]، فسبقني، فجعل يضحك، ويقول: «هذهِ بتِلْكَ»[٣].

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (١٢٩٥٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٦٤٨).

(٣) أحمد في «مسنده» (٢٦٢٧٧).

وقالت عائشة رضوان الله عليها: دخَلَت عجوزٌ على النبيِّ ـ ﷺ ـ فقال: «لا يدخل الجنة عجوز» فبكت، فقال لها: «لا بأسَ، إنَّ هذه الصفةَ تَتبدَّل، وتَعودين بكراً» وقرأ: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٧]، ففرحت المرأة[١].

وقالت عائشة: قال ﷺ يوماً لامرأة: «أنت الذي في عين زوجك بياض؟» فبكت، فقال لها: «كل بني آدم في عينه بياض»[٢].

وقال [أحمد بإسناده، عن] أنس: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا ذا الأُذُنينِ»[٣].

[وقال أحمد بإسناده] عن أنس: أنَّ رجلاً أتَى النبيَّ ﷺ فاسْتَحمَله، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّا حامِلُوك على ولدِ ناقةٍ»، فقال: يا رسولَ الله، ما أصنعُ بولدِ ناقةٍ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وهَل تلدُ الإبلَ إلَّا النُّوقُ»[٤].

وعن أبي هريرة عن رسولِ الله ﷺ أنّه سأله بعضُ أصحابه فقال: إنَّك تُداعبنا، فقال: «إني لأمزَحُ، ولا أقولُ إلَّا حقًّا»[٥].

وقال أبو سليمان الخطابي: كانت له ﷺ مهابة، وكان يتبسط للدعابة.

[حدّثنا جدي رحمه الله بإسناده عن أبي صالحٍ] عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، إن لي جاراً يؤذيني، [قال: «فانطلِق فأَخرج متَاعَك إلى الطريقِ» ففعل فاجتمع الناس، فجعلوا يقولون: ما شأنك؟ فقال: لي جار يؤذيني]، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اذْهَب، فأَخرج مَتاعَك إلى الطريقِ» فجعلوا يقولون: اللهمَّ العنه، اللهمَّ أخزِه، فبلغ الرجل، فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلك فوالله لا أؤذيك[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٥٤٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٤١٩: وفيه مسعدة بن اليسع، وهو ضعيف.

(٢) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٨٥٢٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢١٦٤).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٨١٧).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٧٢٣).

(٦) أخرجه أبو داود (٥١٥٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٢٠).

[وقد ذكر جدي بمعناه في كتاب «الأذكياء» قال: حدّثنا غير واحد عن أبي الفضل ابن ناصر بإسناده عن عاصم الأحول] عن الحسن قال: أتى رجل إلى النبيِّ ﷺ ومعه رجل قد قتَل حميماً له، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أتأخذُ الديةَ؟» قال: لا، قال: «أفتَعفُو؟» قال: لا، قال: «فاذْهَب به فاقتُله»، فلما جاوَزَه، [قال رسول الله ﷺ: «إن قتله] فهو مثله، فأخبر الرجل، فرجع الرجل، وتركه، فولى وهو يجر نسعه في عنقه.

ولم يُرِد رسول الله ﷺ أنه مثله في المأثم لأن الله قد أباح له القصاص[1]. [إنما أوهمه أنه مثله ليعفو، وهذا من أبلغ الفطن، لأن] معنى قوله: «إن قتله فهو مثله» يعني أنه يكون قاتلاً كما كان الذي وجب عليه القصاص قاتلاً، [فتوهم صاحب القصاص أنه مثله في الإثم، فخاف فعفى عنه.

فإن قيل: ففيه إبطال حق المقتص من قاتل حميمه.

قلنا: يحتمل أن ذلك كان خاصاً بهذا الرجل، ويحتمل أن رسول الله وداه].



(١) «الأذكياء» ص٣٣.

الباب الثلاثون

في ذكر جوده وإيثاره ﷺ

قال ابن عباس: كان النبيُّ ﷺ أجودَ الناسِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حين يَلقاهُ جبريلُ، وكان يَلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ، فيُدارِسُه القرآن، وكان أَجودَ بالخيرِ من الريحِ المرسلةِ(١).

ولمسلم، عن أنس قال: لم يَكن رسولُ الله ﷺ يُسأل شيئاً على الإسلامِ إلّا أعطاه إيَّاه، فأتاه رجلٌ فسأَلَه، فأمَرَ له بشاء بين جبلين من شاءِ الصدقةِ، فرجعَ إلى قومِهِ، وقال: يا قومِ، أَسلِموا فإنَّ محمداً يُعطي عطاءَ مَن لا يخشى الفقر(٢).

وقال أنس: أُتي النبيُّ ﷺ بمال من البحرين، فقال: «انثُروه في المسجد» وكان أكثرُ مالٍ أُتي به رسولُ الله ﷺ فخرج رسولُ الله ﷺ إلى الصلاة، ولم يَلتفِت إليه، فلما قضى صلاتَه جاء، فجلسَ إليه، فما كان يرى أحداً إلّا أعطاه، إذ جاءه العباس، فقال: يا رسول الله، أعطني، فإني فادَيْتُ نفسي، وفادَيْتُ عقيلاً، فقال له: «خُذْ» فحثى في ثوبِهِ، ثم ذهب يُقلُّه، فلم يستطع، فقال: يا رسول الله، مر بعضَهُم يَرفَعه عليَّ، قال: «لا فارفعه أنت»، قال: لا، فنثر منه، ثم احتمله فألقاه على كاهله، ثم انطلق، فما زالَ رسولُ الله ﷺ يُتبعُه بصَره حتى خفي علينا، عجباً من حِرصه، فما قامَ رسولُ الله ﷺ وثَمَّ منه درهمٌ(٣).

وعن سهل بن سعدِ الساعدي: أن امرأةً أَتَتْ رسول الله ﷺ ببُردَةٍ منسوجةٍ، قال سهل: وهل تدرون ما البردةُ؟ قالوا: نعم، قال: هي الشَّملة، فقالت: يا رسول الله، نسجت هذه بيدي، فجئتُ بها لأكسوكَها، فأخذها النبيُّ ﷺ محتاجاً إليها، فخرج علينا وإنَّها لإزاره فجسَّها فلان بن فلان، رجل سماه، فقال: ما أحسنَ هذه البردة، أكسُنيها

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢١).

يا رسول الله، قال: «نَعَمْ» فلما دخَل طواها، وأرسل بها إليه، فقال له القوم: والله ما أحسنت كُسِيَها رسول الله ﷺ وهو محتاجٌ إليها، ثم سألته إياها وقد علمت أنه لم يردّ سائلاً، فقال: إني والله ما سألته إياها لألبسها ولكن سألته إياها لتكون كفني يوم أموت، قال سهل: فكانت كفنه يوم مات[1].



الباب الحادي والثلاثون

في ذكر شجاعته ﷺ

قال علي عليه السلام: كنَّا إذا احْمَرَّ البأسُ اتَّقينا برسولِ الله ﷺ[2]. أي: إذا اشتدّ القتالُ قدّمناه في نحرِ العدوّ.

وقد أشرنا إلى شيء من شجاعته في غزواته ﷺ.



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٨٢٥)، والبخاري (١٢٧٧)، واللفظ لأحمد.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٤٧).

الباب الثاني والثلاثون

في ذكر عيشه وفقره وقِصَر أمله ونحو ذلك

[قال أحمد بإسناده عن] قتادة قال: كنَّا نأتي أنساً وخبَّازه قائم، فقال لنا ذات يوم: كلوا فما أعلمُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ رَأى رَغيفاً مرقَّقاً بعينَيْه، ولا أكلَ شاةً سَمِيطاً قطُّ[(١)]. [«السميط»: المسموط عليه جلده، وهو من مأكول المترفين].

وروى البخاري: لم يأكل رسولُ الله ﷺ على خِوانٍ قطُّ، ولا في سُكُرُّجَةٍ، ولا خُبز له خبز مرقق. [قال: فقال قتادة: فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على السفر][(٢)].

وقال أنس: قد رهَنَ رسولُ الله ﷺ درعاً له عند يهودي بالمدينةِ، وأخَذَ منه شعيراً لأهلِه. قال: ولقد سمعته ذاتَ يوم يقول: «ما أمْسَى عندَ آلِ محمدٍ صاعُ من برٍّ أو حبٍّ»، وإنَّ عندَه تسعُ نسوةٍ يومئذٍ. انفرد بإخراجه البخاري[(٣)].

وقال ابن عباس: قُبض رسولُ الله ﷺ وإنَّ درعه مرهونةٌ عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعيرٍ أخذها رِزقاً لأهله[(٤)].

[وقال أحمد بإسناده] عن أنس: أنَّ فاطمةَ عليها السلام ناولَت رسولَ الله ﷺ كِسْرَة من خُبزِ شَعيرٍ، فقال: «هذا أولُ طعامٍ أكَله أبوكِ منذُ ثلاثةِ أيام»[(٥)].

[وأخرجه محمد بن سعد عن هشام بن عبد الملك، وفيه]: فقال رسول الله: «يا بنية، ما هذه الكسرة؟» فقالت: قرص خبزته. فلم تطب نفسي أن آكله، وذكره[(٦)]. وفيه قال أنس: وكان رسول الله ﷺ يشدُّ صُلبه بالحجر من الغَرَث[(٧)]. وماكان طعامُهم إلاَّ الأسودان الماءُ والتمرُ[(٨)]. [و«الغرث»: الجوع، فإن قيل: فلم سمي الماء والتمر أسودان؟

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٢٩٦) وهو في البخاري (٥٤٢١)، والسَّميط: المشويّ، فعيل بمعنى مفعول. النهاية (سمط).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٦٩).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٠٩).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٢٢٣).

(٦) «الطبقات» ١/ ٣٤٤.

(٧) «الطبقات» ١/ ٣٤٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) أخرجه أحمد في «مسنده» (٩٢٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قلنا: هذه عادة العرب لما كان الغالب تغير الماء بالتمر إلى السواد، أضيف الماء إليه على الاستعارة].

وقال سِماك: سمعت النعمانَ بن بشيرٍ يقول: أَلستُم في طعام وشرابٍ، لقد رأيت نبيّكم ﷺ وما يجدُ من الدَّقَل ما يملأُ بطنَه، انفرد بإخراجه مسلم[(١)].

[وقال أحمد بإسناده عن]سهل بن سعد أنه قيل له: هل رأى رسول الله ﷺ النَّقي قبل موته بعينه، يعني الحُوَّارى؟ فقال: ما رأى النَّقي حتى لقيَ اللهَ، فقيل له: هل كان لكم مَناخِلُ [على عَهدِ رسول الله ﷺ، فقال: ما كانَ لنا مَناخِلُ، فقيل] فكيف كنتم تَصنعون بالشَّعير؟ قال: نَنْفُخه فيطيرُ ما طارَ منه. [انفرد بإخراجه البخاري[(٢)]. وفي رواية:] ويبقى ما بقي[(٣)].

[وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن] أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللّهمَّ اجعَلْ رِزْقَ آلِ محمدٍ قُوتاً». أخرجاه في «الصحيحين»[(٤)]. وقال أبو هريرة: ما شَبِعَ نبيُّ الله وأهلُه ثلاثاً تِباعاً من خبزِ حنطةٍ حتى فارقَ الدنيا[(٥)]. ولقد خرجَ منها وما شَبِعَ من خبزِ الشَّعيرِ[(٦)].

[وقال مسلم[(٧)]: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة بإسناده] عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ أو ليلة فإذا هو بأبي بكرٍ وعمر، فقال: «ما أَخرجَكُما من بُيوتِكُما هذهِ الساعةَ؟» قالا: الجوعُ، فقال: «وأنا والذي نفسي بيدهِ لأَخرجَني الذي أَخرَجَكُما، قُومَا»، فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصارِ، فإذا هو ليس في بيتِه، فلما رأتهم المرأةُ قالت: مرحَباً وأَهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «وأينَ فلانٌ؟» قالت: ذهب يَستعذِبُ لنا من الماءِ، إذ جاء الأنصاريُّ، فنظرَ إلى رسولِ الله ﷺ وصاحِبَيه، فقال: الحمدُ لله، ما أَحد اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانْطَلَقَ، فجاءَهم بعِذْقٍ فيه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٧٧)، وما سلف بين معكوفات من (ك).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٨١٤)، والبخاري (٥٤١٣).
(٣) أخرجها البيهقي في شعب الإيمان (٥٦٥٥).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧١٧٣)، والبخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).
(٥) أخرجه مسلم (٢٩٧٦).
(٦) أخرجه البخاري (٥٤١٤) من حديث أبي هريرة.
(٧) في (ك) وما بين معكوفين منها: محمد.

بُسْرٌ ورُطبٌ وتمرٌ، فقال: كُلوا من هذا، وأخذ المُديَةَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «إيَّاكَ والحَلوبَ» فذبحَ لهم، فأَكلُوا من الشاةِ ومن ذلك العِذْقِ، وشربوا من الماءِ، فلما أن شَبِعُوا، ورَوُوا، قال رسولُ اللهِ ﷺ لأبي بكرٍ وعمرَ: «والذِي نَفسِي بيَدِه لتُسأَلنَّ عن هذا النَّعيمِ يومَ القيامةِ، أَخرَجَكُم من بُيوتِكُم الجوعُ، ثم لم تَرجِعُوا حتى أَصابكُم هذا النعيمُ». انفرد بإخراجهِ مسلم[1]، وهذا الأنصاري هو أبو الهيثم ابن التَّيِّهان. [و«العِذْق»: الكباسة من البسر والرطب].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ أَتى فاطمةَ، فوجدَ على بابها سِتراً، فلم يَدخل، وقلما كان يدخل إلَّا بدأ بها، فجاء عليٌّ فرآها مُهتمَّة، فقال: ما لَكِ؟ فأخبَرَته، فجاء إلى رسولِ الله ﷺ. وأخبره أنَّ فاطمةَ عليها السلام قد اشتدَّ عليها أنَّك جِئتَها فلم تَدخُل عليها، فقال: «ما أَنا والدُّنيا، ما أَنا والرَّقْم» فذهب عليٌّ فأخبرَ فاطمةَ بقولِ رسولِ الله ﷺ فقالت: قُل له: ما يأمُرُني؟ فسألَ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «قُل لها تُرسِل به إلى بني فلانٍ، فإنَّهم أهل بيتٍ لهم به حاجةٌ» فأرسلته. انفرد بإخراجه البخاري[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسولُ الله ﷺ يَبيتُ اللَّيالي المتتابعةَ طَاوياً وأهلُه لا يَجدون عشاءً، وكان أكثرُ خبزهم خبز الشعير[3].

[وقال أحمد بإسناده عن] عائشة رضوان الله عليها قالت: ما شبع آلُ النبيِّ ﷺ [من خبز الشعير] يومين متتابعين حتى قُبضَ رسولُ الله ﷺ[4].

وفي رواية: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيامٍ تِباعاً من خُبز برٍّ حتى مضَى لِسَبيلِهِ[5]. الروايتان متفق عليهما[6].

وقالت عائشةُ رضوان الله عليها: بعثَ إلينا أبو بكر بقائمةِ شاةٍ ليلاً، فأمسَك رسولُ الله ﷺ وقطعتُ، أو قَطع فأمسكتُ، فقال الذي تحدثه: على غيرِ مصباحٍ؟ فقالت: لو كان عندنا مصباح لائْتَدَمْنا به، إن كان لَيأتي على آلِ محمدٍ ﷺ الشهرُ ما يَختَبزون خُبزاً

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٣)، وأحمد في «مسنده» (٤٧٢٧)، واللفظ له.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٠٣)، والترمذي (٢٣٦٠)، وابن ماجه (٣٣٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٧٠) (٢٢)، وأحمد في «مسنده» (٢٤٦٦٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٥٥)، ومسلم (٢٩٧٠) (٢١)، وأحمد في «مسنده» (٢٤١٥١).

(٦) انظر «الجمع بين الصحيحين» (٣٢٤٩).

ولا يَطبخون قِدراً[١].

[وقال أحمد بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه] عن عائشة أنها قالت: يا ابن أُختي كان شَعرُ رسولِ اللهِ ﷺ فوقَ الوَفْرةِ ودونَ الجُمَّةِ، وايمُ الله، إنْ كانَ لَيمرُّ على آلِ محمدٍ ﷺ الشهرُ لم يُوقَد في بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ نارٌ إلَّا أن يكونَ اللَّحيم، وما هنا إلَّا الأسودانِ الماءُ والتمرُ، إلا أنَّ حولَنا أهل دورٍ من الأنصارِ جَزاهُم اللهُ خيراً - في الحديث والقديم - فكلَّ يوم يَبعثون إلى رسولِ اللهِ ﷺ بغَزيرةِ شاتِهم، فيتناولُ رسولُ اللهِ ﷺ من ذلكَ اللَّبَن، ولقد تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وما في رَفِّي من طعامٍ يأكُله ذو كبِدٍ إلَّا قريبٌ من شَطرِ شَعيرٍ، فأكلتُ منه حتى طالَ عليَّ، فَكِلتُه فَفَني، فليتَني لم أكِلْهُ، وايمُ اللهِ إنَّ ضِجاعَ رسولِ الله ﷺ من أدم حَشوه ليفٌ. أخرجاه في «الصحيحين»[٢].

وقالت: كان يمرُّ بنا الهلالُ والهلالُ فما يوقدُ في بيتنا نار[٣].

قالت: ولما فُتحت خيبرُ قلنا: الآنَ نشبعُ من التمرِ[٤].

وقال أنسٌ: دخلتُ على رسولِ الله ﷺ وهو مُضطجعٌ على سريرٍ مُرْمَلٍ بشريطٍ، وتحتَ رأسهِ وِسادةٌ من أَدَمٍ حَشوُها ليفٌ، ودخل عمرُ، فلم يَرَ بينَ جنبه والشريطِ ثوباً، وقد أثَّر الشريطُ في جنبِ رسولِ اللهِ ﷺ فبكَى عمرُ، فقال له النبي ﷺ: «ما يُبكِيكَ؟» قال: أنتَ أكرمُ على الله من كسرى وقيصرَ وهما يعيثان[٥] في الدنيا وأنتَ بالمكانِ الذي أَرَى؟ فقال له: «يا عمرُ، ألاَ ترضى أن تكونَ لهمُ الدنيا ولنا الآخرةُ؟» قال: بلى، قال: «فإنَّه كذلِكَ».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخلَ عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وهو على حصيرٍ، وقد أثَّر في جنبهِ، فقال: يا نبيَّ اللهِ لو اتَّخذت فِراشاً أوثر من هذا، فقال: «ما لي وللدُّنيا، ما مَثَلي ومثلُ الدُّنيا إلا كَراكِبٍ سارَ في يوم صائفٍ، فاستظلَّ تحتَ شجرةٍ ساعةً من نهارٍ، ثم رَاحَ وتَركَها»[٦].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٨٢٥) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٧٦٨)، وهو في البخاري (٦٤٥١)، ومسلم (٢٩٧٣) مختصراً.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٥٦١).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٤٢).

(٥) في (أ،خ): لغنيان، وليس في (ك)، والمثبت من مسند أحمد (١٢٤١٧).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٤٤).

وقال سِماك بن حَرْبٍ: سمعتُ النعمانَ بن بشيرٍ يخطبُ، قال: ذكر عمرُ بن الخطاب ما أصابَ الناسُ من الدُّنيا، فقال: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَظلُّ اليومَ يتلوّى لا يجد دَقَلاً يَملأُ به بطنَهُ(١).

وأما قصر أَملِه ﷺ فقال ابنُ عباسٍ ﵄: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَخرجُ يهريقُ الماءَ، فيتمسَّح بالترابِ. فأقول: يا رسولَ الله، الماء منكَ قريبٌ، فيقول: «وما يُدريني، لعلِّي لا أبلُغُه»(٢).

فصل في ذكر الصدقةِ وتحريمها عليه ﷺ:

قال عبد الملك بن المغيرة: قال رسولُ الله ﷺ: «يا بَني عبدِ المطَّلِبِ، إنَّ الصَّدقةَ أوساخُ الناسِ، فلا تأكُلوها، وإنَّ اللهَ كَرِه لكُم غُسالةَ أيدي الناسِ، وعوَّضَكُم عنها الخُمسَ»(٣).

وقال أنس: إنْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ لَيصيبُ التَّمرةَ فيقول: «لَولا أنّي أخشى أن تكونَ من تمرِ الصدقةِ لأكلتُها». أخرجاه(٤).

وقال أبو هريرة: قال رسولُ الله ﷺ: «واللهِ إنِّي لأنقَلِبُ إلى أهلي، فأجدُ التَّمرةَ ساقطةً على فِراشي، أو في بَيتي فأَرْفَعُها لآكُلَها، ثم أخشَى أن تكونَ من تمرِ الصدقةِ فأُلقِيها». متفق عليه(٥).

وقال أبو هريرة: أخذَ الحسنُ بن عليٍّ تمرةً من تمرِ الصدقةِ، فجعلها في فِيه، فقال النبيُّ ﷺ: «كَخْ كَخْ» ليطرحها، ثم قال: «أَما شَعرتَ أنَّا لا نأكُلُ الصَّدقةَ». متفق عليه(٦).

وعن أبي هريرة قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أُتي بطعام سأَلَ عنه: «أهديةٌ هو أَم صدقةٌ؟» فإن قالوا: هديةٌ، أكلَ منه، وإن قالوا: صدقةٌ، لَم يَأكُل، وأمرَ أصحابَه أن يأكُلوا منه(٧).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦١٤).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٣٦.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٣١)، ومسلم (١٠٧١).

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٣٢)، ومسلم (١٠٧٠).

(٦) أخرجه البخاري (٣٠٧٢)، ومسلم (١٠٦٩).

(٧) أخرجه البخاري (٢٥٧٦)، ومسلم (١٠٧٧).

وقالت عائشة: أرسلتُ إلى نُسيبةَ بشاةٍ من الصدقةِ، فبعَثَت إليَّ من لَحمِها، فدخَلَ عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «هَل عِندَكُم شيءٌ؟» قلت: لا، إلَّا ما أَرسَلت به نُسيبةُ، فقال: «هاتِ قد بلَغَت مَحِلَّها» متفق عليه(١).

قالت عائشة: وتُصدِّق على بَريرةَ بلحم، فدخلَ رسولُ الله ﷺ فَرأى القِدرَ تَفورُ على النارِ، فقال: «ما هذا؟» قلت: لحمٌ تُصدِّق به على بَريرةَ فأهدَت إلينا منه، وأنتَ لا تأكُلُ الصدقةَ، فقال: «هو لَها صَدقةٌ، ولنا هَديَّةٌ» فأكَلَ منه. متفق عليه(٢).

وتحرمُ الصدقة على أهل بيتِ النبيِّ ﷺ وهم: آل عليٍّ، وآل عَقيلٍ، وآل جعفرٍ، وآل العباس بن عبدِ المطَّلِبِ ومَواليهم.

وقال يزيد بن حيان التيمي: انطلقت أنا وحُصين بن سَبرة، وعمرُ بن مسلم إلى زيدِ ابن أرقم، فقال له حصين: يا زيدُ، لقد لقيتَ خيراً كثيراً، رأيتَ رسولَ الله ﷺ وصحبتَه، وصلَّيتَ خلفَه، وغزوتَ معه، فحدِّثنا يا زيدُ مما سمعتَ منه، فقال: قامَ رسولُ الله ﷺ فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمِدَ الله، وأثنى عليه، وذكَّرَ ووَعَظَ، وقال: «أيُّها الناسُ، إنَّما أنا بشَرٌ مثلُكُم، يوشِكُ أن يأتِيَني رسولُ ربِّي، فأُجيب، وإنِّي تاركٌ فيكم ثَقَلين: أولُهما كتابُ الله، فيه الهُدى والنورُ، فخذُوا به، واستَمْسِكُوا به» قال: «وأهلُ بَيتي، أذكِّركُم اللهَ في أهلِ بَيتي» قالَها ثلاثاً، فقال له حُصين: ومَن أهلُ بيتِه يا زيدُ، أليسَ نساؤُه من أهل بيتِه؟ [قال: إن نساءَه من أهل بيته، ولكن أهل بيته] من حُرم الصدقةَ بعده، قال: ومَن هم؟ قال: آل عليٍّ، وآل عَقيلٍ، وآلُ جعفرٍ، وآل العباسِ، قال: أكلُّ هؤلاءِ حُرمَ الصدقةَ؟ قال: نعم(٣).



(١) أخرجه البخاري (٢٥٧٩)، ومسلم (١٠٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٧٨)، ومسلم (١٠٧٥).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٢٦٥)، ومسلم (٢٤٠٨)، وما بين معكوفين منهما.

الباب الثالث والثلاثون

في حزنه وعبادته ﷺ

قالت عائشة رضوان الله عليها: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ مُستجمعاً ضاحِكاً قطُّ، إنَّما كان يَتبسَّم، وكان إذا رَأى غَيماً عُرف في وجههِ الكَراهيةُ، فأقولُ له في ذلك فيقول: «وما الذي يؤمِّنُني أن يكونَ فيه عَذابٌ، قد عُذِّب قومٌ بالريحِ، وقد رَأى قومٌ العذابَ فقالوا: هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا»[١].

وكان إذا رأى مَخيلَةً في السماءِ دخَلَ، وخَرَج، وتغيَّر لونُه، فإذا أمطرت سُرِّي عنه[٢].

وكان إذا عصَفَتِ الريح قال: «اللَّهمَّ إنِّي أَسأَلُك خَيرَها وخَيرَ ما فيها، وخَيرَ ما أرسِلَت به، وأَعوذُ بكَ من شَرِّها وشَرِّ ما فيها وشَرِّ ما أُرسِلَت به»[٣].

وقالت عائشة رضوان الله عليها: رخَّص رسولُ الله ﷺ في أمر فتَنزَّه عنه أُناسٌ، فبلَغَه فغَضِبَ حتى بانَ الغضبُ في وجهِه، ثم قال: «ما بالُ قومٍ يَرْغبونَ عمَّا رُخِّص لي فيه؟ فواللهِ لَأَنا أَعْلَمُهم باللهِ وأَشدُّهم له خَشْيَةً»[٤].

وقالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا أَمَرَهم بما يُطيقون قالوا: لَسنا كَهيئَتِك يا رسولَ الله؟ إنَّ الله قد غَفَرَ لكَ ما تقدَّم من ذنْبِكَ وما تأخَّرَ، فيَغضَبُ حتى يُعرفُ الغضَبُ في وجهِهِ، ثم يقول: «أَنا أَتقاكُم وأعلَمُكُم باللهِ»[٥].

وقال عبد الله بن الشِّخِّير: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ولصَدرِهِ أَزيزٌ كأَزيزِ المِرْجَلِ من البُكاءِ[٦].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٣٦٩)، والبخاري (٤٨٢٨)، و(٤٨٢٩)، ومسلم (٨٩٩) (١٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٣٤٢)، والبخاري (٣٢٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (٨٩٩) (١٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤١٨٠)، والبخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٣١٩)، والبخاري (٢٠).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٣١٢)، وأبو داود (٩٠٤).

وقال الأَغَرُّ المُزَني: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّه ليُغَانُ على قلبي، وإنِّي لأَستغفِرُ الله كلَّ يومٍ أكثرَ من سبعينَ مرَّةً، وأتوبُ إليه»(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بتُّ عندَ خالتي ميمونةَ زوجِ النبيِّ ﷺ فاضجَعتُ في عرضِ الوِسادَةِ، واضْطَجعَ رسولُ الله ﷺ وأهلُه في طولِها، فنامَ رسولُ الله ﷺ حتى انتَصَفَ الليلُ، أو قبلَه بقليلٍ، أو بعدَه بقليلٍ، استيقظَ رسولُ الله ﷺ فجعلَ يمسَحُ النومَ بيدِه عن وجهِه، ثم قرأَ العشرَ الآياتِ الخواتمِ من سورةِ آل عمرانَ، ثم قامَ إلى شَنٍّ معلَّق، فتوضَّأَ منه فأحسنَ الوضوءَ، ثم قام فصلَّى، فقمت فصنعتُ مثلَ ما صنَعَ، ثم ذهبتُ فقمتُ إلى جَنبِه فوضَع يدَه اليُمنى على رأسي، وأَخذَ بأُذني اليمنى فَفَتلَها، وصلَّى رَكْعَتين، ثم رَكْعَتَين، ثم رَكْعَتين، ثم رَكْعَتين، ثم رَكْعَتين، ثم رَكْعَتين، ثم أَوترَ، واضْطَجعَ حتى جاءَه المؤذِّنُ، فقامَ فصلَّى رَكْعَتين خَفيفتين، ثم خرجَ فصلَّى الصبحَ، ثم دعا فقال: «اللهمَّ اجْعَلْ في قلبي نُوراً، وفي بَصَري نُوراً، وفي سَمعي نُوراً، وعن يَميني نوراً، وعن شِمالي نوراً، وخلفي نوراً، ومن فوقي نُوراً، ومن تحتي نُوراً، وأَعظِم لي نُوراً»(٢).

وقال حُميد: سُئل أنسُ بن مالكٍ عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ من الليلِ، فقال: ما كنَّا نَشاءُ أن نَراه من الليلِ مصلِّياً إلَّا رَأيناه، وما كنَّا نَشاءُ أن نَراه نائماً إلاَّ رَأيناهُ، وكان يصومُ الشَّهرَ حتى نقولَ: لا يُفطِرُ منه شيئاً، ويُفطِرُ حتى نقولَ: لا يَصومُ منه شيئاً(٣).

وقال أبو وائل: قال عبدُ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه: صلَّيتُ مع النبيِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فلم يَزل قائماً حتى هَمَمتُ بأمرِ سوءٍ، قلنا: وما هو؟ قال: هممتُ بأن أَجلِسَ وأَدَعه(٤).

وقال حذيفة: صليتُ مع رسولِ الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ فافْتَتح البقرةَ، فقلتُ: يركَعُ عند المئةِ، قال: ثم مضَى، فقلتُ: يصلِّي بها في ركعةٍ، فمضَى، فقلتُ: يركَعُ فيها، ثم افتَتَح النساءَ فقرأَها، ثم افتَتَح آل عمرانَ فقرأَها، يقرأ مترسِّلاً، إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٨٤٨)، ومسلم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٦٧)، والبخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣) (١٨٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٠١٢)، والبخاري (١١٤١).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٦٤٦)، والبخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣).

سبَّح، وإذا مرَّ بآيةٍ فيها سُؤال سألَ، وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذَ، ثم ركَعَ فجعَلَ يقولُ: «سُبحان ربِّي العَظيم» فكان ركوعُه نحو قيامهِ، ثم قال: «سَمِعَ الله لِمَن حَمِدَه» ثم قامَ طويلاً قريباً مما ركعَ، ثم سجَدَ فقال: «سُبحان ربِّي الأعلى» فكان سُجودُه قريباً من قيامِه(١).

وقال إبراهيم بن علقمة: سُئلت عائشةُ: أكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَخصُّ شَيئاً من الأيامِ؟ قالت: لا، كان عَمَلُه دِيْمَةً، وأيُّكم يُطيقُ ما كانَ رسولُ الله ﷺ يُطيقُ(٢)؟.

وقال عبد الله بن شَقيق: سألتُ عائشةَ ﵂ عن صلاة رسول الله ﷺ من التطوعِ، فقالت: كان يُصلِّي قبلَ الظهرِ أربعاً في بَيتي، ثم يخرجُ فيصلي بالناسِ، ثم يَرجعُ إلى بيتي فيصلِّي رَكعتَيْن، وكان يُصلِّي بالناسِ العصرَ، ثم يَرجع إلى بَيتي، ثم يخرجُ فيصلِّي المغربَ، ويَرجعُ إلى بَيتي فيصلِّي رَكعتَيْن بعد المغربِ، وكان يصلِّي بهمُ العشاءَ، ويدخلُ بَيتي فيصلِّي رَكعتَيْن، وكانَ يصلِّي من الليلِ تسعَ ركَعاتٍ منهنَّ الوترُ، وكانَ يصلِّي ليلاً طويلاً قائماً، فإذا قرأَ وهو قائمٌ ركَعَ وسجَدَ، وإذا قرأ وهو قاعدٌ ركَعَ وسجَدَ وهو قاعدٌ، وكان إذا طلَعَ الفجرُ صلَّى رَكعَتيْن ثم يخرجُ فيصلِّي بالناسِ صلاةَ الفجرِ. انفرد بإخراجه مسلم(٣).

وقالت عائشة - رضوان الله عليها -: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى قامَ حتى تَتَفطَّر رِجلاهُ، فأقولُ: يا رسولَ الله، أتصنعُ هذا وقد غُفر لك ما تقدَّم من ذَنبِكَ وما تأخَّر؟ فيقول: «يا عائشةُ، أفَلا أكُونُ عَبداً شَكُوراً؟»(٤).

وقال أُبَيُّ بن كَعبٍ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقرأُ في الوترِ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فإذا سَلَّم قال: «سُبحان الملِكِ القدُّوسِ» ثلاث مرات(٥).

وقال غضيف بن الحارث: قلت لعائشة: أكانَ رسولُ الله ﷺ يُوترُ في أولِ الليلِ أم

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٣٦٧)، ومسلم (٧٧٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٢٨٢)، والبخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).

(٣) مسلم (٧٣٠)، وأحمد في «مسنده» (٢٤٠١٩).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٨٤٤)، والبخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١١٤١)، وأبو داود (١٤٢٣)، وابن ماجه (١١٧١).

في آخرِه؟ فقالت: ربَّما أوترَ في أوله، وربَّما أوترَ في آخرِه، فقلتُ: الحمدُ للهِ الذي جَعَل في الأمر سَعَةً[(١)].

وقالت عائشةُ رضوان الله عليها: لم يكن رسولُ الله ﷺ على شيءٍ من النَّوافلِ أشدَّ تَعاهُداً منه على رَكعَتَي الفجرِ[(٢)].

وقالت: ما تَرَكَ رسولُ الله ﷺ ركعتَيْن بعدَ العصرِ عِندي قطُّ[(٣)].

قال الزهري: كان مخصوصاً بذلك.

وقالت: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا قامَ يُصلِّي من الليلِ افتَتَح الصلاةَ بركعتينِ خَفيفتين[(٤)].

فصل في قيام رمضان:

قال زيدُ بن ثابت: إنَّ النبي ﷺ اتَّخذَ حُجرةً في المسجدِ من حصيرٍ فصلَّى فيها ليالِ حتى اجتَمَع إليه ناسٌ، ثم فَقدُوا صوتَه، فظنُّوا أنَّه قد نامَ، فجعَلَ بعضُهم يتَنحنَحُ ليخرجَ إليهم. فقال: «مازال بكم الذي رأيت من صنيعكُم حتى خشيتُ أن يُكْتَبَ عليكُم، ولو كُتب عليكُم ما قُمتُم به، فصلُّوا في بُيوتِكُم، فإنَّ أفضَلَ صلاةِ المرءِ في بيتِهِ إلَّا المكتوبةَ». أخرجاه في «الصحيحين»[(٥)].

وقالت عائشةُ رضوان الله عليها: صلَّى رسولُ الله ﷺ ليلةً في المسجدِ في شهرِ رمضانَ ومعهُ أُناسٌ، ثم صلَّى الثانيةَ فاجتَمعَ تلكَ الليلةَ أكثرُ من الأُولى، فلما كان في الليلةِ الثالثةِ أو الرابعةِ امتَلأ المسجدُ حتى اغتصَّ بأهلِه، فلم يَخرج إليهم رسولُ الله ﷺ فجعَلَ الناسُ يُنادونَه: الصلاةَ، فلم يَخرج إليهم، فلمَّا أصبحَ قال له عمرُ بن الخطاب: يا رسولَ الله، مازالَ الناسُ يَنتظرونَكَ البارِحَة، فقال: «أما إنَّه لم يَخْفَ عليَّ أمرُهم،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٢٠٢)، وأبو داود (٢٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤١٦٧)، والبخاري (١١٦٩)، ومسلم (٧٢٤) (٩٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٦٤٥)، والبخاري (٥٩١)، ومسلم (٨٣٥) (٢٩٩).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٠١٧)، ومسلم (٧٦٧).

(٥) أخرجه البخاري (٧٢٩٠)، ومسلم (٧٨١). وأحمد في «مسنده» (٢١٥٨٢).

ولكنِّي خشيتُ أن تُكتَبَ عليهم». أخرجاه في «الصحيحين»[١].

وقال أُبيُّ بن كعبٍ: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من رمضانَ، فسافَر سنةً فلم يَعتكف، فلما كانَ في العامِ المقبلِ اعتكفَ عشرين يوماً[٢].

فصل في ذكر قراءته:

عن جابرِ بن سَمُرةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقرأُ في الفجرِ بـ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ ونحوها[٣].

وكان يقرأ في الظهر﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾، وفي العصر نحو ذلك، وفي الفجر أطول من ذلك[٤].

وفي رواية: وكان يقرأ في الجمعة بقاف وبسورة الجمعة والمنافقين[٥].

وأخرج مسلم عن أبي واقِدٍ اللَّيثي: أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه سأَلَه بما كانَ يقرأُ رسولُ الله ﷺ في العيدِ؟ فقال: بـ ﴿قٓ﴾ و﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾[٦].

وقال ابن عباس: كانَ رسولُ الله ﷺ يقرأُ في صلاةِ الصبحِ يومَ الجمعةِ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ و﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾، وفي الجمعةِ بسورة الجمعةِ وإذا جاءكَ المنافقون[٧].

فصل في صيامه ﷺ:

قال أسامةُ بن زيدٍ رضي الله عنهما : كان رسولُ الله ﷺ يصومُ الأيامَ يَسرِدُ حتى يقال: لا يفطرُ، ويُفطر الأيامَ حتى لا يكادُ يَصومُ، إلَّا يومين من الجمعةِ، ولم يَكن يصومُ من شهرٍ من الشُّهورِ ما يَصومُه من شعبانَ، فقلت: يا رسولَ الله، إنَّك تصومُ لا تكادُ تُفطرُ،

(١) أخرجه البخاري (٩٢٤)، ومسلم (٧٦١) (١٧٨)، وأحمد في «مسنده» (٢٥٣٦٢).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٢٧٧).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٩٧١)، ومسلم (٤٥٨).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٩٦٣)، ومسلم (٤٥٩) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣١٦٠) ومسلم (٨٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٦) مسلم (٨٩١)، وأحمد في «مسنده» (٢١٨٩٦)، وفيه أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد.
(٧) تقدم قريباً.

وتُفطر حتى لا تكادُ تصومُ، إلَّا يومين إن دخلا في صيامِكَ وإلَّا صُمتَهما، قال: «أيَّ يَومَينِ؟» قلت: يومَ الاثنينِ ويومَ الخميسِ. قال: «ذانِكَ يَومان تُعرضُ فيهما الأَعمالُ على ربِّ العالمينَ، فأُحبُّ أن يُرفَعَ عَملِي وأَنا صائمٌ».أخرجه الإمامُ أحمدُ رحمة الله عليه في «المسند»[1].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كانَ يصومُ رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أيامٍ من غُرَّة كلِّ شهرٍ، وقلما كان يُفطرُ يومَ الجمعةِ[2].

وقد ثبتَ أنَّه ﷺ كانَ يصومُ الأيامَ البيضَ، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر[3].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يَصوم يومَ عاشوراءَ قبل أن يُفترَضَ صيامُ رمضانَ[4].



(١) أحمد في «مسنده» (٢١٧٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٨٦٠)، وأبو داود (٢٤٥٠)، وابن ماجه (١٧٢٥).

(٣) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٣١٦) عن قتادة بن مِلحان قال: كان رسول الله ﷺ يأمرهم بصيام أيام البيض، ويقول: «هن كصيام الدهر».
وأخرج أحمد (٢٥٤٢٢) عن عبد الله بن شقيق قال: سألت عائشة: أكان رسول الله ﷺ يصوم الأيام المعلومة من الشهر؟ فقالت: نعم.

(٤) أخرجه قريباً من هذا اللفظ أحمد في «مسنده» (٦٢٩٢)، ومسلم (١١٢٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله ﷺ صامه والمسلمون قبل أن يفترض رمضان، فلما افترض رمضان قال رسول الله ﷺ: «إن عاشوراء يوم من أيام الله، فمن شاء صامه ومن شاء تركه».
وأخرجه عن ابن مسعود البخاري (٤٥٠٣)، ومسلم (١١٢٧) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: دخل الأشعث ابن قيس على عبد الله وهو يتغدى، فقال: يا أبا محمد، ادن إلى الغداء، فقال: أوليس اليوم يوم عاشوراء؟ قال: وهل تدري ما يوم عاشوراء؟ قال: وما هو؟ قال: إنما هو يوم كان رسول الله ﷺ يصومه قبل أن ينزل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك.

الباب الرابع والثلاثون

في فضله ﷺ على الأنبياء، ونحو ذلك

قال جابر بن عبد الله: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطِيتُ خَمساً لم يُعطَهنَّ أحدٌ من الأنبياءِ قَبلي: نُصِرتُ بالرُّعبِ مَسيرةَ شَهرٍ، وجُعِلَت لي الأرضُ مَسجِداً وطَهُوراً، فأيُّما رجلٍ أَدْرَكتهُ الصلاةُ فليُصَلِّ، وأُحِلَّت ليَ الغَنائمُ ولم تَحلَّ لأحدٍ من قَبلِي، وأُعطِيتُ الشَّفاعة، وكان النبيُّ يُبعث إلى قومِه خاصَّةً وبُعِثتُ إلى الناسِ عامَّةً». أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

وعن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «بُعِثتُ بجَوامِعِ الكَلِمِ، ونُصِرتُ بالرُّعبِ، وبَيْنا أنا نائمٌ رأيتُني أُتيتُ مفاتيحَ خَزائِنِ الأرضِ فوُضِعَت بين يَدي» قال أبو هريرة: فقد ذهبَ رسولُ الله ﷺ وأنتم تَنْتَثِلُونَها. أخرجاه في «الصحيحين»[(٢)].

وقال حذيفةُ: قال رسولُ الله ﷺ : «فُضِّلْنا على الناسِ بثلاثٍ: جُعِلَت صُفُوفنا كصُفوفِ الملائكَةِ، وجُعِلت لنا الأَرضُ مَسجداً، وتُربَتُها لنا طَهُوراً إذا لم نَجدِ الماءَ». انفرد بإخراجه مسلم[(٣)].

وقال أنسٌ: قال رسولُ الله ﷺ: «آتي بابَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ فأَسْتَفتِحُ فيقولُ الخازِنُ: مَن أنتَ؟ فأقولُ: محمدٌ، فيقول: بِكَ أُمرتُ لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبلَكَ». انفرد بإخراجه مسلم[(٤)].

ولمسلم عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أَولُ الناسِ يَشفَعُ يومَ القيامةِ، وأنا أكثرُ الناسِ تَبعاً يومَ القيامةِ، وأنا أَولُ من يَقْرَعُ بابَ الجنَّةِ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، وأحمد في «مسنده» (١٤٢٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣) (٦)، وتنتثلونها: تستخرجونها. النهاية: نَثَلَ.

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٧).

(٥) أخرجه مسلم (١٩٦)، وانظر «الجمع بين الصحيحين» (١٩٧١).

وقال أنسٌ: قال رسولُ الله ﷺ: «أَنا أَولُ الناسِ خُروجاً إذا بُعِثُوا، وأَنا خَطيبُهم إذا وَفَدُوا، وأَنا مُبشِّرُهم إذا يَئِسُوا، لواءُ الحمدِ بِيَدِي، وأَنا أَكرَمُ ولدِ آدَمَ على ربِّي ولا فَخْر»(١).

وفي «أفراد مسلم» من حديث أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أَنا سيِّدُ ولَدِ آدَمَ يومَ القيامةِ، وأَولُ من يَنْشَقُّ عنه القبرُ، وأَولُ شافِعٍ وأَولُ مُشَفَّعٍ»(٢).

وعن جابرِ بن عبدِ الله: أنَّ عمرَ بن الخطابِ رضوان الله عليه أتَى النبيَّ ﷺ بكتابٍ أَصابَه من بعضِ أهلِ الكتابِ فقَرأَه على النبيِّ ﷺ قال: فغَضِبَ، وقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا ابنَ الخطَّابِ؟ والذي نَفْسِي بِيَدِه، لقد جِئتُكُم بها بَيْضاءَ نَقيَّةً، لا تَسألُوهم عن شيءٍ ويُخبروكُم بحقٍّ فيكذِّبونَه أو باطِلٍ فيصدِّقونَه، والذي نَفْسِي بيَدِه لو كانَ مُوسى وعِيسى حيَّينِ لَما وَسِعَهما إلَّا اتِّباعِي»(٣).

وقال عبدُ الله بن مسعودٍ ﷺ: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنكُم مِن أَحَدٍ إلَّا وَقَد وُكِّلَ بهِ قَرينُه من الجِنِّ وقَرينُه من الملائكةِ» قالوا: وإيَّاكَ يا رسولَ الله؟ قال: «وإيَّايَ، ولكنَّ اللهَ أعانَنِي عليه فلا يأمُرُني إلَّا بخيرٍ». انفرد بإخراجه مسلم(٤).

وعن أبي موسى، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّما مَثَلي ومَثَلُ ما بَعثَني اللهُ به، كمَثَلِ رجلٍ أَتَى قومَه، فقال: يا قَومِ إنِّي رأيتُ الجيشَ بعَيني، وإنِّي أنا النَّذيرُ العُريانُ، فالنَّجاءَ النَّجاءَ، فأَطاعَه طائفةٌ من قومِه، فأَدْلَجوا، وانْطَلَقُوا على مَهْلِهم فَنَجوا، وكذَّبتهُ طائفةٌ منهم فأَصْبَحوا مكانَهم فصَبَّحَهُم الجيشُ فأَهلَكَهُم واجْتاحَهم، فذلكَ مثَلُ من أَطاعَني واتَّبعَ ما جِئتُ به، ومثَلُ مَن عَصاني وكذَّبَ ما جِئتُ به منَ الحقِّ». أخرجاه في «الصحيحين»(٥).

وعن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما مِن نَبيٍّ إلاَّ وقد أُعطِيَ من الآياتِ ما

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٠)، وقال هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، وأحمد في «مسنده» (١٠٩٧٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥١٥٦)، التهوك، كالتهور: وهو الوقوع في الأمر بغير روية.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨١٤)، وأحمد في «مسنده» (٣٧٧٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣).

مثلُه آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كان الذي أُوتيتُه وَحياً أَوْحاه اللهُ إليَّ، فأَرجُو أَن أكُونَ أكثَرهم تابِعاً يومَ القيامةِ». أخرجاه في «الصحيحين»(١).

وقال أبو هريرة: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثَلِي [ومثل الناس] كمَثَلِ رجلٍ اسْتَوقَدَ ناراً، فلمَّا أَضاءَت ما حَولَها، جَعَلَ الفَراشُ وهذهِ الدَّوابُّ التي يَقعْنَ في النارِ يقَعْنَ فيها، وجَعَل يَحْجُزهنَّ ويَغْلِبنَه فيَقْتَحِمْنَ فيها قال: فَذَلِكُم مَثَلي ومَثَلُكُم، أنا آخِذٌ بِحُجَزِكُم عن النارِ هلمَّ عن النارِ فتَغلِبوني فتقْتَحِمونَ فيها». أخرجاه في «الصحيحين»(٢).

وعن جابر قال: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يَمشُونَ أمامَه إذا خرجَ، ويَدعونَ ظهرَه للملائكةِ(٣).

قال عبد الله بن هشام: كنا مع النبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيدِ عمرَ بن الخطابِ فقال له: يا رسولَ الله، لأَنتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلَّا نَفسِي، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لا والذي نَفسِي بيَدِه حتى أكُونَ أحبَّ إليكَ من نَفسِكَ» فقال له عمر: فإنَّه الآنَ، والله لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسِي، فقال رسول الله ﷺ: «الآنَ يا عُمرُ». انفرد بإخراجه البخاري(٤).

وفي الحديث دليلٌ على جوازِ تكليفِ ما لا يُطاقُ، لأنه إنما يُكلف الحبُّ الذي يدخلُ تحتَ الطاقةِ، أمَّا الحبُّ الطبيعي فليسَ إلَّا الإنسان.

وفي المتفق عليه عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليَأتِيَنَّ على أحدِكُم زمانٌ لأن يَراني أحبُّ إليه من أن يكونَ له مثلُ أهلِه ومالِه»(٥).

وقال عبد الله بن شَقيق: قال رجل: يا رسولَ الله، متى كنتَ نبيًّا؟ فقال له الناس: مَهْ، فقال رسولُ الله ﷺ: «دَعُوه، كنتُ نَبيًّا وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ، أو بينَ الماءِ والطِّينِ، حينَ أُخِذَ منِّي الميثاقُ، وإنَّ آدمَ لمنجَدلٌ في طينَتِهِ»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢)، وأحمد في «مسنده» (٩٨٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤) (١٦)، وأحمد (٨١١٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٢٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٣٢)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٥٠٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٨٩)، ومسلم (٢٣٦٤)، وأحمد (٩٧٩٤).

(٦) لم نقف على هذه الرواية التي ذكرها المصنف، لعلها مجموعة من عدة أحاديث كما سنبينها: =

وفي رواية: «أنا عبدُ اللهِ، وخاتَمُ النَّبيين، ودَعوةُ إبراهيمَ حينَ قال: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ وبشَّرَ بي عيسى» و«كنتُ أولَ الناسِ في الخلقِ وآخِرَهم في البَعْثِ»(١).

وقال أنسٌ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ والحلاقُ يحلِقُه وقَد أطافَ به أصحابُه ما يُريدون أن يقَعَ شعرُه إلاَّ في يدِ رجلٍ. انفرد بإخراجه مسلم(٢).

وفي «الصحيحين» عن أبي جُحيفةَ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو بالأَبْطَحِ في قُبَّةٍ له، فخرجَ بلالٌ بفضلِ وَضوئه، فرأيتُ الناسَ يَبتَدِرُون ذلك الوَضوءَ، فمَن أصابَ منه شَيئاً مسَحَ به وَجْهَه، ومَن لم يُصب منه أخذَ من بلَلِ يدِ صاحبِه، وخرجَ رسولُ الله ﷺ فقامَ الناسُ فجَعَلوا يأخذونَ يدَه يمسحونَ بها وُجُوهَهم، فأخذتُ يَدَه فوضعتُها على وَجْهي، فإذا هي أبردُ من الثلجِ وأطيبُ من المسكِ(٣).

وقال أنس: ما كان شخصٌ أحبَّ إليهم من رسولِ اللهﷺ، وكانوا إذا رَأَوه لم يَقوموا لما يَعلمون من كراهيَّته لذلك. أخرجه الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند»(٤).

= أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (١٦٦٢٣) عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال: قلت: يا رسول الله، متى جعلت نبياً، قال: «وآدم بين الروح والجسد».

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٢٣ عن مطرف بن عبد الله بن الشخير: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى كنت نبياً؟ قال: «بين الروح والطين من آدم».

وأخرج أيضاً ١/ ١٢٣ عن عامر قال رجل للنبي ﷺ: متى استنبئت؟ فقال: «وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق».

وأخرج أحمد (١٧١٥٠) عن العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته...» .

(١) جمع المصنف رحمه الله بين روايتين: الأولى: أخرجها أحمد (١٧١٥١) عن العرباض ﷺ، والثانية: أخرجها ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٢٤ من حديث قتادة وتمام في «فوائده» (١٠٠٣) من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت أول الناس في الخلق.... » .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٥)، وأحمد في «مسنده» (١٢٣٦٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٦)، ومسلم (٥٠٣) وأحمد في «مسنده» (١٨٧٦٢)، ولم يذكروا وضع يد النبي ﷺ على وجه أبي جحيفة، وذكر الزياده أحمد في «مسنده» (١٨٧٦٧) .

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٣٤٥) .

وفي «الصحيحين»: عن أنس قال: رمى رسول الله ﷺ الجمرةَ الأولى، ثم نحَرَ البُدنَ والحجَّامُ جالسٌ، ثم حلَقَ أحدَ شِقَّيه الأيمن، فقسَمَه بين الناسِ فأَخَذُوه، وحلَقَ الآخرَ فأعطاه أبا طلحةَ(١).

وفي «المسند» عن أنس قال: ناوَلَني رسولُ الله ﷺ شِقَّ رأسِه الأيمنَ، وقال: «اذهَبْ بهذا إلى أمِّ سُلَيم» فلمَّا رأى الناسُ ما خصَّها به تَنافَسُوا في الشِّقِّ الآخر، هذا يأخذُ الشيءَ، وهذا يأخذُ الشيءَ(٢).



(١) أخرجه مسلم (١٣٠٥) (٣٢٦)، والبخاري (١٧١) ولفظه: «أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره» وانظر «الجمع بين الصحيحين» (١٩٠٥)، وأحمد في «المسند» (١٢٠٩٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٦٨٥).

الباب الخامس والثلاثون

في طرفٍ من معجزاته ﷺ

وهي ثلاثة أقسام:

قسمٌ خارج عن ذاته، وقسمٌ في ذاته، وقسمٌ في صفاته.

فأما ما هو خارجٌ عن ذاته، فكانشقاقِ القمرِ، وتسليمِ الحَجَر عليه، ونبعِ الماءِ من بين أصابعِه، وإشباعِ الخلقِ الكثيرِ من الطعامِ اليسيرِ، وحنينِ الجذْعِ إليه، وتسبيحِ الحَصَى في يدَيْه، وشَهادة الشاةِ المصْليَّةِ أنَّها مسمومةٌ، وتظليل الغمامِ إيَّاه قبل مبعثه، إلى غير ذلك.

قال أنس: سأل أهل مكة النبيَّ ﷺ أن يُريهم آيةً، فأرَاهم انشقاقَ القمرَ شِقَّتين حتى رأَوا حراء بينهما، فقالت قريش: سَحَركم ابنُ أبي كَبْشَة، سلوا السفار، فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[1] [القمر: ١].

وعن جابر بن سَمُرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنِّي لأَعرِفُ حَجَراً بمكةَ كانَ يُسلِّمُ عليَّ قبلَ أن أُبعثَ، إنِّي لأَعرِفُه الآن» انفرد بإخراجه مسلم[2].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدَّثنا يحيى، عن عَوف، حدَّثنا أبو رجاء، عن عِمرانَ بن الحُصَين قال: كنَّا في سفر مع النبيِّ ﷺ فسَرَينا حتى إذا كنَّا في آخرِ اللَّيل وقَعْنَا وَقْعَةً ليسَ عند المسافرِ أحلى منها، قال: فما أَيقَظَنا إلا حرُّ الشمسِ، وكان أولَ من اسْتَيقظَ فلانٌ ثم فلانٌ، يُسمِّيهم أبو رجاءٍ، ونسيهم عوفٌ، ثم عمرُ بن الخطابِ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا نام لم نُوقِظه حتى يكون هو الذي يَستيقظُ، لأنَّا لا نَدري ما يَحدُثُ له في نومِه، فلما استَيقَظَ عمرُ ورَأَى ما أصابَ الناسَ وكان رجلاً أَجوَفَ[3]

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطيالسي في «المسند» (٢٩٥)، والشاشي في «مسنده» (٤٠٤)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٦٠) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، أما حديث أنس فأخرجه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢)، وأحمد في «مسنده» (١٣١٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٧)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٨٢٨).

(٣) «أجوف»: يخرج صوته من جوفه بقوة.

جَليداً، فكبَّر ورَفَع صوتَه بالتكبيرِ، فما زالَ يكبِّر ويرفعُ صوتَه بالتكبيرِ حتى اسْتَيقظ لصوتِه رسولُ الله ﷺ فشَكَى إليه الناسُ ما أَصابَهم، فقال: «لا ضَيْرَ، ارْتَحِلُوا» فارتحلُوا فسارَ غيرَ بعيدٍ، ثم نَزَل، فدَعَى بالوَضوءِ، فتوضَّأ، ونادَى بالصلاةِ فصلَّى بالناسِ، فلما انْفَتَل من صلاتِه إذا برجلٍ معتزلٍ لم يصلِّ مع القومِ، فقال: «ما مَنَعكَ أن تصلِّي؟» فقال: أَصابَتني جنابةٌ ولا ماءَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «عَليكَ بالصَّعيدِ، فإنَّه كافِيكَ» ثم سارَ رسولُ الله ﷺ فاشتكى إليه الناسُ العطَشَ، فنزَل، فدَعى فلاناً كان يسمِّيه أبو رجاء ونسيه عوفٌ، ودَعى عليًّا رضوان الله عليه وقال: «اذْهَبا فابْغِيا لنا الماءَ» فانْطَلقا فلَقِيا امرأةً بين مَزادَتين من ماءٍ على بعيرٍ لها، فقالا لها: أينَ الماءُ؟ قالت: عَهدي بالماءِ أمسِ هذه الساعةَ ونَفَرُنا خُلُوف[1]، قالا لها: انْطَلقي إذَن، فقالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسولِ الله ﷺ قالت: هذا الذي يُقال له: الصابئُ؟ قالا: هو الذي تَعنين، فانْطَلقي إذاً، فجاءا بها إلى رسولِ الله ﷺ فحدَّثاه الحديث، فاسْتَنْزلُوها عن بَعيرِها، ودَعا رسول الله ﷺ بإناءٍ، فأفرغَ فيه من أفواهِ المزادَتَين، وأَوكَأَ أفواهَهما، وأطلَقَ العزاليَ[2]، ونودي في الناسِ أن اسقُوا واستَقُوا، فسَقى مَن شاءَ، واستَقَى من شاءَ، وكان آخر ذلك أن أَعطى الذي أصابَته الجنابةُ إناءً من ماءٍ، فقال: «اذْهَب فأَفرِغْهُ عليكَ»، قال: وهي قائمةٌ تَنظُر ما يُفعل بمائها، قال: وايْمُ اللهِ لقد أُقلِعَ عنها، وإنَّه ليخيل إلينا أنَّها أشد ملأَةً منها حينَ ابتدأَ فيها، فقال رسول الله ﷺ: «اجمَعُوا لها طَعاماً» فجمَعُوا لها من بين عجوةٍ ودقيقةٍ وسَويقةٍ حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً وجَعلُوه في ثوبٍ، وحَملُوها على بَعيرها، ووَضَعوا الثوبَ بين يَديها، فقال لها رسول الله ﷺ: «تَعلَمينَ واللهِ ما رَزِئناكِ[3] من مائِكِ شَيئاً، ولكن اللهَ هو سَقانا» قال: فأتت أهلها وقد احتَبَست عنهم، فقالوا: ما حَبَسك يا فلانةُ؟ فقالت: العجبُ، لقيني رجلان، فذهَبا بي إلى هذا الذي يقال له: الصابئ، ففعل بي وبمائي كذا وكذا، الذي كان، فواللهِ إنَّه لأَسْحَرُ من بين هذه وهذه، وأشارت بأصبعيها الوسطى والسبابة تَرفعها إلى السماءِ ـ

(١) «خلوف»: جمع خالف: يقال لمن غاب.

(٢) «العزالي»: هو مخرج الماء من المزادة.

(٣) «رزئناك»: نقصناك.

تعني السماءَ والأرضَ ـ وإنَّه لرسولُ الله حقًّا، فكان المسلمون يُغيرون بعدُ على ما حولَها من المشركين، ولا يُصيبون الصِّرْمَ[1] الذي هي منه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى هؤلاء القوم يَدَعُونكم إلَّا عمداً فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها ودَخَلوا في الإسلامِ. أخرجاه في «الصحيحين»[2].

وعن أنسٍ: أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان بالزَّوراءِ، فأُتي بإناءٍ فيه ماءٌ لا يَغمُر أصابعَه، فأَمَر أصحابَه أن يتوضَّؤوا، ووَضَع كفَّه في الإناءِ أو في الماءِ فجعلَ الماءُ ينبعُ من بين أصابعهِ وأطراف أصابعه حتى توضَّأ القومُ، قال: فقلنا لأنس: كم كُنتم؟ قال: كنا ثلاث مئةٍ. أخرجاه في «الصحيحين»[3].

وفي المتفق عليه مثل هذه الواقعة جرت في الحديبيةِ، ورواه جابر بن عبد الله، وفيه: فوضعَ رسولُ الله ﷺ يده في الرَّكوةِ، فجعَلَ الماءُ يفورُ من بينِ أصابعِه كأمثالِ العُيونِ، قال: فشربنا، وتوضَّأنا، قال سالم: فقلنا لجابرٍ: كم كُنتم؟ قال: كنَّا خمسَ عشرةَ مئةً، ولو كنَّا مئةَ ألفٍ لكَفانا[4].

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا الوليدُ بن القاسم، حدَّثنا إسرائيلُ، عن منصور، عن إبراهيمَ، عن علقمةَ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال: سمعَ عبدَ الله يحدِّث قال: كنَّا أصحابَ محمدٍ ﷺ نعدُّ الآياتِ بركةً، وأنتم تعدُّونها تخويفاً، بَينا نحنُ مع رسولِ الله ﷺ وليسَ مَعَنا ماءٌ، فقال: «اطلبُوا مَن معه ماء» ففَعلنا، فأُتي بماءٍ، فصبَّه في إناءٍ، ثم وضَع كفَّه فيه، فجعلَ الماءُ يخرجُ من بينِ أصابعهِ، ثم قال: «حيَّ على الطَّهورِ المبارَكِ والبركةِ من الله تعالى» فملأتُ بطني منه، فاستَقى الناسُ. قال عبد الله: وكنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يؤكلُ. انفرد بإخراجه البخاري[5].

وقال عبد الله رضي الله عنه: كنَّا مع النبيِّ ﷺ في سفر فلم يجِدُوا ماءً، فأُتي بتَورٍ من ماءٍ، فوضعَ النبيُّ ﷺ يَده فيه، وفرَّج بين أصابعِه [فرأيتُ الماءَ] يتفجَّر من بينها، فقال: «حيَّ

(١) «الصرم»: أبيات مجتمعة من الناس.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٨٩٨)، والبخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩) (٧)، وأحمد في «مسنده» (١٢٧٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦) (٧٢)، وأحمد في «مسنده» (١٤٥٢٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٧٩)، وأحمد في «مسنده» (٤٣٩٣).

على الوَضوءِ والبركةِ من الله» قال سالم بن أبي الجعد: قلت لجابر بن عبد الله: كم كان الناس يومئذٍ؟ قال: كنَّا ألفاً وخمسَ مئةٍ[١].

وقال سلمة بن الأكوع: خفَّت أَزوادُ الناس، وأَمْلَقوا، فأَتَوا رسولَ الله ﷺ فاسْتَأْذَنُوا في نَحرِ إبلِهم، فأذِنَ لهم، فلقِيَهم عمرُ، فأخبروه، فقال: ما بَقاؤكُم بعدَ إبلكم، فدَخَل على النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ما بَقاؤُهم بعدَ نحر إبلهم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «نادِ في النَّاسِ يأتونَ بفَضْلِ أَزوادِهم» فدَعا، وبرَّكَ عليها، ثم دَعَا بأَوعِيَتهم فاحْتَثى الناسُ حتى فَرَغُوا، ثم قال رسول الله ﷺ: «أَشهدُ أنْ لا إلَه إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ». أخرجه الإمام أحمد رحمه الله عليه في «المسند» وانفرد بإخراجه البخاري[٢].

وروى إياسٌ عن أبيه قال: خَرجنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوة، فأَصابنا جَهْدٌ حتى هَمَمنا أن نَنْحَر بعضَ ظهرِنا، فأمرَ نبيُّ الله ﷺ فجمعْنا مَزاوِدَنا، وبَسَطنا له نِطْعاً، فاجتَمَعَ زادُ القومِ على النِّطعِ، قال: فتطاوَلْتُ لأَحزِرَه كم هو فإذا هو كرَبْضَةِ العَنْزِ، ونحن أربعَ عشرةَ مئةً، فأكلنا حتى شَبعنا، وحَشَونا جُرُبنا، فقال نبيُّ الله: «هَل من وَضوءٍ؟» فجاءَ رجلٌ بإداوَةٍ فيها نطفة، فأَفرغَها في قدحٍ، فتوَضَّأنا كلُّنا ندغفقُه دغفقةً أربعَ عشرةَ مئةً. انفرد بإخراج هذا الطريق مسلم[٣]، والدَّغفقة الصبُّ الشديدُ.

وأما حنين الجذع فقد ذكرناه عند عمل المنبرِ. وتظليلُ الغمامِ له ﷺ في حديث بَحِيرى، وخروجِه إلى الشامِ مع ميسَرةَ غلام خديجة رضوان الله عليها ونحو ذلك، وقد فرَّقنا معجزاتِه ﷺ في أثناءِ سيرتِه، كإخبارِه أن الأرضة أكلت الصحيفة التي كتبتها قريش بينهم وبين بني هاشم، وكقوله ﷺ: «إذا هلَكَ كِسْرى فلا كِسْرَى بعدَه، وإذا هلَكَ قَيصرُ فلا قيصرَ بعده، والذي نَفسي بيَدِه لتُنفقنَّ كُنوزَهما في سبيلِ اللهِ» متفق عليه[٤]، وقولُه

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٨٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٨٤)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٩٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولم نقف على حديث سلمة في «المسند».

(٣) أخرجه مسلم (١٧٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦١٨)، ومسلم (٢٩١٨)، وأحمد في «مسنده» (٧١٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وسبق تخريجه.

ﷺ في يومِ بدرٍ: «هذا مَصرعُ فلانٍ وفلان» فما أخطأَت تِلكَ المصارع[1].

وإخباره ﷺ بما يكون بعدَه من المغيباتِ، وهو الصادقُ المصدوقُ، فصلى الله عليه ما مطرت سُحُب، وخطَرَت بُروق، وجَدَّت براكِبِها في فَسيحِ مَذاهبها نُوقٌ.

وأما القسم الثاني: وهو في ذاته، كالنور الذي كان ينتقلُ في ظهرِ آبائِه من الأنبياءِ والرؤساءِ والأشرافِ حتى وصَلَ إلى أبيه عبد الله، وما ظهر من حسنِه وجمالِه مما ذَكرنا في صفتِه وأحوالِهِ.

وأما القسم الثالث: وهو في صفاتِه، فكصدقهِ الدائمِ، فلم يَنطق بباطلٍ قط، ولا ارتكَبَ قبيحاً قبل النبوةِ ولا بعدَها مما يشينُ ويحطُّ من القدرِ، بل عَصَمه اللهُ تعالى من جميعِ ذلك، وكان ﷺ شُجاعاً، جَواداً، مِقداماً، فَصيحاً، عادِلاً، راحِماً، رَؤوفاً بالمساكينِ، حَسَن الخلقِ، حَليماً، حَييًّا، إلى غير ذلك من الأخلاقِ الرضيةِ والصفاتِ المرضيَّة، ومعجزاتُه ﷺ كثيرةٌ، وآياتُه ظاهرةٌ غَزيرة، ومن أكبرِها القرآنُ الكريم الباقي على مرورِ الزمانِ وتقلُّب الحَدَثان لا يَفنى ولا يَبيدُ، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.



(١) أخرجه مسلم (١٧٧٩)، وأحمد في «مسنده» (١٣٢٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

الباب السادس والثلاثون

في ذكر فصاحته ﷺ

كان رسول الله ﷺ أفصحَ العالمِ لِساناً، وأَرجحَهم بياناً، يتكلَّم بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وينطقُ بلسانِ الحكمةِ، لم يَسقط منه كلمة ولا بادَت له حُجةٌ، أعجزَ الناطقين، وحازَ قصبَ السبقِ في السابقين، كلامُ معصوم من الزلل والتّوى، وما ينطق عن الهوى.

قال أنس: قال رسول الله ﷺ: «أنا أفصحُ من نطَقَ بالضادِ»[(١)].

وقد رَوينا عنه ﷺ أنه قال: «بُعثتُ بجوامِعِ الكَلِم، واختُصِرَ لي الكلامُ اختصاراً»[(٢)].

وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: قلتُ: يا رسولَ الله، ما بالُك أفصحُنا؟ فقال: «لأنَّ العربيةَ كلامُ إسماعيلَ عليه السلام كانت قَد دُرِسَت، فأَتاني جبريلُ عليه السلام فعلمني إيَّاها»[(٣)].

قوله[(٤)] عليه السلام: «إنَّ الله يغارُ، وإنَّ المؤمِنَ يغارُ وغَيرةُ الله أن يَأتي الرجلُ ما حرَّم الله عليه»[(٥)].

ولمسلم عن ابن مسعودٍ عن النبي ﷺ بمعناه، ومن أجلِ ذلك أنَّه حرَّم الفواحشَ ما ظهَرَ منها وما بَطَنَ[(٦)].

قوله عليه السلام: «مَن خَرَجَ عنِ الطَّاعةِ» قال أحمد بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن خَرَجَ منَ الطاعةِ وفارَقَ الجماعَةَ فماتَ، فميتَتُه جاهليةٌ، ومَن قاتَلَ

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣١: لا أصل له.

(٢) أورده الترمذي في «نوادر الأصول» ٢/ ١٣٠.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) من هنا إلى قوله: الباب السابع والثلاثون؛ ليس في (أ، خ) وهو زيادة من نسخة (ك).

(٥) أخرجه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٦٠) ولفظه: «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله لذلك مدح نفسه».

تحتَ رايةٍ عِمِّيَّةٍ، يغضَبُ لِعَصَبَتِه، أو يَنصرُ عَصَبَته فقُتلَ، فقتلتُه جاهليةٌ، ومَن خرَجَ على أُمَّتي يَضربُ بَرَّها وفاجِرَها، لا يَتحاشَى لمؤمنِها، ولا يَفِي لذي عَهدِها، فليسَ منِّي، ولستُ منه». انفرد بإخراجه مسلم[١].

معنى عِمِّية أي: الأمرُ لا يستبان جهتُه. قال الجوهري: وعمي عليه الأمرُ: الْتَبسَ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾[القصص: ٦٦] قال: وقولهم: ما أعماه، إنما يُراد به قلبه؛ لأنَّ ذلك ينسب إليه الكثيرُ الضلالِ، ولا يقال في عمَى العيونِ: ما أَعماه، ورجل أعمى القلبِ أي: جاهلٌ، وامرأةٌ عَمِية عن الصوابِ[٢].

قوله ﷺ: «من غشنا فليس منا» قال أحمد بإسناده عن أبي هريرة قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ في السوقِ على صُبْرَةِ طعامٍ فأدخلَ يدَه فيها فنالَت أصابِعُه بلَلاً، فقال: «يا صاحِبَ الطعامِ، ما هذا؟» فقال: يا رسولَ الله أَصابتهُ السماءُ، فقال: «أفَلا جَعلتَه فوقَه حتى يَراه الناس؟» ثم قال «مَن غشَّنا فليسَ منَّا». انفرد بإخراجه مسلم[٣].

وروي: أنَّ الله تعالى أَوحى إلى رسوله أن أدخل يدَكَ في الطعامِ[٤].

وقال سفيان بن عيينة: إنَّما نهى عن الغشِّ لأنَّه من أخلاقِ اليهودِ.

وقوله: «ليس منا» أي: مثلنا، ولا أخلاقُه مثل أخلاقنا.

وقال ابن قتيبة: معنى «فليس منا» إشارة إلى الأنبياء عليهم السلام فإنهم منزهون عنه وكذا أمثالهم من العلماء.

قوله عليه السلام: «نِعمَ الإدامُ الخلُّ» قال أحمد بإسناده عن جابر بن عبد الله أنَّ رسولَ الله ﷺ سألَ أهلَه الإدامَ، فقالوا: ما عندنا إلَّا خلٌّ، فدعا به وجعلَ يأكلُ منه ويقول: «نِعمَ الإدامُ الخلُّ». انفرد بإخراجه مسلم. وفي رواية «المسند»: «ما أفقَرَ بيتٌ فيه الخلُّ» وأخرجه الترمذي[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٠٦١)، ومسلم (١٨٤٨).

(٢) «الصحاح»: (عمي).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٩٣٩٦)، ومسلم (١٠٢).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٢٩٢).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٨٠٧)، ومسلم (٢٠٥٢)، وأخرجه الترمذي (١٨٤١) من حديث أم هانئ رضي الله عنها.

وفي الخل فوائدُ منها: أنه يقمعُ الصفراءَ، ويهضِمُ الطعامَ، ويقوِّي المعدةَ.

وفيه من الفقه: لو حلف لا يأتدمُ فأكلَ خبزاً بخلٍّ حنَث.

قوله ﷺ: «إذا وزنتَ فأرجِح» قال أبو داود بإسناده عن سِماك بن حَرْب قال: حدثني سُويد بن قيس قال: جلبتُ أنا ومَخرفَة ـ وقيل: مَخرمة العبدي ـ بزّاً من هَجَر فأتينا به مكةَ، فجاءنا رسولُ الله ﷺ يمشي فساوَمَنا بسراويلَ فبعناه، وثمَّ رجلٌ يزن بالأجر، فقال له رسول الله ﷺ: «زِنْ وأرجِح»[(١)].

وأهلُ العلمِ يستحبون الرجحان في الوزن، وذكر بعض أهل النقل أن النبيَّ ﷺ رآه يزنُ ناقصاً فقالَ: «زن راجحاً»، ويحتمل أنه أجاز الرجحان، وقد كان ﷺ يفعل ذلك إذا اشترى أو استقرض، ويحتمل أنه على وجه التهديد للوازن.

قلت: وقوله: فساوَمَنا سراويلَ، وهمٌ من الرواة، لأن النبيَّ ﷺ وأصحابه لم يكونوا يعرفون السراويلات، وإنما هو زيُّ الأعاجم، وقيل: إن أول من لبسَ السراويلَ عثمان، وقد روي أن النبيَّ ﷺ ساوَمهما في رداءٍ وهو الظاهر.

قوله ﷺ: «إذا أرادَ الله بعبدٍ خيراً عَسَلَه» قيل: وما عَسْلُه؟ قال: «يفتحُ له عملاً صالحاً قبلَ موتِه، ثم يَقبِضُه عليه»[(٢)].

قوله ﷺ: «إنَّ أطيبَ ما أكَلَ الرجلُ من كَسبِهِ».

قال الترمذي بإسناده عن عائشة ﵂: قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أطيبَ ما أكَلتُم من كَسبِكُم، وإنَّ أولادَكُم من كَسبِكُم» قال الترمذي: هذا حديث حسن. وفي الباب عن جابر بن عبد الله وابن عمرو، والعملُ عليه عند بعض أهل العلم من أصحاب النبيِّ ﷺ وغيرهم، قالوا: إنَّ يدَ الوالدِ مبسوطةٌ في مال ولده يأخذ ما شاء، وقال بعضهم: لا يأخذ من ماله إلَّا عند الحاجة إليه، هذا كلام الترمذي[(٣)].

قلت: ولا خلاف أن نفقة الوالد تجب على الولد إذا كان موسراً، واختلفوا هل يجوز للأب أن يتزوج بجارية ابنه؟ قال أبو حنيفة: يجوز وقال الشافعي وأحمد: لا يجوز، واحتجوا بهذا الحديث.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٣٦)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٠٩٨).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٧٨٤) من حديث أبي عنبة الخولاني ﵁.

(٣) سنن الترمذي (١٣٥٨)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٢٩٦).

وإذا كان الولد كسب الوالد فقد ثبت له حق في مال الابن، ألا ترى أن الأب إذا وطئ جارية الابن وهو عالم بالتحريم لا يحل، فقد تزوج بأمة له فيها حق فلا يجوز، ولأبي حنيفة أنها غير مملوكة الأب فيجوز نكاحها كالأجنبية، ولهذا يملكُ الابن إعتاقها ووطأها وبيعها وهبتها، والجمع بين الملكين لشخصين في مجال واحد في زمان واحد محال، وأما الحديث فالمراد به الأخذ من مال الابن عند الحاجة، فإن الأب يملك ذلك، ولهذا سقط الجلد عنه في وطء أمة ولده؛ لأنا نقلنا الملك إليه قُبيل الوطء لما عرف في مسألة الاستيلاد، وتمامه في «الخلافيات».

قوله ﷺ: «خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة». ذكره القضاعي.

قال أحمد بإسناده عن سويد بن هبيرة عن النبي ﷺ قال: «خيرُ مالِ امْرئٍ»[(١)] وذكره.

قال الجوهري: المهر ولد الفرس، والجمع أمهار ومِهارة، والأنثى مهرة والجمعُ مُهَر ومُهَرات[(٢)]، والمأمورة، الكثيرةُ النِّتاج، والسِّكة: المُصْطَفَّة من النخل، قال الجوهري: ومنه قولهم خيرُ المالِ مهرة مأمورةٌ، أو سِكَّة مأبورة أي: ملقَّحة، قال: وكان الأصمعي يقول: السِّكة هاهنا الحديدةُ التي يُحرث بها، ومأبورة مُصلحة، قال: ومعنى هذا الكلام: خيرُ المالِ نِتاج أو زَرع[(٣)].

قوله ﷺ: «تَزوَّجوا الولودَ الودودَ».

قال أبو داود بإسناده عن معاويةَ بن قُرَّة، عن مَعقِلِ بن يسار قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنِّي أَصبتُ امرأةً ذات جمالٍ وحَسَب، وإنَّها لا تلدُ أفأتزوَّجها؟ قال: «لا»، ثم أَتاه ثانياً وثالثاً فقال رسول الله ﷺ: «تَزوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ، فإنِّي مُكاثِرٌ بكمُ الأُمَمَ»[(٤)]. وفي رواية: «يومَ القيامةِ»[(٥)].

---

(١) القضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٥٠)، وأحمد في «مسنده» (١٥٨٤٥).

(٢) «الصحاح»: (مهر).

(٣) «الصحاح»: (سكك).

(٤) أبو داود (٢٠٥٠).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٥٦٩) من حديث أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة، وينهى عن =

وأخرج عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أُخبِرُكم بخَيرِ نسائِكُم من أَهلِ الجنةِ؟» قالوا: بلى، قال: «الوَدُودُ الوَلُودُ العَؤودُ على زوجِها، التي إذا أُذيت أخذَتْ بيدِ زوجِها وقالَت: والله لاأَطعَمُ حتى ترضى»(١).

وقد بينا فضل النكاح على العبادة فيما تقدم.

قوله ﷺ: «أَفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عند سُلطانٍ جائرٍ».

قال الترمذي بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ مِن أَعظَمِ الجهادِ كلمةُ عَدلٍ عند سُلطانٍ جائرٍ»(٢). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي أمامة.

قال: إنما كان ذلك أفضل الجهاد، لأن من جاهد العدو وكان متردداً بين الخوف والرجاء لا يدري أيغلب أم يُغلب، والمجاهد للسلطان الجائر مقهورٌ في يده، لأنَّه متى أمره بمعروف ونهاه عن منكر فقد عرَّض نفسه للتلف، قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: حدَّثت بهذا الحديث إبراهيم بن طَهمان، فقال: اكتبه لي، فكتبتُه، فانصرف إلى خراسان، فدخل على أبي مسلم، فنهاه، وأَمره، وذكر له هذا الحديث، فقال له أبو مسلم: قد قَبلنا قولَك فهل لك أن تَجلِسَ في بيتك؟ فقال: لا، وذكر الحديث، فقال له ثانياً: هل لك أن تجلس في بيتك؟ فقال: لا، وذكر له الحديث، فأمر بقتله، فاختَصَم فيه ثلاثة، فقال إبراهيم: لاتَختصموا كلُّكم شريكٌ، فضربه رجلٌ فلم يُجدِ الضربُ، فبقي حلقومه معلقاً فرموه في بئر، فكانوا يسمعون أنينه ثلاثة أيام.

قوله ﷺ: «خيرُ الصدقةِ ما كانَ على ظهرْ غِنى».

قال أبو داود بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنَّا عند رسولِ الله ﷺ إذا برجلٍ جاءَ بمثل بيضةِ ذهبٍ، فقال: يا رسولَ الله، أصبتُ هذهِ في معدنٍ فخذها، فهي صدقةٌ ماأَملك غيرَها، فأعرض عنه رسولُ الله، ثم أَتاه من قِبَلِ رُكْنِه الأَيمنِ، فقال مثلَ

= التَّبَتل نهياً شديداً، ويقول: تزوجوا الولود....».

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩١٣٩).

(٢) الترمذي (٢١٧٤)، وأخرجه أبو داود (٤٣٤٤)، وابن ماجه (٤٠١١).

ذلك، فأعرض عنه، ثم أتاه من قِبَلِ رُكْنِهِ الأيسرِ، فأعرضَ عنه، ثم أتاه من خَلفِه، فحذَفَه بها رسولُ الله، فلو أصابته لأوجعته، أو عَقَرَته، وقال رسولُ الله ﷺ: «يأتي أحدُكم بما مَلَك فيقولُ هذِه صدقةٌ، ثم يقعدُ فيَسْتكفّ الناسَ» أو «يقعدُ يستكف الناسَ! خيرُ الصَّدَقة ما كانَ عن ظهرِ غِنَى»[1]، وفي رواية أبي داود عن أبي هريرة: «وابْدَأ بِمَن تَعولُ»[2].

قوله ﷺ: «ارْحَم مَن في الأرضِ يَرحَمك مَن في السَّماءِ».

قال الترمذي بإسنادِه عن عبدِ الله بن عَمرو قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرحَمُهم الرَّحمنُ، ارْحَم مَن في الأَرضِ يَرْحَمُك مَن في السَّماءِ، الرَّحِمُ شُجنةٌ من الرَّحمنِ، فمَن وصَلَها وَصَلَه الله، ومَن قَطَعها قَطَعه الله» قال: وهذا حديث حسن صحيح[3].

قلت: وهذا هو الحديث المسند الذي سمعته من شيخنا افتخار الدين أبي هاشم عبد المطلب الهاشمي، وهو أول حديث سمعته منه، قال شيخنا افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب وذلك بمدينة حلب في شوال سنة ثلاث وست مئة بالمدرسة النورية، قال بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحمون يَرحمُهم الرَّحمن، ارْحَموا أهلَ الأرضِ يَرحَمكم أهلُ السماءِ».

قال: وفي الباب عن أبي هريرة بإسناده قال: أبصر الأقرعُ بن حابسٍ النبيَّ ﷺ يُقبِّلُ حَسَناً، فقال: لي عشرةٌ من الوَلَد ما قبَّلتُ أحداً منهم قطُّ! فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّه مَن لا يَرْحَم لا يُرْحَم». أخرجاه في «الصحيحين»[4].

وروي عن أبي هريرة عن رسولِ الله ﷺ قال: «جَعَل الله الرَّحمةَ مئةَ جُزءٍ، فأمسَكَ عندَه تِسعةً وتِسعين جُزءاً، وأَنزَلَ جُزءاً واحداً، من ذلك الجزءِ يَتراحمُ الخلقُ، حتى

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٧)، وهو في البخاري (١٤٢٦).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٢٤)، وأحمد في «مسنده» (٦٤٩٤).

(٤) أخرجه الترمذي (١٩١١)، والبخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

تَرفَعَ الفرسُ حافِرَها عن ولدِها خشيةَ أن تصيبه»(١).

وأخرج البخاري بمعناه عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ وفي آخره: «لو يَعلَمُ الكافرُ بكلِّ الذي عندَ الله مِن الرَّحمة، لم ييأس من الجنَّة، ولو يَعلَمُ المؤمنُ بكلِّ الذي عندَ الله مِن العَذابِ لم يَأمَن النارِ»(٢).

ولمسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لله مئةُ رَحمةٍ أَنزَلَ منها رحمةً واحدةً بينَ الإنسِ والجنِّ والهوامِّ، فبها يَتعاطَفون وفيها يَتراحمونَ، وبها تَعطِفُ الوحشُ على أولادِها، وأَخَّر تسعةً وتسعين إلى يوم القيامةِ يرحمُ بها عبادَهُ»(٣).

وفي «الصحيحين» عن أسامةَ بن زيدٍ عن النبيِّ ﷺ: «إنَّما يَرحَمُ الله مِن عبادهِ الرُّحَماء»(٤).

وقال أحمد بإسناده عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا تُنْزَع الرَّحمةُ إلَّا من شَقيٍّ»(٥).

قوله ﷺ: «إذا استَشاطَ السُّلطانُ، تَسلَّطَ الشَّيطانُ»(٦) وهذا مثل قوله ﷺ: «إنَّ العينَ لتُدخِلُ الرجلَ القبرَ، والجملَ القدرَ»(٧) ثم قال أبو عبيد: معناه أن الإنسان متى غضب تمكن إبليس منه، وشاطَ يَشيطُ: إذا احترق، وإنما خص السلطان لأن غضبه يعم.

قوله ﷺ: «القُضاةُ ثلاثةٌ» قال أبو داود بإسناده عن أبي هاشم، عن ابن بُريدة، عن أبيه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «القضاةُ ثلاثةٌ: واحدٌ في الجنَّةِ، واثنانِ في النَّارِ، فأمَّا الذي في الجنَّةِ فرجلٌ عَرَفَ الحقَّ فقَضَى به، ورجلٌ عرَفَ الحَقَّ فجارَ في الحُكمِ، فهو

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٢) (١٩).
(٤) أخرجه البخاري (٧٤٤٨)، ومسلم (٩٢٣).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٩٧٠٢).
(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٩٨٤) من حديث عطية السعدي.
(٧) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٦/ ٤٠٨، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٥٧) من حديث جابر ﷺ.

في النَّارِ، ورجلٌ قَضَى للنَّاس على جَهلٍ فهو في النَّارِ»[١].

وقد فسره أبو عبيد فقال: الذي هو في الجنة هو الذي أُكره على القضاء فقضى بالحق والعلم، وأما الذي في النار فرجلٌ كان عالماً بالقضاء ثم جار في الحكم، ورجل جاهل نصَّب نفسه للقضاء وليس بأهل للعلم، فقضى فَحاف، فأحلَّ ما حرم الله من الفروج والدماء والأموال فهو في النار.

قوله ﷺ: «مَن جُعِلَ قاضياً فقد ذُبح بغيرِ سِكِّينٍ»[٢] وقد فسره أبو عبيد فقال: إن الذبح الذي يحصل به إزهاق الروح وخلاص المذبوح من طول الألم وشدة العذاب إنما يكون بالسكين، فإذا ذبح بغير سكين كان حتفاً وتعذيباً.

وروى أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن سأَلَ القضاءَ وُكِلَ إلى نفسهِ، ومَن أُجبِرَ عليه نَزَل عليه مَلَكٌ يُسدِّدُه»[٣].

حديث آخر في القضاء: رَوت عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ ﷺ قال: «يُجاءُ بالقاضي العادِلِ يومَ القيامةِ، فيَلقى مِن شدَّةِ الحِسابِ ما يَتمنَّى معه أنْ لا يَكونَ قَضَى بين اثنينِ قطُّ»[٤].

قوله ﷺ: «لا رقيةَ إلَّا من عينٍ أو حمَةٍ، والعينُ حقٌّ»[٥] ورخص رسولُ الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة، والحمة الحيات والعقارب وما أشبهها من ذوات السموم، وتُسمى إبرةُ العقرب حمة لأنها تجري مجرى السم، وحمة العقرب بالتخفيف: سمها، والهاءُ عوض، قال: والنَّمْلةُ بالفتح قروحٌ في الجنب وبثور صغار مع ورم يسير ثم يتقرَّح فتسعى وتتسع، وتسميها الأُدباء الذباب، والنملةُ أيضاً عيبٌ في حافر الفرسِ، فأما النُّمْلةُ بالضم فهي النميمة، وكانﷺ يرقي أصحابه ويقول: «بسم اللهِ أَرقيكَ واللهُ يَشفِيكَ»[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣)، وأخرجه الترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧١٤٥) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٣٠٢).

(٤) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٥٥).

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، وأحمد في «مسنده» (١٩٩٠٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٩٧٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وروي عن أبي سعيد الخدري: أن ناساً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ كانوا في سفر، فمرُّوا بحيٍّ من أحياء العربِ، فاستضافوهم فأَبَوا أن يضيِّفوهم، فعرضَ لإنسانٍ منهم في عقلهِ، أو لُدغ، فقالوا لأصحابِ رسولِ الله ﷺ: هل فيكم من راقٍ؟ قالوا: نعم، فَرَقاه رجل منهم بفاتحةِ الكتاب فبرئ، فأُعطي قطيعاً من الغَنَم، فأبى أن يقبلَ حتى أتى النبيَّ ﷺ فذكر له ذلك وقال: والذي بعثكَ بالحقِّ ما رقيتُه إلَّا بفاتحة الكتاب فبرئَ، فضحِكَ النبيُّ ﷺ وقال: «وما يُدْرِيكَ أنَّها رقيةٌ؟» ثم قال: «خُذُوا واضْرِبُوا لي بِسَهمٍ» متفق عليه(١).

وفي بعض ألفاظ «الصحيح»: فقال رجل: ما أنا براقٍ لكم حتى تَجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قَطيع من الغَنَم(٢).

ولمسلم: عن عَوف بن مالك الأشجعي قال: كنَّا نَرقي في الجاهليةِ، فقلنا: يا رسولَ الله، كيفَ تَرَى في ذلك؟ فقال: «اعرِضُوا عَلَيَّ رُقاكم، لا بأسَ بالرُّقَى ما لم يَكن شِركٌ»(٣).

قوله عليه السلام: «حُبُّك للشيءِ يُعمِي ويُصِمُّ».

قال أبو داود بإسناده عن أبي الدرداءِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: وذكره(٤). ورواه أبو بكر الخرائطي في «اعتلال القلوب» عن أبي بُردة الأَسلمي رَفَعه بهذا اللفظ، ذكره الخرائطي في: باب ما يستحب من الاقتصاد في الحب، وما يكره من الإفراط فيه، فإن الحبَّ يُعمي عن طريق التوبة، ويصمُّ عن استماع الحق(٥).

قوله عليه السلام: «تَداوَوا».

قال الترمذي بإسناده عن أسامةَ بن شَريك قال: قالت الأعرابُ: يا رسولَ الله، أَلا نَتَداوَى؟ فقال: «نَعم يا عبادَ الله، تَداوَوا، فإنَّ اللهَ لم يَضَع داءً إلَّا وضَعَ له شِفاءً، أو

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠).
(٤) أخرجه أبو داود (٥١٣٠).
(٥) «اعتلال القلوب» ١٧٥.

دواءً، إلَّا داءً واحداً» قالوا: وما هو يا رسولَ الله؟ قال «الهرمُ»[(١)].

وقد اشتمل هذا الحديث على فوائد:

منها: أن الطبَّ تعليم أم قياس؟ اختلفَ الأوائل فيه، فقالت الصابئة: إن شيث بن آدم أول من أظهره، وأنه ورثه عن أبيه آدم، وظاهر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] يدل عليه، وقال بعضهم: إن الهند استخرجته، وقال بقراط وجماعة من الأوائل: هو إلهام من الله عز وجل، وقال بعضهم: بل حصل بالتجربة، والظاهر أن أصله من تعليم الله ووحيه وبعضه من إلهامه، ثم أضاف الناسُ إليه التجاربَ والقياسَ.

وقال أبو سليمان الخطابي: الطب قسمان:

قسم يسمونه: القياسي، وهو طب اليونانيين؛ بقراط وجالينوس ومن سلك طريقهما، وهو مذهب عامة الأطباء.

والقسم الآخر: طب التجارب، وهو مذهب الهند وكثير من العرب، وهؤلاء يستعملون القياس ولا يعتبرون الأصول، وإنما يَعتمدون مجرد الامتحان والتجربة في آحاد الأعيان، ويحتجون بأن لبعض الطباع خاصية ليست لغيرها، وللعادات تأثيراً في الطباع، وفي الأهوية والبلدان اختلاف كثير يتغير باختلافهما بعض الأحكام، والقياس يستمر على وصف مطَّرد لا يختلف.

ومنها: بيان فضيلة علم الطب وموافقته للشرع والعقل، لا خلاف أن الآدمي أفضل المخلوقات وأشرف الموجودات، وأن الله سبحانه شرفه بالعقل وأدواته، وبه توجه إليه الخطاب حتى عَرف الصانع بمصنوعاته، وأن جسدَه كالمركب، ومن الواجبِ حراسته لبقاء الراكب ليقطع ما قدِّر له من المسافة في بيداء الدنيا، ومن المعلوم أن البدنَ مركَّب من أمزجة مختلفة وأضداد متباينة، وقوامه بتعديل مزاجه، ومتى اعتدل حصلت له الصحة والعافية، وحصول العافية إنما يكون بشيئين: باعتدال البدن، وبما يصدر من الصحة عنه، والثاني: بإخراج الفضول المؤذية منه، وإذا ثبت هذا فالصحة والعافية من

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٨)، وأحمد في «مسنده» (١٨٤٥٤).

أبلغ النعم، والغفلة عن شكرها من جملة النقم فما وجهٌ من أفقه الطب للشرع.

وقد ورد الشرع بأشياء تنافي الطب منها قوله ﷺ: «الحمَّى من فيحِ جهنَّم فابرِدوها بالماءِ»[1] والماء من أضر الأشياء على المحموم، لأن الاغتسال به يحقن الحرارة في باطن بدنه فيقع الهلاك في نظائر كثيرة، قلنا: قوله ﷺ «ابرُدوها بالماءِ» لا يطَّرد في جميع البلادِ، فإن البلدان الباردة لا يصلحُ فيها ذلك، وإنما هو خطاب لأهل الحجازِ ومَن بلادهم حارة، وهذا الجواب عما يرد في هذا الباب.

ومنها: اختلافُ العلماءِ هل التداوي أفضل أم تركه؟ ذهب قوم إلى أن التداوي أفضل لمن توكل على الله، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢] وبحديث عمران بن الحصين قال أحمد: حدّثنا يزيدُ بن هشام، عن الحسن، عن عمران بن الحصين، أن رسولَ الله ﷺ قال: «يدخلُ الجنةَ من أُمتي سبعونَ ألفاً بغيرِ حِسابٍ، الذين لا يَكتَوون، ولا يَسترقون، ولا يَتَطيَّرون وعلى ربِّهم يتوكَّلونَ» قال: فقام عكَّاشة فقال: يا رسول الله، ادْعُ اللهَ تعالى أن يَجعلَني منهم، فقال: «أنتَ منهم» فقام آخر فقال: أنا كذلك، فقال رسول الله ﷺ: «سبقَكَ بها عُكَّاشةُ». انفرد بإخراجه مسلم[2].

وقيل: لأبي بكر رضي الله عنه ألا تَتداوى؟ في مرضه فقال: الطبيبُ أمرضني. وقد كان جماعة من السلف على هذا المذهب.

وقال قوم: التداوي أفضلُ لقوله ﷺ: «تَداوَوا» والأمر للوجوب، وعامةُ السلفِ تَداوَوا، وقد كان ﷺ يَتداوى على ما ذكرناه.

قوله ﷺ: «الجنَّةُ تحتَ أقدامِ الأمهاتِ».

أنبأنا جدِّي رحمه الله بإسناده عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنَّةُ تحتَ أقدامِ الأمهاتِ» ذكَره جدِّي في كتاب «بر الوالدين»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٢)، ومسلم (٢٢١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٩١٣)، ومسلم (٢١٨).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» ٣/ ٥٦٨، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٩).

إنما قدمت الأم في البر لمكان الشفقة والحضانة ومشقة الحمل والطلق والرضاع والتربية ونحوها.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسولَ الله، أيُّ الناسِ أحقُّ مني بحُسن الصُّحبةِ؟ فقال: «أُمُّك» قال: ثم مَن؟ قال: «أبوك»[(١)]. ورواه أحمد عن يزيد ابن هارون، عن بَهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسولَ الله، مَن أبرُّ؟ قال: «أُمَّك» قلت: ثم مَن؟ قال: «أباكَ»[(٢)].

قوله ﷺ: «طِيبُ الرجالِ ما ظَهَر ريحُه».

قال الترمذي بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله، وذكره[(٣)]، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن عِمران بن الحُصين.

أشار ﷺ إلى أنَّ المرأة عورة، وأن التبرج عليها حرام، وظهور الطيب نوع من ذلك.

ولمسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أيُّما امرأةٍ أصابَت بخوراً فلا تَشهدنَّ مَعنا العِشاءَ الآخرةَ». وفي رواية: «إذا جاءَت إحداكُنَّ المسجدَ، فلا تَمسَّ طِيباً»[(٤)].

وفي «الصحيحين» عن أنس عن النبيِّ ﷺ أنه نهى أن يَتزعفَرَ الرجلُ[(٥)].

قوله ﷺ: «المجالسُ بالأماناتِ» عن جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا حدَّثَ الرجلُ الحديثَ ثم الْتَفَت، فهي أَمانةٌ» قال: هذا حديث حسن[(٦)].

قال أبو عبيد: فيه إشارة إلى أن القوم يجتمعون فيتحدثون ويستغرقون في الحديث، فمَن أفشى منهم سرّاً فهو خائن، وقد توهم قومٌ أن هذا الحديث ثم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٠٢٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٧٨٧)، وأخرجه أبو داود (٢١٧٤)، والنسائي في «الكبرى» (٩٤٠٨)، وفي «المجتبى» (٥١١٧)، وتمامه: «طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه»
(٤) أخرجه مسلم (٤٤٤).
(٥) أخرجه البخاري (٥٨٤٦)، ومسلم (٢١٠١).
(٦) أخرجه الترمذي (١٩٥٩)، و أبو داود (٤٨٦٨).

قوله عليه السلام: «ليسَ الغِنى بكَثْرَةِ العَرَضِ، وإنَّما الغِنَى غِنَى النَّفسِ». قال الترمذي بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ، وذكره[١]. وقال: حديث حسن صحيح.

أشار ﷺ إلى شرف النفس والقناعة باليسير.

قوله عليه السلام: «إنَّ المؤذِّنينَ أَطولُ النَّاسِ أَعناقاً يومَ القيامَةِ» قال أحمد بإسنادِه عن عيسى بن طلحة، قال: سمعتُ معاوية يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ[٢]، وذكره.

واختلفوا في معناه، فقال الخطابي: معناه الدنوُّ والقرب، وقال محمد بن زياد الأعرابي: معناه هم أكثر الناس أعمالاً يوم القيامة، يقال: لفلان عنق خير، أي: عمل كثير، وقال قوم: إنما هو من طول الأعناق، لأن الناس يعرقون يوم القيامة حتى يصل العرق إلى آذانهم، وقال أبو عبيد: يكونوا رؤساءَ يومئذٍ، والعرب تصف السادات بالأعناق وطولها، فيحتمل أن معنى الحديث: أنهم أطول الناس أعناقاً يوم القيامة ينتظرون ما أعد الله لهم من الثواب.

قوله ﷺ: «مَن بَدا جَفا» قال أحمد بإسناده عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن بَدا جَفا، ومَن اتَّبعَ الصيدَ غَفَلَ، ومَن أَتى أبوابَ الملوكِ افْتَتَن، وماازْداد عبدٌ من السُّلطانِ قُرباً، إلَّا ازْداد من الله بُعداً»[٣].

وقال: يغلب من سكن البادية غلظ طبعه وصار جافياً، وبعد عن الطباع الكريمة ومكارم الأخلاق، وأما اتباع الصيد فلأن فيه ترك الجمعة والجماعات، والاشتغال عن مجالس الذكر والعبادات، فيصده ذلك عن أفعال الخيرات، وقيل معناه: من اتبع صيد الدنيا غفل عن صيد الآخرة.

قوله ﷺ: «مَن قُتلَ دونَ ماله فهو شهيدٌ» قال الترمذي بإسناده عن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل [عن النبيِّ ﷺ، فذكره[٤]، وقال

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١)، والترمذي (٢٣٧٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٨٦١)، وهو عند مسلم (٣٨٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٨٣٦).

(٤) أخرجه الترمذي (١٤١٨).

أحمد] بإسناده عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قُتلَ دونَ مالهِ فهو شهيدٌ، ومن قُتلَ دونَ أهلهِ فهو شهيدٌ، ومن قُتل دونَ دَمهِ فهو شهيدٌ»(١). قال الترمذي: حديث صحيح.

قوله ﷺ: «مَن فرَّقَ بينَ والدةٍ ووَلَدِها». قال الترمذي بإسناده عن أبي أيوبَ الأنصاري عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن فرَّقَ بينَ وَالدَةٍ ووَلَدِها فرَّقَ الله بينَه وبينَ أحبَّتهِ يومَ القيامَةِ»(٢).

وقال أحمد بإسنادهِ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عليٍّ ﷺ قال: أَمرَني رسولُ الله ﷺ أن أَبيعَ غُلامين أَخوين فبعتُهما وفرَّقت بينهما، فذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ قال: «أَدرِكهُما فارْتَجِعهما، ولا تَبعهُما إلا جميعاً»(٣).

وأخرج أبو داود بمعناه فقال: فرَّق عليٌّ بين جاريةٍ ووَلَدِها، فنهاهُ رسولُ الله ﷺ وردَّ البيعَ، وقال: «لا تُفرِّق بينَهما»(٤).

وقد كرهه بعضُ أهل العلمِ من الصحابةِ ورخَّص فيه بعضُهم، والكراهةُ أصح إلا أن البيعَ جائز.

وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كنّا في البحر وعلينا عبد الله بن قيس الفزاري ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فمرَّ بصاحب المقاسم وقد قسم السبي، فإذا بامرأة تبكي فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: فرّق بينها وبين ولدها، قال: فأخذ بيد ولدها حتى وضعه في حجرها، فانطلق صاحب المقاسم إلى عبد الله بن قيس فأخبره، فأرسل إلى أبي أيوب يقول: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن فرَّقَ بينَ والدةٍ ووَلَدِها فرَّقَ الله بينَهُ وبين أحبَّتهِ يومَ القيامةِ»(٥).

وقال بإسناده عن عمرِو بن شعيب عن أبيه عن جده أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يحلُّ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٥٢)، والترمذي (١٤٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (١٢٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٦٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٩٦).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٤٩٩).

لرجلٍ أن يفرِّقَ بين اثنينِ إلَّا بإذنِهما»(١).

قلت: وقد أشارَ محمد رحمه الله تعالى إلى هذا في «الأصل» فقال: ومَن ملكَ مملوكين صغيرين أحدهما أكبر من الآخر لم يفرق بينهما.

وفي حديث أبي هريرة قال: رَأَى رسولُ الله ﷺ امرأةً والِهَةً من السَّبي فقال: «ما شَأنُها؟» فقيلَ: بِيعَ ولدُها، فقال: «رُدُّوه، لا تَجمعوا عليهما السَّبي والتَّفريقَ». لأن ذلك يؤدي إلى الإضرار بهما، وكذا الصغير يتضرر بمفارقة الكبير، لأنه يقوم به، ولو كانا كبيرين فلا بأس بالتفريق بينهما، لأنهما لا يتضرران بذلكَ.

قوله عليه السلام: «مَطلُ الغنيِّ ظلمٌ»(٢).

قوله عليه السلام: «ما نقَصَ مالٌ من صدقةٍ» قال الترمذي بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما نقَصَ مالٌ من صدَقَةٍ»(٣). وفي رواية: «ما نقَصَتْ صدقَةٌ من مالٍ، وما زادَ عبدٌ بعفوٍ إلَّا عِزًّا، وما تواضَعَ أحدٌ إلا رَفعه الله»(٤).

وقد أشار أبو الدرداء إلى هذا فقال: لنا داران دار دنيا ودار أخرى، فإذا تصدق إنسان فقد نقلت من دار إلى دار، فما ينقص ماله.

قوله عليه السلام: «ما مَثَلي ومثَلُ الدنيا، إلَّا كراكبٍ مالَ إلى ظلِّ شَجَرةٍ في يومٍ حارٍّ، ثم راحَ وتَرَكَها». قال الترمذي بإسناده عن ابن مسعود قال: نامَ رسولُ الله ﷺ على حصيرٍ فقامَ وقد أثَّر في جنبه فقلنا: يا رسولَ الله، لو اتَّخذنا لك [وطاء] فقال: «ما مَثَلي» وذكر الحديثَ(٥).

قوله عليه السلام: «لا يَنبغي لصدِّيق أن يَكونَ لعَّاناً»(٦). قال الترمذي بإسناده عن ابن عمر

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥) بهذا اللفظ، وأحمد في «مسنده» (١٨٠٣١) من حديث أبي كبشة الأنماري وهو قطعة من حديث طويل.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٢٩)، وهو عند مسلم (٢٥٨٨).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٣٧٠٩).

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يَكونُ المؤمنُ لعَّاناً»(١).

فإن قيل: فقد ثبتَ في الصحيح أن رسولَ الله ﷺ لعنَ جماعةً.

فأخرجَ مسلم عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَعَنَ الله مَن لَعَن والدَيْه، لعَنَ الله من ذبحَ لغيرِ الله، لعَنَ الله مَن آوى مُحدِثاً، لَعَن اللهُ من غيَّر مَنارَ الأرضِ»(٢).

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعودٍ قال: لعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ الواشماتِ والمستوشماتِ، والمتنمِّصاتِ، والمتفلِّجاتِ للحُسنِ المغيِّراتِ خلقَ الله. فبلغَ ذلك أمَّ يعقوبِ الأَسدية وكانت تقرأُ القرآنَ فأَتته فقالت: ما حديثٌ بلغني عنك كذا وكذا؟ وذكرته، فقال ابن مسعود: ومالي لا ألعنُ من لَعَن رسولُ الله ﷺ وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته؟ فقال: لو كنتِ قرأتيه لوجدتيه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٣)[الحشر: ٧]

وأخرج الترمذي في الباب أحاديث عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما.

فالجواب: أن لعْنَ النبيّ ﷺ لمن ذكرنا لا يكون كلعنِ غيره، فإنَّ اللعنة من غيره قد تكون عَبَثاً أو لغرضٍ، ومنصب النبوة مُنَزَّه عن هذا، فلا يلعن إلا من كُتب عليه اللعنة، ومن لم يكن أهلاً للعن فلعن النبي ﷺ يكون قربةً وكفارة على ما وردَ به الحديث(٤).

والوشم بشين معجمة: غرزُ الكفِّ والذراع بالإبرة، ثم يحشا بالكحلِ، والمستوشمة: التي يُفعل بها ذاك.

والنامصةُ: التي تَنتف الشعرَ، والمتنمصةُ التي يفعل بها ذاك.

قوله عليه السلام: «لا يُفلحُ قومٌ ولَّوا عليهم امرأةً» قد ذكرناه لَمَّا مات كسرى، أشار ﷺ

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اللهمَّ إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته، فاجعله له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة».

إلى أن المرأة ناقصة العقل والدين، ولا رأي لها، ولهذا لا تصلح أن تكون إماماً ولا حاكماً ونحوه.

وقد أخرج الترمذي عن أبي بكرة نُفَيع مَولى رسولِ الله ﷺ قال: عَصَمني الله بشيءٍ سمعتُه من رسولِ الله ﷺ لَمّا هلكَ كسرى قال: «مَن استَخلَفُوا؟» قالوا: ابنته، فقال ﷺ: «لن يُفلِحَ قومٌ وَلَّوا أَمرَهُم امرأَةً» قال أبو بكرة: فلمّا قدمت عائشة البصرة ذكرت قول رسول الله ﷺ فعَصَمني الله به[1].

قال الترمذي: هذا حديث صحيح[2].

قوله عليه السلام: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعصِيَةِ الخالِقِ»[3]. قال أحمد بإسناده عن عِمران ابن الحُصين عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا طاعةَ في معصِيَةِ الله»[4].

وقال الترمذي بإسناده عن ابن عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «السمعُ والطاعَةُ على المسلمِ فيما أَحب وكَره، ما لم يُؤمر بمعصية الله، فإن أُمر بها فلا سَمعَ ولا طاعةَ»[5].

قوله عليه السلام: «لا تحلُّ الصدقةُ لغنيٍّ، ولا لِذي مرَّةٍ سَويٍّ» أو: «قويٍّ».

قال أحمد بإسناده عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ وذكره[6]. قال: وجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم على المسألة[7].

والمِرَّة: القوةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٦].

وقد أخرج الترمذي عن ابن مسعود عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن سَأَل الناسَ وله ما يُغنيه، جاءَ يومَ القيامةِ ومَسأَلَتُه في وَجهِه خُموشٌ أو كُدُوحٌ أو خُدوشٌ» قلتُ: وما

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٦٢)، وأخرجه البخاري (٤٤٢٥).

(٢) جاء في نسخة كوبريللي: قال أبو داود. اهـ. والحديث لم يخرجه أبو داود ولعل المثبت هو المراد.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٨/ (٣٨١) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٨٢٤).

(٥) أخرجه الترمذي (١٣٠٧).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٩٠٨).

(٧) ذكره الترمذي بعد الحديث (٦٥٢).

يُغنيه؟ قال: «خَمسُونَ دِرهَماً»[١].

قوله ﷺ: «العِدَةُ دَينٌ»[٢]. عن أبي جُحيفة قال: أتينا النبيَّ ﷺ فأَمَر لنا بثلاثةَ عشرَ قَلُوصاً، فذَهبنا نَقبِضُها فأَتانا موتُه فلم يُعطونا شيئاً، فلمّا قَدِم أبو بكرٍ قال: مَن كانت له عندَ رسولِ الله ﷺ عِدَةٌ فلْيَجِئ، قال: فقمتُ إليه فأخبرتُه، فأَمَرَ لي بها. قال: وهذا حديث حسن[٣].

وقد ذكرنا أن علياً عليه السلام أنجزَ عِدات رسول الله ﷺ.

قوله ﷺ: «الحزمُ سوءُ الظنِّ»[٤] ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ، هذا من كلام معاوية بن أبي سفيان. قيل له: مابلغ من حزمك؟ فقال: الحزم سوء الظن، وما وثقتُ بأحد قط، قال الأزهري في كتاب «تهذيب اللغة»: الحزم: الحذرُ من الناس. وقال الجوهري: الحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة[٥].

قوله ﷺ: «الدَّينُ شَينٌ»[٦] والذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أخذَ أموالَ الناسِ يُريدُ قَضاءَها وأَداءَها، أَدَّاها الله عنه، ومَن أَخَذَها يُريدُ إتلافَها، أَتلَفَه اللهُ»[٧] ومعنى الدين شَين: يعني في الدنيا بالمطالبةِ والحبسِ واستذلالِ المديونِ، وفي الآخرة بالمؤاخَذَةِ، وفي حديثِ أنس: «صاحبُ الدَّينِ مأسورٌ في قَبرِه يَشكُو إلى الله الوَحدَةَ»[٨].

قوله: «الخمرُ جِماعُ الإثمِ»[٩] غريب.

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٥٠).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٥١٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٢٦).

(٤) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٤).

(٥) «الصحاح»: (حزم).

(٦) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٣١).

(٧) أخرجه البخاري (٢٣٨٧).

(٨) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٩٣) من حديث البراء بن عازب، ولم نقف عليه من حديث أنس.

(٩) أخرجه الدارقطني في «السنن» ٤/ ٢٤٧ من حديث زيد بن خالد.

قوله ﷺ: «النِّياحةُ من عَمَلِ الجاهليةِ»[١] هذا اللفظ غريب، وقد وردَ في معناه أخبارٌ:

منها: روى ابنُ مسعود عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ليسَ منَّا مَن ضرَبَ الخُدودَ، وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعا بدَعوَى الجاهليةِ». أخرجاه في «الصحيحين»[٢].

وروى أبو داود بمعناه، عن أم عطيةَ قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن النِّياحةِ[٣].

وأخرج أحمد في «المسند» بمعناه فقال: حدَّثنا وكيع، عن هشامٍ، عن يحيى بن أبي كَثير، عن أنس قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ على النساءِ حينَ بايَعهنَّ: أن لا يَنُحْنَ، فقلنا: يا رسولَ الله، إنّ نساءً أَسعَدْنَنا في الجاهليةِ أَفنُسعِدُهن؟ فقال النبيُّ ﷺ: «لا إسعادَ في الإسلامِ، ولا شِغارَ، ولا عَقْرَ، ولا جَلَب، ولا جَنَب، ومَن انْتَهَبَ فليسَ منَّا»[٤].

الإسعاد: أن تُسعد المرأةُ المرأةَ في مُصيبتها، والشغار: أن يزوِّج الرجلُ ابنتَه على أن يزوِّجه أُختَه أو قريبةً له، والعَقْرُ: الذبحُ عند قبورِ الموتى، والجلَبُ: الصياحُ على الفرسِ في السباقِ، والجنَبُ: أن يجنبَ فرساً فإذا أعيت فرسهُ التي سابق عليها انتقل إلى تلك.

وقال الجوهري: التناوح: التقابلُ، ومنه النوائحُ، لأن بعضهن يقابل بعضاً، ونساءُ نوائح ونوح و أنواح، والاسم واحد وهي النياحة[٥].

قوله: «الأمانةُ غِنَى»[٦].

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٧٥٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، ولفظه: «ثلاث من عمل أهل الجاهلية، لا يتركهن أهل الإسلام، النياحة، والاستسقاء بالأنواء، وكذا» قلت لسعيد: وما هو؟ قال: دعوى الجاهلية: يا آل فلان، يا آل فلان.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٢٧).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٣٠٣٢) لكن بغير هذا الإسناد.

(٥) «الصحاح»: (نوح).

(٦) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٦) من حديث أنس ﷺ.

قوله ﷺ: «النَّدمُ توبةٌ»[١] سئل الحسن البصري عن التوبة النصوح، فقال: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود أبداً.

وقيل: التوبة: الإقلاع، والندم على ما فات، وقال الجوهري: التوبة الرجوع من الذنب[٢].

قوله ﷺ: «أدِّ الأمانةَ إلى مَن ائتَمَنك، ولا تَخن مَن خانَكَ».

قال الترمذي بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَدِّ الأمانةَ إلى مَنِ ائْتَمَنك، ولاتَخُن مَن خانَك»[٣].

قوله ﷺ: «دَفْنُ البَناتِ من المَكرُماتِ»[٤].

وأخرجَ مسلم عن عائشة ﵂ قالت: دخلَتْ عليَّ امرأةٌ ومعها ابنَتان لها تَسألُ شيئاً، فلم تَجد عندي غيرَ تمرةٍ واحدةٍ، فقسَمَتْها بين ابنَتَيها ولم تَأكُل منها، ثم خرَجَت، ودخَلَ رسولُ الله ﷺ فأخبرتُه فقال: «مَن ابْتُلي بشيءٍ مِن هذه البَناتِ، فأحسَن إليهنَّ كنَّ له سِتراً من النارِ». وقد أخرجه الترمذي[٥].

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان في سفر فنُعيت إليه ابنتُه، فنزل فصلى ركعتين وقال: عورةٌ ستَرَها الله، ومؤنةٌ كفاها الله، وأجرٌ ساقه الله إلينا، وقد فَعلنا ما أَمَرنا الله، ثم قرأ ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية [البقرة: ١٥٣][٦].

وكان يقال: تقديم الحرم من أعظم النعم.

قوله ﷺ: «الحسَبُ المالُ».

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٥٦٨) من حديث عبد الله بن مسعود ﵁.

(٢) «الصحاح»: (توب).

(٣) أخرجه الترمذي (١٢٦٤)، وأبو داود (٣٥٣٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٠٣٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٥٠) من حديث ابن عباس ﵄ قال: لما عزي رسول الله ﷺ بابنته رقية امرأة عثمان بن عفان قال: «الحمد لله، دفن....»، قال ابن الجوزي في الموضوعات (١٧٧٩): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٢٩)، وأخرجه البخاري (١٤١٨)، والترمذي (١٩١٥).

(٦) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٩١) و (٧٢٣)، والعجلوني في كشف الخفاء (١٣٠٤) و (١٧٩٠).

روى سَمُرة بن جُندب عن رسولِ الله ﷺ: «الحسَبُ المالُ، والكَرَمُ التَّقوى»[١].

ومن حديثِ أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كَرَمُ المرءِ دينُه، ومروءتُه عقلُهُ، وحسبه خُلقه»[٢].

وقال وكيع: الحسَبُ المالُ، ألا ترَى من كان ذا مال عظَّمه الناس؟

وقال الجوهري: الحسَبُ ما يعدُّه الإنسان من مفاخِرِ آبائه، قال ويقال: حسبهُ دينُه ومالُه[٣].

قوله ﷺ: «كَرمُ الكِتابِ خَتمُه»[٤].

قد ذكرنا أن النبيَّ ﷺ لَمّا أرادَ أن يُكاتب الملوكَ قيل له: إنهم لا يقرؤونَ إلَّا كتاباً مختوماً، فاتخذَ الخاتم، وأما هذا اللفظ فيقال: إنه من كلام ابن عباس أخذه من قول الأوائل: كلُّ كتاب غير مختوم فهو أَقلَف، ومن لم يختم كتابه فقد استخفَّ بالمكتوب إليه، ومن هاهنا أخذ ابن المقفع فقال: الختم حتم.

قوله ﷺ: «مُداراةُ الناسِ صدقةٌ».

حدّثنا عبد العزيز بن محمود البزاز بإسناده إلى جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مُداراةُ النَّاسِ صدقةٌ»[٥] وقال الأزهري: المداراة: الاحتمال بحسن الخلق والعفو واللين والتفضل على المسيء بالإحسان، وأن يصل من قطعه ويعطي من حرمه، وقال الجوهري: المداراة هي المداجاة والملاينة[٦].

قوله ﷺ: «السَّماحُ رَباحٌ».

أخرجه ابن قتيبة في كتاب «غريب الحديث»[٧]، وقد قرأت الكتاب المذكور على

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠١٠٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٧٧٤).

(٣) «الصحاح»: (حسب).

(٤) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٣٩) من حديث ابن عباس ﵄، وفيه السدّي الصغير والكلبي، اتُّهما بالوضع والكذب.

(٥) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٧١).

(٦) «الصحاح»: (درا) و(دجا).

(٧) لم نقف عليه في غريب الحديث، وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٣).

الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ويعرف بالبهاء النابلسي في سنة اثنتين و عشرين وست مئة بقاسيون في الجامع المظفري، قال: حدَّثنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف، عن عمه عبد الرحمن بن أحمد ابن يوسف، عن إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي، عن أبي عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزَّاز، عن أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن السكري، عن أبي محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري قال: مرَّ النبيُّ ﷺ برجلٍ يبيع شيئاً، فقال له: «عليكَ بالسَّومِ أولَ السُّوقِ، فإن السَّماحَ رَباحٌ، أو الرَّباحُ مع السَّماحِ» والسَّماحةُ الجودُ، وسمح به، أي: جادَ، والرباحُ: الربحُ، وتجارةٌ مربحةٌ ورابحة يربح فيها. وقال الجوهري: ورباح في قول الشاعر:

هـــذا مـــقـــامُ قَـــدَمَـــي رَبـــاحِ

اسم ساقٍ، قال: والرباحُ أيضاً دُويبة كالسِّنَّورِ، والرباح: أيضاً بلدٌ يجلبُ منه الكافورُ، والرُّبّاح بالضم والتشديد: الذكرُ من القرودِ[١].

ومعنى الحديث: المساهلة في البيع والمسامحة ولا يشدد، فإن المسامحة من أعظم الأرباح، وقد أخرجَ الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله يحبُّ سمحَ البيعِ سمحَ الشراءِ سمحَ القضاءِ»[٢].

قوله عليه السلام: «الولدُ مَبخلَةٌ مجبنةٌ»[٣].

قوله عليه السلام: «الهمُّ نصفُ الهَرَمِ»[٤] غريب. قال الجوهري: الهمُّ الحزن، والجمع الهموم، والهرم: كبر السن.

وقال الخطابي: أشار ﷺ في الحديث إلى دفع الهم عن نفسه، لا يفيد مع جريان المقدور، والهم عقوبةٌ، وفي الأثر عن عائشة رضي الله عنها: من هَمَّ عوقب بهَمِّه. وقيل: الهم كل الهرم.

(١) «الصحاح»: (ربح).
(٢) أخرجه الترمذي (١٣١٩).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٥٦٢) من حديث يعلى العامري رضي الله عنه.
(٤) أورده الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٠١٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

قوله عليه السلام: «البذاءُ من الجفاءِ».

قال الترمذي بإسناده عن أبي أمامة الباهلي عن النبيِّ ﷺ قال: «الحياءُ والعيُّ شُعبتان من الإيمانِ، والبَذَاءُ والبيانُ شُعبتان من النِّفاق»[١]. وقيل: البذاء طول اللسانِ والرمي بالفواحشِ والبهتان، والعيُّ قلة الكلام.

قوله ﷺ: «الصبحةُ تمنعُ الرِّزقَ».

قال عبد الله بإسناده عن عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصُّبحة تمنعُ الرِّزقَ»[٢] أي: ينامُ حتى يصبحَ، وقال غيرُه: هي نومةُ الغداةِ قبل ارتفاع النهار بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس، ولأنه وقتُ الذكرِ وطلب الرزقِ، فإذا نام في تلك الساعة فاته حظه منه.

قوله ﷺ: «العمائمُ تيجانُ العربِ»[٣] غريب.

وأخرج أبو داود بمعناه فقال: حدَّثنا قتيبة بن سعيد الثقفي بإسناده، عن رُكانة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «فرقُ ما بيننا وبينَ المُشركين العمائمُ على القلانسِ»[٤] وركانةُ هذا صارَعَ رسولَ الله ﷺ فصرعَه رسولُ الله ﷺ، وقد ثبتَ أن النبيَّ ﷺ كان يلبسُ العمامةَ، وذكرنا أنَّه دخلَ يوم فتحِ مكة وعلى رأسه عمامةٌ سوداءُ قد أرخى طرفها بين كَتفيه، واسم هذه العمامةِ السَّحاب، قال هشام: ووهبها لعليٍّ عليه السلام، فقال الناس: ما أحسنَ علياً في السحابِ، ومن هنا قالت الشيعة: علي في السَّحاب.

قوله ﷺ: «الجمعةُ حجُّ المساكين»[٥] وذلك لأن الأغنياء لايقدرون على الحج إلا بإنفاق الأموال والمشقات، والفقراء ليست لهم أموال ولا قوة، فيتعوضون بالجمعة عن الحج.

---

(١) الترمذي (٢٠٢٧)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٣١٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥٣٠).

(٣) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٦٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤).

(٥) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٧٨).

قولهﷺ: «المسجدُ بيتُ كلِّ تقيٍّ»[١] ومعناه صحيح، لأنه ما بُني إلا لذكر الله والصلاة والتسبيح، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فبنيت للتقوى ضرورة.

قوله: «الكَرَمُ التَّقوى»[٢] وأما من حيث المعنى فلأن العبد إذا اتقى الله فقد تكرم على نفسه وجاد لها فصانها عن عذاب النار.

قوله عليه السلام: «القاصُّ ينتظرُ المقتَ، والمستمعُ ينتظرُ الرحمةَ»[٣].

قوله عليه السلام: «الصَّدقةُ تمنعُ مِيتةَ السُّوءِ» روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الصدقةَ لَتُطفِئُ غضَبَ الرَّبِّ، وتَدفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ»[٤].

وأخرج جدي في «التبصرة» عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ اللهَ لَيدرَأُ بالصدقةِ سَبعينَ ميتةً من السُّوءِ»[٥].

وفي الباب أخبار وآثار في دفع البلاء عن المصدق.

قوله ﷺ: «نيةُ المؤمنِ أبلغُ من عَمَلِهِ»[٦] وقد ذكرنا قول النبيِّ ﷺ: «إنَّ بالمدينةِ أَقواماً ماقَطعتُم وادياً، إلَّا وقد سبَقُوكُم إليه». واختلفوا في معناه على قولين:

أحدهما: أن المؤمنَ ينوي أشياء من أبواب البر، كالصلاة والصيام والصدقة ونحوه، ولعله يعجز عن إمضائها فتكون نيته أبلغ من عمله.

وقال الحسن البصري: إنّما خُلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بنياتهم.

وقال عكرمة: انهدمت قنطرةٌ بالمدينة فعزم عثمان على إصلاحها، فسبقه إليها يهودي فأصلحها، فشق على عثمان، فقال له رسول الله ﷺ: «لا بأسَ عليك، نيةُ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٢٩)، والبزار في «مسنده» (٢٥٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٦١٤٠) من حديث سلمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه تمام في «فوائده» (١٧١٧) من حديث سمرة بن جندب.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٥٦٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣١١).

(٤) أخرجه الترمذي (٦٦٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٠٩).

(٥) «التبصرة» ٢/٢٥٦.

(٦) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه، وضعف البيهقي إسناده، وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة ٢٥٠: لا يصح.

المؤمنِ أبلَغُ من عَمَلِه، ونيةُ الكافرِ شرٌّ من عمَلِهِ».

وقيل معناه: أنّ عملهُ بنية خير من عمله بلا نية.

قوله ﷺ: «الشتاءُ رَبيعُ المؤمن: قَصُرَ نهارُه فصَامَه، وطالَ ليلُه فقامَه»[١].

وقال الخطابي: إنَّما خص الربيع لأنه أحد الفصول، ويكثر فيه الخصب، ويعتدل الزمان، ويرق الهواء، ويصفو الماء، ولهذا سمت العربُ الرجل الجواد: ربيع اليتامى، لقيامه مقام الخصب في أيام الربيع.

قوله عليه السلام: «الناسُ كأَسنانِ المُشطِ».

حدَّثنا جدي رحمه الله بإسناده، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الناسُ سَواءٌ كأسنانِ المُشطِ، وإنَّما يتفاضَلُون بالعافيةِ، والمرءُ كثيرٌ بأَخيهِ يرفدُه ويكسُوه ويحمِلُه، ولا خيرَ في محبةِ مَن لا يَرى لكَ مثل ما تَرَى له»[٢].

وقد تكلم عليه أبو عبيد فقال: معنى كأسنان المشط: أنَّهم مستوون في الأحكام، لا فضل لأحد على أحد إلا بالعلم والتقوى، ومعنى يتفاضلون بالعافية، أي: من الذنوب، وما زالَ السلفُ ينهونَ عن التكثير من الإخوان حتى قال الفضيل: أنكر من تعرف، ولا تتعرَّف إلى من لا تعرف.

وقال علي عليه السلام: [من الطويل]

جَزَى الله عنا الخيرَ مَن ليس بيننا ... ولا بينه ودٌّ ولا مُتعارفُ
فما ساءني إلَّا الذين عَرفتهم ... ولا سرَّني إلَّا الذي لستُ أعرفُ

وقال ابن الرومي: [من الوافر]

عدوُّك من صديقِك مُستفادٌ ... فلا تَستَكثرنَّ من الصحابِ
فإنَّ الداءَ أكثرُ ما تراه ... يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ

قوله ﷺ: «البلاءُ موكَّلٌ بالمنطقِ»[٣] ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ وإنما هو من

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في «السنن» ٤/ ٢٩٧، وأحمد في «مسنده» (١١٧١٦) مختصراً من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) «الموضوعات» ٢/ ٢٧٣، وابن حبان في «المجروحين» ١/ ١٩٨، وابن عدي في «الكامل» ٣/ ٢٤٨.

(٣) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٢٧) من حديث حذيفة مرفوعاً.

كلام أبي بكر رضي الله عنه وقد ذكرناه في صدر السيرة.

وقال أبو القاسم البابي[١] الوراق في «شرح الشهاب»: وتمام قوله: «البلاءُ موكَّل بالمنطق: فلو أنَّ رجلاً عيَّر رَجلاً برضاعِ كلبة لرضعها»[٢].

قوله ﷺ: «زكاةُ البدَنِ الصومُ» أخرجه أبو نعيم الأصفهاني بإسناده، عن سهل بن سعد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ شيء زكاةً، وزكاةُ الجسدِ الصومُ»[٣] ومعناه صحيح، لأن قوله: لكل شيء زكاة، ظاهر، وذلك لأن الزكاة تطهر المال فكذا الجسد، لأن زكاة البصر غضه، وزكاة السمع صيانته عن الغيبة، وزكاة اللسان حفظه وإمساكه عن الفحش والخَنا، وزكاة الوجه السجود، وزكاة القدمين طول القيام والسعي فيما يرضي الله تعالى، وزكاة اليدين كفُّهما عما لايليق ورفعهما بالدعاء، وزكاة القلب تطهيره عما سوى الله تعالى، وزكاة البدن الصيام عن المأكول والمشروب وعن الدنايا من طلب الدنيا وغير ذلك، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «مَن صامَ رمضان وأَتبَعه بستة أيام من شوالٍ، فكأنَّما صامَ الدَّهرَ»[٤]؟ وذلك لأن عظام البدن ثلاث مئة وستون عظماً، والجسد يشتمل عليها كلها، فصيام ثلاثين يوماً بعشرة أشهر وستة أيام بشهرين.

قوله عليه السلام: «الصيامُ في الشتاءِ الغَنيمةُ الباردةُ» قد ذكر محمد بن الأنباري فقال: كلُّ محبوبٍ عند العرب باردٌ، والغنيمةُ الباردة: هي التي يصل إليها الرجل من غير تعب ولا عناء، لأن الغنائم إنما يتوصل إليها بالحروب والمشقة، فإذا حصلت بغير مشقة كانت غنيمة باردة، ومعنى الحديث حصول الثواب من غير مشقة[٥].

قوله عليه السلام: «الإمامُ ضامِنٌ، والمؤذِّنُ مُؤتَمن» قال أحمد بن حنبل بإسناده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الإمامُ ضامِنٌ، والمؤذِّنُ مؤتَمنٌ، اللهمَّ أَرشِدِ

---

(١) في كشف الظنون ١٠٦٧: العابي.

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخه» ٣/ ٢٧٩ من حديث ابن مسعود، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ٢/ ٢٧٦، وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

(٣) «الحلية» ٧/ ١٣٦، وأخرجه ابن ماجه (١٧٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة»: هذا إسناد ضعيف.

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٩٥٩)، والترمذي (٧٩٧) من حديث عامر بن مسعود رضي الله عنه.

الأئمةَ، واغفِر للمؤذِّنينَ»[١]. فالضمان في كلام العرب: الرعاية والمحافظة على الشيء، ومنه قولهم للمسافر: في حفظ الله وضمانه، والإمام يحفظ للقوم صلاتهم، فيضمن عن الساهي سهوه ويتحمل القراءة عنهم ونحو ذلك، وأما المؤذن فإنه أمين على المواقيت، وربما أشرف وقت الأذان على حريم الناس عند دورانه في المنارة، وقيل: إن الخطاب لإمام ومؤذن لا يأخذان على الإمامة والأذان أجراً، لأنهما متبرعان فيكونان أقرب إلى الإخلاص، فيضمن الإمام قبول الصلاة، ويؤتمن المؤذن على مايؤذنه على الوجه المشروع من غير نقص.

قوله عليه السلام: «أهلُ المعروفِ في الدنيا، هم أهلُ المعروفِ في الآخرةِ» حدَّثنا جدي رحمه الله بإسناده عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أهلُ المعروفِ في الدنيا، هم أهلُ المعروفِ في الآخِرةِ، وأهلُ المنكَرِ في الدنيا، هم أهلُ المنْكَرِ في الآخِرَةِ»[٢].

قوله عليه السلام: «السلطانُ ظِلُّ الله في الأرضِ يَأوي إليه كلُّ ملهوفٍ»[٣]. واختلفوا فيه فقال قومٌ: هذا مَثلٌ لأن الظل راحة يستريح إليه كل متعوب، وكذا السلطان يأوي إليه كل مظلوم، ومنه قول تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠] أي: راحة دائمة، ومنه ظل الشجرة.

وقال آخرون: الظل عام، وكذا السلطان عام، وقال سهل بن عبد الله: الظل لا يدوم، وكذا السلطان لا يدوم. وقال سهل: أظهر الله آثار الهيبة في الأرض على أربعة أشياء: على الكعبة بهاءَه، وعلى القرآن هيبتَه، وعلى القلوب نورَه، وعلى السلطان ظلَّه، قال: وإنما يكون السلطان في ظلِّ الله إذا كان عادلاً صالحاً جواداً متواضعاً، أما إذا كان ظالماً فاجراً جباناً بخيلاً قاسياً متجبراً متكبراً، فإنه يكون سموماً وعذاباً لا ظلاً.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧١٦٩).

(٢) «العلل المتناهية» (٨٣٥).

(٣) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٣٠٤). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٦/٥: فيه سعيد بن سنان أبو مهدي، وهو متروك.

قال أحمد بإسناده عن أبي بكرةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن أكرَمَ سلطانَ الله في الأرض، أكرَمَه الله يومَ القيامةِ، ومَن أهانَ سُلطانَ الله في الدنيا، أهانَه الله يومَ القيامةِ»(١).

وقيل للحسن البصري: ألا تقاتل الحَجاج؟ فقال: الحَجاج نقمة وسخط وعذاب من الله، والعذاب لا يقاتل بالسيف بل بالدعاء.

قوله ﷺ: «التاجرُ ينتظِرُ الرزقَ، والمُحتَكِرُ ينتظرُ اللَّعنةَ» ذكر في كتاب «الموضوعات» طرفاً منه فقال: فيه عن العبادلة، وعن ابن عمر وحده، وعن أبي هريرة، وأنس، قال:

وأما حديث العبادلة ـ وهم عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر [وعبد الله بن عباس] وعبد الله بن الزبير ـ قالوا: قال رسول الله ﷺ: «القاصُّ ينتظرُ المقتَ والمستمعُ ينتظرُ الرحمةَ، والتاجرُ ينتظرُ الرزقَ، والمحتكرُ ينتظرُ اللعنةَ، والنائحةُ ومَن حولَها من امرأةٍ مستمعةٍ عليهم لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أَجمعين».

وأما حديث ابن عمر، فله طريقان، في طريق عن النبي ﷺ قال: «مَن احتكَرَ طعاماً أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه»، والطريق الثاني: «[مَن احتكَر] طعاماً بَرِئ الله منه».

وأما حديثُ أبي هريرةَ: فقال عن رسول الله ﷺ: «يُحشَرُ الحكَّارونَ وقتلةُ النفسِ في جهنَّمَ في درجةٍ واحدةٍ».

وأما حديث أنس: عن رسول الله ﷺ: «مَن حَبسَ طعاماً أربعينَ ليلةً، ثم أخرجَه فطحَنَه وخبَزَه وتصدَّق به، لم يَقبل الله منه شيئاً».

ثم قال جدي: هذه الأحاديث كلها لا تصح، وقد ضعفه(٢).

وقد وقَّت الاحتكار بأربعين ليلة.

قال [أحمد] بإسناده عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «مَن احتكَرَ طعاماً أربعينَ ليلةً،

---

(١) أحمد في «مسنده» (٢٠٤٣٣).

(٢) «الموضوعات» ٢/ ١٥١ ـ ١٥٢ وما بين معكوفات منه، وقد تكلم ابن الجوزي على كل حديث وطرقه، فلعل مختصر المرآة حذف كل هذا وبقيت هذه الكلمة التي ندت عنه.

فقد برِئَ من اللهِ تعالى، وبَرِئَ الله منه، وأيُّما أهلُ عرصَة أصبح فيهم امرأً جائعاً، فقد بَرِئت منهم ذِمَّة الله تعالى»[(١)].

وقال أحمد بإسناده عن فروخ مولى عثمان: أن عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج إلى المسجد، فرأى طعاماً منثوراً فقالَ: ما هذا الطعام؟ قالوا: طعام جُلب إلينا، فقال: بارك الله فيه وفيمن جَلبه، قيل: يا أمير المؤمنين، فإنه قد احتُكر قال: ومن احتكَرَه؟ قالوا: فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر، فأرسل إليهما فدعاهما فقال: ما حملكما على احتكارِ طعام المسلمين؟ قالا: يا أمير المؤمنين، نَشتري بأموالنا ونبيعُ، فقال عمر: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن احتكَرَ على المسلمين طَعامَهم ضربَه الله بالإفلاسِ أو بالجذام» فقال فروخ: يا أمير المؤمنين، أُعاهد الله وأعاهدك أن لا أعودَ في احتكارِ طعامٍ أبداً، وأما مولى عمر فقال: إنما نَشتري ونبيعُ بأموالنا. قال أبو يحيى: فلقد رأيتُ مولى عمر مجذوماً.

وهذا الحديث أخرجه أحمد في مسند عمر بن الخطاب ﷺ[(٢)].

قوله ﷺ: «مَن صَمَتَ نَجا»[(٣)].

قوله ﷺ: «مَن تواضَعَ للهِ رفَعَهُ الله» روى أبو اليُمن زيد بن الحسن الكِندي اللغوي بإسناده عن عابسِ بن رَبيعة قال: سمعتُ عمرَ بن الخطاب يقول: أيُّها الناسُ تواضَعُوا فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن تواضَعَ للهِ رفَعَه، ومن تكَبَّر خفَضَه»[(٤)].

قوله ﷺ: «مَن صلَّى بالليلِ حسنَ وجهُه بالنهار»[(٥)].

قوله ﷺ: «سافِرُوا تَغنَمُوا، وصُوموا تَصِحُّوا»[(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٨٨٠).

(٢) أحمد في «مسنده» (١٣٥).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٤٨١)، والترمذي (٢٥٠١)، من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

(٤) أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٥٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣) من حديث جابر ﷺ، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة»: حديث ضعيف، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ٢/ ٣٤.

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٣١٢)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ١٧٩ وقال: رجاله ثقات.

واختلفوا في معناه على قولين:

أحدهما: أن معنى السفر الظاهر سفر الدنيا ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] وفيه مشاهدة آثار الأنبياء والعلماء، والربح في التجارة وعجائب الدنيا، والإسفار عن أخلاق الرجال بين كريم يسخو ولئيم يشح.

والثاني: أن المرادَ به السفر الباطن، وقد أشارت إليه رابعة قالت: سافروا بقلوبكم إلى عالم الملكوت لترجعوا بأخبار الغيب والشهادة، وعلى هذا الصوم، فإنه من حيث الظاهر يصحح البدن، وفي الباطن صوموا بقلوبكم عن الدنيا تصحوا عما سوى الآخرة.

قوله ﷺ: «زُرْ غِبًّا تَزدَدْ حُبًّا».

أخرجه جدي في «الواهية» عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة، فتبعتُه فالْتَفت إليَّ وقال: «يا أَبا هُريرةَ، زُرْ غِبًّا تَزدَدْ حبًّا»[(١)].

قال أبو القاسم الوراق في شرح «الشهاب»: لما قال رسول الله لأبي هريرة ذلك، قالت عائشة: يا أبا هريرة، أكثرت من زَوْرِك فمَلَّك، ودمت في ذاك فاستقلك، لو كنت ممن يزور غباً أثر في قلبه محلك، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشةُ، والله ما مَللناهُ ولا قللناهُ، ولكن أَدّبناه».

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اطلبُوا الخيرَ عندَ حِسانِ الوُجوهِ»[(٢)].

قوله ﷺ: «تخيَّروا لنُطَفِكم»[(٣)] قيل: إنه موقوف على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيه: «فإنَّ العِرقَ دسَّاس»[(٤)].

(١) «العلل المتناهية» (١٢٣٧)، وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٦٢٩).

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٤٧٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٩٦٨).

(٤) لم نقف عليه من حديث علي، وأخرج ابن عدي في «الكامل» ٦/ ١٧٨، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٣٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٠٠٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يوصي رجلاً: «يا فلان، أقِلَّ من الدَّين تعش حرًّا، وأَقِلَّ من الذنوب يهن عليك الموت، وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس».

قال أبو عبيدة: معناه: لا تجعلوا نطفكم إلا في محل طاهر، ولا خلاف في كراهية ابن العاهر، وقال أبو سليمان: معنى «العرق دساس» لئلا يدب الزنا في عروقه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ فقضى بفساد الأصل على فساد الفرع.

قوله عليه السلام: «لا يَنبغي للمؤمن أن يذل نفسه»[١] غريب، ومعناه أنه لا يتعرض لما يعجز عنه فيكون له سبباً لهوانه، قال الشاعر: [من الطويل]

وأكرمُ نفسي إنَّني إن أَهنتُها ... وحقِّك لا تُكرم على أحدٍ بعدي

ولهذا البيت حكاية نذكرها فيما بعد.

قوله: «استَغنُوا عن الناسِ ولو بشَوصِ السِّواكِ»[٢].

أصل الشوصِ الغسل وكذا المَوْصُ، قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يشوصُ فاه بالسّواكِ[٣]. وشوصُ السواك الشظية التي تكون بين الأسنان لا ينتفع بها، أشار ﷺ إلى القناعة باليسير.

قوله عليه السلام: «الْتَمِسوا الجارَ قبلَ الدار»[٤] غريب.

وفيه حث على مجاورة الجار الحسن، والهرب من الجار السوء.

قوله عليه السلام: «لا يحلُّ لمسلم أن يَهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثةِ أيامٍ، إلاَّ أن يكون مِمَّن لا تؤمَنُ بوائقُه».

أخرجه جدي في «الواهية»، وقال أحمد بن حنبل: لا يصح هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وهو كذب[٥].

قلت: وكيف يكون هذا الحديث كذباً وقد أَخرَجا في «الصحيحين» عن أنس،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٢٥٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ من حديث عائشة، وأخرجه بهذا اللفظ البخاري (٢٤٥)، ومسلم (٢٥٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٣٧٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٠٩).

(٥) العلل المتناهية» (١٢٥٢)، وأما كلام الإمام أحمد فإنكاره على قوله: إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه» انظر «البدر المنير» ٩/ ٤٧٢.

وقال أحمد بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَباغَضوا، ولا تَباغَوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَروا، ولا تَقاطَعُوا، وكونوا عبادَ الله إِخواناً، ولا يحلُّ للمسلمِ أن يَهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثِ ليالٍ» متفق عليه[١].

وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري وأبي هريرة وعائشة، وأحاديثهم أخرجها أبو داود والترمذي[٢]، وإنما الزيادة في الحديث وهي قوله: «إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه» هذه الزيادة ليست في «الصحيحين» فيحتمل إنهم أشاروا إليها، وقد كان ينبغي لجدي أن يتبين الصحيح من السقيم، وقد فعلوا هذا في أحاديث منها:

قوله عليه السلام: «إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ» أخرج مسلم[٣] هذا اللفظ عن ابن مسعود، ثم قال في «الواهية»: هذا الحديث لا يصح، روت عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ ذاتَ يوم فمرَّ ببركة فيها ماءٌ، فاطلَعَ فيه فسوى من لحيتِهِ ورأسِهِ، فقلت له في ذلك، فقال: «إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ»[٤] فقول عائشة «نظرَ في بركة» هو الذي تكلَّموا فيه، وباقي الحديث في الصحيح.

وقال أبو داود: إذا كانت الهجرةُ لله فليسَ من قوله: «لا يحلُّ للرجلِ أن يهجُرَ أَخاه فوقَ ثلاث» قد رأى عمر بن عبد العزيز رجلاً فغطى وجهه[٥].

قوله: «لايدخلُ الجنةَ رجلٌ لايأمنُ جارُه بوائِقَه»[٦] واختلفوا في البوائق، فقال الجوهري: هي غشمه وظلمه، وقال الكسائي: غوائله وشره[٧]. وقيل: مكائده وشدائده.

قوله: «لا تكُونوا مُتَماوتين»[٨] هذا من كلام عمر رضي الله عنه، رأى رجلاً يتخاشَع، فضربه بالدرَّة وقال: ارفع رأسك فإن التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩)، وأحمد (١٢٠٧٣).

(٢) سنن أبي داود (٤٩١١ ـ ٤٩١٤)، وسنن الترمذي بعد (١٩٣٥).

(٣) في صحيحه (٩١).

(٤) «العلل المتناهية» (١١٤٤).

(٥) ذكره عقب (٤٩١٦).

(٦) أخرجه مسلم (٤٦).

(٧) «الصحاح»: (بوق).

(٨) أخرجه القضاعي (٩٤٠) مرسلاً عن مكحول.

وقد روى عروة بن الزبير عن عائشة أنها نظرَت إلى بعض القرَّاء وهو يكاد يموت تخشعاً فقالت: بورك لكل سهل طلق مضحاك، وأبعد الله كلّ عبوس، يلقاك بوجه مكفهر يمن عليك بعمله، فلا كثر الله في المسلمين أمثالهم.

قوله: «إنَّ لكلِّ شيءٍ قَلباً وقلبُ القرآنِ يس»[١] فإن قيلَ: فالقلب جسم والقرآن ليس بجسم، فالجواب: إنما أشار إلى الترغيب في قراءة يس، وصار كما روي عن النبي ﷺ قال: «سَنامُ القرآنِ البقرةُ»[٢].

قوله: «إنَّ الله يحبُّ الشجاعةَ ولو بقَتلِ حيةٍ»[٣].

قوله: «إذا أَرادَ اللهُ قبضَ روحِ عبدٍ في أرضٍ، جَعَل له فيها حاجةً»[٤].

وقد ذكرنا في سيرة سليمان ﵇ أن ملك [الموت] قبض روح صديقه عند مطلع عين الشمس.

قوله: «إذا أَرادَ اللهُ إنفاذَ قَضائِهِ وقَدَرِه، سَلَبَ ذوي العقولِ عُقولَهم»[٥] غريب، وقيل: هو موقوف على ابن عباس، ويروى أنه من كلام الحسن البصري، فإنه كان يقول: ما ابتلى الله قوماً بفتنة إلا وسلبهم عقولهم، فإذا رفع الفتنة عنهم، ردَّ عليهم عقولهم، ليرفعوا قبيح ما كانوا عليه.

قوله: «لو علِمَت البهائمُ مثل ما تَعلمون من الموتِ ما أَكلتُم سميناً قطُّ»[٦] غريب.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٨٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٣٥) من حديث أنس ﵁، وفيه هارون أبو محمد، قال الترمذي: شيخ مجهول، وقال الذهبي (٨٦٦٦): أنا أتهمه بما رواه القضاعي في شهابه، وساق هذا الحديث .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٣٠٠) من حديث معقل بن يسار ﵁ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٩٩، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٨٠) من حديث عمران بن حصين ﵁، وفيه عمر بن حفص العبدي متروك .

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٥٣٩) من حديث أبي عزة ﵁ .

(٥) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٠٨) من حديث ابن عمر ﵄، وفيه محمد بن سعيد المؤدب، قال الذهبي في الميزان (٧٦٦٥): لا أعرفه وأتى بخبر منكر، ثم ساق له هذا الحديث.

(٦) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٧٣) من حديث أم صبية الجهنية ﵄، وفيه عبد الله بن سلمة ضعفه الدار قطني و غيره. قاله المناوي في فيض القدير ٥/ ٣١٥ .

وقد أخرجه البخاري في أفراده، عن أبي هريرة: «لو عَلِمتُم ماأَعلَمُ، لضَحِكتُم قليلاً وبكيتُم كثيراً»(١).

وقال أبو عبيد: البهائم لا تعلم بالموت ولو علمت ما حملت لحماً، وأنتم تعلمون وتحملون فأنتم أشد غفلة من البهائم وهي أعذر منكم.

قوله: «بُورِكَ لأمَّتي في بُكُورِ سَبتِها وخَميسِها» هذا المعنى فيه ثلاثة أحاديث: أحدها: «بوركَ لأمتي في بُكُورِها»، والحديث الثاني: «في كل اثنينِ وخميسٍ»، والثالث: «في بكورِ يومِ السبتِ».

فأما الأول: فأخرجه جدّي بإسناده إلى عليٍّ عليه السلام قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بُورِكَ لأُمَّتي في بُكُورِها»(٢).

وأما الحديث الثاني: فأخرجه أبو محمد بن عدي عن جابر عن رسولِ الله ﷺ قال: «اطْلُبوا الحَوائجَ أو العلمَ كلَّ اثنينِ وخميسٍ»(٣).

وأما الثالث: فأخرجه الدار قطني عن جابر عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن بكَّرَ يومَ السبتِ في طلبِ حاجةٍ فأنا ضامنٌ لقَضائِها»(٤).

قلت: والحديث وإن كان ضعيفاً غير أن السلف كانوا يستعينون بالبكور على قضاء حوائجهم، ومن بورك له في شيء فليلزمه، حتى قد صارت الأخبار بمنزلة التواتر، ولن يجمع الله العالم على ضلالة، ومن أمثالهم: بَكِّر بُكور الغراب.

وقد أخرج أحمد في «المسند» بإسناده أن النبيَّ ﷺ قال: «اللهمَّ بارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِها» وكان إذا بعث جيشاً بعثه أول النهار(٥).



(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٥).
(٢) «العلل المتناهية» (٥٠٣).
(٣) «الكامل» ١/ ٣٦٤، و«العلل المتناهية» (٥٠٢).
(٤) «العلل المتناهية» (٥٣٦).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٤٤٣) من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه.

الباب السابع والثلاثون

في ذكر صلاتنا عليه ﷺ

[وقال أحمد بإسناده] عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن صلَّى عليَّ مرةً واحدةً، صلَّى اللهُ عليه عَشراً» أخرجه مسلم(١).

[وقال أحمد: قرأت على عبد الرحمن بإسناده] عن أبي حميد الساعدي قال: قالوا: يا رسول الله كيفَ نصلِّي عليك؟ قال: «قُولُوا: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ، وعلى أزواجِهِ وذرِّيتهِ، كما صلَّيت على آل إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وبارِك على محمدٍ وعلى أزواجِهِ وذرِّيته، كما بارَكتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ» أخرجاه(٢).

وقال [أحمد بإسناده عن أبي مسعود] عقبة بن عمرو الأنصاري قال: أقبل رجلٌ حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ونحن عنده، فقال: يا رسولَ الله، أمَّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلِّي عليك؟ فقال: «قُولُوا: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ النبيِّ الأميِّ، وعلى آلِ محمدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وآل إبراهيمَ، وبارِكْ على محمدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آلِه، كما بارَكتَ على إبراهيمَ [وعلى آل إبراهيم] إنَّك حميدٌ مجيدٌ»(٣).

[وفي رواية: فكيف نصلي عليك في صلاتنا؟ وذكره. انفرد بإخراجه مسلم(٤).

وقوله ﷺ: «لا تَجفُوني» قالوا: وكيف نجفوك؟ قال: «أُذكَرُ فلا يُصلَّى عليَّ»(٥).

فصل في ذكر رد روحه إليه ﷺ:

قال أحمد بإسناده] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن أَحدٍ يُسلِّمُ عليَّ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٠٢٨٧)، ومسلم (٤٠٨).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٦٠٠)، والبخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧١).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٠٧٢).

(٤) أخرجه مسلم (٤٠٥).

(٥) لم نقف عليه.

إِلَّا ردَّ الله إليَّ رُوحي حتى أَردَّ عليه»(١).

[حديث آخر في الصلاة عليه قال أحمد بإسناده عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس، و يقال:] ابن أبي أوسٍ الثقفي قال: قال رسول اللهﷺ: «مِن أَفضل أيامِكُم يومُ الجمعةِ، فيه خُلق آدمُ، وفيه قُبِض، وفيه النفخةُ، وفيه الصعقةُ، فأكثروا عليَّ من الصلاةِ فيه، فإنَّ صَلاتكُم معروضةٌ عليَّ» قالوا: يا رسولَ الله، وكيف تعرض عليك صلاتُنا وقد أَرِمتَ؟ فقال: «إنَّ اللهَ حرمَ على الأَرضِ أن تأكلَ أَجسادَ الأَنبياءِ»(٢). ومعنى أرمت أي: بليت[والرمة: العظام البالية]. وقال[الترمذي بإسناده، عن عبد الله] ابن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ:«إنَّ أَولى الناسِ بي يومَ القيامةِ أكثَرُهم صلاةً عليَّ»(٣).

[وقال أحمد بإسناده عن عبد الله بن مسعود] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لله عزَّ وجلَّ ملائكةً سيَّاحين في الأرضِ يُبلِّغوني من أُمَّتي السَّلامَ»(٤).



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٠٨١٥).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦١٦٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٤٨٤).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٦٦٦).

الباب الثامن والثلاثون

في ذكر حوضه وشفاعته ﷺ

[أما الحوض فقد اختلفت الروايات فيه:]

قال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «أنا فَرَطُكُم على الحوضِ، وليُرفَعَنَّ إليَّ رجالٌ منكم، حتى إذا أهويتُ لأُناوِلَهم اختُلِجُوا دُوني، فأقولُ: يا ربِّ، أصحابي، فيقال: إنَّكَ لا تَدرِي ما أَحدَثُوا بَعدَكَ». أخرجاه في «الصحيحين»[1].

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حَوضِي مَسيرةُ شَهرٍ، ماؤُه أَشدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ، وريحُه أَطيَبُ من ريحِ المِسْكِ، وكِيزانُه مثل نجومِ السَّماءِ، مَن شَرِبَ منه شَربةً لا يَظمأ بعدَها أبداً»[2].

[وفي المتفق عليه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «وإن أمامكم حوضاً بين جَرباء وأَذرُح» قال نافع: وهما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام[3]].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «والذِي نَفسِي بيَدِه، لأَذودَنَّ رِجالاً عن حَوضي كما تُذادُ الغريبةُ من الإبلِ عن الحوضِ، وليَرِدنَّ على الحوضِ رهطٌ فيُحَلَّون عنه، فأقول: يا ربِّ، أصحابي، فيقولُ: إنَّك لا عِلمَ لكَ بما أَحدَثُوا بعدَكَ، إنَّهم ارْتدُّوا على أَعْقَابهم القَهْقَرَى»[4] [وكان أبو هريرة يقول: فيجلون ـ بالجيم ـ وفيه يقول: «هلم، فأقول إلى أين؟ فيقول: إلى النار، فإنهم ارتدوا بعدك، فلا يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النَّعَم»[5].

ومعنى: «أذودن»: أطردن، و«يحلون» أي: يمنعون، كما يقال للإبل: حِلْ حِلْ إذا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٣٠٢).

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

منعت، وأراد أبو هريرة بقوله: يجلون ـ بجيم ـ الرجوع إلى خلف، وقيل: هو من الجلاء وهو الطرد، و«الهَمَل»: التي لا راعي لها.

وفي «الصحيحين» عن سهل بن سعد بمعناه، وفيه: «ليَرِدَنَّ عليَّ الحوضَ أقوامٌ أَعرِفُهم ويَعرِفُوني، ثم يحال بيني وبينهم» وذكر بمعنى ما تقدم: «فأقول: بُعداً وسُحقاً سحقاً لمن بَدَّل بعدي»[١].

وقوله: «سحقاً»: دعاء عليهم، أي: أسحقهم الله.

وللبخاري، عن أنس، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ قدرَ حَوضي كما بينَ أَيلَةَ وصنعاءِ اليمنِ، وإنَّ فيه من الأَباريقِ كعددِ نُجومِ السماءِ»[٢]].

ولمسلم عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ما آنية حوضك؟ فقال: «والذي نَفسِي بيَده إِنَّها أكثرُ من عَددِ نجومِ السماءِ في الليلةِ المُصْحِيَةِ، آنيةُ أهلِ الجنةِ، مَن شَرِبَ منه لم يَظمأ أَبداً آخر ما عليه، يَشخب فيه مِيزابانِ من الجنةِ، عرضُه مثل طولِهِ، ما بينَ عَمَّانَ البلقاءَ إلى أَيلةَ»[٣].

وقوله: «آخر ما عليه» أي: أبداً. ومعنى «تشخب» أي: تسكب، و«عمان» بالتشديد مكان بالبلقاء يقال: كانت مدينة البلقاء، وعامة العلماء على تشديد عمان إلا الخطابي فإنه قال: هي مخففة، أشار إلى عُمان التي عند البحرين. والأول أصح.

ولمسلم عن جابر بن سمرة بمعناه، وفيه: «وإن بُعدَ ما بين طرفيه كصنعاء وأيلة، كأن الأباريق فيه مثل النجوم»[٤].

ولمسلم عن مَعدان بن أبي طلحة، عن ثوبانَ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنِّي لبعُقْرِ حَوضي أذودُ الناسَ لأهلِ اليَمَنِ، أضربُ بعَصايَ حتى يَرفضَّ عليهم» فسئل عن عَرضهِ فقال: «مِن مقامي هذا إلى عمَّان، يَغُتُّ فيه مِيزابانِ يمدَّانِه من الجنةِ أحدُهما من ذهبٍ والآخر من وَرِقٍ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، وما بين معكوفين من (ك).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).
(٤) أخرجه مسلم (٢٣٠٥).
(٥) أخرجه مسلم (٢٣٠١) ويغت: يدفق.

[وقد أخرج أحمد عن ثوبان بمعناه، فقال ابن عفان بإسناده عن ثوبان وذكره، وقال: بعث عمر بن عبد العزيز إلى ثوبان ليسأله عن الحوض، فقدم عليه فسأله، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «حَوضِي مِن عَدَن إلى عمَّان البلقاء، وذكر بمعنى ما تقدم من وصف مائه وآنيته، وقال: «أولُ الناسِ وُرُوداً عليه فقراءُ المهاجرين» فقال عمر بن الخطاب: يا رسولَ الله، من هم؟ فقال: «الشُّعثُ الغُبْر، أو الشُّعثُ رُؤوساً الدُّنْس ثياباً، الذين لا يَنكِحونَ المتنعمات، ولا تُفتح لهم أبواب السُّدَدِ».

فقال عمر بن عبد العزيز: لقد نكحت المتنعمات، وفتحت لي أبواب السُّدَدِ إلا أن يرحمني الله، لا جَرَم والله لأدعنَّ رأسي حتى يشعَثَ، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتَّسخ[1].

وفي الباب عن ابن عباس وأنس وحذيفة وأم سلمة وعائشة وغيرهم.

وحديث حذيفة أخرجه مسلم، وفيه: فقلنا: يا رسولَ الله، أتعرفنا؟ قال: «نَعَم، إنَّكم تَرِدُون عليَّ الحوضَ غُرًّا مُحَجَّلين مِن آثارِ الوُضوءِ، ليست لأَحَدٍ غيرِكم»[2].

وقد جاءت في الشفاعة أخبار منها حديث أنس مختصراً].

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانَ يومُ القيامةِ ماجَ الناسُ بعضُهم إلى بعضٍ، فيأتونَ آدمَ عليه السلام فيقُولُون: اشفَع لنا إلى ربك فأنت أبو الخلقِ خَلقَك الله بيَدِه، ونفخَ فيكَ من رُوحِه، وأسجَدَ لك ملائكتَه، فيقول: لستُ هناك، ويذكر خطيئَته التي أصابَ فيَستحي منها، ويقول: عليكم بنوحٍ فإنَّه أولُ نبيٍّ بعثَه اللهُ إلى أهلِ الأرضِ، فيأتون نوحاً عليه السلام، فيذكُرونَ له ما ذَكرُوا لآدمَ، فيقولُ لهم كما قالَ آدمُ، ثم يقولُ لهم: ولكن ائتوا إبراهيمَ فإنَّه خليلُ الله، فيأتونَه، فيقول: لستُ هناكَ، ولكن عليكم بموسى فإنَّه كليمُ اللهِ، فيأتونَ إليه فيقولُ: عليكم بعيسى رُوحُ اللهِ وكلمتُه، فيأتونَ عيسى، فيقول: لستُ هناكَ، ولكن ائتُوا محمداً، فإنَّ الله قد غَفَر له ما تقدَّم من ذَنبِه وما تأخَّر، قال رسول الله ﷺ: فيَأتونَ إليَّ، فأقولُ: أنا لها، فأَنطَلِقُ، فأَستَأذنُ على

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٣٦٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٨).

ربِّي، فيُؤذَنُ لي، فأقوم بينَ يديهِ، فأحمَدُه بمحامدَ لا أقدرُ عليها إلّا أن يُلهِمَنِيها اللهُ تعالى، ثم أَخِرُّ لربِّي ساجداً، فيدَعُني ما شاءَ الله، ثم يقولُ: يا محمدُ، ارفَعْ رَأسَكَ، وسَلْ تُعطَه، وقُل يُسمَعْ، واشفَعْ تُشفَّعْ، فأَرفَعُ رَأسِي، وأحمَدُ ربِّي بتحميدٍ يُعلِّمنيه، ثم أشفعُ، فيحُدُّ لي حدًّا، فأُخرِجُهم من النارِ وأُدخلُهم الجنةَ، فأقول: يا ربِّ، ما بقيَ في النارِ إلّا مَن حبَسَه القرآنُ، أي وجبَ عليه الخلودُ، وأقول: يارِبِّ أمَّتي أمتي، فيقال لي: انطَلِق، فمن كان في قلبهِ مثقالُ حبَّةِ خَردَلٍ من إيمانٍ فأُخرِجه منها».

قال معبد: فخرجنا من عند أنس، فدخلنا على الحسنِ وهو مستخفٍ في دارِ أبي خليفةَ، فسلمنا عليه، وقلنا: يا أبا سعيدٍ جئنا من عند أخيك أبي حمزةَ، فحدثنا بحديث الشفاعة، فقال: هِيهِ، فحدثناه الحديثَ، فقال: لقد تركَ شيئاً ما أدري أنسي الشيخُ أم كَرِه أن يحدِّثكم به، فتتَّكلوا، ولقد حدثنا به منذ عشرين سنةً وهو يومئذ جميعٌ، أي: شاب مجتمع، فقلنا: حدِّثنا، فقال: «ثم أرجعُ إلى ربِّي فأحمَدُه بتلكَ المحامدِ، وأَخِرُّ ساجداً، وأقول: يا ربِّ إيذن لي فيمَن قال: لا إلَه إلا اللهُ، فيقال: ليس لك ذلك، ولكنْ وعزَّتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي؛ لأخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله». أخرجاه في «الصحيحين»[1].

وفي «الصحيحين» أيضاً عن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ دَعا بها لأمَّته، وإنِّي اخْتَبأتُ دعوتي شَفاعتي لأمَّتي يومَ القيامةِ»[2].

ولمسلم، عنه: «ولم يُصدَّق نبيٌّ ما صُدِّقتُ، وإنَّ من الأنبياء نبيًّا ما صدَّقَه من أمَّتِه إلاَّ رجلٌ واحدٌ»[3].

وللبخاري، عن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ الناسَ يصيرونَ يوم القيامةِ جُثاً، كلُّ أُمَّةٍ تَتبَعُ نَبيَّها، يقولُونَ: اشفَع لنا، حتى تنتهي الشفاعةُ إليَّ، فذلك المقامُ المحمود»[4].

[و«الجثا»: الجماعات، الواحدة جثوة، والمقام المحمود: الشفاعة].

وقال ابن عباس: يوضع لرسول الله ﷺ منبر فيرتقيه، ويُثني على الله ثناءً لم تَسمعِ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢١٥٣)، والبخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، وما بين معكوفين من (ك)

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (٢٠٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧١٨).

الخلائقُ بمثلِه، فيشفِّعه في أمَّتِه[١].

[وفي «الصحيحين» وأخرجه أحمد في «المسند» بإسناده] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعُهم الداعي، ويَنفُذُهم البصرُ، وتَدنو منهمُ الشمسُ فيبلغ الناسُ من الغَمِّ والكربِ ما لا يُطيقونَ، فيأتونَ إلى آدمَ، فيقولون: اشفَع لنا إلى ربِّكَ، فأنتَ أبو البشرِ، خلقَكَ الله بيَدِه، ونفَخَ فيكَ من رُوحِهِ، وأسجَدَ لكَ ملائكَتَهُ، وأسْكَنَك جنَّتَه، أَلَا ترى ما نحنُ فيهِ؟ فيقولُ لهم آدمُ: إنِّي عَصيتُ ربِّي، وقد غَضِبَ اليومَ غَضَباً لم يَغضَب قبلَه مثلَه ولا يَغضَبُ بعدَه مثله، وإنَّه نَهاني عن الشجرةِ فعصيتُ أمرَه، نَفسِي نَفسِي، لستُ بصاحبِ ذاك، اذهبُوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوحٍ، فيأتُونَ إلى نوحٍ، فيقولُون: يا نوحُ، أنتَ أَولُ الرسُل إلى أهلِ الأرضِ، وقد سَمَّاك الله عَبداً شَكُوراً، أَلَا تَرى إلى ما نحنُ فيه؟ فاشفَع لنا إلى رَبِّك، فيقولُ: قد كانت لي دعوةٌ دَعوتُ بها على قَومِي، اذْهَبوا إلى إبراهيمَ، فيأتونَه، فيقولونَ له: أنتَ نبيُّ الله وخليلُه من أهلِ الأرضِ، اشفَعْ لنا إلى ربِّكَ، فيقول: إنِّي كذبتُ ثلاثَ كذباتٍ، فذكرها، وقال: نَفسِي نَفسِي، اذهبُوا إلى مُوسى، فيأتونَه، فيقولُونَ: أنتَ رسُولُ اللهِ وكَليمُه، فضَّلَكَ برسالَتِه وبكَلامِه على الناسِ، فيقولُ لهم: إنِّي قتلتُ نفساً لم أُومر بقَتلِها، اذْهبُوا إلى عِيسى، فيأتونَه، فيقولُون: أنتَ رُوحُ اللهِ وكَلمتُه، فيردُّ عليهم ولم يذكر ذَنباً: اذهبُوا إلى محمدٍ، فيأتونَ إليَّ، فيقولُونَ: يا رسولَ اللهِ، أنتَ خاتَمُ الأنبياءِ، وقد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّم من ذنبِكَ وما تأَخَّر، فاشفَعْ لنا إلى ربِّكَ، فأَنطلِقُ إلى تحتِ العَرشِ فأَقَعُ ساجداً لربِّي». وذكر بمعنى حديث أنس، وفيه: «إنَّ كلَّ نبيٍّ يقولُ: إن ربِّي قد غَضِبَ اليومَ غَضَباً لم يَغضَبْ قبلَه ولا يَغضَبُ بعدَه مثله»[٢].

وفي رواية: «فيقولُ آدمُ: وهل أَخرَجَكُم من الجنَّةِ إلا خَطِيئَةُ أبيكم، اذهبُوا إلى ابني خليلِ الله، فيذهبونَ إليه فيقولُ: إنما كنتُ خليلاً من وراءَ [وراءَ، أي من وراء] حجابٍ»[٣].

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، وأحمد (٩٦٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٥).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ ـ أو تَلا ـ قولَ الله عزّ وجلّ في إبراهيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]. وقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية [المائدة: ١١٨]. فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «أُمَّتي أُمَّتي» وبَكَى، فقال الله تعالى: يا جبريلُ اذهَب إلى محمدٍ ـ وربُّكَ أعلمُ ـ فسَلْهُ ما يُبكيكَ؟ فأتاه جبريلُ، فسَأَله، فأخبَره رسولُ الله ﷺ بما قال، فقال الله: يا جبريلُ، اذهَب إلى محمدٍ فقُل له: إنا سنُرضِيكَ في أمَّتِك ولا نَسُوؤكَ. انفرد بإخراجه مسلم(١).



(١) أخرجه مسلم (٢٠٢).

الباب التاسع والثلاثون

في كونه ﷺ آخر المرسلين وخاتم النبيين

[أما قوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فقد تقدم في فضائله، وأن الله أخذ ميثاق الأنبياء على تصديقه.

وأما كونه آخر المرسلين، فلأن الختم إنما يكون على عنوان الكتاب، فتمم الله به مكارم الأخلاق والأسباب، وليكون شهيداً على الأمم للأنبياء بما جاؤوا به من الأنباء.

قال أحمد بإسناده] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدعَى نوحٌ يومَ القيامةِ فيقالُ له: هل بلَّغتَ؟ فيقول: نَعَم، فيُدعَى قومُه: هل بلَّغَكُم؟ فيقولُون: ما أتانا من نذيرٍ، وما أتانا من أحدٍ، فيقال لنوحٍ: من يَشهد لكَ؟ فيقول: محمدٌ وأمَّتُه، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. قال: والوسط العدلُ، فيدعونَ، فيَشهدُون له بالبلاغِ، قال: ثم أشهدُ عليكم» انفرد بإخراجه البخاري[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجيءُ النبيُّ يومَ القيامةِ ومعهُ الرجلُ، والنبيُّ ومعه الرجلان، وأكثر من ذلك، فيُدعَى قومُه فيقال لهم: هل بلَّغكُم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلَّغتَ قومَك؟ فيقولُ: نَعَم، فيقالُ له: من يَشهدُ لك؟ فيقولُ: محمدٌ وأمَّتُه، [فيدعى محمد وأمته] فيقال لهم: هل بلَّغَ هذا قومَه؟ فيقولون: نَعَم، فيقال: وماعِلمُكُم؟ فيقولونَ: جاءَنا نبيُّنا، فأَخبَرَنا أن الرُّسُلَ قد بلَّغوا، فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية [البقرة: ١٤٣]. أخرجه الإمام أحمد في «المسند»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٢٨٣)، والبخاري (٤٤٨٧).

(٢) أحمد في «مسنده» (١١٥٥٨).

[وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره»[1] بمعناه في تأويل قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال السدي: فيشهد محمد ﷺ للأنبياء بالبلاغ، فذلك قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] وكذا تقول في أمته: إنها جعلت آخر الأمم لهذا المعنى].

وقال كعب الأحبار: إنما جعلت هذه الأمة آخر الأمم لتطلع على قبائح الأمم ولا يطلعونَ على فضائحها، فإنِّي قد وجدت في بعض كتب الله المنزلة: أن الله خلَقَ لكل واحد من هذه الأمة تمثالاً تحت العرش، فكلما ركعَ وسجدَ ركع ذلك التمثال وسجدَ فتراه الملائكةُ، فإذا زلَّ ابن آدم زلةً ألقى اللهُ على ذلك التمثال ستراً لئلا تشاهده الملائكةُ، فذلك قولهم في الدعاء: يا مَن ينشر الجميلَ ويستر القبيحَ.



(١) الكشف والبيان ١/ ٢٠٥.

الباب الأربعون

في ذكر أصحابه وفضلهم رضي الله عنهم

[وفيه فصول:

حدّثنا أحمد بإسناده] عن أبي سعيد الخدري، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تَسبُّوا أَصحابي، فإنَّ أحدَكُم لو أنفَقَ مثلَ أُحدٍ ذَهباً ما أدركَ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه». أخرجاه في «الصحيحين»(١).

وفي المتفق عليه عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ الناس قَرني، ثم الذينَ يَلُونَهم، ثم الذين يَلُونَهم، ثم يَأتي قومٌ تسبق شهادةُ أَحدِهم يَمينَه، ويَمينُه شهادَتَه»(٢).

[ولمسلم عن أبي هريرة بمعناه، وذكر فيه ثلاثة قرون(٣).

والقرن مئة سنة، وقيل: مئة وعشرون سنة. قال الجوهري: القرن ثمانون سنة. قال: ويقال: ثلاثون سنة(٤)، والأول أصح.

والمراد بالشهادة: شهادة الزور، لأنه قال في] حديث عمران بن الحصين المتفق عليه قال: فلا أدري أذكر بعد قرنين أو ثلاثة. وفيه: «ثم يَأتي بَعدَهم قومٌ يَشهدون ولا يُستَشهدون، ويَخونون ولايؤتمنون، ويَنذُرُون ولا يَفُون، ويحلفون ولا يُستَحلفون، ويظهرُ فيهم السِّمَن»(٥)، يعني من كثرة المطاعم.

وفي المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ قال: «يَأتي على الناسِ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٠٧٩)، والبخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٣٤).

(٤) «الصحاح»: (قرن).

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

زمانٌ يغزو فيه فِئامٌ من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولُون: نَعَم، فيُفتَح لهم، ثم يَغزُو فئامٌ من الناس، فيقالُ: هل فيكم من صاحب أَصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولونَ: نَعَم، فيُفتَحُ لهم»(١).

[فصل في عدد الصحابة رضي الله عنهم:

اعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ خلق كثير تتعذر الإحاطة بعددهم، فروى أبو عبد الله الحاكم، عن أبي زرعة الرازي أنه سئل عن هذا فقال: قُبض رسول الله ﷺ عن مئة وستة وعشرين ألفاً ممن روى عنه وسمع منه ورآه، قيل له: فأين كان هؤلاء؟ فقال: أهل مكة والمدينة وما بينهما وما حولهما من الأعراب ومن شهد معه حجة الوداع والغزوات والسرايا وتبوكاً وغيرها.

وروى الخطيب أبو بكر بإسناده عن أبي زرعة أيضاً أنه سئل عن ذلك، فقال: ومن يضبط هذا؟ شهد معه حجة الوداع أربعون ألفاً، وتبوكاً سبعون ألفاً، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان معه يوم الفتح عشرة آلاف وخرج من المدينة إلى غزاة تبوك في ثلاثين ألفاً(٢).

فصل في عدد الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ:

قد ذكرنا في صدر الكتاب عن أحمد بن حنبل أنه قال: جمعت «المسند» من ألف ألف حديث، وروى عنه ابنه عبد الله أنه قال: صح من الحديث سبع مئة ألف وكسر، وقال: كان أبو زرعة الرازي يحفظ ست مئة ألف حديث.

وذكرنا عن البخاري أنه قال: صنفت كتابي «الصحيح» في ست عشرة سنة، خرجته من ست مئة ألف حديث.

وقال مسلم: جمعت كتابي من سبع مئة ألف حديث.

فالحاصل أن حصر الأحاديث على التحقيق غير ممكن، وإنما الذي يظهر ما في

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (٢٥٣٢).

(٢) انظر «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

السنن المأثورة الأخبار المشهورة كـ «مسند» أحمد والبخاري ومسلم وأبي داوود والترمذي والدارقطني وابن ماجه وغيرهم.

وروي أنه قيل لأحمد بن حنبل: كم يكفي الرجل من الحديث حتى يفتي، مئة ألف حديث؟ قال: لا، قيل: فمئتي ألف؟ قال: لا، قيل: فثلاث مئة ألف؟ قال: لا، قيل: فأربع مئة ألف؟ قال: لا، قيل: فخمس مئة ألف؟ قال: أرجو(١).

ذكر الصحابة الذين تفرقوا بعد وفاة رسول الله ﷺ ونزلوا البلدان

ذكر جدي رحمه الله في«التلقيح»وقال:روى عبد الله بن بُريدة الأسلمي،عن أبيه قال:قال رسول الله ﷺ: «أيما أرض مات بها رجل](٢) من أصحابي فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة».



(١) انظر «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٣٦١ـ ٣٦٢.

(٢) من قوله : فصل في عدد الصحابة ... إلى هنا، ليس في (أ ،خ)، أثبتناه من (ك)،وانظر تاريخ البخاري الكبير ٢/ ١٤١، والاستيعاب (٢١٩)، ولم نقف عليه في التلقيح.

الفهرس

تم بحمد الله